محتويات العدد

العنوان	الصفحة

صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد [٢٧] — شعبان ١٤١٥هـ

العدد الأول — يناير ١٩٩٥م

يشرف على المجلة : **الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهري**

عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس - الهند

THE EDITOR

B. 18/1 G. REORI TALAB , VARANASI - 221010 - INDIA .

الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس - الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB , VARANASI-221010 - INDIA .

الاشتراك السنوى : في الهند ٦٠ روبية ، في الخارج ٢٦ دولارا (بالبريد الجوى)

١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥٠/٥ روبيات

* تليفون : ٣٢٠٩٥٨ / ٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٢٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

o إعلاء كلمة الله . والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله . والتمسك بكتابه . وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . بعيدا عن التحيز الفكري . والتعصب المذهبي وتبليغ رسالة الإسلام . وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها . ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية .

o مقاومة الأفكار الدخيلة . والتيارات المنحرفة . والمبادئ الهدامة. وضلال الزيغ والإلحاد . وسائر المنكرات . بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما هي تشوه صور للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

o موازرة الكتاب والأدباء الإسلاميين . واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر . وشرح تعاليم الإسلام السمحة . ليتمكنوا من الذود عن الإسلام وقيمه . في تعمق و وعي وجرأة ودأب . وعن إيمان وإخلاص

o إيقاظ الروح الدينية . وبث الوعي الإسلامي في الشباب المسلم . وتزويدهم بالثقافة الإسلامية الواسعة . وإعدادهم للإسهام في معركة اللسان والعلم . وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

o نشر العلوم الإسلامية والعربية بين المسلمين في الهند . وتعميم اللغة العربية بين المثقفين . ورفع مستواها كتابة وخطابة

o التوجيه الديني السليم للمسلمين في القضايا الراهنة والمشاكل الناجمة . حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد .

الافتتاحية :

دور الزعامة المسلمة في قضية المسجد البابرى

قضية المسجد البابرى - كما يعرف الجميع - من مخلفات الاستعمار الانجليزى ، فإنه قد أثارها للتفريق بين سكان الهند ، ولتحقيق أهدافه السياسية والإستعمارية ، وذلك بعد أن جرب تأثير اتحاد الشعب الهندى في كثير من الشئون ، وذاق المرارة والخيبة في مخططاته لأجل هذا الاتحاد .

و بعد عهد الاستعمار و فور استقلال الهند حاول بعض الأشرار المتعصبين من الهندوس استغلال القضية لتحقيق مصالحهم السياسية ، ولكن موجة الكره والعداء ضد المسلمين لم تبلغ أشدها بعد ، و السلطة القضائية لم تكن مصابة بالعصبية و الانحياز ، و تضحيات المسلمين في سبيل نهضة البلاد و رقيها كانت ماثلة أمام عيون الناس ، فلهذه الأسباب و أمثالها لم تتعقد القضية كثيرا ، ولم يتمكن الأشرار من استغلالها لصالحهم ، ولكنهم نجحوا في وضع تمثال رام مكان منبر المسجد ، و منع الفريقان من المسجد بعد إغلاقه . و على هذا الوضع مرت سنوات عديدة إلى أن جاء عام ١٩٨٦م ، فتدخل الحزب الحاكم " حزب المؤتمر " في الموضوع ، و حاول استغلال القضية لصالحه ، وذلك بأن فتح المسجد للهندوس و بقى المسلمون ممنوعين منه . و من هنا نشأ صراع بين حزب المؤتمر وحزب المتطرفين من الهندوس B.J.P. ، كل

يحاول تعزيز مكانته بين الشعب باستغلال قضية المسجد .

و بعد فتح المسجد للهندوس تحرك أشخاص من المسلمين للدفاع عن قضية المسجد و للمطالبة بأن يسلم للمسلمين . وبهذا الصدد كونوا لجنة باسم المسجد البابرى ، ولكنها سرعان ما انقسمت إلى لجنتين ، و كلاهما لم تغنيا عن المسلمين شيئا ، وذلك لأنهما لم تحظيا بشعبية لدى المسلمين ، و لم تصدرا عن خطة مدروسة تضمن احباط مؤامرة المتطرفين من الهندوس ، و لم تستطيعا التأثير في السلطات الحكومية ، و من هنا رأينا أن حشود الأشرار اجتمعت عند المسجد ، ثم تمكنت من هدمه و أقامت مكانه معبدا صغيرا لا يزال موجودا إلى الآن ، و قد صرحت بعض الجرائد الهندية بأن هدم المسجد البابرى في ظل دولة علمانية ديمقراطية انما هو ظلم كبير واجهه المسلمون و وصمة عار في جبين الديمقراطية الهندية ، و لكن اللجنتين المذكورتين شاهدتا هذه المأساة والتزمتا بالصمت كأن الأمر لا يعنيهما .

و لما أصدرت المحكمة العليا رفضها لابداء الرأى حول ما إذا كان معبد مكان المسجد البابرى قبل بنائه ، و كذلك أصدرت قرارها بخصوص صحة تملك الحكومة للأراضى المجاورة للمسجد ، وقرارها بخصوص ادانة كليان سنغ لسماحه بإقامة رصيف في الأرض التى قام حولها النزاع، هبت الزعامة المسلمة من سباتها ، وأصدرت بيانا طالبت فيه باستقالة رئيس الوزراء نرسمها راؤ ، متجاهلة أن رئيس الوزراء الذى لم يستقل بعد هدم المسجد مباشرة كيف يستقيل الآن بهذه المطالبة التى لم تحرك ساكنا إلى الآن ! .

و لكن يبدو أن الأمر لم يختلف عن السابق قليلا ، فإن لجنة المسجد

البابرى لا تزال تعاني الانقسام ، و لا تملك خطة مدروسة لمواجهة فصول المؤامرة و لا رؤية واضحة عن مقتضيات الزعامة الإسلامية و عن الأمور التى يحتاج المسلمون إلى التوجيه فيها .

ثم إن التشتت واضح في صفوف زعماء المسلمين ، فبعضهم يلتزم بالسكوت ، وبعضهم يطالب ببناء المسجد في مكانه السابق ، وبعضهم يؤكد على ضرورة العناية بشئون التعليم و الاقتصاد مع صرف النظر عن قضية المسجد ، و بعضهم يركز العناية حول الأحوال الشخصية و مطالبة الحكومة بعدم التدخل فيها ، وبعضهم ينادى باصلاح المجتمع ، و بعضهم يطالب باتخاذ سياسة العطف و اللين و المسالمة مع الهندوس و التركيز على الدعوة و البناء فقط ، و لا شك أن هذه النقاط ليست متعارضة فيما بينها بحيث يصعب الجمع بينها أو بين معظمها ، ولكن الأسلوب الذى تقدم به الزعماء هذه النقاط إلى الأمة الإسلامية وإلى الحكومة الوثنية المتعصبة لم يكن متسما بالجدية والوقار ، و لا صادرا عن رأى موحد بصير بالعواقب ، ثم ان سلوكيات هؤلاء الزعماء أيضا تثير كثيرا من الشكوك و التساؤلات ، واقبالهم على المناصب و الألقاب يقلل تأثيرهم في الناس و يخفف ثقلهم عليهم .

وأسوق هنا مثالا واحدا للدلالة على نفسية المسلمين و تصورهم عن الدعوة والاصلاح . عقدت حركة اصلاح المجتمع في مدينة غازيفور، احدى مدن ولاية يوبى الشرقية ، اجتماعا شعبيا لتوعية المسلمين و دعوتهم إلى العودة إلى الإسلام ، و في هذا الاجتماع تكلم أحد الخطباء حول رد الاشراك بالله و الاستغاثة بالموتى و شد الرحال إلى القبور . و قد علق أحد الصحفيين على هذا الخطاب بأنه يثير المنافرة بين المسلمين ،

ويقوى الخلافات المذهبية . ولذا ينبغى أن يبتعد خطباء حركة اصلاح المجتمع عن إثارة هذه النقاط في الإجتماعات العامة . و يدل هذا التعليق على أن رد الشرك ليس داخلا عند المعلق ضمن اصلاح المجتمع . وان المسلمين ليسوا بحاجة إليه !.

فهذا هو تفكير المسلمين عن أساسيات الإسلام . وهذه هي العقلية التى تنشأ عندهم بجهود الزعماء و العلماء . و بهذه العقلية يزعمون أن الاتحاد بين المسلمين مهما كانوا مصابين بالشرك والبدع يحقق لهم أهدافهم. ويورث فيهم صفة الاستقامة والصمود أمام مخططات الأعداء !! إننا لا نحب الكلام عن الزعامة المسلمة . و لا نرى فيه كثيرا من الفائدة . و لكن حيث أن المسلمين يعيشون الآن في ظروف صعبة . و يواجهون تحديات كثيرة . وأعداؤهم يتربصون بهم الدوائر . و ينسجون حولهم خيوط المؤامرات . فلذا أشرت إلى بعض الأمور هذه الاشارة .

و قد علقت جريدة على تحرك لجنة المسجد البابرى للعمل من جديد فقالت :

"زعماء لجنة المسجد بدأوا مرة أخرى اصدار البيانات على الطريقة التى تتيح فرصة الاتحاد للقوى المعادية للمسلمين . انهم سموا لجنتهم لجنة العمل . و لكنهم لم يعملوا شيئا سوى الكلام . أما أعدائهم فتحركوا و عملوا حتى هدموا المسجد . ثم أقاموا مكانه معبدا موقتا . بمرأى من السلطة القضائية والإدارية و المسئولين عن الحكومة الديمقراطية والصحافة التى تسمى عمودا رابعا للديمقراطية. إن هؤلاء جميعا شاهدوا بصمت المأساة التى نكست رأس الهند أمام العالم . وزلزلت ثقة الأقلية المسلمة . و صدعت قلوبها تصديعا "

وجملة القول أن المسلمين يحتاجون أولا إلى التمسك الصحيح التام بتعاليم الكتاب والسنة . وإلى التخلى عن الشرك والبدع التى تعارض الإسلام تماما .

و ثانيا إلى زعامة تعرف الإسلام ، و تقدر الأوضاع والظروف تقديرا سليما ، ولا تهدف إلى المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

و ثالثا إلى تحقيق وحدة فكرية و عملية تقضى على الخلافات والمنازعات التى أنهكت بقواهم ، و أضعفت معنوياتهم ، و جرّأت عليهم أعداءهم .

و هناك أمور أخرى تستحق العناية من المسلمين ، و لكننا نكتفى بما ذكرنا لأن الكلام الكثير في القضية التى خسرها المسلمون لا يستحسنه العقلاء . والله تعالى نسأل أن يحفظ أوليائه من شرور أعدائه و يعيد إلى المسلمين عزتهم وكرامتهم . إنه سميع مجيب 000

(الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

الطاعون في نظر الإسلام

د/رضاء الله محمد ادريس المباركفوري
الأستاذ في الجامعة السلفية

لقد فوجئ الناس في العالم قبل بضعة أشهر من خلال وسائل الإعلام المختلفة - المرئية و المسموعة و المقروءة - بنبأ انتشار الطاعون ببعض المناطق في الهند ، و كان كارثة عظيمة أخذت بلب الجميع وطارت به ، حيث استحوذ عليهم الخوف والهلع ، و تملك من مشاعرهم الذعر و الذهول ، و بادرت الحكومات بمجرد سماعها لهذا النبأ العظيم الذى كان مفاجئة لها بكل ما في الكلمة من معنى ، إذ كانوا يعتقدون اعتقادا جازما لا تشوبه أي شائبة من الريب أو الشك بأن الطب في العصر الحاضر قد تمكن لإحرازه تقدما ملموسا بفضل تطور الصناعات والتكنولوجيا من القضا على هذا الوباء الفتاك الذى " إن دخل بيتا كان آخر أهله خروجا ، و إن عدل إلى فناء أجج نار الفناء"(١) و ظنوا أن الطب المعاصر قد طرده من الدنيا فذهب منها من غير رجعة، -و لم يبق له فيها عين و لا أثر - و ظلت الجهات المعنية بالصحة العالمية *تروج ذلك و تتبجح به إلى أن وقعت الواقعة و ليس لوقعتها كاذبة ،*

(١) من وصف القاضى صلاح الدين الصفدي لمرض الطاعون - نقله الحافظ ابن حجر في بذل الماعون (ص٢٨٢) .

فبادرت الحكومات - و الأفراد تباع لها - إثر سماعها للنبأ بسرعة عديمة النظير إلى اتخاذ الوقاية من هذا الوباء بكل الطرق والوسائل الممكنة مستندا في ذلك إلى الأسباب الظاهرة فقط دون أي تعير أدنى التفات أو عناية بالسبب الحقيقي للوقاية . ألا وهو الإقلاع عن المعاصي والذنوب التي أكثر الناس فيها منغمسون . والإنابة إلى الله العلي القدير ومحاسبة النفس التي غلبت عليها الشياطين فزينت لها أعمالها-إلا من رحم ربك . وهم قلة قليلة - .

و من الإجراءات الوقائية التي اتخذتها حكومات العالم تجنبا من إعداء هذه العدوى إلى بلدانها . وحرصا على أرواح شعوبها أن قامت بقطع جميع العلاقات مع الهند . و منع السفر منها و إليها . و توقيف حركة التصدير والاستيراد . فتوقف المسافرون (منها و إليها) حيث انتهى بهم السير و احتجروا في أماكنهم . و أصبحت الهند في هذه الآونة منعزلة و منقطعة عن العالم تماما . و صار الهنود خارج بلادهم كأنهم يحملون معهم براغيث الطاعون أو ميكروباته - سواء خرجوا منها قبل الكارثة أو بعدها - فلا مساس بهم . فكان الناس ينظرون إليهم بأطراف العيون . و يحترزون الاقتراب منهم بحيث إنهم لو اقتربوا منهم لفتك بهم وباء الطاعون . و أما سكان المنطقة الموبوءة أو الفارون عليها فكانت معاملتهم أشد قساوة . إذ لم يتورع الناس في بعض الأماكن داخل الهند عن قتلهم حينما وصلوا إليهم فارين منها - و لقد تناقلوا في هذا الحدث أخبارا و وقائع وهي إن دلت على شئ فإنها تدل على عجز العباد و يؤسهم و سكيتهم أمام آية صغيرة من آيات الله تعالى . فلم تغنهم الصناعات التكنلوجية والطب الحديث و أجهزته الحديثة ونسوا تجبرهم على الله

تعالى إذ أصابهم الذهول والهلع . ولم يدروا ماذا يعملون أمام هذه الآية الصغيرة التي وقعت في نطاق ضيق جدا

هذا، وقد اختلفت أقوال الناس و تفاسيرهم لوقوع هذه الكارثة . و نسجوا حولها كثيرا من الخيالات والحكايات فمنهم من ربطها بقضية معينة قام بها شرذمة متطرفة حاقدة على الاسلام والمسلمين لا تطيق الوجود الإسلامي على أرض الوطن الهندي فألزمت على نفسها إزالة جميع المعالم التي تنم عن وجود الإسلام في ربوع هذا الوطن و تسعى بكل ما أوتي من قوة و إمكانيه لتحقيق ما تصبو إليه دون خجل أو حياء من استخدام العنف و الإرهاب و للمنطقة التي انتشر فيها وباء الطاعون دور فعال في هذا الصدد . فعاقبهم الله تعالى على جريمتهم بهذا الزجر

و منهم من ربطها بما ارتكب على ظهر أرض المنطقة الموبوءة عقب الجريمة النكراء " هدم المسجد البابري " من أبشع أنواع الظلم و العناد و التعذيب والتنكيل التي لم يسجلها التاريخ البشري على مدى الدهور والأزمنة، وقد جعل منها إبليس اللعين في مكمنه، وغير ذلك من التفسيرات التي سمعناها و قرأناها - و لا نزال - من أفواه الناس و على صفحات الجرائد والمجلات[١]. ونحن لا نملك إزاء ما ذكرناه من التفسيرات

---

(١) و من هذه التفسيرات أيضا ما يقول . إن الفئران الوحشية الحاملة لبراغيث الطاعون قد هربت بعد الهزة الأرضية الواقعة في لاتور و عثمان آباد من الغابات والبراري والتجأت في الأماكن السكنية القريبة . و نقلت معها البراغيث إلى فئران المساكن المأهولة . و من ثم إلى الإنسان . و من هنا نجم قرن وباء الطاعون . و منها ما نسبت فيه إلى استطلاعه عن ...

في أسباب وقوع الكارثة ما نقطع بواحد منها غير أننا نؤمن إيمانا جازما في ضوء النصوص الواردة من الكتاب والسنة بأنه إذا انتهكت حرمات الله تعالى ، واستخف بقوانينه و ارتكب ضد عباده العزل أنواع من الظلم والفساد سلط الله تعالى على الناس أنواعا مختلفة من العذاب والنكال ، لينتقم من المعتدين الظالمين البغاة المستهترين ، و يريهم آيات قدرته و سلطانه ، و ليعتبر بها الصالحون من عباده . كما أننا نعتقد أن المنطقة الموبوءة حدث فيها من الجرأة على الله تعالى ، والاستهزاء بدينه و الاستهتار بقوانينه ، وظلم عباده ما الله به عليم ، ولذا فإن كان قد أرسل هذا الزجر على تلك المنطقة نكالا منه سبحانه و تعالى فهي مستحقة لذلك كل الاستحقاق ، و لكن الأمر لا يقتصر على أهالي تلك المنطقة فقط ، إذ فيه عبرة للآخرين أيضا ممن هم على شاكلتهم ينهجون نهجهم و ينسجون نسجهم ، ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور ٦٣] .

و عند ظهور هذا الوباء كثرت الكتابات عنه في الجرائد و المجلات ، يدلي فيه كل واحد دلوه حسب ما يتبنى من وجهة نظر ، مما حداني الشوق لمعرفة ما كتب عنه علماؤنا قديما و حديثا من الوجهة الإسلامية ، و تبين لي - دون ادعاء بالمعرفة - من خلال تصفحي لبعض المؤلفات القديمة والحديثة في هذا الموضوع أن الإسلام قد تعرض لمرض الطاعون و اعتنى به من مختلف النواحي لخطورة أمره أكثر من غيره من الأمراض و الأوبئة ، فإننا نجد في هديه ﷺ و سننه إلى جانب التعليمات الخاصة به تصريحات تتعلق بتحديد وصفه و أسبابه و وسائل الوقاية منه وهي غير

قبل المخابرات في دولة من الدول المجاورة - و هذا هو المضحك و المبكي في آن واحد .

متعارض مع ما توصل إليه الطب الحديث بخصوص هذه الأمور ، بل هي متفقة معه فيها ، مع أنه ﷺ لم يشاهد قط مصابا بالطاعون ، كما أن هذا المرض لم يكن معروفا في عهده ﷺ في الجزيرة العربية ، مما يتطلب من الكتاب والباحثين إبراز هذه الجوانب التي يتفق فيها الحديث النبوي و التعليمات الإسلامية مع العلوم التطبيقية المعاصرة ، لا لأن الإسلام في حاجة إلى ذلك ، و إنما لبيان أن ما وصل إليه علماء اليوم بمختلف الوسائل و الأجهزة الحديثة المتطورة من الحقائق العلمية في مختلف المجالات قد سبق الإسلام إلى كثير منها ، فأخبر بها قبل أربعة عشر قرنا مما يدل على صدق رسالته و أنه من الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء و لا في الأرض ، و من هنا رأيت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع ، لأستفيد منه أنا أولا ثم يستفيد منه غيري إن كان فيما أتيت به ما يفيد .

و مما تجدر بالإشارة إليه أن الكلام في هذا الشأن طويل متشعب و ذو شجون ، لكثرة ما يحمل في طياته من مسائل و نقاط ، و لذا أقتصر على بعض ما يتيسر لي منها ، ولا أدعي بأنني سوف آتي فيه ببعض الأسرار الكامنة التي لم أسبق إلى إزاحة الستار عنها ، فإن جل كلامي مبني على ما سبق إليه المتقدمون السابقون ، والقصد منه هو التذكير فقط ، ﴿ فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .

المسألة الأولى: وصف الطاعون في الطب والحديث النبوي.

وهو لغة على وزن فاعول من الطعن ، قال الجوهري : عدلوا به عن أصله ، ووضعوه دالا على الموت العام كالوباء ، و يقال : طعن فهو مطعون و طعين : إذا أصابه الطاعون ، و كذا إذا أصابه الطعن بالرمح (١) .

---

(١) كذا نقل عنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/١٨٠) .

وأما اصطلاحا فجاء وصفه في بعض الموسوعات بأن « الطاعون مصطلح كان يطلق قديما على أي مرض واسع الانتشار ، مسببا الموت الجماعي ، لكنه الآن محصور في حمى معدية من نوع خاص تسببه البكتيريا العصوية التي ينقلها برغوث الفئران ، وهو في أصله يصيب القوارض ، و لكن الوباء في الإنسان ينشأ من جراء الاتصال ببراغيث القوارض المصابة »(١) .

ولقد وصل الطب الحديد إلى الكشف بأن الطاعون على أنواع -أو بتعبير علمي- على أشكال سريرية متعددة . يصل إلى ثلاثة أو أربعة أشكال - على اختلاف في المصادر -(الطاعون الغددي . وله أسماء أخرى : مثل اللمفاوي الورمي والدبلي و غيرها . والطاعون الرئوي و طاعون تعفن الدم و الطاعون الأنثاني) و أكثر هذه الأنواع وقوعا و إصابة هو الأول . و يوجد شبه اتفاق في تلخيص أعراضه و تشخيص دائه بين الطب الجديد والقديم . إذ يذكر كل منهما أن أوضح العلامات المميزة له البروز المبكر للعقد اللمفاوية (الغددية) التي تتورع عادة في أصل الفخذ والإبط . و يصاب فيه المريض - عادة - برعشة ، ثم قئ ، فصداع ، فدوار ، فحساسية ضد الضوء ، و ألم في الظهر والأطراف ، وأرق ، و فتور في الشعور أو هذيان(٢)، و يحدده الطب الجديد فيقول : يشكل هذا النوع

---

(١) انظر الموسوعة البريطانية (٨/٢٠-٢١ نقلا عن مقدمة التحقيق لكتاب بذل الماعون) .

(٢) الموسوعة البريطانية (٨/٢٠-٢١) نقلا عن محقق بذل الماعون. وقارن هذا الكلام مع ما نقله العلامة ابن القيم والحافظ ابن حجر عن ابن سينا و غيره من قدماء الأطباء في الطب النبوي (ص٢٨) و بذل الماعون (ص٩٨) و فتح الباري (١٠/١٨٠) .

حوالي ثلاثة أرباع حالات الطواعين، بينما لا يعرف الطب القديم إلا هذا النوع فقط.

و بعد إلمام سريع جدا ببعض المعلومات الطبية عن وباء الطاعون لو ألقينا النظرة على الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ في وصف هذا الوباء لوجدناها متفقة مع التصريحات الطبية في هذا المجال، و من هذه الأحاديث ما روته عائشة الصديقة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : «فناء أمتي بالطعن أو الطاعون، قالت : فقلت : يا رسول الله! هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون ؟ قال : غدة كغدة الإبل ...» الحديث (١)

و في رواية أخرى عنها : « يشبه الدمل يخرج من الآباط و المراق ... »(٢).

ففي هذه الكلمات المختصرة الجامعة لقد أوضح النبي ﷺ أهم ما يحتاج إليه في معرفته الشخص العادي الذي يرغب في معرفة الطاعون، فهي تلخص الأعراض و تشخص الداء، و مما يزيد في أهميتها أنه ﷺ لـ يشاهد مصابا بمرض الطاعون، و ما كان يعرف هذا المرض في جزير العرب في عهده ﷺ، إلا أن نور النبوة المشتق من الله تعالى هو الذ جعله وضح المجاهيل، وأنار الطريق في كل فرع من فروع المعرفة، فهذ الوصف الذي جاء على لسان النبي ﷺ منسجم مع ما توصل إليه الطب بـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/٢٥٥) بإسناد حكم له الألبا بالصحة، انظر إرواء الغليل (٦/٧٢رقم ١٦٣٨)

(٢) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (٢/٢٩٦ ر ٣٠٤١)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣١٥) من رواية أ والبزار و غيرهما، و قال : « رجال أحمد ثقات، و بقية الأسانيد حسان و المراق : ما رق من أسفل البطن و لان. النهاية (٤/٣٢٦) وهي التقاء الفخذ بأسفل البطن.

تطوره . و قد اعترف به العديد من الأطباء . فهذا الدكتور محمود ناظم النسيمي ذكر ثلاثة من أنواع الطاعون (الدملي ، والأنتاني ، والرئوي) ثم قال : «إن معظم إصابات الطاعون في وبائه تترافق بالتهاب العقد اللمفية وضخامتها، ولذلك فإن الذي يلفت الانتباه إلى تشخيص الطاعون سريريا (قديما و حديثا) هو وجود وباء يتصف بضخامة العقد البلغمية و التهابها » و أشار بعد إيراده لحديث عائشة - رضي الله عنها - بالروايتين إلى انسجام وصفي للطاعون في الحديث والطب الجديد (١) .

و هذا الدكتور محمد على البار الطبيب المعروف دائع الصيت أيضا قد نوه بهذا الانسجام ، و يضيف إلى ذلك فيذكر أن علماء الإسلام الذين قاموا بشرح أحاديث رسول الله ﷺ -وفيها أحاديث عن الطاعون - قداهتدوا بهديه واستناروا بنوره فأنار الله بصائرهم كما أنار أبصارهم . فتحدثوا و كأنهم أطباء في القرن العشرين لا فقهاء و محدثون من القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي حين كانت أوربا غارقة في ظلام العصور المظلمة . ثم أورد عن العديد من شراح الحديث مثل النووى وابن القيم و القاضي عياض و غيرهم ما صرحوا به في وصف الطاعون . و هو موافق لتصريحات الطب الحديث . ثم إن الأمر لايقتصر على هذا لأننا نراهم ينتقدون أعظم الأطباء في زمنهم إذا تعارض قوله مع ما تقوله الأحاديث النبوية . و أثبتت الأيام و الأزمنة صحة ما ذهب إليه العلماء المحدثون و الفقهاء بينما أثبتت خطأ قول الأطباء آنذاك. لا لأن الفقهاء والمحدثين كانوا بالطب أعلم من الأطباء . و لكن لأنهم استناروا بنور النبوة فأضاءت لهم السبل وأوضحت لهم الدروب . فكان ما

---

(١) الطب النبوي والعلم الحديث (٢/٢٨٠-٢٨٢) .

قالوه أو دعوا إليه هو الحق والصواب الذي ثبت على مدى الأيام والدهور(١).

المسألة الثانية: سبب الطاعون وطرق انتشاره: لقد بقي السبب الحقيقي للطاعون و طرق انتشاره سرا دفينا لدى الأطباء إلى أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين ، و حين توسعت الاكتشافات العلمية و الفنية في هذين القرنين وأحرز الطب تطورا ملموسا واستخدمت فيه الأجهزة الحديثة المتطورة التي ساعدت في اكتشاف البكتيريا المخلوقات المتناهية في الصغر بحيث لا يمكن رؤيتها بعيون مجردة توصلوا إلى معرفة السبب للطاعون ، و قرروا أنه ميكروب صغير جدا يشبه العصا يهاجم الحيوانات القارضة كالفئران والجرذان وينتقل بواسطة براغيث الفئران إلى غيرها من الحيوانات أو إلى الإنسان و عادة يعيش الميكروب على الحيوانات القارضة وإذا ظهر الوباء انتقل بواسطة البراغيث والحشرات إلى الفئران المنزلية ومنها إلى الإنسان . وهو يتكاثر في معدة البرغوث حتى يسدها فيزداد إحساس البرغوث بالجوع و يزداد عندئذ نهمه و قرصه و عضه فيمتص الدم من ضحاياه ... و في أثناء ذلك يقئ البرغوث ما في معدته من ميكروبات . فدخل محل الوخزة و القرصة .. و ينتقل الميكروب بواسطة الأوعية اللمفاوية إلى الغدد اللمفاوية(٢) هذا مجمل ما اكتشفه الطب الحديث في

(١) العدوى بين الطب و حديث المصطفى (ص ٩١-٩٦ بتصرف)

(٢) انظر العدوى بين الطب و حديث المصطفى (ص٨٤-٨٥)

مجال الطاعون . و يعود الفضل في ذلك إلى العالمين يرسن و شيبا سابور وكيتاسو. و هما اللذان اكتشفا هذا الميكروب - كل على حدة - سنة ١٨٩٤م أي العام الذى اكتسح فيه وباء الطاعون بلاد الصين و بما أن هذا الميكروب يشبه العصا قيل له : عصية أو عصوية يرسن باسم مكتشفه . ثم استمر البحث حول هذا الميكروب إلى أن تأكد في سنة ١٩٠٨م بعد إجراء التجارب العملية بصفة لا مجال فيها للشك أن براغيث الفئران هي الناقلة لمرض الطاعون و أنها أهم سبب لانتشاره(١)

و يبدو أن الطب القديم لم يتعرض لأصل الطاعون و سبب انتشاره أو أنه لعدم تفريقه بين الوباء والطاعون وصف فساد الهواء بأنه هو العلة الفاعلة له وهو السبب لانتشاره . هذا هو الظاهر مما نقله العلامة ابن القيم والحافظ ابن حجر عن الأطباء القدامى(٢) .

هذا و إذا نظرنا إلى الأحاديث النبوية من هذه الناحية وجدنا أن الرسول الأعظم عليه صلوات الله و سلامه قد أشار في غير ما حديث إلى السبب الذى ينتج عنه هذا الوباء . فروى الإمام أحمد من طرق عن أبي موسى

---

(١) العدوى بين الطب و حديث المصطفى (ص٨٤-٨٥) و الموسوعة العربية الميسرة (ص١١٤٦، ١٩٨٠) و الموسوعة البريطانية (٨/٢٠-٢١ نقلا عن محقق بذل الماعون) . و من المفارقات الغريبة أن المنطقة التى هوجمت بوباء الطاعون في الآونة الأخيرة تكثر فيها الفئران . و طبقا لإحدى الجرائد اليومية إن السبب يعود إلى أن أهالى المنطقة يعظمونها و يعبدونها و يقدمون لها الطعام . و يعدون قتلها خطأ كبيرا . (أخبار مشرق . كلكتا - العدد ٢ . والتاريخ ١٣/١٠/١٩٩٤م ص٢) .

(١) انظر الطب النبوى (ص٤٠) و فتح البارى (١٠/١٨١) .

الأشعري -رضي الله عنه - مرفوعا : «فناء أمتي بالطعن أو الطاعون؟ فقيل : يا رسول الله! هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون . قال : و خز أعدائكم من الجن ، و في كل شهادة » (١).

وقد قام العلماء من المتقدمين بحمل هذا الحديث على ظاهره حيث جعلوا أصل الطاعون من طعن الجن و وخزه ، منهم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، إذ حكى ما قاله الأطباء في التعريف بالطاعون ، ثم عقب عليهم بقوله : " هذه القروح و الأورام والجراحات هي آثار الطاعون و ليست نفسه ، و لكن الأطباء لما لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون ، والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور :

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد (٤/٢٩٥،٤١٣،٤١٧) وهو مخرج لدى غيره من أئمة الحديث ، كما أنه مروي عن غير أبي موسى الأشعري من الصحابة ، و قد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث مع الإشارة إلى من أخرجه من أئمة الشأن في فتح الباري (١٠/١٨١-١٨٢) و بذل الماعون (ص١٠٩ و ما بعدها) و قال في الأول « و العمدة في هذا الباب على حديث أبي موسى ، فإنه يحكم له بالصحة ، لتعدد طرقه إليه » و كذا حكم له الألباني بالصحة في صحيح الجامع الصغير (٤/٩٠-٩١ رقم ٤١٠٧) و إرواء الغليل (٦/٧٠ رقم ١٦٣٧) .

ومما ينبغي ملاحظته هنا أن بعض أئمة الحديث ذكر هذا الحديث بلفظ: « وخز إخوانكم من الجن » بدل « أعدائكم » و ذكر الحافظ أنه لم يره بهذا اللفظ بعد التتبع الطويل البالغ في شئ من طرق الحديث المسندة ، لا في الكتب المشهورة و لا الأجزاء المنثورة ، إلا أن محقق بذل الماعون استدرك عليه بأن هذه اللفظة وردت بالشك عند الحاكم في مستدركه (١/٥٠) : « وخز إخوانكم - أو قال : أعدائكم - من الجن » .

و على فرض صحة هذه اللفظة ذكر الحافظ في تأويلها عدة أوجه و مال إلى القول بأن المراد بالأخوة أخوة التقابل لا أخوة الدين، بذل الماعون (ص١٤١-١٤٢) .

أحدها : هذا الأثر الظاهر .

والثاني : الموت الحادث عنه ، و هو المراد بالحديث الصحيح في قوله : « الطاعون شهادة لكل مسلم »(١) .

والثالث : السبب الفاعل لهذا الداء ، وقد ورد في الحديث الصحيح : « أنه بقية رجز أرسل على بني إسرائيل(٢) » و ورد فيه : « أنه وخز الجن » وجاء أنه دعوة نبي(٣) .

وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها كما ليس عندهم مايدل عليها ، والرسل تخبر بالأمور الغائبة ، ثم بدأ يقرر أن تأثير الأرواح في الطبيعة و أمراضها و هلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح و تأثيراتها ، وأن الله سبحانه و تعالى قد يجعل لهذه الأرواح تصرفا في أجسام بني آدم عند حدوث

---

(١) متفق عليه - صحيح البخاري (١٠/١٨٠ رقم الحديث ٥٧٣٢) و صحيح مسلم (٣/١٥٢٢رقم الحديث ١٦٦) من حديث أنس .

(٢) متفق عليه - صحيح البخاري (٦/٥١٢ رقم ٢٤٧٣ و صحيح مسلم ٤/١٧٣٨ رقم ٢٢١٨) من حديث أسامة .

(٣) لم أتمكن من معرفته بهذا اللفظ و لا ممن رواه . وقد روى الإمام أحمد في مسنده (٥/٢٤٨) و أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (رقم ٩) بسندهما عن أبي قلابة قال : وقع الطاعون بالشام ، فقال عمرو بن العاص : إن هذا الرجز قد وقع ، فتفرقوا عنه ، فقام معاذ ، فقال : بل هو شهادة و رحمة و دعوة نبيكم ﷺ

قال أبو قلابة : فلم أدر ما دعوة نبيكم ؟ حتى بلغني الحديث : إن رسول الله ﷺ قال : إني سألت ربي ألا يجمع أمتي على ضلالة ... فأبى علي ، فقلت : فحمى إذا أو طاعون ، قال أبو قلابة : فعرفت دعوة نبيكم » أعله

الوباء و فساد الهواء(١) .

و منهم الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - حيث استدرك مستدلا بهذا الحديث على الأطباء و غيرهم ممن تكلم في وصف الطاعون أنهم لم يتعرضوا لأصله ، وهو أنه من وخز الجن وطعنهم ، و صرح بأن ذلك لا يخالف ما قاله الأطباء و غيرهم لأنه يجوز أن يحدث ما قالوه من هيجان الدم أو انصبابه بسبب تلك الطعنة الباطنة التي تكون من الجن ، و قال أيضا : « و إنما لم يتعرض الأطباء لكونه من طعن الجن لأنه أمر لا يُدرك بالعقل ، وانما يعرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم » (٢) .

هذا ، وقد ذهب احد الأطباء المعاصرين وهو الدكتور محمود ناظم النسيمي إلى تأويل هذا الحديث بالمعنى المجازي ، إذ رأى في حمله على ظاهر معناه مخالفة للواقع و الحقيقة العلمية ، فقال بعد أن برهن حسب رأيه على وجود الصارف من الواقع عن إرادة المعنى الحقيقي له من عدة أوجه : " أما المعنى المجازي الذي أرجح فإنه حاصل من وجود تشبيه بليغ حذفت من الشبيه الأداة ووجه الشبه ، فالمعنى : وخز أعدائكم من أمثال الجن في الخفاء عن الأنظار ، أي أن هناك مخلوقات تدق عن أبصاركم عدوة لكم تسبب لمن تخزه و تؤذيه الطاعون ....." ثم قرر بأن هذه الأعداء هي نوع من الحرثيم العضوية المعروفة ب"عصيات يرسن" تكون

الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣١١) بأن أبا قلابة لم يدرك معاذ بن جبل ، إلا أن الحديث له طرق عديدة .راجع تعليق المحقق لكتاب السنن (ص١٥٤ رقم ٩)

(١) الطب النبوي (ص٢٨-٤٠) .

(٢) فتح الباري (١٠/١٨١)

في اسدء في الجرذان المطعونة . ومنها تنقلها البراغيث إلى الإنسان ، و تحتمي تلك البراعيث عن أنظارنا في الشقوق و في التراب و في طيات الكتب ، فما البراغيث الواخزة للإنسان و لا جراثيم الطاعون الداخلة إلى جسمه من الوخزة غالبا إلا أعداء لنا ، منها ما لا نراه بالعين المجردة كالجن ، و منها ما يختفي "(١) .

وإذا صح هذا التأويل في الحديث معجزة عظمى للنبي ﷺ حيث أخبر بجراثيم الطاعون قبل اكتشافها بأربعة عشر قرنا ، إلا أن النفس تجبن عنه و لا تجرؤ على القطع به خوفا منها على أن لا يكون من قبيل التأويل البعيد ، فإن أصحاب البصيرة النافذة في العلم هم الذين يقدرون على البت في هذا الأمر -هذا. والله أعلم بالصواب - وهو الهادى إلى سواء السبيل .

....

.....

(١) الطب النبوى والعلم الحديث (٢/٢٨٦-٢٩٠) .

من حقوق الزوجة

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر

لم تهتم شريعة من الشرائع ، ولم يراع مذهب من المذاهب ، أو مبدأ من المبادئ في أي زمان و مكان ، وضع المرأة ، و الإرتقاء بمكانتها ، بمثل ما جاء في شريعة الإسلام . فقد رفع الله قدرها ، و أعلى مكانتها في الحقوق والواجبات ، سواء كانت أماً أو اختاً ، أو زوجة أو بنتاً أو بأي منزلة من منازل القربى .

وما ذلك إلا أن دين الإسلام هو دين السمو والرفعة وهو الدين الذى اختاره الله لخير أمة أخرجت للناس ، وهو الدين الذى أكمل الله به الرسالة ، و بعث به أفضل رسله ، و اكرم خلقه عليه الصلاة والسلام .

فجعله الله الدين الخالد ، الذى تصلح به أحوال العباد والبلاد إلى نهاية الحياة الدنيا على هذه الأرض ، و لذا فإنه قد شمل شئون الحياة ، ومايصرف أحوال الناس فيها ، وكفل لهم السعادة بعد الممات لمن اتبعه واستقام على أوامره .

فكتاب الله العظيم الذى هو المصدر الأول للتشريع في دين الإسلام ، شاملا و جامعاً لكل شئ ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شئ ﴾ [٣٨ الأنعام] و لا يدرك أسراره و خفايا دلالته إلا من اتسع علمه ، و تتبع عقله بالفهم و قوة الإدراك ، هذا الحق اليقين ، المنبعث من لذاذة الإيمان ، الذى أساس مرتكزه ، ما جاء في الحديث الشريف الذى يقول فيه ﷺ : « ذاق طعم

لإيمان من رضى بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد نبياً و رسولاً »
.الرضى لا يعنى التلفظ بالقول ، بل هو قناعة بالقلب ، و متابعة بالعمل .

و تكبر دائرة هذا الفهم عند ما يقرأ الإنسان ، و يتابع أحوال الأمم ،
ي أي مرفق من شئون الحَيَاة ، و يرى مّا وقع فيه الناس يميناً و شمالاً من
تاهات ، وما أثقل كواهلهم من مشكلات ، عجز عقلاؤهم عن إيجاد حل لها .
نيجدها الفرد ميسرة في منهج الإسلام، و مكتملة الجوانب في عقيدة
المسلم ، فالمسلمون الملتزمون لا يرون مشقة أو عناء في تصرفاتهم ، و لا
في تفاعلاتهم مع الأمور ، لأن أبسط رجل في المجتمع الإسلامى ، قد
حرص على منهج الإسلام ، والتزم بأوامره، فإنه يعطي ما عليه من حقوق ،
، يتجنب كل ما نهى عنه دينه .

وحق المرأة في الحياة الزوجية ، منذ بداية العشرة إلى أن تتقدم بها
السن ، قد كفلها الإسلام ، لأنه احترمها و صانها ، و أعطاها مكانة عالية ،
تنبئ عن اهتمام هذا بجانب كبير في الحياة الاجتماعية ، و قد أولاه ما
يستحقه من الرعاية ، حتى يعيش في كنفه طبقات المجتمع : أفرادا
جماعات ، مطمئنين بعيدين عن القلق النفسي ، الذى يعيش فيه أفراد
المجتمعات ، وخاصة الغرب بحضارته المادية، التى جلبت لأبناء مجتمعهم
مشكلات و معاناة شديدة الوطأة ، وآلاما وجدانية أقلقت أصحاب المذاهب
والاتجاهات المتعددة من شرقية أو غربية ، حيث تاه الإنسان وضاع
كيانه، فتنصل عن الدين والقيم، فكان الإسلام وسطاً بين المتطرفين
يساراً ، والجانحين يميناً ، وأراح النفوس ، وأيقظ الأفئدة ، حيث
جعل الله سبحانه من آياته تهيئة كل من الزوجين لصاحبه، ليكون له
سكناً يجلو الهم ، و تتفاعل أحاسيسه مع أحاسيسه فكراً وعاطفة

وحناناً و مشاعر ، حتى تصفو الحياة ، و تدوم العشرة يقول سبحانه في سورة الروم : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، و جعل بينكم مودة و رحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [٢١] . أي من جنسكم أزواجاً تأنسوا بها حتى تتلاقح الأفكار ، وتتحد المشاعر، وتتقارب وجهات النظر : فهماً لما يتطلبه الآخر ، و إدراكا لما يجب أن تكون عليه المشاعر ، في الحياة الأسرية، التى أساسها الزواج ، والتى من المودة المتبادلة ، تخرج الثمرة الطيبة ، وهم الأولاد زينة الحياة الدنيا ،وأمل الأمة في مستقبلها و عدتها في الملمات .

فكانت الحيـاة الزوجيـة إذا امتثـل كل من الطـرفين دوره في أداء الأمانة ، نحو الطرف الآخر. وخاصة إذا أعطى من بيده القوة وهو الزوج ، ما عليه من حقوق و واجبات ، في تبادل مشترك ، و براحة قلب للطرف الآخر ، وهو الأضعف وهي الزوجة ، استشعارا بالواجب ، وامتثالا لتعليمات شريعة الإسلام التى أعطت المرأة حقها كاملا ، و حمتها في تسلط الرجل في أي تصرف يريد من ورائه التسلط عليها ، أو هضمها حقها ، الذى رفع الله به قدرها ، في كل ما تتطلبه حياتها .

إن إدراك هذا الجانب ، والسير فيه ينتج عنه السكن و راحة القلب، الذى هو هبة من الله للزوجين ، لتستقيم به هناءة حياتهما ، فقد جعل الله بين الزوجين المودة و الرحمة ، حيث يتوادان و يتراحمان ، و ما شئ أحب إلى أحدهما من الآخر ، من غير رحم بينهما ، و من غير سابق عشرة ، قبل رباط الزوجية ، و يتمثل هذا الدور في مثل قصة عثمان بن مظعون رضى الله عنه ، الذى أهمل زوجته لصيامه وقيامه ، حتى كانت لا تبالي بنفسها كأنها لا زوج لها ، فأخبرت عائشة رضى الله عنها النبي ﷺ بذلك

فاستدعى المصطفى ﷺ عثمان وقال له : « أما إني أصوم و أفطر ، وأقوم و أنام ، و أعاشر النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ، ثم قال ﷺ : « يا عثمان إن لنفسك عليك حقاً ،و لأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فصم و أفطر ، وقم ونم ».. فهذا أدب رفيع من المصطفى ﷺ ليعلم أصحابه ما يجب عليهم تجاه أنفسهم و حقوق زوجاتهم ، حتى لا يهضموا نساءهم شيئاً من حقوقهن التي شرعها الله ، إذ للمرأة حق مادي بالكسوة والسكن مما يتلاءم مع دخل الزوج ، فلا ينقصها عن مثيلاتها ، و لا تطالبه بأكثر من طاقته ، ولها حق وجداني عاطفي ، باحترام المشاعر ، والعدالة عند ما يكون عنده أكثر من زوجة .

و حق معنوي ببذل الجهد في اراحة وجدانها ، و كسب مودتها و عدم مضارتها ، لأن النفس مع من أحسن إليها ، فلقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يتزين لأهله إذا ذهب إليهم ، أو جاء وقت النوم والراحة و يقول : لماذا لا أتزين لها ، و آتي إليها في أحسن صورة ، و أطيب ريح وهي تعمل ذلك من أجلي .

وما ذلك إلا لإدراكه رضي الله عنهما ما يحب أن يرضي شعور المرأة. و يشعرها باهتمام الرجل بها ، ليزداد إحساسها نحوه ، و تتوثق رابطة الألفة و العشرة بينهما .

و قد ذكر خير الدين الزركلي في كتابه الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، أنه كان رحمه الله يتزين لأهله ، طيباًو غسلاً و ملبساً ، إذا جاء وقت الإياب إليهم ، ويقول بمثل ما قال ابن عباس رضيالله عنهما .

و قد قال كثير من المفسرين في قوله تعالى : ﴿ و عاشروهن بالمعروف ﴾ [١٩ النساء] : بأن المعاشرة بالمعروف ، هي الإجمال في

القول والمبيت والنفقة .. وفهم الحسن البصرى من عمل ابن عباس الذى دعا له رسول الله ﷺ : «بأن يفقهه الله في الدين ، و يعلمه التأويل» : أن دلالة المعاشرة هي أن يتصنع لها ، كما تتصنع له . ولذا نهى الإسلام عن الإضرار بالمرأة ، في حالة كره الرجل لها ، أو معاندة بينهما ، بأن يتعمد الرجل الإساءة إليها في المعاملة ، أو يهضمها حقها ، أو يضيق عليها في النفقة ، أو يهينها بالكلام الجارح ، أو الضرب بغير سبب شرعي ، وقد أوصى رسول الله ﷺ بالمرأة خيراً في خطبته في حجة الوداع، وأكد على ضرورة أداء حقها في الحياة الزوجية ، لأنها أمانة في عنق الرجل ، استحلها بكلمة الله ، فإن كره منها شيئا فليعاشرها بإحسان ليجعل الله لكل منها فرجاً و مخرجاً ، وما لا يرتاح له منها : صفة أو طبعاً، أو تصرفا ، أو خلقاً ، فقد يرضى به الآخر .

ورسول الله ﷺ يضرب المثل الفريد في حسن العشرة ، والنموذج الفذ في كسب المشاعر لمسانه ، ليأخذ منه أبناء الأمة الإسلامية ، في أي مكان كانوا ، و بأي زمان عاشوا ، أسوة حسنة ، و قدوة صالحة ، و هذا من الأخذ بسنته : قولية أو فعلية أو تقريرية .

فقد كان يلاطف نساءه ويمازحهن ، وكان طيب العشرة معهن جميعاً .

كما روى عنه ﷺ أنه كان يتسابق مع زوجة عائشة رضى الله عنها فسبقها مرة ، و سبقته أخرى فقال : هذه بتلك .

وكان يسمح لهن بمراجعة الكلام حتى أن عمر رضى الله عنه تأثر من ذلك ، وحتى أن أبابكر كاد يضرب عائشة زوج النبى ﷺ فحال بينهما رسول الله ﷺ و قال ملاطفاً و مطمئناً لعائشة : أرأيت كيف حلت بينك و بينه .

و كان كثيــر المساعــدة لأهله في أعمال المنزل ، كما قالت عائشة : يخصف نعله ، و يخيط ثوبه ، و يحلب شاته ، و يكنس داره .

و المسلمون لهم في رسول الله أسـوة حسنــة ، وقــدوة في أعمالـه و تصرفاته . وتواضعه ﷺ حيث كان يحل القضايا العديدة التي تحصل في لبيت الإسلامي في المدينة ، بما يعتبر نبراساً تستضئ به الأمة ، في جميع عصورها ، و قد نزل ببعض قرآنا يتلى إلى يوم القيامة .

فخولة بنت ثعلبة رضى الله عنها ، قد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، ونزلت بحالتها سورة المجادلة ، التى بها أحكام يستضئ بها المسلمون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

و ثابت بن يسـار روي أنه أراد مضـارّة زوجته فكان يطلقها حتى إذا قربت عدتها من الإنقضاء راجعها ثم طلقها ثانية و هكذا ... فاشتكت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله جل و علا : ﴿ و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكـوهن بمعروف أو سرحـوهن بمعـروف ، و لا تمسكـوهن ضراراً لتعتدوا ﴾ الآية [٢٣١ البقرة] .

وزينب بنت جحش رضى الله عنها، لما طلقها زيـد بن ثابت رضى الله عنه ، و انتهت عدتها أمره رسول الله ﷺ أن « يذكرها عليه » فانطلق إليها زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها ، فولاها ظهره و نكص على عقبيه حياء ثم قال : يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرلى . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوأمر ربى . فقامت إلى مسجدها ، و نزل القرآن بشأنها في سورة الأحزاب ، و جاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بدون إذن .

والمرأة التى زوجهـا والـد ها ابن أخيـه ، فشكت إلى رسول الله ﷺ عدم رضاها ، و لما أمر رسول الله ﷺ والد ها بعدم تزويجها إلا برغبتها ، قالت : يا رسول الله ﷺ لقد رضيت ما رضي لى أبى ، ولكن أردت أن يعرف الأولياء أن لبناتهم حقاً في التزويج والرضا بمن تعيش معه .

وهكذا لو تتبع المسلم ما جاء في شريعة الإسلام بمصدريها : كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ من حقوق للزوجة : فإنه سيجد تأكيداً على الرجل بأن يعطي المرأة حقها في حياتها معه ، لأن نفقتها واجبة عليه : طعاما و مسكنا ، و ملبسا و مؤنة يومية .

وإذا طلقها طلاق السنة ، فإنها تعيش في بيته مدة العدة، لعل الله أن يجعل في قلبه مودة لها، وهي تندم على تصرفها معه إن كان بدر منها شئ ، ليراجعها حتى تستقيم حياتهما سليمة و هنية حتى قال بعض العلماء : إن عليها فترة العدة أن تتزين أمامه و تتجمل ليكون من ذلك مدعاة لعودة الحياة بينهما من جديد .. ولذا تكون المراجعة في هذه الحالة بيد الزوج و يشهد على ذلك .

وإذا مات عنها زوجها تعتد في بيته الذى مات فيه العدة المقررة شرعا .

وإذا تزوج عليها واحدة أو أكثر ، يقسم لها و لا ينقصها حقها فيما يقدر عليه و يملكه . وغير هذا من أمور كثيرة حفظها الإسلام حقا حقا للزوجة على زوجها ، إلى جانب ما للزوج من حقوق على زوجته .

وقد قرأت كاتبة ألمانية حقوق المرأة في الإسلام ، وهي التى تعرف ما ينال بنات جنسها في المجتمع العربي من الإساءة و الانتقاص باسم المدنية والحرية ، كما كانت من قبل مهانة ذليلة ، فصار بين الحالين : إفراط و تفريط .

فقالت : إن الزوجة عند المسلمين ملكة غير متوجة بما لها من حقوق و واجبات ، و بما تلقاه من الاهتمام و العناية وإن المرأة الغربية لتحسدها على ذلك 000

مفهوم الاتباع والتقليد في الشريعة الاسلامية

(٢)

الشيخ/سهيل احمد فضل الرحمن الأعظمي
مكتب الدعوة والإرشاد بدبي

معنى الاتباع في اللغة : قال الراغب الأصفهاني (١): يقال تبعه واتبعه: قفا أثره . وذلك تارة بالارتسام والائتمار وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٢) . وقوله : ﴿اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجراً ﴾ (٣) .

قال ابن الأثير : وفي حديث الأشعرى «اتبعوا القرآن ولا يتبعنكم» . أي اجعلوا [القرآن] إمامكم ثم اتلوه (٤) .

وفي القاموس المحيط : تبعه كفرح تبعا و تباعة . مشى خلفه و مر به فمضى معه . والاتباع كالتبع (٥) .

وفي المعجم الوسيط : اتبع الشئ . سار وراءه وتطلبه . و يقال : اتبع الامام . حذا حذوه والقرآن والحديث . عمل بما فيهما (٦) .

والحاصل : أن القواميس اللغوية كلها تدل على أن الاتباع هو اقتفاء أثر الشئ طريقا كان أو رجلا أو كتابا . و حقا كان أو باطلا . ويشهد على ذلك قوله تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم و لا تتبعوا

---

(١) المفردات في غريب القرآن . كتاب التاء .
(٢) البقرة ٣٨ .
(٣) يس ٢١ .
(٤) النهاية ج١ باب التاء مع الهمزة .
(٥) القاموس المحيط . فصل التاء باب العين .
(٦) المعجم الوسيط . باب التاء . مادة (ت ب ع) .

من دونه أولياء ﴾(١) . فمعنى اتبعوا ما أنزل اتبعوا الكتاب والسنة (٢) .

ومعنى لا تتبعوا من دونه أولياء : أي الشركاء والرؤساء من دون الله (٣) .

فالاتباع يعم : اتباع الكتاب والسنة ، وكذلك اتباع خطوات الشيطان ، واتباع الهوى ، وغير ذلك .

معنى الاتباع في الاصطلاح: قال أبو عبد الله بن خواز منداد البصرى المالكي، مفرقا بين معنى التقليد والاتباع:الاتباع ما ثبت عليه حجة(٤).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : « الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبى ﷺ وعن أصحابه ، ثم هو من بعد في التابعين مخير»(٥).

و قال الإمام الشافعى : "العلم من وجهين - يعنى علم الشريعة - : اتباع و استنباط . فالاتباع : اتباع كتاب الله ، فإن لم يكن فيه فسنة ، فإن لم يكن فقول عامة من سلفنا لا نعلم له مخالفا . فإن لم يكن فقياس على كتاب الله ، و إن لم يكن فقياس على سنة رسول الله ﷺ ، وإن لم يكن فقياس على عامة من سلفنا لا تخالف. ولا يجوز القول بالقياس إلا في هذه الحالة" (٦) .

فقد ثبت من هذه الأقوال أن الاتباع في اصطلاح علماء الشريعة :

---

(١) الأعراف ٢ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى (١٨٨/٢) .

(٣) انظر فتح القدير للشوكانى (١٨٨/٢) .

(٤) إعلام الموقعين (١٧٨/٢) ، جامع بيان العلم و فضله (١٤٢/٢) .

(٥) إعلام الموقعين (١٨١/٢) .

(٦) إيقاظ همم أولي الأبصار (ص٣٥) .

هو اتباع ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه أو ما ثبت عليه الحجة.

أهمية الاتباع : لقد توافرت النصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف على بيان أهمية الاتباع حتى يمكن لنا أن نقول : ليس مقصود الشريعة إلا الاتباع . وقد بين الله عز وجل حقيقة الاتباع بألفاظ مختلفة وأساليب متنوعة من الأمر بالطاعة والعبادة والاستقامة والتقوى والإيمان والدخول في الإسلام ، كما قال تعالى :

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١) .

﴿ أطيعوا الله و أطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ (٢) .

﴿ فاستقم كما أمرت و من تاب معك ﴾ (٣) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا و أنتم مسلمون ﴾ (٤) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا ﴾ (٥) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ (٦) .

وقد جاءت السنة بشرح هذه المعاني و تحققت عمليا بأفعال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) الذاريات ٥٦ .

(٢) آل عمران ١٣٢.

(٣) هود ١١٢ .

(٤) آل عمران ١٠٢ .

(٥) النساء ١٣٦ .

(٦) البقرة ٢٠٨ .

ولما علمنا أهمية الاتباع و أنه بهذه المثابة من الدين فلابد أن نفهمه فهما دقيقا . ولذلك سوف أضيف مزيد من الأدلة على ذلك في السطور القادمة من القرآن والسنة وآثار السلف . لتكون حجة بالغة و برهانا قويا على وجوبها حتى لا يبقى لأحد أي شائبة من الريب أو الشك في أن الاتباع هو الدين . والدين هو الإسلام . كما قال عز وجل :

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (١) .

اولا: موقف القرآن من الاتباع: في الحقيقة لايسعنا إيراد جميع الآيات الكريمة الدالة على أهمية الاتباع وضرورته في هذا البحث لأنها كثيرة جدا ولذا نقتصر على ذكر البعض منها التي تفي بالمقصود إن شاء الله

منها قوله تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول . فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ (٢)

ومنها ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و رسوله و لا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ (٣)

ومنها قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾(٤)

وقوله . ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه . وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾(٥).

---

(١) آل عمران ١٩

(٢) آل عمران ٣٢

(٣) الأنفال ٢٠ .

(٤) النساء ٥٩ .

(٥) الحشر ٧

وقوله : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ (١) .

وقوله : ﴿وما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ (٢) .

وقال أيضا : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما﴾ (٣) .

و أيضا : ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم . و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ (٤) .

وأيضا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم و اعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه و أنه إليه تحشرون﴾ (٥) .

ومن قوله : ﴿أطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم واصبروا . إن الله مع الصابرين﴾ (٦) .

وهذا غيض من فيض ، و من يتأمل في هذه الآيات البينات

---

(١) النور ٦٣ .

(٢) الأحزاب ٣٦ .

(٣) النساء ٦٥ .

(٤) النساء ١٣ .

(٥) الأنفال ٢٤ .

(٦) الأنفال ٤٦ .

الواضحات يصل إلى النقاط التالية و ينكشف عليه وجوب طاعة الله ورسوله . والنهي عن مخالفتهما :

أولا :- إن طاعة الله ورسوله واجبة ، والتولي عنهما كفر و سبب للبعد عن محبة الله تعالى ، وأنه لا اختيار لأحد أن يعرض عن قول الله و الرسول بعد سماع أمرهما .

ثانيا :- أنه يجب على المؤمنين أن يطيعوا أمرهما و أمر أولي الأمر ، وإذا حدث الخلاف بينهم في أمر ما فلابد من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وهذه علامة الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر ، ومن اللازم أن نأخذ كل ما جاء به الرسول ﷺ و ننتهي عن كل ما نهى عنه ،

ثالثا :-أن المخالفة عن أمره ﷺ سبب للفتنة والعذاب، وأنه لا اختيار لأحد في الأمور بعد مجئ أمر الله تعالى و أمر رسوله ، وأن المخالفة والعصيان لأمرهما صريح الضلال والخسران .

رابعا :-أنه لا إيمان لأحد إلا بتحكيمه ﷺ عند الاختلاف والخصومة بدون أي ضيق و حرج ، وأن الاستجابة لقول الله و رسوله واجب عند قضائهما بأمر .

خامسا :- أن النجاح والفوز في الدارين و نعيم الجنة والخلود فيها لا يتحقق إلا باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ومن يتجاوز عن حدودهما يخلد في النار و يذق فيها من عذاب أليم . وأن الطاعة سبب لقوة المسلمين و شوكتهم و أن المنازعة والخصام سبب للضعف والفشل و ذهاب ريحهم . إذاً فلا بد من الطاعة والاحتراز عن المنازعة .

وهذه هي بعض النقاط التي تتجلى بعد التفكير في الآيات السابقة وهي تبين لنا أهمية الاتباع و ترشدنا إلى حقيقته .

ثانياً : موقف السنة من الاتباع : إن السُّنة كما هي معروفة جاءت لتبين معاني القرآن الكريم و تفصل إجماله و تشرح أحكامه . كما قال تعالى :

﴿ و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (١) .

﴿ و ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه و هدى و رحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٢) .

فإنها قد بسطت معنى الطاعة والاتباع بعبارات متنوعة و أساليب مؤثرة ناجحة . فمرة تحث الناس على قبول طاعة الله ورسوله وتذكرهم بعاقبتها المحمودة من نعيم الجنة والخلود فيها وتنذرهم مرة أخرى على مخالفة أمرهما وتهددهم بسوء عاقبتها من عذاب النار وشدتها.

فإليكم الآن موقف السنة من الاتباع . أذكر منها بعضها . لأنها بحر لا ساحل له :

١ - فمنها ما جاء في حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله . و من عصى محمدا فقد عصى الله . ومحمد ﷺ فرق (٣) بين الناس »(٤) .

٢ - وعن رافع رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لاألفين أحدكم

---

(١) النحل ٤٤ .

(٢) النحل ٦٤ .

(٣) فرق : أي يفرق بين المؤمنين والكافرين .

(٤) أخرجه البخارى في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ،باب الاقتداء بسنن النبى ﷺ

متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » (١) .

٣ -وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه و إن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله » الحديث (٢) .

٤ -وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما . كتاب الله و سنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض » (٣) .

٥ -وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «كل أمتي يدخلون الجنة ، إلا من أبى ، قالوا : و من يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة و من عصاني فقد أبى » (٤) .

٦ - وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، قال : « صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون و وجلت منها القلوب . فقال قائل : يا رسول الله ! كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة و إن عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين ، تمسكوا بها

---

(١) رواه أحمد وأبو داود في السنة والترمذي في العلم و صححه وابن ماجه في المقدمة .

(٢) رواه أبو داود في السنة والترمذي في العلم .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/٣٦٧و٤ /١٢١،١٢٢) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام .

وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم و محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » (١) .

٧ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «.......أما بعد ، فإن خير الأمور كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » (٢) .

٨ - عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع ، فقال : «إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم ، فاحذروا ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه »(٣) .

٩ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «العلم ثلاثة ، فما سوى ذلك فضل :آية محكمة ، وسنة ماضية ، وفريضة عادلة »(٤) .

١٠ - وقال عليه الصلاة والسلام : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » .

وفي لفظ : «والذى نفس محمد بيده ، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه و تركتموني لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان حيا وأدرك نبوتي لاتبعني »(٥) .

---

(١) الترمذى في العلم ، وأبو داود في السنة وابن ماجه في المقدمة.

(٢) مسلم في الجمعة ، وابن ماجه في المقدمة .

(٣) جامع بيان العلم و فضله ٢/ ٢٠ .

(٤) جامع بيان العلم و فضله ٢/ ٢٠ .

(٥) رواه أحمد، وانظر أيضا المشكاة باب الاعتصام بالكتاب والسنة.

فالدروس الهامة التي تؤخذ من هذه الأحاديث المباركة، يمكن تلخيصها فيما يلي :

١-أن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ واجبة معا ، فلا يجوز الاستغناء عن السنة بالاعتماد على كتاب الله فقط ، لأنه عليه الصلاة والسلام قد أوتي القرآن و مثله معه .

٢-وأن الرسول ﷺ ترك لأمته شيئين، هما: كتاب الله وسنة رسوله. فلابد من الرجوع إليهما في كل الأمور .

٣-وأن المرجع عند الاختلاف هو سنة الرسول ﷺ لأنه ﴿وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (١)، وهي القاضية لكل خلاف

٤-وأن العلم هو علم آيات الله عز وجل وعلم سنة رسوله ﷺ، فيلزم علينا أولا أن نبحث فيهما عن كل ما يعرض علينا من المسائل و نتبعهما .

٥-وأنه لا خيار لأحد أن يخرج من متابعة محمد ﷺ إلى متابعة أحد من الناس ، حتى موسى عليه السلام فإنه لو كان حيا في عهد النبي أو بعده لما وسعه إلا اتباعه ﷺ .

وبعد أن تجلت أهمية الاتباع و وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة بما سبقت من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، نستعرض بعض الآثار عن الصحابة والتابعين و من تبعهم بإحسان في المبحث الآتي ، ليحصل المزيد من البيان والتاكيد في هذا الصدد .

موقف السلف من اتباع الكتاب والسنة وتعظيمهما:

وبعد تسليط بعض الأضواء على وجوب الاتباع والرجوع الى الكتاب والسنة بالآيات و الأحاديث أستحسن أن أذكر مايتيسر من الآثار المروية

---

(١) النجم ٣ .

عن أسلافنا الأمجاد من الصحابة والتابعين والمحدثين و أئمة الأمصار التى ترشدنا إلى أنهم كانوا يتعاملون مع السنة تعاملهم مع الكتاب في الاستدلال واستنباط الأحكام ، وكانوا يعضون عليها بالنواجذ ، ولا يخرجون عنهما في حكم من الأحكام إلا إذا لم ينطق به الكتاب ولا السنة . وأنهم كانوا يعظمون السنة غاية الاحترام والتقدير ويرونها بمثابة القرآن في كونها مصدرا للشريعة الغراء .

ولا أستطيع أن أورد جميع هذه الآثار، لأنها غير محصورة ، فأقتصر على بعضها ، فمنها :

١ - ما أخرجه الدارمى عن ميمون بن مهران قال : «كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين ، وقال : أتاني كذا و كذا ، فهل أنتم علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء ، فيقول أبوبكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ علينا ديننا .

وكان عمر يفعل ذلك ، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل : هل كان أبوبكر قضى فيه بقضاء ؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به وإلا جمع علماء الناس واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به »(١).

٢ -وأخرج الشيخان : «أن عمر خرج إلى الشام فلما جاء سرغ (٢)

---

(١) انظر مفتاح الجنة (ص٦٠) إعلام الموقعين (١/٦٢)، الدارمي باب الفتيا و ما فيه من الشدة .

(٢) سرغ : قرية [illegible] .

بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه . إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا . فرجع عمر من سرغ »(١) :

٣ - « كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر . فقال له ابن عباس : اتركهما. فقال : ما أدعهما . فقال ابن عباس : فإنه قد نهى النبي ﷺ عن صلاة بعد العصر . ولا أدرى أتعذب أو تؤجر ؟ لأن الله قال : ﴿وما كان لمؤمن و لامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة (٢)﴾(٣).

٤ - وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «لا تمنعوا النساء بالليل من المساجد» . فقال بعض بني عبد الله بن عمر : والله لا ندعهن يتخذنه دغلا (٤)ـــ كناية عن الفساد ـــ فضرب ابن عمر صدره وقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ . و أنت تقول ما تقول(٥) .

٥-أخرج ابن عبد البر عن علقمة : «أن امرأة من بني أسد أتت عبد الله بن مسعود . فقالت له : إنه بلغني أنك لعنت ذيت وذيت ، والواشمة والمستوشمة، وإني قرأت ما بين اللوحين فلم أجد الذى تقول ، وإني لأظن على أهلك منها . فقال لها عبدالله : فادخلي فانظرى . فدخلت فنظرت . فلم تر شيئا . فقال لها عبدالله : أما قرأت : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (٦)؟" (٧) .

---

(١) البخارى في الطب والحيل .

(٢) الأحزاب ٣٦ .

(٣) مفتاح الجنة (ص٢٢) . جامع بيان العلم و فضله (٢/ ٢٢١) .

(٤) هو في الأصل الشجر الملتف الذى يكمن فيه أهل الفساد .

(٥) البخارى ومسلم في الصلاة .

(٦) الحشر ٧ .

(٧) جامع بيان العلم و فضله (٢/ ٢٢٠) .

٦ - قال عروة لابن عباس : ألا تتقي الله ترخص في المتعة (في الحج) فقال ابن عباس : سل أمك يا عرية ! فقال عروة : أما أبوبكر وعمر فلم يفعلا. فقال ابن عباس : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله . نحدثكم عن النبي ﷺ و تحدثونا عن أبي بكر و عمر . وذكر الحديث . (١)

٧ - وأخرج البيهقي عن ابن عمر قال : «لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الأثر»(٢) .

٨-وأخرج عن الأوزاعي قال : «إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره فإن رسول الله ﷺ كان مبلغا عن الله تعالى »(٣) .

٩-وأخرج عن شريح قال:«أنا أقتفي الأثر.يعني آثار النبي ﷺ »(٤).

١٠-وأخرج عن ابن المبارك قال :«سمعت أبا حنيفة يقول: إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين . وإذا جاء عن أصحاب النبي ﷺ نختار من قولهم. وإذا جاء عن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين زاحمناهم »(٥) .

١١-وقال أبوحنيفة رحمه الله: «إذا قلت قولا يخالف كتاب الله وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي » (٦) .

١٢ -وقال الإمام مالك رحمه الله : «إنما أنا بشر أخطئ و أصيب . نظروا في رأيي . فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه . وكل مالم يوافق

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٢٩) .

(٢) مفتاح الجنة (ص٤٨) .

(٣) .. .. ..

(٤) .. ..

(٥) .. ..

(٦) صفة صلاة النبي (ص٢٧)، الفلاني (ص٥٠)

الكتاب فاتركوه » (١) .

١٣-وأخرج البيهقي عن عثمان بن عمر قال : «جاء رجل إلى مالك ، فسأله عن مسئلة . فقال له : قال رسول الله ﷺ كذا و كذا . فقال الرجل : أرأيته ؟ فقال مالك : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٢) ﴾ (٣) .

١٤-وأخرج عن إسماعيل بن أبي أويس قال : « كان مالك إذا أراد أن يحدث توضأ و جلس على صدر فراشه و سرح لحيته و تمكن من جلوسه بوقار وهيبة و حدث . فقيل له في ذلك : فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ . ولا أحدث إلا على طهارة متمكنا . وكان يكره أن يحدث في الطريق . أو هو قائم . أو مستعجل . وقال : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ »(٤)

١٥-وأخرج عن ابن المبارك قال:«كنت عند مالك وهو يحدث.فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة . ومالك يتغير لونه و يتصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ . فلما فرغ من المجلس و تفرق الناس قلت له : لقد رأيت منك عجبا . قال : نعم . إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله ﷺ »(٥) .

١٦- وأخرج عن الربيع قال : «روى الشافعي يوما حديثا. فقال

---

(١) صفة صلاة النبي (ص٢٨) . جامع بيان العلم و فضله (٢/٣٩) .

(٢) النور ٦٢ .

(٣) مفتاح الجنة (ص٤٩) .

(٤) مفتاح الجنة (ص٥١) . جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٤٤) .

(٥) مفتاح الجنة (ص٥٢) .

له رجل : أتأخذ بها ؟ يا أباعبدالله! فقال : متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب »(١) .

١٧-وأخرج عنه أيضا قال : «سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت » . (٢)

١٨- قال أحمد بن حنبل رحمه الله : «لا تقلدني و لاتقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا»(٣)

١٩ - وقال أيضا : « من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة » (٤)

٢٠ - عن ضرار بن مرة قال : «كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله ﷺ و هم على غير وضوء»(٥)

٢١- «ذكر سعيد بن المسيب حديثا عن رسول الله ﷺ وهو مريض، فقال : أجلسوني فإني أكره أن أحدث حديث رسول الله ﷺ وأنا مضطجع» (٦)

٢٢ - «سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي ، فقال : ليس هذا من توقير العلم » (٧) .

---

(١) مفتاح الجنة (ص٥٠) . صفة صلاة النبي (ص٣٢) .

(٢) مفتاح الجنة (ص٥٢) .

(٣) صفة صلاة النبي (ص٢٤) . الفلاني (ص٥٠) .

(٤) صفة صلاة النبي (ص٢٤) .

(٥) مفتاح الجنة (ص٥٢) . جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٤٢) .

(٦) مفتاح الجنة (ص٥١) . جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٤٤) .

(٧) مفتاح الجنة (ص٥٢) .

٢٣ -أخرج البيهقى عن عمران بن حصين : «أنهم كانوا يتذاكرون الحديث . فقال رجل : دعونا من هذا و جيئونا بكتاب الله . فقال عمر : إنك أحمق . أتجد في كتاب الله الصيام مفسرا ؟ إن القرآن أحكم ذلك والسنة تفسره »(١) .

٢٤-«حدث ابن سيرين رجلا بحديث عن النبى ﷺ فقال رجل : قال فلان كذا وكذا . فقال ابن سيرين : أحدثك عن النبى ﷺ ، وتقول : قال فلان ، والله لا أكلمك أبدا » (٢)

٢٥ - قال عمر رضى الله عنه واقفا أمام الحجر الأسود بعد تقبيله: «إنى أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك » (٣)

هذا و أرجو أن ما قدمنا من الآثار يكفى للإشارة إلى موقف الأئمة رحمهم الله نحو اتباع الكتاب والسنة ، والاستدلال بهما، وللدلالة على ماكانوا عليه من التعظيم والتبجيل لهما .

فقصة مالك رحمه الله التى رواها ابن المبارك في لدغ العقرب له أثناء تحديثه فهي وحدها كافية لتسليط الضوء الكامل على ما كانوا عليه من التوقير والتعظيم للأحاديث النبوية الشريفة . ولم لايكونون على ذلك والنبى ﷺ قال : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »(٤) 000 [يتبع]

---

(١) مفتاح الجنة (ص٥٩) ، جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٤) .

(٢) مفتاح الجنة (ص٦٢) .

(٣) البخارى و مسلم في الحج ، وابن ماجه في المناسك .

(٤) رواه البخارى و مسلم في كتاب الإيمان .

ار الشريعة :

كمة تحريم لحم الخنزير في الإسلام

بقلم : الشيخ لطف الحق المرشدآبادي ،المدرس بالمدرسة
الحميدية دار الحديث -مرشدآباد ، بنغال الغربية

الحمـــد لله الذى هـدانا إلى الحفاظ على صحة الأجسام والعقول ،
صلاة على الهادي الداعي البشير النذير ، وعلى من اتبع هداه و
ى عنه السميع البصير ، و بعد : فقد رأيت أن أكتب مقالة ألقي
ا الضوء على مفاسد لحم الخنزير و مضاره على الصحة والأخلاق
سلوك والأفكار والمشاعر والعقول من الناحية الطبية ، و أقدمها
القراء الكرام ليطلعوا على أخطار لحمه الهائلة و أضراره الطائلة
عا قويا عامة ، و لينتبه لتلك المفسـدات الصحيـة والروحيـة
لأخلاقية سفهاء الغرب ونوابغهم و خاصـة الـذين ينتقدون الإسـلام
عترضون عليـه بأن تحريم الميتـة و لحم الخنزير فيه لا يقبله
ذوق السليم والـوجـدان المستقيـم ، و يعبـرون عـن المسلمين
(PSYCHOLOGICAL TABOO) إذا رغبـوا عن أكل لحـم الخـنـزيـر
عرضوا عنه . فعلى هؤلاء أن يدركوا جيدا أن الإسلام لا يحرم شيئا
ما كان فيه ضرر كبير و خسارة فادحة الأرواح والأجسام ، و بالعكس
يحل ما يصلح صحة الإنسان و أخلاقـه و ما يوافق أمزجته و يلائم
اعه و ينفعه نفعا بينا و ينعش حياته من لحوم الأنعام ، و كذلك
بال في كل ما يدعو إلى ضرر في صحة الناس و حياتهم و أخلاقهم
احهم من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمناكح وغير
، مما يحتاجون إليه من حوائجهم اللازمة من النوم والقيام والقعود

والبول والغائط والتجارة والزراعة والحرفة والمعاملة والمعاشرة .
نهى عن ذلك كله أشد النهى . و ما يسبب الصلاح والنجاح للصحة
والأخلاق أمرهم بإتيانه و امتثاله .

لا شك أن الإسلام قد اعتنى بوقاية الصحة الإنسانية من كل
أخطار و أضرار . و من كل فتن و شرور لحقها في حياتها فتفسد
لأجله الصحة الإنسانية و تتخرب الأخلاق والعواطف و تتدمر
المجتمعات والأفراد .

ولا أرى ديانة من ديانات العالم كلها و لا قانونا و لا ثقافة اهتمت
بحماية الصحة الإنسانية بمثل ما اعتنت بذلك الشريعة المصطفوية و
اعتنت الغراء . ولا هي قدمت أمام العالم في ذلك مثل ما قدمتها الشريعة
الإسلامية السمحة . مليس من السهل أن يقدم تاريخ الإنسانية كلها
لذلك أدنى مثال. ان طبيب الأمة الحاذق محمدا رسول الله ﷺ أمر الناس
بالسواك عند الصلاة . وأكد على ذلك تاكيداً شديداً . وإنه لم يأمر
الناس بذلك فقط بل لم يغفل عن السواك في يوم ما واستمر عمله ﷺ
هذا إلى أن مات كما يدل على ذلك الحديث الآتي : عن شريح بن هانئ
قال : سألت عائشة قلت بأي شئ كان يبدأ رسول الله ﷺ إذا دخل بيته
قالت بالسواك (صحيح مسلم مع النووى ١٤٢/٢) .

فهذا الحديث الشريف يدل دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ لم يفت
عنه استنانه في يوم ما حتى أنه ﷺ استاك في مرضه الذى مات فيه كما
جاء في البخارى : قالت السيدة عائشة الصديقة رضى الله عنها : و أن
الله جمع بين ريقى و ريقه عند موته ودخل على عبد الرحمن و بيده
السواك و أنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه و عرفت أنه يحب
السواك فقلت أخذه لك فأشار برأسه أن نعم . فتناولته . وفي رواية

عنها : فقضمته ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به (١) .

إن مقصود الرسول ﷺ الأعظم في الأمر بالسواك واستمراره و دوامه عليه إلي آخر حياته و خاصة في مثل هذا الوقت الهائل إنما هو للوقاية والحماية من داء الأسنان والفم . وداء الأسنان الذى يقال له (PYORRHOEA) من أخطر الأدواء كما كشفت البحوث الجديدة والتحريات الحديثة عن أن هذا الداء عضال لا ينفعه أي دواء الدنيا . و إن هذا الداء الخبيث إنما يتولد لعدم إستنان الناس و عدم إعتنائهم بالسواك

ولقد حقق نوابغ الأطباء وجهابذ الحكماء بأن السواك قد أصبح أنجع دواء و أنفع علاج لداء الأسنان والفم . فإنه يصفى الصوت و يطيب النكهة و يذهب بداء الفم و يحفظ الذاكرة و يزيد قوة الباصرة و ينجى من الزكام والسعال

و لقد أعرب العالم الكبير الشاه ولى الله الدهلوى عن تجاربه و خبراته في منافع السواك في كتابه الشهير " حجة الله البالغة " أقول ينبغي للإنسان أن يبلغ بالسواك أقاصى الفم فيخرج بلاغم الحلق والصدر . والإستقصاء في السواك يذهب بالقلاع و يصفى الصوت و يطيب النكهة(٢) .

ولقد وجد رسول الله ﷺ الفوائد العجيبة والمنافع العظيمة في السواك بسبب استمراره به والمواظبة عليه في حياته الطيبة الطاهرة و رأى فيه من المصالح الجليلة و لذلك أبقاه سنة حسنة و طريقة مرضية لمن يأتي بعده إلي يوم الدين يقتدى بها و يعمل بها . و تحفة

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ٨/١٤٤ (الرقم ٤٤٤٩-٥٠) .

(٢) انظر حجة الله البالغة (١/ ١٨٢) .

بقة و هدية جميلة لأطباء العالم بأسره ليختاروا هذه الطريقة مرضية و لينتفعوا بها .

ولاشك أن توجيهات الرسول الأكرم السامية وإرشاداته العالية في تقليم الأظفار و حلق العانة و قص الشارب و نتف الابط والاستنشاق الاستنثار و التعطر والختان و إعفاء اللحية والاغتسال بعد الجماع تخمير الأواني و الاكتحال والحجامة والاستطابة و دلك اليد اليسرى بالأرض بعد الغائط و تنظيف الدور و تطييب الغرفات والنهي عن التنفس في الشراب أو الماء و شرب الماء قائما والتغوط و التخلي في غاية الطريق والبول قائما واختنات الأسقية و إكثار الأكل والشراب و ترك العشاء والاتيان إلى الحائض والنظر إلى فرج المرأة حين الجماع والأمر بالملاعبة قبل المعانقة والمسافدة و التسبيع للبكر والتثليث للثيب و شرب الماء في ثلث نفسات . كل ذلك يدل دلالة واضحة على حفظ الصحة والأجسام دون شك ، ويخبر عن اعتناء طبيب الأمة البارع محمد رسول الله ﷺ البالغ و اهتمامه الشديد بجانب وقاية الصحة الانسانية من الاخطار والاضرار والعاهات والآفات التي تلحق بحياة الناس و أجسامهم فلو ألقى الضوء على منافع ما أمر الرسول ﷺ و مصالحه بانيانه والعمل به و مفاسد ما نهى عنه ومضاره في الاجتناب والاحتراز من الناحية الطبية لطالت المقالة غاية الطوالة و فاتت المقاصد . ولذلك أكتفي بذكر الإثنين منه تفهيما للقراء .

ولقد بحث الحكيم الجليل ولى الله الدهلوى رحمه الله عن فوائد الختان والتعطر ومصالح قص الشوارب بحثا طبيا نفيسا جيدا في كتابه الشهير " حجة الله البالغة " فقال : والغرلة عضو زائد يجتمع فيها الوسخ و يمنع الاستبراء من البول و ينقص لذة الجماع ، و قال

في فوائد التعطر : والتعطر يهيج سرور النفس وانشراحها ، و ينبه على الطهارة تنبيها قويا . و قال في مفاسد عدم قص الشارب : ومن طالت شواربه تعلق بها الطعام والشراب و اجتمع فيها الأوساخ . وفي المضمضة والاستنشاق والسواك ازالة المخاط والبخر (١) .

و هذا البحث و ان كان خارجا عن الموضوع الذى حاولت كتابته و لكنه يتضمن معنى هذا العنوان فلذا أوردته هنا ، و الآن أوَدّ أن أذكر نبذة من خصائص الخنزير و مزاياه ليطلع القراء على ذلك .

خصائص الخنزير: ذكرالعلامة الدميرى رحمه الله تعالى خصائص الخنزير بالإيجاز في كتابه الشهير " حياة الحيوان " فقال : الخنزير بكسر الخاء المعجمة ، جمعه "خنازير" ، وهو عند أكثر اللغويين رباعي وحكى ابن سيده عن بعضهم أنه مشتق من "خزر العين " لأنه كذلك ينظر فهو على هذا ثلاثى يقال "تخازر الرحل" إذا ضيق جفنه ليحدد النظر كقولك تعامى و تجاهل ، قال عمرو بن العاص رضى الله عنه في يوم صفين :

إذا تخازرت ومابى من خزر ثم كسرت الطرف من غير حور
ألفيتنى ألوى بعيد المستمر كالحية الصماء في أصل الشجر
أحمل ما حملت من خير و شر

وكنية الخنزير أبوجهم وأبوزرعة وأبودلف وأبوعتبة وأبوعلية وأبوقادم وهو يشترك بين البهيمية والسبعية فالذى فيه من السبع الناب وأكل الجيف والذى فيه من البهيمية الظلف وأكل العشب والعلف وهذا النوع يوصف بالشبق حتى أن الانثى منه يركبها الذكر وهي

(١) انظر حجة الله البالغة (١/١٨٢-١٨٣) .

ترتفع فربما قطعت أميالا وهو على ظهرها ويرى أثر ستة أرجل فمن لا يعرف دلك يظن أن في الدواب ما له ستة أرجل والذكر من هذا النوع يطرد الذكور عن الاناث وربما قتل أحدهما صاحبه و ربما هلكا جميعا وإذا كان زمن هيجان الخنازير طأطأت رؤسها و حركت أذنابها و تغيرت أصواتها و تضع الخنزيرة عشرين خنوصا و تحمل من نزوة واحدة والذكر ينزو إذا تمت له ثمانية أشهر والانثى تضع إذا مضى لها ستة أشهر وفي بعض البلاد ينزو الخنزير إذا تمت له أربعة أشهر والانثى تحمل جراءها و تربيها إذا تمت لها ستة أشهر أو سبعة وإذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تلد ، وهذا الجنس انسل الحيوان والذكر أقوى الفحول على السفاد وأطولها مكثا فيه يقال انه ليس لشئ من ذوات الأنياب والأذناب ما للخنزير من القوة في نابه حتى أنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح فيقطع كل ما لاقي من جسده من عظم وعصب وربما صال ناباه فيلتقيان فيموت عند ذلك جوعا لانهما يمنعانه من الأكل وهو متى عض كلبا سقط شعر الكلب وهو إذا كان وحشيا ثم تأهل لا يقبل التأديب و يأكل الحيات أكلا ذريعا ولا يؤثر فيه سمومها وهو أروغ من الثعلب و إذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن في يومين وهكذا تفعل النصارى بالخنازير في الروم يجيعونها ثلاثة أيام ثم يطعمونها يومين لتسمن وإذا مرض أكل السرطان فيزول مرضه وإذا ربط على حمار ربطا محكما ثم بال الحمار مات الخنزير .

ومن عجيب أمره : انه إذا قلعت إحدى عينيه مات سريعا وفيه من الشبه بالإنسان انه ليس له جلد يسلخ الا أن يقطع بما تحته من اللحم(١) .

---

(١) حياة الحيوان للشيخ الدميري (١/٢٦٢-٢٦٣) .

والآن أذكر نبذة من أحكام الخنزير حول جواز الانتفاع بشعور جلوده و شحومه و عدم الجواز به في نظر الإسلام لكى يطلع على القراء على وجه الاختصار مع العلم بمفاسد أكل لحم الخنزير .

أحكام الخنزير البرى في نظر الإسلام :

لقد أعلن القرآن الكريم واضحا بتحريم لحم الخنزير حيث ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [البقرة ١٧٣] وقال ﴿ لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو مسفوحا أو لحم خنزير ﴾ [الانعام ١٤٥] . فنص في هذه الآيات تحريم لحم الخنزير ، واللحم إن كان مخصوصا بالذكر فإن الم جميع أجزائه ، و إنما خص اللحم بالذكر لأنه أعظم منفعة و ما يب منه كما نص على تحريم قتل الصيد على المحرم والمراد حظر جم أفعاله في الصيد ، و خص القتل بالذكر لأنه أعظم ما يقصد به الم و كقوله تعالى ﴿ إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر وذروا البيع﴾ [الجمعة ٨] فخص البيع بالنهى لأنه كان أعظم ما يبتغ من منافعهم ، والمعنى جميع الأمور الشاغلة عن الصلاة ، و انما على البيع تاكيدا للنهى عن الاشتغال عن الصلاة . وكذلك خص ا الخنزير بالنهى تاكيدا لحكم تحريمه و حظرا لسائر أجزائه على أن المراد بذلك جميع أجزائه وان كان النص خاصا في لحمه (١)

قال صاحب أحكام القران : و قد اختلف الفقهاء في جواز الانتف بشعر الخنزير ، فقال أبو حنيفة و محمد : يجوز الانتفاع به للخر وقال أبو يوسف : أكره الخرز به ، و روى عنه الإباحة . وقال الأوزا لا بأس أن يخاط بشعر الخنزير و يجوز للخراز أن يشتريه ولا يبيعه

---

(١) انظر-احكام القرآن لأبى بكر أحمد بن على الرازى المعرو بالجصاص (١/١٤٤) .

وقال الشافعي : لا يجوز الانتفاع بشعر الخنزير (١) .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير :(ولحم الخنزير) يعني أنسيه ووحشيه واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم ولا يحتاج إلى تحذلق الظاهرية في جمودهم ههنا و تعسفهم في الاحتجاج بقوله (فإنه رجس) أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير حتى يعم جميع أجزائه وهذا بعيد من حيث اللغة فإنه لا يعود الضمير إلا إلى المضاف دون المضاف إليه والأظهر أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد(٢)

وقال القرطبي : لاخلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر(٣)

أحكام الخنزير البحرى في نظر الإسلام :

واختلف أهل العلم في خنزير الماء فقال أصحابنا: لا يؤكل ، وقال مالك و ابن أبي ليلىٰ والشافعي والأوزاعي : لا بأس بأكل كل شئ يكون في البحر . وقال الشافعي : لا بأس بخنزير الماء ، و منهم من يسميه حمار الماء. وقال الليث بن سعد : لا يؤكل إنسان الماء و خنزير الماء . و قال أبو بكر ظاهر قوله « ولحم الخنزير » موجب لحظر جميع ما يكون منه في البر و في الماء لشمول الاسم له (٤) .

قال المحدث عبد الحق الدهلوى في كتابه " تفسير حقاني " [بالأردية] : أجمعت الأمة قاطبة على أن جميع أجزاء الخنزير من اللحم

---

(١) انظر - احكام القرآن - (١/١٤٤)

(٢) انظر - تفسير ابن كثير (٢/٨) .

(٣) حياة الحيوان (١/٢٦٤) .

(٤) أحكام القرآن (١/١٤٤) .

الشحم والـدم و غيره حـرام . لا يصح أكلـه . وإنمـا خـص اللحم في الآية
كون الناس يأكلونه بكثرة ، وان اطلاق الكل على الجزء قد شاع لدى العرب
ما أول الرسول الأكرم ﷺ الصلاة بالركوع في أحاديث كثيرة فليس معنى
الآية الشريفة هو تحريم اللحم خاصة وأجزائه الباقية حلال (١) .

و الآن أود أن اقتارن بين منافع ما أحله الإسلام و بين مفاسد ما حرمه كي يتحقق جليا للقراء الكرام أن ما أحلته الشريعة المصطفوية السمحة ينفع و يصلح ، وأن ما حرمته يضر و يفسد .

مقارنة بين المنافع والمفاسد :

لا شك أن الشريعة المحمدية المطهرة أحلت كل ما ينفع و يصلح و يوافق أمزجة الناس و يلائم طباعهم و ينعش صحتهم و أبدانهم و يقوى أجسامهم من الابل والبقر والجاموس والغنم و الضأن والكبش والنعامة والأرنب والحمامة والدجاجة وغير ذلك . فلحم هده الأنعام كلها نافع صالح منعش غير ضار موافق لطباع الناس بالنظر إلى الناحية الطبية ، وقد بين الاحيايؤن فوائد لحوم هذه البهائم ومنافعها مبسوطا و مطولا .

ذكر الشيخ العلامة الدميرى رحمه الله فوائد لحم الدجاجة والحمامة في كتابه "حياة الحيوان" فقال : لحم الدجاج معتدل الحرارة جيد، وأكل لحم الفتى من الدجاج يزيد في العقل والمنى ويصفى الصوت..... وأن الدجاج المعتدلة الغذاء ليست حارة مستحيلة إلى الصفراء ولا باردة ولدة للبلغم .

---

(١) انظر-تفسير حقاني-الأردية للشيخ عبد الحق الدهلوى (٢/٢٠) .

لا أعلم من أين أجمعت العامة و

يقول العلامة الدميرى بعد ذلك :

الأطباء الاغمار على مصرتها بالنقرس وتوليدها له والقائلون بذلك

لعلهم مقتدون بالخاصية حسب لاغير وهي محسنة اللون وأدمغتها تزيد

في الأدمغة والعقل ، وقال القزوينى : إذا طبخت الدجاجة مع عشر

بصلات بيض وكف سمسم مقشور حتى تتهرى ويؤكل لحمها و يشرب

مرقتها فإنه يزيد في الباه ويقوى الشهوة(١)

وقال الدميرى في موضع آخر : لحم الديوك حار يابس باعتدال

أجوده عند اعتدال أصواتها وهو ينفع أصحاب القولنج ويستحب كدها

قبل ذبحها وأكل لحمها يولد غذاء محمودا ويوافق من الرجة الباردة(٢).

و أما فوائد لحم الحمامة فيقول عنها العلامة الدميرى رحمه الله :

إذا سكن المجذور بقربها أو في بيت يجاورها أو في بيت هي فيه برئ

وفي مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات وهذه خاصية

عظيمة بديعة ودمها إذا اكتحل به حارا نفع من الجراحات العارضة

للعين والغشاوة (٣) .

وقال في موضع آخر: ولحم الحمام جيد للكلى ويزيد في المنى والدم(٤)

وكذلك ذكر العلامة الدميرى رحمه الله منافع لحم الضأن قائلا: لحم

الضأن يمنع المرة السوداء ويزيد في المنى و ينفع من السموم وهو حار

رطب بالنسبة إلى المعز وأجوده الحولى وهو ينفع المعدة المعتدلة

ويضر من يعتاده لغشى وتدفع مضرته بالامراق القابضة ..والحولى من

الضأن أغذى من صغيرها ولحم الضأن في الربيع أجود وأنفع منه

---

(١) انظر - حياة الحيوان -(١/٢٨٨-٢٨٩) .

(٢) انظر - حياة الحيوان - (١/٣٠٢) .

(٣) انظر - حياة الحيوان - (١/٢٢٩) .

(٤) انظر - حياة الحيوان -(١/٢٢٩) .

في سائر الازمان و لحم الخصى منها يزيد في الباه(١) .

وكذلك أن الشريعة المصطفوية حرمت كل ما يضر الصحة الانسانية والروحية و يفسد الأخلاق والوجدان و المشاعر والأحاسيس حفظا للصحة والأجسام . ولذلك نهى الرسول الأعظم ﷺ عن أكل لحم ذى ناب من السباع كالأسد والذئب والثعلب والنمر و غير ذلك ، و عن ذى مخلب من الطيور كالغراب والحدأة و غيرهما . ففي الحديث الصحيح المرفوع المتفق عليه عن ابن عباس قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل ذى ناب من السباع و كل ذى مخلب من الطير(٢) .

قال البروفيسر محمد نور الإسلام : إن السباع والطيور التى في أسنانها و أظفارها ولعابها سم حرام أكل لحمها كالأسد والفهد والكلب والذئب والثعلب والقرد والغراب والحدأة وغير ذلك . والغايات القصوى والأهداف العليا في تحريم أكل لحم هذه السباع والطيور انما هي وقاية للناس و انقادهم من التأثر بالخصال السبعية والانفعال بها والحفظ من جراثيم الأمراض . و لذلك نرى أن توجيهات الرسول الأعظم توافق العلوم الطبيعية الحديثة على وجه أتم وأكمل (٣) .

وحرم الإسلام الميتة والدم ولحم الخنزير تحريما باتا حفظا للصحة الإنسانية . لأن أكل ذلك يوجب حدوث أدواء خطيرة و مفاسد عظيمة في صحة الناس وأبدانهم كما كشفت التحقيقات الجديدة والتحريات الحديثة عن ذلك . وأود هنا أن أقدم أمام القراء الكرام مفاسدأكل ذلك الذى حرمه الاسلام من جهة الطب . لتتجلى واضحا اسباب وبواعث ذلك التحريم .

---

(١) حياة الحيوان (٢/٦٤) .

(٢) صحيح مسلم مع النووى (١٣/٨٢) .

(٣) SCIENTIST MUHAMMADبالبنغالية (١/١٩٥) .

قال البروفيسر محمد نور الاسلام (بنغله ديش) ذاكرا مفاسد
الميتة في كتابه الشهير " محمد ﷺ العالم الطبيعى " [بالبنغالية] : ان
الحيوان والطائر الذى يموت بسبب مرض أو حادث أو لسع الموذيات
والسباع يحرم أكله للمسلمين ، و سبب ذلك أن جراثيم الأمراض تكون
في جسم هذه الحيوانات الميتة (١) .

وذكر البروفيسر الموصوف أخطار الدم فقال : ان الدم يحمل
جراثيم الأمراض ، ولا يحدث مرض الا اذا دخل فيه الجرثومة ، و تجعل
الجراثيم الدم جامدا معطلا بعد دخولها فيه ، فتنسد لأجله السكتة
القلبية و تتعطل ، ان الحيوان أو الطير المقتول بالسهم أو البندقية
أو آلة من الآلات يختلط في دمه سم ، فاستعمال هذا الدم غذاءً و قوتا
يمكن جدا أن يظهر أثر السم في البدن . والحيوان والطير الذى يذكى
بالآلات الصافية النقية يحرم تناول دمه غذاء لدى علماء الأبدانْ ، والدم
سائلا كان أو جامدا أو أي دم كان لا يصلح أن يكون غذاء للناس ، إنما
يأكل هذا الدم من لا بصيرة له ولا معرفة في علم الأبدان(٢) .

وقد ذكر الدكتور يوسف القرضاوى مضار الميتة وأسباب تحريمها
في كتابه الشهير " الحلال والحرام في الإسلام " فقال : وقد يتساءل
الدهن العصرى عن الحكمة في تحريم الميتة على الانسان، وإلقائها دون
أن ينتفع بأكلها . ونجيب على ذلك بأن في تحريمها حكما جلية منها :
١- أن الطبع السليم يعافها و يستقذرها ، والعقلاء في مجموعهم
يعدون أكلها مهانة تنافى كرامة الانسان ، ولذا نرى أهل الملل الكتابية
جميعا يحرمونها ، ولا يأكلون إلا المذكى وإن اختلفت طريقة التذكية.

---

(١) SCIENTIST MUHAMMAD بالبنغالية .

(٢) المصدر المذكور .

٢- إن ما مات حتف أنفه يغلب أن يكون قد مات لعلة مزمنة أوطارئة أو أكل نبات سام أو نحو ذلك ، وكل ذلك لايؤمن ضرره ، ومثل هذا إذا مات من شدة الضعف وانحلال الطبيعة .

٣- إن الله تعالى بتحريم الميتة علينا -نحن بنى الانسان-قد أتاح بذلك فرصة للحيوانات والطيور ، لتتغذى منها ، رحمة منه تعالى بها ، لأنها أمم أمثالنا كما نطق القرآن ، وهذا أوضح ما يكون في الفلوات والأماكن التى لا تواري فيها ميتة الحيوان .

٤- أن يحرص الانسان على ما يملكه من الحيوان فلا يدعه فريسة للمرض والضعف حتى يموت فيتلف عليه ، بل يسارع بعلاجه ، أو يعجل بإراحته(١) .

وأما لحم الخنزير فهو يخرب الأخلاق و يقذر الطباع و يبلد الأذهان والأفهام ، ويظهر لأجل أكله الوقاحة والدعارة والبذاءة والشراسة ، و تحدث لأجله عشرات من الأمراض الخطيرة والأدواء الهائلة والأوجاع الخبيثة في أبدان آكليه دون شك . آلان أقدم مفاسد أكل لحم الخنزير وآثاره الفتاكة على الصحة والحياة في ضوء آراء الأطباء والحكماء بالايجاز.

ولقد اكتشف الطبيب الألمانى الشهير المسمىٰ ، بـ" هنس هينرتش ريكويگ" (HANS HENRCH RECHUWEG) أخطار أكل لحم الخنزير الهامة و أضراره التى تؤثر على صحة من يأكل لحمه وتضره ، انه كتب مقالة طويلة حول مفاسده و آثاره .

فحاصل ما جاء في المقالة فيما يلي : لا يمكن حصول الشفاء التام

---

(١) الحلال والحرام في الإسلام للقرضاوى (ص٤٦-٤٧) .

من المرض ما لم يجتنب من أكل لحم الخنزير و ما لم يبتعد عنه.(١)في افريقية ثقافتان ، ثقافة عربية و ثقافة اسلامية ، فأما المجتمعات الإسلامية فهي سالمة من داء و علة، وأما المجتمع الغربي فقد أحاطت به سائر الأمراض والأوجاع لأجل أكلهم لحم الخنزير.(٢) قد حصل الشفاء من قروح كانت قد حدثت في جنود رومل في بلاد افريقية بترك أكل لحم الخنزير.(٤) ولأجل أكل لحم الخنزير يحدث الالتهاب في الزائدة الدودية والمرة ، و يصبح القئ صفراويا ، و يصيب الالتهاب بجدر المعدة البلغمية، وتتولد في الغدد العروقية الدمامل واكزيما(ECZEMA) والتيفويد علاوة على ذلك . (٥) كان الناس في صحة كاملة و عيشة كريمة في بلاد الألمان حينما لم يكن يوجد فيها لحم الخنزير بعد انقراض الحرب العالمية الثانية . فلما توفر وجوده بدأت الأمراض تنتشر و أخذ السرطان يزداد ازديادا شديدا . (٦) يقول الطبيب المذكور : كتبت مقالة أيضا على جراثيم لحم الخنزير السامة عام ١٩٥٢م ، فذكرت فيها عددا هائلا من الأمراض والأدواء التى تحدث من أثار لحمه السامة . (٧) طريق سد أمراض الالتهاب القديمة انما هو تناول الأغذية التى لا يختلط فيها شئ من لحم الخنزير أو شئ من أجزائه . (٨) إن طائفا من الفأرة قدم أمامها لحم الخنزير فأكلته ، وأن قطيعا منها قدم أمامها غذاء طبيعى فتناولت منه ، و شوهد بعد ذلك أن القسم الأول منها قد تولد فيها مرض السرطان و نشأت فيها أدواء أخرى و ظهرت العواطف الوحشية ، وأما القسم الثانى فلم يشاهد فيه شئ من ذلك .

وقد أورد المحدث عبدالحق الدهلوى بحثا لطيفا عن مضار لحم

الخنزير بالايجاز في كتابه " تفسير حقانى " [بالأردية] فقال : قد اكتشف أطباء العصر الحديث الأفاضل الدود في لحم الخنزير بالمجاهير " خورد بينوں " بحيث لا يحتاج إلى شئ من البيان والايضاح ، وأيضا قد تحقق أن في لحمه مضار عظيمة و مفاسد فخيمة تظهر في أبدان آكليه ، و أهول من ذلك أنه وقّاح دعّار شوّاس طمّاع أكّال للنجاسات والقاذورات حيث لا يرام فوق ذلك ، ومن المعلوم أن آثار الغذاء تؤثر على أخلاق الانسان و تظهر في خصاله و طباعه دون شك كما حقق ذلك الأطباء الأكابر تحقيقا شريفا ، فتحريمه هو عين الحكمة (١) .

و يقول افتخار أحمد المدير بالكلية الطبية كنگ ايڈورڈ بلاهور بالباكستان في مقدمة كتاب " طب نبوى ﷺ اور جديد سائنس " ما ترجمته بالعربية : الطب النبوى والعلوم الطبيعية للطبيب خالد الغزنوى الذى كتبه بقلمه تحقيقا لرغبات المؤلف الذى طلب منه الكتابة عنه : يلحق الخنزير جميع ما يلحق الانسان من الأمراض ، و يصيبه سائر أمراض حتى نوبة القلب والكوليرا ، ولذا انه أكثر استعدادا و أكبر أهلية في نشر الأمراض بين الإنسان و في أمراض من يأكل لحمه من البهائم الأخر ، إن أكل لحمه يصاب بأمراض عروق الدم و أوجاع الأوصال أكثر من آخر (٢) .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى في كتابه " الحلال والحرام في الإسلام " باحثا عن أخطار لحم الخنزير : لحم الخنزير.فإن الطباع

---

(١) انظر - تفسير حقانى - الأردية للشيخ عبدالحق (٢/٢٠) .

(٢) انظر - مقدمة لكتاب "طب نبوى اور جديد سائنس " للطبيب خالد الغزنوى الباكستانى (ص٨) .

السليمة تستخبثه ، وترغب عنه ، لأن أشهى غذائه القاذورات والنجاسات ، وقد أثبت الطب الحديث أن أكله ضار في جميع الأقاليم ولا سيما الحارة ، كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القتالة وغيرها من الديدان . ومن يدرى ، لعل العلم يكشف لنا في الغد من أسرار هذا التحريم أكثر مما عرفنا اليوم ، وصدق الله العظيم إذ وصف رسوله بقوله ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾

ومن الباحثين من يقول : إن المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على الحرمات (١) .

ويقول الطبيب الصينى المسمى بـ"سنسى ماؤ" (SUNSY MAW) وهو أحد كبار علماء الطب و أحد أفاضل الحكماء في كتابه الجليل "ساسنلو" (SA SUNLU) ما معناه بالعربية "تاريخ الصحة" عن أخطار لحم الخنزير : ان أكل لحم الخنزير يحيى سائر الأمراض القديمة في الأبدان و إنه يعين على انشائها و احيائها ، وانه يقوى أمراض "الروماترم" أوجاع الأوصال (RHEUMATISM) و ضيق النفس (ASTHMA) (٢) ولذان هذين المرضين الهائلين بدأا يزدادان في أبدان آكل لحمه .

وكتب الطبيب المعاصر الجليل اسمه شويح نون(SHUEHE NOON) ان أكل لحم الخنزير تضعف لأجله قوة الذاكرة فيتساقط لذلك

---

(١) الحلال والحرام في الإسلام للقرضاوى (ص٤٧-٤٨) .

(٢) انظر كتاب " الصحة والطب في نظر الإسلام " للشيخ عبدالرؤف الشميم (ص٢٧-٢٨) .

شعر الرأس (١) .

وذكر الطبيب "گيلن شكارڈ" (GELAN SHECARD) أخطار أكل لحم الخنزير الهامة في مجلة "واشنطن بوست" عدد٢١/مايو/١٩٥٢م، فقال : ان الناس قد أصابتهم جرثومة (TRECONONIS) ٦٪في بلاد امريكا و كناڈا و كان هذا المرض الخطير قد تولد لأجل الدود يقال له (TRECHINA) وهو يتولد في الأمعاء لأجل أكل لحم الخنزير ، ويزيد فيقول : ليس كل من يأكل لحمه يتخلص من مثل هذا الداء و ليس له دواء ينفع و علاج ينجع . ولا يقتل الدود المذكور الناتج المتولد من أكل لخمه دواء من عقار مضاد للجراثيم (ANTIBOTIC DRUGS) وحقنة ولا يضره شيئا .

يشبه هذا الدود شعر الرأس من الناس طولها ٪ بوصة و عرضها ٠٠٪ بوصة . يمكنه الحياة والبقاء مطويا بعضه على بعض في أبدان الانسان أربعين عاما .

و شرعت هذا الدود يتعدى و أخذ يتغلغل و يرتكز في أعضاء الانسان المتنوعة . ولذا تظهر في أبدان الانسان آثار و إمارات من خمسين مرضا علاوة على ذلك (٢) . ولا يمكن قتل هذا الدود الصغير جدا بالملح أو الطبخ .

فأكل لحم الخنزير هو عبارة عن تدمير صحة الناس ونفوسهم والافضاء بهم إلى مهالك عظيمة ومخاطر جسيمة، وتقع حياتهم في خطر

---

(١) انظر كتاب الصحة والطب في نظر الإسلام (ص٢٨) .

(٢) المصدر السابق (ص٢٨) نقلا عن مجلة "واشنطن بوست" واشنطن ٢١/مايو/١٩٥٢م .

عظيم و تلف كبير لأجل ذلك . و من يروم الاستيعاب والتفصيل فليطالع كتاب (WHY MUSLIM SABSTION FROM PORKS?) ألفه المفكر الإسلامي الصينى ابراهيم تى وائ ما (١) .

وقال الإمام ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى رحمة واسعة في كتابه الشهير : "جامع البيان" : إن ظاهر الخنزير كما مملؤ بالنجاسات فباطنه كذلك مملؤ بالقاذورات والجراثيم (٢) .

وقال صاحب تفسير " المنار " رحمه الله تعالى حول مخاطر لحم الخنزير المدمرة : يتولد الدود الخطير المهلك في أبدان من يأكل لحم الخنزير ، و تظهر لأجل أكل لحمه في حياة الانسان الشخصية الآثار الشنيعة التى تؤدى إلى عدم الوقار والوجاهة و عدم استقلال الخواطر وعدم تسكين النفوس والقلوب (٣) .

وقد قدم الأستاذ محمد نور الاسلام بحثا لطيفا حول خصال الخنزير السيئة و مفاسده الكبيرة في ضوء آراء العلماء الطبيعيين في كتابه الشهير "وگيانك محمد" [بالبنغالية] "محمد ﷺ العالم الطبيعى" .

قال فيه : ان الشهوات الجنسية والغيظ ، والطمع ، والحرص ، والحسد ، وأمثال هذه الخصال القبيحة يستحقها الخنزير فقط ، ولا يشاهد أمثال هذه الشهوات الجنسية في حيوان من الحيوانات التى توجد في العالم بأسره. إن الذين يتعودون في أكل الخنزير تظهر عليهم

---

(١) انظر كتاب "الصحة والطب في نظر الإسلام" (ص٢٩) للشيخ عبدالرؤف الشميم .

(٢) المصدر السابق (ص٢٦) .

(٣) المصدر السابق (ص٢٧) . نقلا عن تفسير "المنار" (٢/٩٨) .

الشهوات الجنسية ويصيرون شهوانيين جدا دون شك ، وتتهيج قلوبهم وتشتعل نفوسهم في الشهوات مثل الخنزير ، و يفقد منهم قوة التمييز بين الحق والباطل و بين العزة والذلة ، و تفسد الأبدان والقلوب ، ولذا انهم يدمرون المجتمعات والبيئات بالشجار والجدال والقتل فيها، ولا يشاهد وصف الغيظ في حيوان من الحيوانات إلا في الخنزير وتظهر آثاره عند الجلوس والقيام والمشى والأكل ، وبسبب هذا الغيظ التخاصم و التنازع والعناد بين أولاده و بين أقربائه ، ويعرف كل من تفحص عن خصاله و طباعه ، أنه من أعجب المخلوقات و أغربها ويعض أولاده ، ويكون طمّاعا جدا ، يأكل ما يرى بين أيديه ، و غذائه أعفن الأشياء و أكرهها رائحة ، و لذا فإن جراثيم الأمراض لاتزال تلتصق بأبدانه و لعابه ، و يحب الإقامة في أماكن الوحل والظلمة والشجيرات والبلة والمكان الكريه المتعفن ، فالذى يأكل لحم مثل هذا الحيوان القذر لابد أن يكون طبعه و قلبه قذرا وفاسدا مثله .

و تمر الأمزجة لتناول الأدوية المرة مدة طويلة ، و تبرد النفوس والعروق و الأوداج لشرب الماء البارد ، ويتقوى البدن والمزاج والدماغ و تتغذى الذاكرة لشرب العسل ، و يتولد الدم لشرب اللبن و يزداد ازديادا صالحا ، وأكل السمن يزيد قوة في البدن ، وعصير الزنجبيل ينفع المعدة ، وكل ذلك ميزات الأشياء .

لا يسخن البدن في أكل لحم الغنم و يدفأ لأكل لحم البقر فيزداد حرارته ، و يشتد المزاج و يتصلب القلب ، و من ينكر خصائص

هذه الأشياء؟ .

ان لحم الخنزير يستطيع أن يعطي الخصال التى جبل عليها دون شك . و لذا فان لحمه محظور حرام . وأكله للناس حرام(١) .

فالحاصل أن تحريم لحم الخنزير انما جاء لحفظ الصحة الإنسانية من عشرات الأمراض تلحقها والوقاية من التأثير والانفعال بالخصال السبعية والانطباع بالخلال الشنيعة والأخلاق الرزيلة .

---

(١) انظر كتاب - وكيانك محمد "محمد ﷺ والعالم الطبيعي" للشيخ الأستاذ محمد نور الإسلام (١/١٩٧-١٩٨) .

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شعرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧) — رمضان ١٤١٥هـ

العدد الثانی — فبراير ١٩٩٥م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهري

عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بی ١٨/١ جی ، ریوڑی تالاب ، بنارس - الهنـــد

THE EDITOR

B. 18/1 G. REORI TALAB , VARANASI - 221010 - INDIA .

الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ریوڑی تالاب ، بنارس - الهنـــد

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB , VARANASI-221010 - INDIA .

الاشتراك السنوی : في الهند ٦٠ روبية، في الخارج ٣٦ دولارا (بالبريد الجوی)

١٥ دولارا (بالبريد العادی) ثمن النسخة : ٥٠/٥ روبيات

* تليفون : ٣٢٠٩٥٨ / ٣٢٢١١٦ — فاكس : ٢٢٢٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

إعلاء كلمة الله . والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله . والتمسك بكتابه . وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . بعيدا عن التحيز لفكر . والتعصب المذهبي وتبليغ رسالة الإسلام . وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها . ورفع مستوى الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية

○ مقاومة الأفكار الدخيلة . والتيارات المنحرفة . والمبادئ الهدامة. وضلال الزيغ والإلحاد . وسائر المنكرات . بأسلوب علمي متين ملائم لروح العصر مع البعد عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

○ مؤازرة الكتاب والأدباء الإسلاميين . واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر . وشرح تعاليم الإسلام السمحة . ليتمكنوا من الذود عن الإسلام وقيمه . في تعمق و وعي وجرأة ودأب . وعن إيمان وإخلاص

○ إيقاظ الروح الدينية . وبث الوعي الإسلامي في الشباب المسلم . وتزويدهم بالثقافة الإسلامية الواسعة . وإعدادهم للإسهام في معركة اللسان والقلم . وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة

○ نشر العلوم الإسلامية والعربية بين المسلمين في الهند . وتعميم اللغة العربية بين المثقفين . ورفع مستواها كتابة وخطابة .

○ التوجيه الصحيح السليم للمسلمين في القضايا الراهنة . والمشاكل العاجلة . حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد .

الافتتاحية :

كتب عليكم الصيــــام

بقلم : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

الانسـان في نظر الإسـلام خليفـة في الأرض.. كرمه الله تعالى و سخر له ما في السماوات والأرض . و كلفه بما يحقق سعادته في الدنيا والآخرة . إنه مكرم بالخلافة وبأنواع النعم ، وكذلك هو مسئول عند الله . و لو لا هذه المسئولية لما كان هناك فرق بين الانسان و بين غيره من الحيوان ، و لما انتظم أمر البشرية كما نراه اليوم . فتكليف الله عز وجل هو الذى يرفع شأن الإنسان و يعظم قدره ، ولذلك نرى أن القرآن يجعل الرسالة نعمة الله وفضله على العباد : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إد بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة . وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمرن ١٦٤] .

و يصرح القرآن بأن الانسان خلق ليتحمل هذه المسئولية و يخص الله بالعبادة والتقديس : ﴿ و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون ﴾ [الذاريات ٥٦،٥٧] .

فالإنسان مخلوق للعبادة ، والعبادة تتضمن معرفة الله والخضوع له واتباع مناهجه التى وضعها للانسان ليتبعها ويظفر بسعادة الدنيا والآخرة. و للعبادات أهمية كبيرة في الإسلام ، فهي التى تنظم علاقة الفرد بربه ، وتظهر عبوديته لله تعالى على وجه واضح ، وهي حق الله الخالص على عباده، و لذلك يجب الحرص عليها والدعوة إليها ، ولا يجوز مطلقا التقليل من شأنها ، وهي بمجموعها تقوى الايمان و ترسخه ، فهي له بمثابة الماء للنبات

والهواء للإنسان ، وهيهات أن يبقى الايمان على قوته إذا فرط المسلم بها "

" وللعبادات المختلفة تأثير واضح في سلوك الفرد ، فهي التي تزكي نفسه و تزيد مراقبته لربه تعالى في السر والعلن والخوف منه فينزجر عن المعاصي والاضرار بالناس و يسارع إلى عمل الخير ، ولا شك أن المجتمع سيكون سعيدا إذا زاد فيه عدد الصالحين الخائفين من الله تعالى ، وإن مقادير الخير في المجتمع ستكثر ، وإن مقادير الشر والسوء ستقل "

و للعبادات في الاسلام أنواع و صور ، ولكل منها أهداف و آثار على حياة الإنسان ، وذلك لأن الاسلام لا يأمر بأمر إلا يهدف به إلى الخير والسعادة والعزة والكرامة لمن يأتي به .

و من هذه العبادات صوم شهر رمضان وهو الركن الرابع من أركان الدين الاسلامی . ومعنى الصوم في اللغة هو الإمساك والكف عن الشئ ، و في الشرع هو عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب و غشيان النساء ، من الفجر إلى المغرب ، احتسابا لله عز وجل وإعدادا للأنفس ، و تهيئة لها لتتقى الله بالمراقبة له ، و تربية الارادة على كبح جماح الشهوات ليقوى صاحبها على ترك المضار والمحرمات .

يقول الشاه ولى الله الدهلوی : " و إنما الصوم ترياق يستعمل لدفع السموم النفسانية مع ما فيه نكاية بمطية اللطيفة الانسانية و مصتها " .

" والصوم من أقوى العبادات ، وأعظم ذرائع التهذيب ، وهو مقياس الرجولة الحقة ، ومظهر الصلة بين الخالق والمخلوق ، إنه يغذى في الصائمين الفضائل ، و يضبط نفوسهم ، و يقوى عزائمهم ، و ينقى أجسامهم من الفضلات الرديئة ، ويكبح جماح نفوسهم ويصدهم عن الفحشاء والمنكر " .

أما السر في قول النبى صلى الله عليه و سلم : الصيام جنة فيقول عنه الشاه ولى الله : " ذلك لأنه يقى شر الشيطان والنفس ، و يباعد الانسان

من تأثيرهما و يخالفه عليهما، فلذلك كان من حقه تكميل معنى الجنة بتنزيه لسانه عن الأقوال والأفعال الشهوية ، وإليها الإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم : «فلا يرفث » والسبعية ، وإليها الاشارة في قوله « ولا يصخب » و إلى الأقوال بقوله « سابه » وإلى الأفعال بقوله « قاتله » .

"والمسلم الذى يمتنع عن أكل الحلال من الغـذاء طلبـا لمرضـاة الله وخوفا من أليم عذابه و طمعا في عظيم رحمته أولى به أن يمتنع عن اقتراف الحرام وهو في غنى عنه " .

" والصوم طهرة و زكاة للجسد يطهر الانسان من بطر النعمة، و يزيل عنه آثار الشح .والبخل والكبر والخيلاء ، ويزكى جسمه من آفات فضلات الأطعمة والأشربة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لكل شئ زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر» . رواه ابن ماجه "

" والصوم فوائد اجتماعية وروحية و صحية ، ومن فوائده الاجتماعية المساواة بين الأغنياء والفقراء والخاصة والعامة والأمراء والمأمورين ، وفي مشاركة الأغنياء للفقراء في الجوع إشعار لهم بلزوم العطف عليهم وأداء حقوقهم التى فرضها الله في أموالهم إلى الفقراء . ففي الصوم إعلام الغنى بحال الفقير ، وإشعار الطاعم الكاسى بالجائع العارى ، وفي هذا ما فيه من الخير الكثير للناس أجمعين .

وللصوم فوائد روحية تعبدية هي المقصـودة بالـذات ، وهي أن يصوم المسلم لوجه الله تعالى لا يريد من غير ربه جزاء و لا شكورا .

وبالصوم يتمثل الصدق في العبادة ، لأنه أمر موكول إلى نفس الصائم و عفته و شرفه ، لا رقيب عليه فيه إلا الله تبارك و تعالى ، و لو لا اطلاع الله عليه و مراقبته له و خوفه هو من الله و طمعه في رحمة الله لما ترك طعامه و شرابه وهو في أشد التوق لهما ، ولما حبس نفسه عنا تشتهى و منعها مما

تحب و ترغب " .

وقد كتب الصوم على الأمة المسلمة لتتحلى بصفة القوى ، فانها لازمة لها ، و بدونها لا تتمكن من القيام بواجبها نحو البشرية . و المسئولية التى ألقيت على هذه الأمة عظيمة ، و لتحملها يجب التحلى بالأوصاف العظيمة والأعمال السامية . ومن أهمها صفة التقوى التى جعلها الله غاية من غايات الصوم ﴿ لعلكم تتقون ﴾ .

والتقوى حقيقتها الخشية . وقد وردت في القرآن بمعنى الايمان والتوبة والطاعة و ترك المعصية والإخلاص . كما ذكره الإمام الرازى في تفسيره الكبير في معنى قوله تعالى : هدي للمتقين . وقد أورد هناك أقوالا للعلماء تجمل معنى التقوى للفهم .

قال الحسن : التقوى أن لا تختار على الله سوى الله ، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله .

وقال الواقدى : التقوى أن ترين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق .

ويقال : إن التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك .

ويقول سيد قطب مبينا غاية الصوم . "فالتقوى هي التى تستيقظ في القلوب ، وهي تؤدى هذه الفريضة طاعة لله ، و ايثارا لرضاه . والتقوى هي التى تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ، ولو تلك التى تهجس في البال . والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله و وزنها في ميزانه . فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم . وهذا الصوم أداة من أدواتها . وطريق موصل إليها . ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفا وضيئا يتجهون إليه عن طريق الصيام " .

0 0 0

التشريع الإسلامي

فضل صيام رمضان و قيامه

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والدعوة والإرشاد بالرياض

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، إلى من يراه من المسلمين ، وفقنى الله و إياهم لاغتنام الخيرات ، و جعلنى و إياهم من المسارعين إلى الأعمال الصالحات آمين .

سلام عليكم و رحمة الله و بركاته أما بعد :

أيها المسلمون ! فانكم في شهر عظيم مبارك وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام و تلاوة القرآن شهر العطف والغفران ... شهر الصدقات والاحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات ، و تضاعف فيه الحسنات و تقال فيع العثرات .. شهر تجاب فيه الدعوات و ترفع الدرجات و تغفر فيه السيئات .. شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات و يجزل فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الاسلام فصامه المصطفى ﷺ ، وأمر الناس بصيامه و أخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانا و احتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، و من قامه إيمانا و احتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم ، فعظموه - رحمكم الله بالنية الصالحة والاجتهاد في حفظ صيامه و قيامه و المسابقة فيه إلى الخيرات ، والمبادرة فيه إلى التوبة

النصوح من جميع الذنوب والسيئات واجتهدوا في التناصح بينكم والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم . و في الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة. منها : تطهير النفس و تهذيبها و تزكيتها من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة كالأشر والبطر والبخل و تعويدها الأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم و مجاهدة النفس فيما يرضى الله و يقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته و ضعفه و فقره لربه و يذكره بعظيم نعم - الله عليه - و يذكره أيضا بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته و مواساة اخوانه الفقراء والاحسان إليهم وقد أشار الله سبحانه و تعالى إلى هذه الفوائد في قوله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ : فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحـانه فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى : والتقوى هي طاعة الله ورسولـه بفعل ما أمر و ترك ما نهى عنه عن اخلاص لله عز وجل و محبة ورغبة ورهبة. و بذلك يتقى العبد عذاب الله و غضبه . فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى و قربة إلى المولى عز وجل و وسيلة قوية إلى التقوى في بقية شئون الدين والدنيا .

وقـد أشـار النبى ﷺ إلى بعض فوائـد الصوم في قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر و أحسن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» .

فبين النبى عليـه الصلاة والسـلام ان الصوم وجاء للصائم و وسيلة لطهارته وعفافه، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

والصوم يضيق تلك المجارى ، و يذكر بالله و عظمته فيضعف سلطان الشيطان و يقوى سلطان الايمان و تكثر بسببه الطاعات من المؤمنين و تقل به المعاصي ، ومن فوائد الصوم أيضا أنه يطهر البدن من الاخلاط الرديئة و يكسبه صحة و قوة اعتراف بذلك الكثير من الأطباء و عالجوا به كثيرا من الأمراض، وقد أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز أنه كتب علينا الصيام كما كتبه على من قبلنا ، و أوضح سبحانه أن المفروض علينا هو صيام شهر رمضان، و أخبر نبينا عليه الصلاة والسلام أن صيامه هو أحد أركان الاسلام الخمسة ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات﴾ إلى أن قال عزوجل: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدي للناس و بينات من الهدي والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه و من كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر و لتكملوا العدة و لتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون ﴾ .

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم رمضان و حج البيت » .

أيها المسلمون ! إن الصوم عمل صالح عظيم و ثوابه جزيل و لا سيما صوم رمضان فإنه الصوم الذى فرضه الله على عباده و جعله من أسباب الفوز لديه ، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال : « يقول الله تعالى كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فانه لي وأنا أجزى به إنه ترك شهوته وطعامه و شرابه من أجلى . للصائم فرحتان فرحة عند فطره و فرحة عند لقاء ربه و لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من

أنه قال : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة و غلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين » . و أخرج الترمذي و ابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين و مردة الجن و فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة » . و عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة و يحط الخطايا و يستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه و يباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فان الشقي من حرم فيه رحمة الله » رواه الطبراني . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله فرض صيام رمضان عليكم و سننت لكم قيامه فمن صامه و قامه ايمانا و احتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه النسائي .

و ليس في قيام رمضان حد محدود لأن النبي ﷺ لم يوقت لأمته في ذلك شيئا و إنما حثهم على قيام رمضان و لم يحدد ذلك بركعات معدودة ، ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن قيام الليل، قال : مثنى مثنى فاذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى أخرجه البخاري و مسلم في الصحيحين. فدل ذلك على التوسعة في هذا الأمر فمن أحب أن يصلي عشرين ركعة و يوتر بثلاث فلا بأس، و من أحب أن يصلي عشر ركعات و يوتر بثلاث فلا بأس، و من أحب أن يصلي ثماني ركعات و يوتر بثلاث فلا بأس، و من زاد على ذلك أو نقص عنه فلا حرج عليه ، و الأفضل ما كان النبي ﷺ يفعله غالبا وهو أن يقوم بثمان ركعات يسلم من كل ركعتين و يوتر بثلاث مع الخشوع

والطمأنينة و ترتيل القرأة لما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان و لا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن و طولهن ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن و طولهن ثم يصلى ثلاثا. و في الصحيحين عنها رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يصلى من الليل عشر ركعات يسلم من كل اثنتين ويوتر بواحدة .

و ثبت عنه ﷺ في أحاديث أخرى أنه يجتهد في بعض الليالى بأقل من ذلك وثبت عنه أيضا ﷺ أنه في بعض الليالى يصلى ثلاث عشرة ركعة يسلم من كل اثنتين فدلت هذه الأحاديث الصحيحة عن رسول ﷺ على أن الأمر في صلاة الليل موسع فيه بحمد الله. و ليس فيها حد محدود لا يجوز غيره وهو من فضل الله و رحمته و تيسيره على عباده حتى يفعل كل مسلم ما يستطيع من ذلك، و هذا يعم رمضان و غيره ، و ينبغى أن يعلم أن المشروع للمسلم في قيام رمضان و في سائر الصلوات هو الاقبال على صلاته والخشوع فيها والطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود و ترتيل التلاوة و عدم العجلة لأن روح الصلاة هو الاقبال عليها بالقلب و القالب . والخشوع فيها وأداؤها كما شرع الله باخلاص و صدق و رغبة و رهبة و حضور قلب، كما قال الله سبحانه : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ وقال النبي ﷺ : « وجعلت قرة عينى في الصلاة » ، وقال للذى أساء في صلاته إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم إقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا. ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها و لا يطمئن فيها بل ينقرها نقرا و ذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة لأن الطمأنينة ركن في الصلاة لابد منه كما دل عليه الحديث المذكور آنفا ، فالواجب الحذر من ذلك ، و في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته ... قالوا يا رسول الله ! كيف يسرق صلاته . قال « لا يتم ركوعها و لا سجودها » و ثبت عنه ﷺ أنه أمر الذى نقر صلاته أن يعيدها .

فيا معشر المسلمين ! عظموا الصلاة و أدوها كما شرح الله و اغتنموا هذا الشهر العظيم و عظموه رحمكم الله بأنواع العبادات والقربات و سارعوا فيه إلى الطاعات، فهو شهر عظيم جعله الله ميدانا لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات و يتنافسون فيه بأنواع الخيرات .

فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلاة والصدقات و قراءة القرآن الكريم بالتدبر والتعقل والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والإستغفار والاكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والاحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام . وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس و كان أجود ما يكون في رمضان . فاقتدوا به رحمكم الله في مضاعفة الجود والاحسان في شهر رمضان ، وأعينوا اخوانكم الفقراء على الصيام والقيام واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم ، من الأوزار والآثام . فقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه و شرابه » و قال عليه الصلاة والسلام : «الصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث و لا يصخب فان امرؤ سابه أحد فليقل إنى امرؤ صائم » .

وجاء عنه ﷺ أنه قال :« ليس الصيام عن الطعام والشراب وإنما الصيام

من اللغو والرفث » . وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صام رمضان و عرف حدوده و تحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ منه كفر ما قبله » .

و قال جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما: « إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و لسانك عن الكذب والمحارم و دع أذى الجار و ليكن عليك وقار و سكينة و لا تجعل يوم صومك و يوم فطرك سواء ». ومن أهم الأمور التى يجب على المسلم العناية بها والمحافظة عليها في رمضان و في غيره الصلوات الخمس في أوقاتها ، فانها عمود الاسلام وأعظم الفرائض بعد الشهادتين، وقد عظم الله شأنها و أكثر من ذكرها في كتابه العظيم فقال تعالى: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » . وقال تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ ، والآيات في هذا المعنى كثيرة . و قال النبى ﷺ : « العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » و صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : من حافظ على الصلاة كانت له نور و برهانا و نجاة يوم القيامة و من لم يحافظ عليها لم يكن له نورا و لا برهان و لا نجاة و كان يوم القيامة مع فرعون و هامان و قارون و أبى بن خلف . و من أهم واجباتها في حق الرجال أداؤها في الجماعة كما جاء في الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: من سمع النداء فلم يات فلا صلاة له إلا من عذر. وجاءه ﷺ رجل أعمى فقال يا رسول الله ! إنى رجل شاسع الدار عن المسجد و ليس لي قائد يلائمنى فهل لى من رخصة أن أصلى في بيتى فقال له النبى ﷺ : هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فأجب . أخرجه مسلم في صحيحه .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : لقد رأيتنا و ما يتخلف عنها

إلا منافق معلوم النفاق. فاتقوا الله عباد الله في صلاتكم و حافظوا عليها في الجماعة و تواصوا بذلك في رمضان و غيره تفوزوا بالمغفرة ومضاعفة الأجر و تسلموا من غضب الله و عقابه و مشابهة أعدائه من المنافقين . وأهم الأمور بعد الصلاة الزكاة فهي الركن الثالث من أركان الإسلام وهي قرينة الصلاة في كتاب الله عز وجل و هي سنة رسول الله ﷺ . فعظموها كما عظمها الله و سارعوا إلى اخراجها عند تمام الحول وصرفها إلى مستحقيها عن إخلاص لله عز وجل وطيب نفس و شكر للمنعم سبحانه. واعلموا أنها زكاة و طهرة لكم ولأموالكم و شكر للذى أنعم عليكم بالمال ومواساة لاخوانكم الفقراء كما قال الله عز وجل ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها ﴾ و قال سبحانه ﴿إعلموا آل داود شكرا و قليل من عبادى الشكور ﴾ و قال النبى ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه لليمن: انك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أنّ لا إله إلا الله وأني رسول الله. فان هم اطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم و ليلة فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم و ترد على فقرائهم فان هم أطاعوك لذلك فاياك و كرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب متفق على صحته .

و ينبغي للمسلم في هذا الشهر الكريم التوسع في النفقة والعناية بالفقراء والمتعففين و اعانتهم على الصيام والقيام تأسيا برسول الله ﷺ وطلبا لمرضاة الله سبحانه وشكرا لانعامه . وقد وعد الله سبحانه عباده المنفقين بالأجر العظيم و الخلف الجزيل . فقال سبحانه : ﴿ ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ واحذروا رحمكم الله كل ما

يجرح الصوم و ينقص الأجر و يغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي كالربا والزنا والسرقة و قتل النفس بغير حق و أكل أموال اليتامى وأنواع الظلم في النفس والمال والعرض والغش في المعاملات والخيانة للأمانات و عقوق الوالدين و قطيعة الرحم والشحناء والتهاجر في غير حق الله سبحانه و شرب المسكرات وأنواع المخدرات كالقات والدخان والغيبة والنميمة والكذب و شهادة الزور و الدعاوى الباطلة والايمان الكاذبة و حلق اللحى وتقصيرها و اطالة الشوارب و التكبر و اسبل الملابس و استماع الأغاني وآلات الملاهي و تبرج النساء و عدم تسترهن من الرجال و التشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة و غير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله. و هذه المعاصي التى ذكرنا محرمة في كل زمان و مكان و لكنها في رمضان أشد تحريما و أعظم اثما لفضل الزمان و حرمته . فاتقوا الله أيها المسلمون و احذروا ما نهاكم الله عنه و رسوله واستقيموا على طاعته في رمضان و غيره و تواصوا بذلك و تعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة .

والله المسئول أن يعيذنا و إياكم و سائر المسلمين من أسباب غضبه ، وأن يتقبل منا جميعا صيامنا و قيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه و يخذل بهم أعداءه وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شئ إنه على كل شئ قدير .

وصلى الله وسلم و بارك على عبده و رسوله محمد وعلى آله و صحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

التشريع الإسلامي

الشهـــر المبـــارك

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الله خياط
المملكة العربية السعودية

البركة في الشئ تارة تكون بتكثيره و الزيادة فيه و ان لم تكن ظاهرة واضحة ، من ذلك البركة في العمر ، يقال : عمر مبرك . والعمر محدود مقدر في الأزل لا زيادة فيه و لا نقصان ولكن البركة فيه بالتوفيق إلى الأعمال الصالحة والاستقامة على نهج الهدي والسلامة من الآفات والعاهات فيمضي المرء عمره المحدود ، الستين أو السبعين من السنين أو أقل أو أكثر ، و كأنه قد عمر في الدنيا طويلا ، وبالمقارنة بينه و بين من افنى هذه الفترة في السهو واللهو والغفلة يتضح الفارق العظيم بين الفترتين : الفترة التى بارك الله فيها ووفق عبده للصالحات والفترة التى انقضت سبهللا دون جدوى أو ثمار.

ولقد قص الله خبر من غلبت عليه الشقوة وأمضى عمره في الكفران والجحود والعصيان فقال سبحانه : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ يسألهم عن المدة التى لبثوها في الدنيا والتى كانت كافية لعمارتها بالايمان و طاعة الملك الديان ﴿ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما هم فيه من العذاب ولان الله سبحانه محق البركة من أعمارهم فمضت أدراج الرياح كأمس الدابر ولم يشعروا بطول اقامتهم في الدنيا لأنهم

نسوا الله فأنساهم أنفسهم . أنسأهم العمل في دنياهم لما يصلح معادهم .

و تارة تكون البركة بكثرة الفضائل والمناقب والمحامد الى تناط بالشئ كفضائل و مناقب و محامد يوم الجمعة و شهر المحرم والأشهر الحرم و شهر ذى الحجة و شهر رمضان و ليلة القدر ، فكل هذه أيام و شهور مباركة لما خصها الله به من المزايا التى لم تكن لغيرها والفضائل المقصورة عليها والمحامد الى يستبق العباد ميادينها فيها .

و نقصر القول في هـذا المقـال على رمضـان اذ قامت مناسبته و دار الحول عليه فكان لزاما أن يستقبله المسلمون بخير ما يستقبل به الوافد الكريم والشهر العظيم نظرا لما اختصه الله به من التكريم والتعظيم و لما جعل له من الفضائل والمزايا التى لم تكن لغيره ، و للحث على انتهاز فرصه و اهتبال أيام لقائه و لياليه .

لقد سماه رسول الهدي صلى الله عليه وسلم في حديث أبى هريرة عند النسائى بالشهر المبارك فقال : « أتاكم رمضان شهر مبارك » و سماه في حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « سيد الشهور » فالبركة فيه والسيادة من حيث المزايا والفضائل التى اختصه الله بها دون غيره من سائر الشهور . والمزايا التى اختص الله بها رمضان والفضائل التى لم تكن لغيره منها انزال القرآن و منها اختصاصه بالصيام . و بليلة القدر . و تفتح فيه أبواب الجنان في أول ليلة منه و تغلق أبواب النيران . و قد جعل أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتقا من النار . وجعل من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه و من أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين

فريضة فيما سواه . ومنها اعانة الصائمين والمتعبدين على طاعتهم فيكتب للعبد مثل أجورهم و ما عمل الصائم من أعمال البر الا كان لصاحب الطعام مادام قوة فيه الى غير ذلك من المزايا التى اختص الله بها رمضان . ومجالات الخير التى اتسعت فيها الابعاد مما يحفز العباد إلى التنافس فيها.

وبعد الحديث عن فضائل رمضان، أو ما تيسر منها نتحدث عن الصيام و قد احتص الله به رمضان و جعله ركنا من أركان الاسلام و ضاعف عليه الثواب في رمضان لاقتران الفضل بالفضل . فضل رمضان وفضل الصيام وفضيلة كفضيلة الصلاة في المساجد الثلاثة : المسجد الحرام و مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم و المسجد الأقصى الذى نرجو من الله أن يخلصه من رجس اليهود و يعيده للمسلمين . و كفضيلة الصدقة في رمضان وفضيلة الأعمال الصالحة كلها كما سبق أن ذكرنا آنفا وكما جاء في الحديث : « من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كمن أدى فيه فريضة » الحديث .

ثم في تخصيص الصيام برمضان مزية تحدث عنها جملة من العلماء . ومن أقوال بعضهم ... جاء قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدي للناس و بينات من الهدي والفرقان ﴾ يشير إلى الحكمة في اختيار هذا الشهر لهذا الصوم المفروض وهي أنه الوقت الذى ظهرت فيه النعمة الكبرى التى يجب ان تشكر و هي نعمة البدء بانزال القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم . و لا ريب أن القرآن من أقوى ما يطهر القلوب و يسمو بالارواح و ناسب ذلك ان يكون الشكر من جنس النعمة في المعنى والأثر عبادة تطهر القلوب و تسمو بالأرواح وهي الصوم (اهـ) .

والصوم كما جاء في الحـديث لا عـدل له و لا مثل له من حيث الثمار والنتائج التي يحصل عليها الصائم والاجر الضافي الذى يقع في حسابه والذى يرتفع عن جزاء الحسنات لقاء اخلاص الصائم فيه و تحفظه له يترجم عن ذلك فيض من الأحاديث الشريفة منها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي « كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فانه لي و أنا أجرى به انه ترك شهوته و طعامه و شرابه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره و فرحة عند لقاء ربه . ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » و في رواية : « لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجرى به » قال بعض العلما تعليقا على هذا الحديث : ففي الرواية الأولى يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر أو عدد .

وعلى الرواية الثانية أي رواية لكل عمل كفارة عند البخارى فاستثناء الصوم من بين الأعمال يرجع إلى ان سائر الأعمال للعباد . والصيام اختصه الله تعالى لنفسه من بين أعمال عباده و أضافه إليه (اهـ) .

و علة هذا الجـزاء جـاء مصرحـا بها في الحـديث « انه ترك شهوته و طعامه و شرابه من أجلي » و من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه وحسبك بالرب الجواد الكريم إذ يعوض عبده عن طاعة اختص بها نفسه لشرفها فلا يدع أن يكون الجزاء على الصيام يرتفع عن نطاق المحدودية

لتقربه - أي الجزاء - عين الصائم .

وأما الفرحتان اللتان يظفر بهما الصائم فالأولى مادية وهي معاودة ما حظر عليه في نهاره من الطعام والشراب والمتعة الجنسية . وقد تاقت نفسه إليه بعد فترة قد تطول بامتداد النهار خاصة في فصول القيظ ، فيعظم النفس عن هذه المتعة طاعة لله و رغبة في ثوابه فاذا أبيحت له بعد الحظر وجدت النفس لذلك فرحة أيما فرحة سيما و قد شرع له المبادرة بالفطر للمعالجة ببل الصدى و كسر سورة الجوع كما جاء في الحديث « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » و في حديث قدسى قال الله عز وجل «ان احب عبادى الى اعجلهم فطرا » .

أما كون خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فلانه - أي الخلوف - أثر للطاعة التى قام بها العبد ابتغاء مرضاة الله و امتثالاً لامره .

قال أحد العلماء : و في طيب ريح خلوف فم الصائم عند الله عز وجل معنيان:

أحدهما أن الصيام لما كان سرا بين العبد و ربه في الدنيا اظهره الله في الآخرة علانية للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام و يعرفون بصيامهم بين الناس .

والمعنى الثانى ان من عبد الله و اطاعه و طلب رضاه في الدنيا بعمل فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا فان تلك الآثار غير مكروهة عند الله بل هي محبوبة له طيبة عنده لكونها نشأت عن طاعته و ابتغاء مرضاته فاخباره بذلك للعالمين في الدنيا فيه تطييب لقلوبهم .

أما النتائج والثمار التى يحصل عليها الصائم في معاده لقاء صومه

أبرزها الجزاء المدخر له الذى يرتفع عن المحدودية كما اسلفنا القول ، قال
بعض مفسرى السلف عن قول الله تعالى ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في
الأيام الخالية﴾ أنها نزلت في الصائمين . و في الصحيحين عن النبى ﷺ قال
« ان في الجنة باب يقال له الريّان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم»
و في رواية « فاذا دخلوا أغلق » وفي رواية «من دخل منه شرب و من شرب
لم يظمأ أبدا » و روى عن أنس موقوفا ان لله مائدة لم تر مثلها عين و لم
تسمع اذن و لا خطر في قلب بشر لا يقعد عليها الا الصائمون . و روى عن
بعض السلف قال : بلغنا أنه يوضع للصائمين مائدة ياكلون عليها والناس
في الحساب فيقولون : يا رب نحن نحاسب وهم يأكلون ..فقال لهم انهم طالما
صاموا وافطرتم وقاموا و نمتم ، إلى غير ذلك مما يطول استقصاؤه و بسطه
و هو مما تتم به الفرحة للصائم في معاده و تزول به مخاوفه و يربط على قلبه
و ما أعظم فضل الله و كرمه و جزيل عطائه و واسع افضاله .

غير ان ثمة موانع للظفر بهذا الجزاء يجب ان يتجافى عنها الصائم
و يرتفع عن التورط فيها فالمغفرة والرضوان و وافر الجزاء من الملك الديان
على الصيام تتطلب جهادا للنفس و مصابرة و زجرا عن الهفوات والانحرافات
بل الموبقات و عظيم السيئات فمن تقرب إلى الله بالطاعات لا يكمل تقربه أو
يحظى بالاجر الا باطراح النزوات والشطحات وكبح جماح النفس عن السقطات .
فالطغيان والعدوان على الغير في أي درب و بأية وسيلة يرتفع إلى انتهاك
الدم الحرام واستباحة العرض والمال و يتخفض إلى الكذب والذم والغيبة
و سوء الظن بالمسلم والتطاول عليه بالشتم وكل عمل يؤذيه وينال منه ويكرثه.

و إذا كان الاحسان للغير فضيلة في رمضان .. فلاساءة إليه في رمضان يضا يتجسد بها الوزر و يعظم الجرم فيخدش ذلك في الصيام ، فليس لصيام كما جاء في الحديث من الأكل والشرب ، وانما الصيام من اللغو الرفث ، فاللغو والرفث وهما من الصغائر يخدشان في الصيام ، فكيف بما هو فرق ذلك مما يتأذى به المسلم و كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله وعرضه؟

ويمعن بعض العلماء في التنفير من التجنى على الغير والتطاول عليه فيجعل التفكير في الخطايا يتنافى مع الصوم الذى يريده الله وكذلك الحقد والحسد والبغض لجمع كلمة المسلمين والعمل على تفرقهم و اضعاف سلطانهم و محاباة الظالمين و مجاملة السفهاء و معاونة المفسدين على افسادهم واستغلال مصالح المسلمين العامة والاستعانة بمال الله على مصالحه الشخصية يجعل كل ذلك مخلا بالصوم و عاملا على حقيقته « تخلية و تحلية» تخلية عن المدنسات في مختلف دروبها و تحلية بالطاعات والطيبات في شتى مجالاتها ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فمدار القبول للصوم التقوى بكل معنى لها وكل مدلول .

بقى أن نتحدث عن الصوم من حيث تهذيبه للنفس و تدريبه لها على الكمال و ترويضها على أفضل الخصال وأكرم الأعمال ، فالصوم بحكم واقعه استعلاء على الشهوة و تحرر من العبودية و كم استبدت الشهوات بدعاة الانطلاقة المجنونة فاستعبدتهم وقيدتهم بقيود لا ينفكون عنها فكان الصوم علاجها جذريا تحررت به النفوس من عبودية الشهوات المنحرفة واستعلت عن الشطحات . يقضى الصائم فترة الصيام ملكا في ثوب انسان خاضعا لأمر ربه مقيدا بدستوره يصوم و يفطر بأمر مولاه و سوف يكون هذا التدريب والترويض للنفس والتهذيب لها على الاستعلاء من كل شهوة والتحرر من كل

ـودية إلا لله ديدنا و خلقا يقطع به المسلم اشواط حياته و عادة لا يجد ـعوبة في ممارستها طوال عمره أو مشقة وعنتا في الاندفاع إليها والأخذ ـا، وكذلك تتكون الفضائل .

والصوم بحكم واقعه أيضاً امتنـاع ارادى قوامه الصبر بمعنى أن ـصائم اذ يمتنع عن المحظور عليه في يوم صومه يدفعه إلى ذلك ارادته لا ـروذة السلطان ولا خشية مخالفة القانون و ما يترتب على ذلك من المواخذة ـلوم اللائمين و عتب العاتبين ، مكل دلك لا يقع في حسابه وانما يمتنع ـوة ارادته و صلابته في تنفيذ أمر الله و عدم هوادته مع نفسه للتفريط أو الترخص في الواجب فالصبر والارادة القوية الحازمة من خير ما يفيده ـصائم من صيامه و أفضل ما يتخلق به في حياته و ما انقادت الآمال الا ـابر- وما رجحت كفة المناضلين في سبيل الحق واندحر الباطل الا ـلصبر والارادة القوية الحازمة .

وبعد فانا لو أطلقنا العنان للقلم ليسطر الجوانب التهذيبية التربوية ـصوم و ترويضه للنفس على الكمال والأخذ بأكرم الخصال لطال بنا البحث ـحسبنا ما أجمله الله و رسوله عن كل جوانب الصوم الخيرة مجتمعة إذ ـول ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ ويقول ﷺ «عليك بالصوم فانه لا عدل له ولا ـل له» .

وصلى الله على النبى محمد خير خلق الله وآله و صحبه و من اتبع ـبيله وأخذ بهديه .

* * *

٢

توجيه الإسلامي

موقف الاســـلام من الرق

بقلم : الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
امام و خطيب الحرم المكي الشريف

الـرق : س : ما معنى الدفاع عن تفوق الإنسـان الحـر على العبـد دون إدانة للعبودية أو القضاء عليها ؟

الحوض في الحديث عن الرق وإثـارة الأسـئـلـة حـولـه من قبـل دعـاة التنصير والصادين عن دين الإسلام مما يثير حفيظة المتعقل و مما يشير بأصابع الإتهام نحو الأعراض المستترة وراء هذه التساؤلات .

ذلك أن الـرق في اليهوديـة والنصـرانـيـة مقرر ثابت على صور ظالمة و كتبهم بتفاصيل الحديث عنه والاستحسان له طافحة ، و عليه فإن أول ما يستلفت النظر : كيف يسعى الكنسيون للدعوة إلى التنصير ، والنصرانية تقول بالرق و مشروعيته ؟

وبمعنى آخر : كيف يثيرون أمرا هم غارقون فيه إلى الأذقان ؟

أما أمر الرق في الإسـلام فمختلف تماما إذا ماقورن بين النظرتين وإذا ماقورون كذلك بما عليه حال الرق حين مجئ الإسلام .

ولا يسع البـاحث وهو ينظر في مثل هـذه التساؤلات وقد بسط فيها دعاة التنصير ألسنتهم لينالوا من الإسلام ما وسعهم النيل .

أقول لا يسعه إلا أن يبسط القول في هذا الموضوع مشيرا إلى ما عند اليهودية والنصرانية والحضارة المعاصرة ثم نذكر ما في الإسلام .

وإن الإســلام قـد تعـرض في هــذا لإفك كثير على حين نجـا مجرمون

عريقون في الإجرام لم تشر إليهم -مع-الأسف أصابع الإتاهم .

الإسلام والرق : يقرر الإسلام أن الله عز وجل خلق الانسان كامل المسئولية و كلفه بالتكاليف الشرعية و رتب عليها الثواب والعقاب على أساس من إرادتة واختياره .

ولا يملك أحد من البشر تقييد هذه الإرادة أو سلب ذلك الاختيار بغير حق و من اجترأ على ذلك فهو ظالم جائر .

هذا مبدأ ظاهر من مبادئ الإسلام في هذا الباب و حينما يثار التساؤل:

كيف أباح الإسلام الرق ؟ نقول بكل قـوة و بغير استحيـاء أن الرق مباح في الإسلام ولكن نظرة الإنصاف مع التجرد و قصد الحق توجب النظر في دقائق أحكام الرق في الإسلام من حيث مصدره و أسبابه ثم كيفية معامل الرق و مساواته في الحقوق والواجبات للحر و طرق كسب الحرية و كثرة أبوابها في الشريعة و بخاصة إذا ماقورنت بغيرها مع الأخذ بالاعتبار نوع الاسترقاق الجديد في هذا العالم المتدثر بدثار الحضارة والعصرية والتقدمية وسوف يلاحظ القارئ أنني سوف أستعين بكثير من نصوص القرآن الكريم و أقوال الرسول ﷺ و توجيهاته في هذا الموضوع نظرا لأهمية ذلك والتأكيد على أن الممارسات الخائطة لا يجوز أن تحسب على الإسلام .

وفي هـذا الصـدد نقول : إن الإسـلام يقف من الرقيق موقفا لم يقفه غيره من الملل والنحل ولو سارت الأمور على وجهها بمقتضى ذلك النهج لما كانت تلك الإشكالات وعلى رأسها استرقاق الأحرار عن طريق الخطف والغصب والاستيلاء بقوة أو بخدعة في القديم و في الحديث مما استفحل معه الرق بطريقة شائنه ووجه قبيح . وما انتشر الرق ذلك الإنتشار الرهيب في قارات الدنيا إلا عن طريق هذا الإختطاف بل كان المصدر الأعظم في أوربا وأمريكا في القرون الأخيرة .

والإسلام يقف بنصوصه من هــذا موقفا حــازما حــاسما جاء في حديث قدسي : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة و من كنت خصمه خصمته ، رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره» أخرجه البخارى .

والنبى ﷺ يقـول . « ثـلاثة لا يقبل الله منهم صلاة : من تقدم قوما وهم له كارهون . ورجل أتى الصلاة دبارا - بمعنى بعد خروج وقتها -ورجل اعتبد محررا» رواه أبو داود وابن ماجه كلاهما من رواية عبد الرحمن زياد الأفريقي .

ومن الطريف أنك لا تجد في نصوص القرآن والسنة نصا يأمر بالاسترقــاق بينما تحمل آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ بالمئات من النصوص الداعية إلى العتق والتحرير .

كانت مصــادر الـرق ومنـابعه كثيـرة عنـد ظهـور الإسـلام بينما طرق التحرر ووسائله تكاد تكون معدومة فقلب الإسلام في تشريعاته النظرة فأكثر من مصارف الحرية والتحرر وسد مسالك الإسترقاق ووضع من الوصايا ما يسد تلك المسالك .

ولقد كان الأسر في الحـروب من أظهر مظاهر الاسترقاق وكل حرب لابد فيها من أسر وكان العرف السائد يومئذ أن الأسرى لا حرمة لهم ولا حق وهم بين أمرين إما القتل وإما الرق .

ولكن الإسلام حث على طريق ثالث من حسن معاملة الأسير وفك أسره . في القرآن الكريم: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ [الدهر ٨-٩] .

والآيـة في رقتها وحثها لا تـحتاج إلى تعليق ونبي الإسلام عليه السلا في ميدان مكارم الأخلاق يقول : «عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكو

العاني » رواه البخاري .

وفي أول مواجهة بين المسلمين وأعدائهم في معركة بدر انتصر فيها المسلمون ووقع فيها أسرى من كبراء العرب، لقد سقطوا في الأسر كما يسقط الكبراء والأشراف في معارك الدول الكبرى من القياصرة والأكاسرة لو عوقبوا بعقاب شديد نوا له مستحقين فقد آذوا المسلمين أشد الإيذاء في أول قيام الدعوة الإسلامية غير أن القرآن الكريم يوجه النبى ﷺ و صحبه بقوله : ﴿ يا أيها النبى قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . وإن يريدو خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ﴾ [الأنفال ٧٠-٧١] .

لقد كان هؤلاء الأسر قبل هذه المعركة و من أول عهد البعثة يوقعون المظالم الفاجعة بجمهور المسلمين يريدون إفناءهم أو احتلالهم . فهل ياتر- من حسن السياسة أن يطلق سراح الأسرى فورا ؟؟؟

معلوم أن هذا يتعلق بمصالح الدولة العامة العليا ولهذه تجد أن المسلمين في بدر قبلوا الفداء وفي الفتح قيل لأهل مكة : اذهبوا فأنت الطلقاء . وفي غزوة بنى المصطلق تزوج الرسول أسيرة من الحي المغلوب ليرفع من مكانتها حيث كانت ابنة أحد زعمائه فما كان من المسلمين إلا أن أطلقوا سراح جميع هؤلاء الأسرى .

ومن هذا تدرك الصور المحدودة والمسالك الضيقة التى يلجأ إليها في الرق وهو لم يلغه بالكلية لأن هذا الأسير الكافر المناوئ للحق والعدل كان ظالما أو معينا على ظلم أو أداة في تنفيذه أو إقراره كانت حريته فرصة لفشو الطغيان واستعلاء على الآخرين .

ومع كل هذا فإن فرصة استعادة الحرية لهذا وأمثاله في الإسلام كثيرة

و واسعة .
كما أن قواعد معاملة الرقيق في الإسلام تجمع بين العدالة والرحمة .
فمن وسائل التحرير : فرض نصيب في الزكاة لتحرير العبيد
وكفارات القتل الخطأ والظهار والأيمان والفطر في رمضان إضافة إلى مناشدة
عامة في إثارة للعواطف من أجل العتق والتحرير ابتغاء وجه الله . وهذه
إشارات سريعة لبعض قواعد المعاملة المطلوبة عدلا و إحسانا لهؤلاء :

١ - ضمان الغذاء والكساء مثل أوليائهم : روى أبو داود عن
المعرور بن سويد قال : دخلنا على أبي ذر بالربذة (١) فإذا عليه برد وعلى
غلامه مثله فقال :
يا أبا ذر لو أخذت برد غلامك إلى بردك مكانت حلة ، و كسوته ثوبا
غيره ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «هم إخوانكم جعلهم الله تحت
أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليكسه مما يكتسي ولا
يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه » . البخارى .

٢ - حفظ كرامتهم : روى أبو هريرة قال : قال أبو القاسم نبي
التوبة : «من قذف مملوكه بريئا مما قال أقيم عليه الحد يوم القيامة ، إلا أن
يكون كما قال » البخارى .
وأعتق ابن عمر مملوكا له ، ثم أخذ من الأرض عودا أو شيئا فقال
مالي فيه من الأجر ما يساوي هذا سمعت رسول الله يقول : « من لطم مملو
له أو ضربه فكفارته عتقه » أبو داود ومسلم .

٣ - يتقدم العبد على الحر : فيما يفضله فيه من شئون الد
والدنيا ، وقد صحت إمامته في الصلاة، وكان لعائشة أم المؤمنين عبد يؤ

(١) قرية قرب المدينة .

في الصلاة ... بل لقد أمر المسلمون بالسمع والطاعة إذا ملك أمورهم عبد مادام أكفأ من غيره .

إن الحرية حق أصيل للإنسان ، ولا يسلب امرؤ هذا الحقَ إلا لعارض نزل به والإسلام - عندما قبل الرقِ في الحدود التي أوضحناها - فهو قيد على انسان استغل حريته أسوأ استغلال ..فإذا سقط أسيرا أثر حرب عدوان انهزم فيها ، فإن إمساكه بمعروف مدة أسره تصرف سليم .

وإذا حدث لأمر ما أنٍ استرق ثم ظهر أنه أقلع عن غيره ، ونسي ماضيه وأضحى إنسانا بعيد الشر قريب الخير. فهل يجاب إلى طلبه باطلاق سراحه؟ الإسلام يرى إجابته إلى طلبه، ومن الفقهاء من يوجب ذلك ومنهم من يستحبه!

وقد أوصى النبى ﷺ بالرقيق كثيرا ، فقد ثبت أنه لما وزع أسرى بدر على الصحابة قال لهم : «استوصوا بالأسرى خيرا » .

وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دَعَكَ أذن عَبدٍ له على ذنبٍ فعله، ثم قال له بعد ذلك : تقدم واقرص أذني ، فامتنع العبد فألح عليه ، فبدأ يقرص بخفة ، فقال له : اقرص جيدا ، فإنى لا أتحمل عذاب يوم القيامة ، فقال العبد : وكذلك يا سيدى : اليوم الذى تخشاه أنا أخشاه أيضا .

وكان عبد الرحمن بن عوف إذا مشى بين عبيدة لا يميزه أحد منهم - لأنه لا يتقدمهم ، ولا يلبس إلا من لباسهم .

ومر عمر يوما فرأى العبيد وقوفا لا يأكلون مع سادتهم ، فغضب وقال لمواليهم : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم دعا الخدم فأكلوا معهم .

ودخل رجل على سلمان رضى الله عنه فوجده يعجن ، فقال له : يا أبا عبد الله ما هذا ؟ فقال بعثنا الخادم فى شغل فكرهنا أن تجمع عليه عملين .

هذا مما أسداه الإسلام للرقيق من أيادٍ !

<u>موقف اليهود من الرقيق</u> : ينقسم البشر عند اليهود إلى قسمين : بنو

إسرائيل قسم وسائر البشر قسم آخر .

فأما بنو إسرائيل فيجوز استرقاق بعضهم حسب تعاليم معينة نص عليها العهد القديم .

وأما غيرهم ، فهم أجناس منحطة ، يمكن استعبادها عن طريق التسلط والقهر ، لأنهم سلالات كتبت عليها الذلة باسم السماء من قديم ، جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج (٢-١٢) نصه :

«إذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم ، وفي السابعة يخرج حرا مجانا ، إن دخل وحده ، فوحده يخرج ، إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه ، إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين و بنات فالمرأة و أولادها يكونون للسيد ، وهو يخرج وحده ، و لكن إذا قال العبد : أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حرا ، يقدمه سيده إلى الله ، و يقربه إلى الباب أو إلى القائمة ، و يثقب سيده أذنه بالمثقب يخدمه إلى الأبد ، وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد ، إن قبحت في عين سيدها الذي خطبها لنفسه يدعها تفك ، وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها ، وإن خطبها لابنه فبحسب حق البنات يفعل لها ، إن اتخذ لنفسه أخرى لا ينقص طعامها و كسوتها و معاشرتها ، وإن لم يفعل لها هذه الثلاث تخرج مجانا بلا ثمن » .

أما استرقاق غير العبراني فهو بطريق الأسر والتسلط لأنهم يعتقدون أن جنسهم أعلى من جنس غيرهم ، و يلتمسون لهذا الاسترقاق سندا من توراتهم فيقولون : إن حام بن نوح - وهو أبو كنعان - كان قد أغضب أباه. لأن نوح سكر يوما ثم تعرى وهو نائم في خبائه ، فأبصره حام كذلك ، فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه غضب ، ولعن نسله الذين هم كنعنان ، وقال - كما في التوراة في سفر التكوين إصحاح (٩/٢٥-٢٦) - ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته ، وقال : مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبدا لهم .

وفي الإصحاح نفسه /٢٧/ : "ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام ، ليكن كنعان عبدا لهم " .

وقد اتخذت الملكة " إليزابيث " الأولى من هذا النص سندا يبرر تجارتها في الرقيق التي كانت تسهم فيها بنصيب كبير كما سيتبين قريبا .

موقف النصرانية من الرقيق : جاء الدين المسيحي فأقرّ الرق الذي أقره اليهود من قبل . فليس في الإنجيل نص يحرمه أو يستنكره .

والغريب أن المؤرخ "وليم موير" يعيب نبينا محمدا ﷺ بأنه لم يبطل الرق حالا ، مع تغاضيه عن موقف الإنجيل من الرق ، حيث لم ينقل عن لمسيح ، ولا عن الحواريين ولا عن الكنائس شيئا في هذه الناحية .

بل كان بولس يوصي في رسائله بإخلاص العبيد في خدمة سادتهم، كما قال في رسالته إلى أهل أفسس .

وأضاف القديس الفيلسوف " توما الأكويني" . رأي الفلسفة إلى رأي الرؤساء الدينيين ، فلم يعترض على الرق بل زكاه ، لأنه على رأي أستاذه أرسطو حالة من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية .

وأقر القديسون أن الطبعة جعلت بعض الناس أرقاء .

وفي المعجم الكبير للقرن التاسع عشر " لاروس " : "لايعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم ، فإن نواب الدين الرسميين يقرون صحته و يسلمون بمشروعيته " .

وفيه : "الخلاصة أن الدين المسيحي ارتضى الإسترقاق تماما ، إلى يومنا هذا ، و يتعذر على الانسان أن يثبت أنه سعى في إبطاله " .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس للدكتور " جورج يوسف " إن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسي ولا من وجهها الاقتصادي ، ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم في آدابهم من جهة

العبودية ، حتى ولا المباحثة فيها ، ولم تقل شيئا ضد حقوق أصحاب العبيد ، و لا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال ، ولا بحثت عن مضار العبودية . ولا عن قساوتها و لم تأمر بإطلاق العبيد حالا . وبالإجماع لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشيء ، بل بعكس ذلك فقد أثبتت حقوق كل من الفريقين و واجباته " .

وندعو جميع الآباء البيض النصارى والقارئ الكريم ليقارنوا بين تعاليم الإسلام و بين هذه التعاليم .

أوربا المعاصرة والرقيق : من حق القارئ أن يسأل وهو في عصور النهضة والتقدم عن رائدة التقدم في هذه العصور .

وعدا من كانوا يموتون بسبب طرق الإصطياد هذه وفي الطريق إلى الشواطئ التي ترسو عليها مراكب الشركة الإنجليزية و غيرها فإن ثلث الباقين يموتون بسبب تغير الطقس و يموت ٤،٥٪ أثناء الشحن و ١٢٪ أثناء الرحلة فضلا عمن يموتون في المستعمرات .

ومكثت تجارة الرقيق في أيدي شركات إنجليزية التي حصلت على حق احتكار ذلك بترخيص من الحكومة البريطانية ثم أطلقت أيدي جميع الرعايا البريطانيين في الاسترقاق و يقدر بعض الخبراء مجموع ما استولى عليه البريطانيون من الرقيق واستعبدوه في المستعمرات من عام ١٦٨٠/١٧٨٦م حوالي ٢١٢٠٠٠٠ شخص .

ومن قوانينهم السوداء في ذلك : من اعتدى على سيده قتل و من هرب قطعت يده و رجلاه و كوي بالحديد المحمى إذا أبق للمرة الثانية قتل . ولا أدرى كما يقال - ماذا صنعت بالرقيق ؟؟

عندما اتصلت أوربا بإفريقيا السوداء كان هذا الاتصال مأساة إنسانية تعرض فيها زنوج هذه القارة لبلاء عظيم طوال قرون خمسة : لقد نظمت دول أوربا و تفتقت عقليتها عن طرق خبيثة في اختطاف هؤلاء

واستجلابهم إلى بلادهم ليكونوا وقود نهضتها و ليكلفوهم من الأعمال مالا يطيقون و حينما اكتشفت أمريكا زاد البلاء لينوؤا بعبء الخدمة في قارتين بدلا من قارة واحدة .

تقول دائرة المعــارف البريطـانيـة جـ٢/ص٧٧٩ مادة Slavery : " إن اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة بالأدغال كان يتم بإيقاد النار في الهشيم الذى صنعت منه الحظائر المحيطة بالقرية حتى إذا نفر أهل القرية إلى الخلاء تصيدهم الإنجليز بما أعدوا لهم من وسائل " .

كيف سيهرب بعد ما نكل به و قطعت رجلاه ؟؟

ولكـن الــذى يبــدو أن الجحيم الــذى يعيشه أشد عليه من قطع يديه و رجليه مما يدعوه إلى محاولة الهرب مرة أخرى .

ومن قوانينهم يحرم التعليم على الرجل الأسود و يحرم على الملونين وظائف البيض .

و في قوانين أمـريكا : إذا تجمع سبعة من العبيــد عُــدّ ذلك جـريمة و يجوز للأبيض إذا مربهم أن يبصق عليهم و يجلدهم عشرين جلدة .

و نص قانون آخر : أن العبيد لانفس لهم ولا روح و ليست لهم فطانــة و لا ذكاء ولا إرادة وأن الحياة لا توجد إلا في أذرعهم فقط .

والخـلاصـة في ذلك أن الرقيق من جهة الواجبـات والخدمة والاستخدام عاقل مسئول يعاقب عند التقصير ومن جهة الحقوق شئ لا روح له و لا كيان بل أذرعة فقط .

وهكذا لم تستفق ضمائرهم إلا في هذا القرن الأخير وأي منصف يقارن بين هذا و بين تعاليم دين محمد ﷺ الذى مضى له أكثر من ١٤ قرنا يرى أن إقحـام الإســلام في هــذا الموضـوع أحق بالمثل السـائر : "رمتني بدائها وانسلت ..." .

* * *

الدعوة وحاجة الناس إليها

مقدم : الدكتور عبيد بن عبد العزيز بن عبيد السلمي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الدعوة في اللغة : (ادعو): الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشئ إليك ، بصوت و كلام يكون منك . تقول : دعوت ، أدعو دعاة. والدعوة إلى الطعام -بالفتح - ، والدعوة في النسب - بالكسر-.... - و داعية اللين : ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده ، وهذا تمثيل و تشبيه . وفي الحديث : "دع داعية اللين ..."(١) .

و تداعت الحيطان ، وذلك إذا سقط واحد و آخر بعده ، فكان الأول دعا الثاني ... ، و دواعي الدهر : صروفه ، كأنها تميل الحوادث (٢) .

و دعوت فلانا وبفلان : ناديته و صحت به ، و ما بالدار داع و لا مجيب. و النادبة تدعو الميت : تندبه . تقول : وازيداه . و دعاه إلى الوليمة و دعاه إلى القتال ، و دعا الله له . وعليه ، ودعا الله بالعافية والمغفرة والنبي داعي الله ، و هم دعاة الحق ، و دعاة الباطل والضلالة (٣) .

و دعوت فلانا ، أي : صحت به واستدعيته ، و دعوت الله له ، وعليه دعاء ، والدعوة : المرة الواحدة (٤) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٧٦،٢١١،٢٢٢،٢٢٩) بألفاظ متقاربة . ونظر الفائق (١/٤٢٦) .

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي فارس (٢/٢٧٩) .

(٣) أسس البلاغة للزمخشري (ص١٢١) .

(٤) الصحاح للجوهري (٦/٢٣٢٧) مادة "دعا" .

و قوله تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ إلا كباسط كفيه إلى المآء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه ، و ما دعآء الكافرين إلا في ضلال﴾ [الرعد ١٤]

قال الزجاج (١) : جاء في التفسير أنها شهادة أن لا إله إلا الله ، و جائز أن تكون - والله أعلم - دعوة الحق من دعا الله موحدا ، استجيب له دعاؤه ... .

وقوله تعالى : ﴿ و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا﴾ [الأحزاب ٤٦] .

معناه : داعيا إلى توحيد الله و ما يقرب منه .

والنبي - ﷺ - داعي الله -عز وجل -، وكذلك المؤذن (٢) .

وفي الحديث : «الخلافة في قريش ، والحكم في الأنصار ، والدعوة في الحبشة» (٣) .

---

(١) هو : أبوإسحاق ابراهيم بن محمد بن السري ، لزم المبرد ، وأدب القاسم بن عبيد الله الوزير ، و كان سبب غناه ، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي جماعة ، وأبوالقاسم عبد الرحمن الزجاجي من كتبه : "معاني القرآن" ، و"الانسان و أعضائه" ، و "الفرس - العروض - الاشتقاق - النوادر" و غيرها . (ت: ٣١١هـ) . وقيل : (٣١٠، ٣١٦هـ) . سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٠- رقم ٢٠٩) . وفيات الأعيان (١/٤٩) . النجوم الزاهرة (٢/٢٠٨) .

(٢) المحكم و المحيط الأعظم في اللغة . لعلي بن اسماعيل بن سيدة . (ت:٤٥٨هـ) . تحقيق : عبد الستار أحمد خرج (٢/٢٢٤) كلمة : "د ع و " .

(٣) أوله في مسند الطيالسي (٤/١٢٥- رقم ٩٥٦) ، (٩/٢٨٤) ، وهو بتمامه و زيادة والهجرة في المسلمين والمهاجرين بعده في مسند أحمد (٤/١٨٥) . عن عتبة بن عبد السلمي ، و مجمع الزوائد (٤/١٩٢) . وقال الهيثمي: ورجاله ثقات (١/١٩٤) . وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٤٦٦-رقم ١٨٥١) .

أراد بالدعوة "الأذان" جعله فيهم تفضيلا لمؤذنه " بلال" .

و دعا المؤذن الناس إلى الصلاة ، فهو داعي الله ، والجمع : "دعاة" و"داعون" ، مثل قاصي وقضاة وقاصون . والنبي دعى الخلق إلى التوحيد(١) .

و مي كتاب هرقل : "أدعوك بدعاية الإسلام "(٢) أي : بدعوته .

و في رواية : "بداعية الإسلام"(٣) . وهي بمعنى : الدعوة أيضا مصدر . كالعافية والعافية(٤) .

والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدي أو ضلالة ، و أحدهم داع ، و رجل داعية . إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، إذا دخلت الهاء فيه للمبالغة..

قال الله-عز وجل- مخبرا عن الحن الذين استمعلوا القرآن : ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله و آمنوا به . يغفرلكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم﴾ [الأحقاف ٣١] .

ويقال لكل من مات : دعي مأجاب . ويقال : دعاني إلى الاحسان إليك احسانك إليّ ...(٥) .

وقول الله-عز وجل-:﴿والله يدعوا إلى دار السلام و يهدي من يشاء إلى

---

(١) المصباح المنير . لأحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي (ت:٧٧٠هـ) تحقيق عبد العظيم الشناوى طبعة دار المعارف .

(٢) مسند أحمد (١/٢٦٢) جزء من حديث . وصحيح البخارى (١/٦) بدء الوحي . التفسير (٥/١٦٩) سورة آل عمران ، باب قل يا أهل الكتاب . صحيح مسلم (٣/١٣٩٦) . الجهاد باب كتاب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار .

(٣) جزء من حديث في صحيح البخارى (٤/٤) الجهاد ، باب دعاء النبي إلى الإسلام . وهو نفس الحديث الذى قبله .

(٤) المجموع المغيث مي غريبي القرآن والحديث (١/٦٦١) .

(٥) لسان العرب لابن منظور (١٤/٢٥٩) .

صراط مستقيم ﴾ [يونس ٢٥] .

دار السلام هي : الجنة ، والسلام هو : الله . و يجوز أن تكون الجنة : دار السلام ، أي : دار السلامة والبقاء ، ودعا الله خلقه إليها كما يدعو الرجل الناس إلى مدعاة . أي : إلى مأدبة يتخذها وطعام يدعو الناس إليه(١) .

و مما تقدم تبين أن كل المعاني التي مرت متقاربة ، وإنما تختلف معنى الكلمة تبعا للسياق ، وضعها في الكلام ، وعلى هذا لا خلاف بين أهل اللغة سوى أن بعضهم اقتصر على بعض المعاني .

فالمعنى الأصلي لهذه الكلمة : الدعاء ، والانتساب ، والصياح ، والتجمع ، والنداء ، والزعم ، والسؤال ، والاستغاثة ، والحث ، والطلب (٢) .

فهي تستعمل للخير والشر ، ولكن المقصود هنا الدعوة إلى الله عزوجل .

التعريف الاصطلاحي للدعوة : مما تقدم تبين أن للدعوة عدة معاني ، بحسب اضافتها ، فالمقصود هنا : اضافتها إلى الاسلام ، وقد عرفها العلماء بعدة تعريفات ، منها :

الدعوة إلى الله : هي الدعوة إلى الايمان به ، و بما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الايمان بالله ، و ملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والايمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه(٣) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٤/٢٦٠) .

(٢) انظر : مرشد الدعاة لمحمد نمر الخطيب (ص٢٢) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية . جمع و ترتيب : محمد بن قاسم النجدي . طبعة المساحة العسكرية - القاهرة (١٤٠٤هـ) (١٥/١٥٧) .

و عرفت بأنها : جمع الناس على الخير ، ودلالتهم على الرشد ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر(١) .

و من تعريفات الدعوة : أنها حث الناس على الخير والهدي ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل(٢) .

وقيل : هي : النصيحة التيأجمل فيها الرسول ﷺ الدين(٣) .

وقيل : هي : دين الله الذى بعث به الأنبياء جميعا، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين ، كاملا وافيا لصلاح الدنيا والآخرة(٤) .

وقد ذكرت عدة تعريفات ، ومن خلال نظرى إلى هذه التعريفات تبين لي أن هناك فرق بين :

الدعوة الإسلامية . والدعوة إلى الإسلام ومحتوياته من العقيدة ، والشريعة ، والعبادات ، والمعاملات ، والنظم .

فيقصد بالأولى : الدين الإسلامي .

أما الثانية : فقد اخترت لها التعريف الآتي :

الدعوة إلى الإسلام هي : قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعا إلى الدين الإسلامي في كل زمان و مكان ، بوسائل واساليب مشروعة ، تتناسب مع حال المدعوين على مختلف اصنافهم و عصورهم ، حسب الاستطاعة .

---

(١) اسس الدعوة . محمد السيد الوكيل . مطابع أخبار اليوم . نشر دار الطباعة والنشر الإسلامية . القاهرة (ص٩) .

(٢) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ (ص١٧) . الطبعة التاسعة (١٣٩٩هـ) دار الاعتصام - دار النصر - القاهرة .

(٣) محاضرات الجامعة الإسلامية (ص٢٥٢) . من محاضرة ألقاها : معوض عوض ابراهيم (عام ١٣٩٧هـ) .

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية . لمحمد الراوى (ص٢٩) . طبعة دا العربية . لبنان . "الثانية" .

وقد اخترت هذا التعريف لأنــه جــامع مــانع ، حيث ذكرت فيه الداعي والمدعو إليه ، والمدعو ، والدعوة ذاتها .

فالدعوة إلى الإسلام هي : تبليغ دعوة الإسلام، فالذى يدعو إلى الإسلام، يتعرض تلقائيا لبيان الإسلام و شرحه، وإذا فبينهما تشابك وارتباط وثيق .

وفي السورة بيان للأركان الأربعة، وهي : المدعو إليه وحقه على عباده، من الايمان والتوحيد .

والـــداعي ، و هم الأنبيـاء عليهم السلام ، وقد ذكر بعضهم .

والمـــدعو ، و هم أصنـاف النـاس من مؤمنين و منافقين و كفار و أهل الكتاب .

و نستنتج من ذلك بعض أسـاليب الـدعوة ، وهـذا ما سيأتي تفصيله (انشاء الله) .

حاجة الناس إلى الدعوة : ان الناظر في بدائع الكائنات وافتقارها للخالق العظيم ، واحكامه وانظامه سبحـانه لها ، يعلم أن مقتضى ألوهيته و حكمتــه ، أن لا يترك عباده حيارى ، وهو خلقهم للابتلاء والامتحان . كما قال سبحانه : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور﴾ [الملك ٢] .

لذلك شرع لهم ما يكفل سعادتهم في دنيـاهم وآخرتهم ، ويعلموا ما يراد منهم ، لأن من عدله سبحانه ، أي يكافئ المحسن و يعاقب المسئ ، و لا يعذب أحدا حتى يبين له سبيل الرشاد (١) .

---

(١) انظر : دعوة الحق (٢٨) وحي الله ـ د ـ حسن ضياء الدين عنتر (ص٤٧). طبعة رابطة العالم الإسلامي ، مكة .

كما قال سبحانه : ﴿ من اهتدي فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها و لا تزر وازرة وزر أخرى و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [الاسراء ١٥] .

و كان الشرع الذى ارتضاه لهم هو الدين الذى بعث به رسله فبلغوه من أولهم : نوح (١)-عليه السلام- ... إلى آخرهم : محمد - ﷺ -.

و إذا استعرضنا تاريخهم ، وجدناهم يبعثون في قوم يتخبطون في ظلمات الجهل والخرافة .

فنوح -عليه السلام - أرسل حينما نسي الناس دينهم ، ولبس عليهم الشيطان عبادة ربهم ، كما يتضح ذلك من قوله سبحانه : ﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ، أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ﴾ [نوح ١] .

وقوله سبحانه : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم و لا تذرن ودا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا ﴾ [نوح ٢٣] .

وقد أخرج البخارى عن ابن عباس -رضى الله عنهما - : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب ، بعد ، أما "ود" كانت لكلب بدومة الجندل، وأما "سواع" كانت لهذيل ، وأما "يغوث" فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ ، وأما "يعوق" فكانت لهمدان ، وأما "نسر" فكانت لحمير لآل ذى الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا ، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك و تنسخ العلم عبدت (٢) .

---

(١) أول الرسل : نوح عليه السلام كما في حديث الشفاعة .

(٢) صحيح البخارى (٦/٧٢) . طبعة المكتبة الإسلامية . تركيا . وانظر : قصص الأنبياء لابن كثير (١/١١٤) .

والمقصود . أن الفساد لما انتشر في الأرض ، وعمّ البلاد ، بعبادة الأصنام فيها ، بعث الله عبده ورسوله نوحا-عليه السلام - يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهي عن عبادة ما سواه (١) .

وكذلك إذا نظرنا إلى نبي الله- ابراهيم الخليل -عليه السلام-فإنه ما بعث إلا بعد أن ضل قومه . كما قال تعالى : ﴿ و ابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله و اتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا، له إليه ترجعون ﴾ [العنكبوت ١٦-١٧] .

وكذلك موسى -عليه السلام- فإنه أرسل إلى فرعون حينما طغى ، و تجبر ، و تكبر ، وادعى الربوبية من دون الله . كما قال سبحانه : ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [النازعات ١٧] . وقوله سبحانه : ﴿ فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات ٢١-٢٤] .

وكذلك بقية الرسل-عليهم السلام- إلى خاتمهم : نبينا محمد ﷺ ، فإنه ما بعث الا والناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ [الروم ٤١] .

أخرج ابن جرير الطبرى عن قتادة (٢) . قال : هذا قبل أن يبعث الله

---

(١) قصص الأنبياء للامام أبي الفداء اسماعيل ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) تحقيق عبدالقادر أحمد عطا . الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) نشر المكتبة الإسلامية . لبنان دار احياء التراث العربي (١١٦/١) . وانظر : البداية والنهاية(١٠١/١) .

(٢) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى البصرى ، روى عن أنس بن مالك و سعيد بن المسيب ، والحسن البصرى ، وغيرهم ، صدوق ، حافظ، عادل، مفسر، محدث، ضرير، أكمه، ولد (سنة ٦٠هـ-وتوفي سنة ١١٢هـ) سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥) .

نبيه محمدا ﷺ امتلأت ضلالة و ظلما . فلما بعث الله نبيه . رجع راجعون من النـــاس (١) .

فالرسول ﷺ . بعث في هؤلاء القوم ، مجددا للدين الذى جاء به من قبله من الرسل ، و داعيا إلى صراط الله المستقيم ، مؤيدا بالقرآن العظيم ، الذى كله دعوة إلى التوحيد ، فهو :

اما خبر عن الله -عز وجل- ، وما يجب أن يوصف به ، وما يجب أن ينزه عنه ، واما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعد من دونه ، واما أمر ونهي والزام بطاعته ، فهذا من حقوق التوحيد و مكملاته ، واما خبر عن اكرامه لأهل التوحيد ، واما خبر عن أهل الشرك و اهانتهم (٢) .

لذلك الذين أطاعوا الرسول ، وعملوا بما أنزل معه من سلف هذه الأمة ، جمع الله شملهم بعد الشتات ، ووحد كلمتهم بعد الفرقة ، فسادوا في الأرض ، ونشروا العدل ، وأقام الله بهم هذا الدين .

من هذا الاستعراض السريع ، نستنتج أن العقول البشرية مهما وصلت من التقدم والاختراع والابداع ، فان لها قدرتها المحدودة التى لا تستطيع تجاوزها ، و خاصة في معرفة أسماء الله و صفاته ، وكيف يعبد ، و معرفة حدوده من حلال و حرام .

وقد زعم بعض الفلاسفة أنه يمكنهم الاستغنـــاء عن دعـــوة الـــرسل بالعقول التى وهبها الله لهم ، فسنوا لأجل ذلك القوانين ، وحللوا و حرمو و خططوا و اعتمادهم في ذلك على تحسين العقل و تقبيحه .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت : ٣١٠هـ) . الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م) . شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر (٢١/٤٩) .

(٢) معارج القبول (١/٥٤) .

وقد ادعى ذلك اناس قبلهم كالبراهمة : وهم : طائفة من المجوس زعموا أن ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم ، لاغناء العقل عن الرسل ، لأن ما جاءت به الرسل ، ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله، وان لم يأت به ، وان كان مخالفا قبيحا ، فان احتاج إليه فعله والا تركه (١) .

ولكن هذا القول باطل و مردود ، لأنه معروف أن الله سبحانه و تعالى خلق العقول و جعلها تميز بين الحسن والقبيح ، والنافع والضار ، وهذا من حيث الجملة ، والا فهناك أمور تفصيلية لم يعرفها العقل ، وإنما جاءت عن طريق الشرع . "فما كان حسنا في وقت قبيحا في وقت ، ولم يهتد العقل لوقت حسنه من وقت قبحه ، أتت الشرائع بالأمر به في وقت حسّنه ، وبالنهي عنه في وقت قبّحه ..." .

فالحاجة إلى الرسل ضرورية ، بل هي فوق كل حاجة ، فليس العالم إلى شئ أحوج منهم ، إلى المرسلين -صلوات الله عليهم أجمعين- .

ولهذا يذكر سبحانه عباده نعمه عليهم برسوله ، ويعد ذلك عليهم من أعظم المنن منه ، لشدة حاجتهم إليه ، و لتوقف مصالحهم الجزئية والكلية والدينية والدنيوية عليه، وأنه لا سعادة لهم ،و لا فلاح ، ولا قيام الا بالرسل.

فإذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال و قبحها، فمن أين له معرفة الله تعالى بأسمائه و صفاته ،والأدلة التى تعرف بها الله إلى عباده على ألسنة رسله ؟ . ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه و دينه الذى شرعه لعبده ؟ . ومن أين له تفاصيل مواقع محبته ورضاه ، و سخطه و كراهته ؟. و من أين له معرفة تفاصيل ثوابه و عقابه ، وما أعد لأوليائه ، وما أعد لأعدائه ومقادير

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسناريني (٢/٢٥٦) . طبعة قطر .

الثواب والعقاب وكيفيتهما و درجتهما ؟ ...إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل، و بلغته عن الله . و ليس في العقل طريق إلى معرفته . فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال و قبحها بالعقل ، مغنيا عما جاءت به الرسل ! ؟

فظهر أن ما ذكروه مجرد تهويل مشحون بالأباطيل والحمد لله (١) .

يقول ابن تيمية-مبيناً حاجة الناس إلى الرسل -: الرسالة ضرورية للعباد . لابد لهم منها . وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شئ والرسالة روح العالم، ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة .

وكذلك العبد، ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة . و ينااله من حياتها وروحها . فهو في ظلمة . وهو من الأموات . قال الله تعالى : ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشى به . في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام ١٢٢] .

فهذا وصف المؤمن . كان ميتا في ظلمة الجهل . فأحياه الله بروح الرسالة . ونور الايمان . وجعل له نورا يمشى به في الناس . وأما الكافر فميت القلب في الظلمات (٢) .

فما دام أن هذه حاجة الناس إلى الرسل . فحاجتهم إلى من يبين دين الرسل ليست بأقل من حاجتهم إلى الرسل .

لذلك جعل الله سبحانه آخر الرسالات صالحة لكل زمان و مكان و تكفل بحفظها . لاستيفائها بحاجات البشر إلى يوم القيامة . فقام بحملها علماء

---

(١) مفتاح دار السعادة و منشور دار العلم والولاية . الطبعة لدار الفكر (١١٧/٢) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٢/١٩) .

أجلاء ، هم ورثة الأنبياء (١) .

وقد روى عنه ﷺ أنه قال : «ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (٢) .

والناس محتاجون إلى الدين ، وإلى تعلم شرع الله القويم، وإذا أعرضوا عن ذلك ، فانه هلاكهم و زوالهم ، كما قال ﷺ : «ان من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، و تكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» (٣) .

وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله . الله» (٤) .

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذى في كتاب العلم باب ١٩ (٥/٤٩) .والدارمي في سننه (١/٨٣) . وابن ماجه (١/٨١) . وذكره البخارى تعليقا في باب العلم قبل القول والعمل . كتاب العلم (١/٢٥). وسنن أبي داود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم (٤/٥٨) .

(٢) أخرجه أبوداود في سننه (٤/٤٨٠) عن أبي هريرة . كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة (١) (رقم الحديث ٤٢٩١). والحاكم في المستدرك (٤/٥٢٢). والخطيب في تاريخ بغداد (٢/٦١) . قال العراقى : صحيح. انظر : تخريج أحاديث احياء علوم الدين (١/٢٨) . ورمز له البيهقي بالصحة . انظر : فيض القدير (٢/٢٨٢) . انظر مشكاة المصابيح (٢/٨٢) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/١٥٠-رقم ٥٩٩) . وصحيح الجامع (١/١٤٢-رقم.١٨٧) . وقال الألباني : والسند صحيح و رجاله ثقات رجال مسلم .

(٣) صحيح البخارى (١/٢٨) كتاب العلم باب رفع العلم . واللفظ له. وفي مواضع أخرى بألفاظ متقاربة. صحيح مسلم (٤/٢٠٥٦) كتاب العلم باب رفع العلم. وأخرجه أحمد . والترمذى ، وابن ماجه .

(٤) صحيح مسلم (١/١٢١) كتاب الايمان ، باب ذهاب الايمان آخر الزمان . ومسند أحمد (٣/١٠٧،٢٠١،٢٥٩) . وسنن الترمذى (٤/٤٩٢) كتاب الفتن باب ٣٥ كلها عن أنس .

وهذا منذر خطر عظيم ، فانك ترى غالب الناس في هذا الزمان قد أعرضوا عن دين الله و شريعته ، وحكموا القوانين الوضعية بين عباده .

فالناظر إلى حال الناس في هذا القرن ، يجد أن الناس قد استحوذ عليهم الشيطان ، وسيرتهم الأهواء ، وانتشر بينهم الجهل ، فهم منقسمون إلى الأقسام الآتية :

١ - الملحد الذى لا يعرف ربا ولا دينا والموثني الذى يعبد الشجر والحجر.

٢ - الكتابي الذى يدعي أنه على دين موسى ، وعيسى ، وهما منه براء .

٣ - المسلم بالبطاقة والهوية لا بالاعتقاد والعمل .

٤ - المسلم الذى جهل معظم أمور دينه . فاستخف بحرمات الله ، وشاعت فيه المنكرات ، وغرى في عقر داره بجحافل المضللين والمشككين .

فهذه الأقسام ، تجب دعوتها وردها إلى دين الله، والتحاكم إلى شريعته .

ولكن من يقوم بهذا الواجب ؟ يقوم به .

٥ - المسلم الذى عرف ما أنيط به-وهو قليل-، فهو الذى يتحمل المسؤولية لدعوة تلك الأصناف المتقدمة ، التى نفخ الشيطان في عقولهم ، فأصبحوا دعاة للتمرد على الله و شريعته ، و تعاليم رسله بحجة أن في الدين حجرا على العقل ، وعائقا عن ركب الحضارة والرقي ، فصارت الدول ترفض تعاليم الإسلام ، وبعضها تضع الالحاد مبدءا دستوريا ، باسم شعارات هدّامة ، كالعلمانية ، والماركسية والشيوعية ، وغيرها .

حتى أن معظم الدول التى فيها مسلمون ، تنهج هذا النهج و ترضى عوام

المسلمين باعلانها أن دين الدولة الإسلام ، ثم تهدمه .

فما أحوج هذا العالم الذى هذا وضعه ، إلى دعوة تنير له السبيل و تهديه إلى طريق النجاة والفلاح .

فعلى دعاة الإسلام أن يهتموا بهذا الوضع ، ويقوموا بهذا الواجب فيدعون الوثني إلى الدخول في الإسلام ، و يبينون لهم حقائق الجمادات وأنها لا تنفع ولا تضر ....الخ .

ويدعون أهل الكتاب للاهتداء بالقرآن الذى فيه بيان حقيقة كتبهم كما أن كتبهم أمرتهم باتباع الرسول والايمان به .

و يدعون الشيوعيين الملحدين إلى التخلي عما هم عليه من الالحاد .

و يدعون المسلمين المنحرفين إلى الرجوع إلى دينهم، والانابة والتوبة مما سلف .

كما يدعون اخوانهم المسلمين بالتواصي بالحق والصبر عليه ، حتى يأتي نصر الله .

فعلي دعاة الإسلام أن لا ييأسوا من دعوة الجميع ، ولا يسأموا ، فانهم مأجورون منتصرون في الدنيا والآخرة .

* * *

ثابت أهل الايمان في الفتن

بقلم : الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خير ولد آدم أجمعين ، محمد بن عبد الله وآله وصحبه والتابعين ، أما بعد :

فان الفتن الملمة، والأحادث المدلهمة إذا حلت بالناس ونزلت بهم أظهرت حقائقهم ، وكشفت عن معادنهم ، وميزت طيبهم من خبيثهم ، و حسنهم من سيئهم ، ولله الحكمة البالغة في ذلك : ليميز الخبيث من الطيب ، وهذه من حكمة الله في ابتلائه لخلقه ، قال الله تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين و نبلوا أخباركم ﴾ .

والحياة كلها ميدان ابتـلاء ودار امتحان ، والناس فيها ليسوا سواء ، فمنهم من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، وذلك الخسران المبين ، ومنهم من يعبد الله على علم و بصيرة و ايمان راسخ و عقيدة صحيحة فان أصابته فتنة صبر فكان خيرا له ، وإن أصابته نعمة شكر فكان خيرا له ، وهذا لايكون لأحد إلا للمؤمن ، فأمره كله خير ، وأحواله كلها حسنة طيبة وعواقبه كلها حميدة ﴿والعاقبة للمتقين ﴾ .

إن للإيمان الصحيح والعقيدة السليمة أثرا قويا ودورا بـارزا في التغلب على الأحادث والملمات ، والمصائب والمحن ، والنوازل والفتن ، ذلك أن صاحب الايمان الصحيح والعقيدة السليمة تعلم من دينه أمورا مهمة و دروس

عظيمة تعينه على الأثبات في الأحوال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، و من أهم هذه الأمور ما يلي :

أولا : أنه يعلم علم يقين لا يخالطه شك و لا يداخله ريب،أن خالق هذا الكون و موجده ومدبر شئونه ﷻ الله وحده لا شريك له، وأنه وحده المتصرف فيه ، وأنه لا يكون فيه إلا ما شاء تبارك و تعالى ، فأزمة الأمور كلها بيده ، ومقاليد السماوات والأرض كلها له ، فما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ، فلله ملك السماوات والأرض و ما فيهن وهو على كل شئ قدير .

ثانيا : أن الله جل وعلا تكفل بنصر أهل الايمان و حفظ أهل الدين ، ووعد بذلك ووعده الحق ، وأخبر بذلك في كتابه ، وكلامه صدق وحق ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ﴾ و قال سبحانه : ﴿ و ما النصر إلا من عند الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ وقال تعالى : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده و لكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

ثالثا : أن الله وعد في كتابه بخذلان الكافرين ، وإبادتهم ، وقصم ظهورهم ، وقطع دابرهم ، و جعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعظين ، كما قال تعالى : ﴿عليهم دائرة السوء ﴾ و شواهد ذلك في التاريخ كثيرة لا تحصى و عديدة لا تستقصى ، فهو سبحانه يملي للظالم ولا يهمل و إذا أخذه أخذه بغتة ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ .

رابعا : أن المؤمن يعلم أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها و تستم رزقها فلن يموت أحد قبل منية و لا بعدها ﴿ فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون ﴾ فالآجال محددة ، والأعمار موقتة ، ولكل أجل كتاب ، و لكل نفس ميعاد ، و لا يحول بين المرء و بين أمره الله شئ ، كما قال تعالى :

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ فلا القصور المنيعة تحمي ، ولا السراديب الخفية تقي ، ولا البروج المشيدة تمنع .

خامسا : أن المؤمن لشدة ثباته وقوة يقينه لا تزعزه الأراجيفى ، ولا تخوفه الدعايات بل إنه إذا خوف بالدين من دون الله زاد إيمانا و ثقة بالله و توكلا واعتمادا عليه ، كمثل الصحابة رضى الله عنهم ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ماخشوهم فزادهم ايمانا و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو الفضل العظيم ﴾ جاء في صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « حسبنا الله و نعم الوكيل قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم مزادهم إيمانا و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل » و معنى حسبنا الله أي : كافينا .

سادسا : أن صاحب الإيمان الصحيح لا يعتمد في أموره كلها إلا على الله وحده ، ولا يفوض أموره إلا له، ولا يتوكل إلا عليه ، و لايستعين إلا به . قال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ و قال تعالى : ﴿ وتوكل على الحي الذى لا يموت ﴾ ولهذا كان من دعائه ﷺ كما في الحديث المتفق عليه أنه كان يقول : « اللهم لك أسلمت و بك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك انبت ، وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحي الذي لا يموت والانس والجن يموتون » . وضرب في سيرة العطرة أروع الأمثلة و أبلغها في الثقة بالله وشدة الاعتماد إليه ، ومن ذلك -على سبيل المثال - ما في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه « أنه غزا مع النبى ﷺ فأدركتهم

القائلة في واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ و تفرق الناس يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله تحت سمرة فعلق بها سيفه ، و نمنا نومة ، فإذ رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال : إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتا، قال : من يمنعك مني؟ قلت : الله ثلاثا ، ولم يعاقبه و جلس» .

فتأمل هذا الثبات العظيم والثقة الكاملة بالله تعالى، فالله خير حافظا، وهو أرحم الراحمين .

سابعا : أن المؤمن يعلم ان التوكل الحقيقى لا يتم إلا بأمرين اثنين لابــد منهما :

أحدهما : اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه ، كما قال ابن القيم رحمه الله : بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشوش الأسباب ولاسكون إليها ، بل يخلع السكون إليها من قلبه ، و يلبسه السكون إلى مسببها وهو الله .

وعلامة هــذا : أنه لا يبالي باقبالها وإدبارها و لايضطرب قلبه و يخفق عند ادبار ما يحب منها و إقبال ما يكره ، لأن اعتماده على الله و سكونه إليه واستناده إليه .

والثاني: اثبات الاسباب والقيام بها، وقد كان سيد المتوكلين وإمامهم و حامل لوائهم محمد صلى الله عليه و سلم يقوم بفعل الأسباب و ما أخل بشئ منها ، فقد ظاهر بين درعين يوم أحد ، واستأجر دليلا مشركا على دين قومه يدله على الهجرة ، وكان يدخر القوت لأهله ، وكان إذا سافر في جهاد أوحج أو عمرة حمل الزاد معه ، و جميع أصحابه كانوا كذلك فهم أولو

التوكل حقا .

فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ومن اعتمد على الأسباب لم يكن من أهل التوكل ، والأمر كما قال بعض أهل العلم : « الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، و محو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع . وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع " .

ثامنا : ثم إن المؤمن في الأمور الملمات والأحوال المدلهمات يجد من قلبه اقبالا شديدا على الله و انكسارا بين يديه و خضوعا له ، فتراه مقبلا على الله بالدعاء والسؤال والرجاء أن يجنب المسلمين الفتن و يخلصهم من المحن . والله تبارك و تعالى قريب من عباده يسمع نداءهم و يجيب دعاءهم ، ويغيث ملهوفهم ، ويجبر كسيرهم ، و يكشف مصيبتهم ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء ﴾ لا أحد غيره تعالى ، فمن سأله بصدق و إخلاص وعزيمة و رجاء أجاب دعاءه و حقق رجاءه فهو القريب المجيب سبحانه .

و لربما انكشف ما يحل بالمسلمين من بلأ وما ينزل به من محن بدعوة صالحة من رجل صالح في لحظة انكسار و ساعة اجابة ، فالدعاء أمره عظيم وشأنه جلل .

والله المسؤول وحده أن يجنبنا والمسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فلا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله و رسوله نبينا محمد، وعلى آله و أصحابه أجمعين .

# # #

مفهوم الاتباع والتقليد في الشريعة الاسلامية

[٢]

الشيخ/سهيل احمد فضل الرحمن الأعظمي
مكتب الدعوة والإرشاد بدبي

(الابتداع في الشريعة)

تعريف البدعة لغة و اصطلاحا : لما عرفنا فيما مضى موقف القرآن و السنة والسلف الصالحين من الصحابة والتابعين و من بعدهم من الأئمة الفقهاء والمحدثين نحو الاتباع ، أي التمسك بالكتاب والسنة والتحاكم إليهما في كل الأمور ينبغي لنا ، بل يلزمنا أن نعرف حقيقة البدعة والابتداع وموقف الشريعة و علمائها نحوها ، لأنها ضد الاتباع . والشئ يتبين بضده ، كما قال الشاعر :

و بضـــدها تتبيـن الأشيـــاء

ولقد حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته كل تحذير ، وجعلها ضلالة . كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

أولا : معنى البدعة لغة : في مختار صحاح اللغة : أبدع الشئ : اخترعه على غير مثـال ، والله بديع السمـاوات والأرض ، أي مبدعهما ، والبديع المبتدِع والمبتدَع أيضا . و شئ بِدع -بالكسر - أي مبتدع ، وفلان بدع هذا الأمر ، أي بديع ، و منه قوله تعالى : ﴿ قل مّا كنت بدعا من الرسل ﴾ (١) والبدعة : الحديث في الدين بعد الإكمال(٢) .

---

(١) الأحقاف ٩ .

(٢) انظر مادة (ب د ع) .

و في القاموس المحيط : بدُع ككرُم ، بداعة و بُدُوعا . (البدعة) بالكسر الحدث في الدين بعد الإكمال ، أو ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الأهواء والأعمال (١) .

و قال الشاطبى رحمه الله في كتابه : فالبدعة في اللغة ، أصل مادته من "بدع" للاختراع على غير مثال سابق ، و يقال : ابتدع فلان بدعة يعنى ابتدع طريقة لم يسبق عليها سابق ، و منه قوله تعالى : ﴿ بديع السماوات والأرض (٢) ﴾ (٣) .

وقال الدكتور عزت على عطية : البدعة اسم الهيئة من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ، وهي كل شئ أحدث على غير مثال سابق سواء كان محمودا أو مذموما (٤) .

ثانيا : تعريفها في الاصطلاح : عرف الشاطبى رحمه الله البدعة بتعريفين :

فالأول : طريقة في الدين مخترعة تضاهى الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشريعة .

والثانى : وهو على رأى من يدخل العادات في معنى البدعة .

البدعة : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله (٥) .

---

(١) انظر فصل الباء باب العين .

(٢) الأنعام ١٠١ .

(٣) الاعتصام (١/٣٧) .

(٤) كتاب البدعة (ص١٩٢) .

(٥) كتاب البدعة (ص٢٧١) .

و قال الشيخ أبو شامة في كتابه بعد البحث عن معنى البدعة اللغوى :

هو ما لم يكن في عصر النبى صلى الله عليه وسلم مما فعله أو أقر عليه أو علم مع قواعد شريعته الإذن فيه و عدم النكير عليه (١) .

ثالثا : تحقيق تقسيم البدعة إلى الحسنة والسيئة : إن بعض العلماء يقسمون البدعة إلى قسمين :

١ - البدعة الحسنة .

٢ - والبدعة السيئة . كما نقل عن الشافعى رحمه الله (٢) .

البدعة بدعتان . بدعة محمودة و بدعة مذمومة . فما وافق السنة فهو محمود . و ما خالف السنة فهو مذموم . و احتج بقول عمر رضى الله عنه في قيام رمضان : نعمت البدعة (٣) .

وقد قسمها غيره أيضا من العلماء إلى المحمودة والمذمومة . لكن الحقيقة على عكس ذلك كما يفيد قوله عليه الصلاة والسلام : كل بدعة ضلالة (٤) . و أن المراد بقول عمر رضى الله عنه : (نعمت البدعة) هو البدعة اللغوية . كما يقول أهل اللغة : شئ بدع أي مبتدع . وفلان بدع أي بديع . و قد مضى الكلام عليه في بيان معنى البدعة لغة .

و ان وجود قيام رمضان بالجماعة في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام يدل على أن عمر رضى الله عنه أراد بالبدعة اللغوية لا البدعة

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٠-٢١) .

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢) .

(٣) رواه البخارى في كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان .

(٤) مسلم في الجمعة . ابن ماجه في المقدمة .

المحذورة في قوله عليه الصلاة والسلام : « كل بدعة ضلالة » لأنه إذا ثبت فعل النبى صلى الله عليه وسلم في عهده ثم ترك فيما بعد لسبب من الأسباب، و عمل به احـد و أقـامه أحيـاه . فلا يطلق عليه لفظ البدعة في معناها الشرعي .

وقد أفاد هذا المعنى بعض أهل العلم . و أنقل كلامهم بعباراتهم لتتبين حقيقة البدعة المحمودة المذمومة .

و قال ابن تيمية رحمه الله بعد كلام طويل على ذلك :

أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها وهـذه تسمية لغوية ، لا تسمية شرعية و ذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق . وأما البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي .

فإذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دل على استحباب فعل، أو إيجابه بعد موته . أو دل عليه مطلقا و لم يعمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذى أخرجه أبو بكر رضى الله عنه . فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى بدعة في اللغة لأنه عمل مبتدأ .

فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة (١) .

وكذا رد النـواب محمد صـديق حسن خان القنوجي على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة بأدلة قوية شافية . فمن أراد المزيد فعليه أن يرجع إليه(٢).

وقد جمع الـدكتور عزت على عطية كل ما نقل عن العلماء في هذا الصدد و قسم ذلك في ثلاث اتجاهات . ثم ناقشها مناقشة علمية . و مال إلى الاتجاه الثاني و قال :

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٧٦) .

(٢) الدين الخالص (٢/ ٢٤) .

هو قصر البدعة على ما خالف السنة من المحدثات قصد به مضاهاة الشرع أم لا ؟ فيستند إلى أن البدعة و إن كانت من حيث اللغة تشتمل المحدث حسنا كان أم سيئا فإنها في استعمال الشرع لم ترد إلا مذمومة (١) .

فالحاصل أن البدعة ما خالف السنّة، وهي مذمومة في الشرع لا شك فيها، وأن ما كان موافقا للأدلة الشرعية عمل به السلف أم لا فهو ليس بدعة ، بل هو عمل ثابت بالشرع . والله أعلم بالصواب .

ولو فتح باب تقسيم البدعة إلى الحسنة والسيئة أدخل الناس أشياء كثيرة في الشريعة باسم البدعة الحسنة لا صلة لها من الدين ، بل هي من البدعة المنهى عنها . كما نشاهد ذلك في عصرنا الحاضر حيث أحدثت كثير من الأمور باسم البدعة الحسنة ، منها ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، والتبرك بالقبور ، و بناء القباب عليها و غيرها من الخرافات ، أعاذنا الله منها .

موقف القرآن والسنة من البدع : و إذا تبين أن البدعة في الحقيقة هي ما تخالف الشريعة وأصل الدين . وكل ما خالف الدين ورد التحذير منه في الكتاب والسنة . فأريد أن أذكر بعض الآيات و الأحاديث في ذلك ليقف القارى على ما ورد في القرآن والسنة من الإنذار والتخويف والوعيد الشديد في الدنيا والآخرة ، و ليتحقق له بالاجتناب منها الاتباع التام والاستسلام الكامل لله ولرسوله و لدينه ولكتابه . كما أمرنا الله تعالى بقوله : ﴿ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين﴾ (٢) .

---

(١) البدعة (ص٢٠٨) .

(٢) البقرة ٢٠٨ .

بعض النصوص من الكتاب في ذم البدعة :

١ - قال تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ (١).

قال ابن تيمية رحمه الله بعد ذكر هذه الآية :

فمن ندب إلى شئ يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله (٢) .

فإن الاستفهام في الآية لتشريع الكفار على إتخاذهم أربابا من دون الله اخترعوا لهم في الدين ما لم يأذن به الله .

٢ - قال عز وجل : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (٣) .

قال الشوكاني في تفسيره : (عن سبيله) أي سبيل الله المستقيم الذي هو دين الإسلام . قال ابن عطية : وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية و سائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع و غير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام .

ثم قال أثناء إيراده لما ورد في تفسير الآية من الآثار :

و أخرج أحمد وعبد بن حميد والبزار والنسائي و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و أبوالشيخ والحاكم و صححه و ابن مردويه عن ابن مسعود قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال : وهذه السبل ليس

---

(١) الشورى ٢١ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم(ص ٢٦٨) .

(٣) الأنعام ١٥٣ .

منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ الآية (١) .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ يوم تبيض وجوه و تسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم ، أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ (٢) .

ذكر ابن كثير قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية أنه قال : حين تبيض وجوه ، أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه ، أهل البدعة والفرقة (٣) .

٤ - و قوله تعالى : ﴿ وعلى الله قصد السبيل و منها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (٤) .

فالسبيل القصد هو طريق الحق ، وما سواه جائر عن الحق ، أي عادل عنه ، وهي طرق البدع والضلالات (٥) .

وإن الآيات التي تدل على ذم البدع والأهواء كثيرة جدا ، وأرجو أن تكون فيما قدمت كفاية لمعرفة موقف القرآن الكريم من البدع والمحدثات في الدين .

بعض النصوص من السنة النبوية في ذم البدعة : إن الأحاديث الدالة على ذم البدع و مفاسدها كثيرة ، وقد سبقت بعضها أثناء بيان "موقف السنة من الاتباع" .

وأذكر هنا ما يدل منها خاصة على ذم البدع بالإيجاز :

---

(١) فتح القدير (١٧٨/٢-١٧٩) ، وانظر أيضا ابن كثير (١٩٠/٢) .

(٢) آل عمران ١٠٦ .

(٣) تفسير ابن كثير (٣٩٠/١) ، فتح القدير (٣٧١/١) .

(٤) النحل ٩ .

(٥) الاعتصام (٥٩/١) .

١ - قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة المشهورة المسماة بخطبة الحاجة: «فإن خير الحديث كتاب الله . وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة » (١) .

٢ - عن العرباض بن سارية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٢) .

٣ - و عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٣) .

وفي رواية : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

٤ - قوله عليه الصلاة والسلام : « ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها » (٤) .

٥ - عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا عائشة ! ﴿ إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا ﴾ من هم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هم أصحاب الأهواء ، وأصحاب البدع، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، يا عائشة ! إن لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب الأهواء والبدع، ليس لهم توبة ، وأنا براء منهم ، وهم مني براء» . (٥) .

---

(١) مسلم في الجمعة و ابن ماجه في المقدمة . و سبل السلام للصنعاني (٢/٤٨) .

(٢) الترمذي في العلم ، أبو داود في السنة ، ابن ماجه في المقدمة ، الدارمي في المقدمة ، أحمد (٢/١٢٦،١٢٧) .

(٣) البخارى في الصلح ، مسلم في الأقضية ، ابن ماجه في المقدمة ، أحمد (٦/١٤٦،٢٧٠) .

(٤) رواه أحمد (٤/١٠٥) . مفتاح الجنة (ص٥٨) .

(٥) انظر تفسير فتح القدير (٢/١٨٤) .

و ذكر الشوكاني عدة أقوال في تفسير الآية . وقال : وقيل : الآية عامة في جميع الكفار و كل من ابتدع و جاء بما لم يأمر به الله، وهذا هو الصواب، لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب و طوائف المشركين و غيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام (١) .

٦ - عن غضيف بن الحارث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحدث قوم بدعة إلا رفع من السنة مثلها . فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة »(٢) .

٧ - عن الحسن رحمه الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة » (٣) .

٨ - عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، و من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله و لا رسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها ، لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا » (٤) .

---

(١) انظر تفسير فتح القدير (١٨٢/٢) .

(٢) رواه أحمد (١٠٥/٤) .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٦٠) . انظر كنز العمال على هامش مسند أحمد (١١٠/١) .

(٤) ابن ماجه في المقدمة ، باب من أحيى سنة قد أميتت .

٩ - و في الصحيفة : « المدينة ما بين عير إلى ثور ، من أحدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله و الملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا و لا عدلا » (١) .

١٠ - و عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا: يا نبي الله ! أتعرفنا ؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم ، تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ، و ليصدون عني طائفة منكم فلا يصلون . فأقول : يا رب هؤلاء من أصحابي : فيجيبني ملك ، فيقول: هل تدرى ما أحدثوا بعدك ؟ - وفي رواية : أناديهم : ألا هلم، ألا هلم، ألا هلم. فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك . فأقول : فسحقا فسحقا فسحقا » (٢) .

فهذه طائفة من الأحاديث التي تقشعر الجلود بما فيها من الوعيد الشديد لمن حاد عن السنة و اتباعها و مال إلى المحدثات وابتداعها .

يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، و يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك و جنبنا عن البدع والحوادث .

آثار السلف في ذم البدع والنهي عنها : إن الآثار المروية التي تنقل عن أسلافنا في ذم البدع غير محصورة لا يسع المقام لذكرها ، فأذكر على سبيل الإيجاز ، وهي تعطينا فكرة نيرة لمعرفة الفرق بين الاتباع والابتداع و تبين لنا موقفهم من البدعة .

---

(١) الاعتصام (١/٧٢) .

(٢) مسلم (٢/١٢٥،١٢٧) ، ابن ماجه (٤٣٠٦) ، أحمد (١/٤١٩٥) .

١ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « يا أيها الناس ! إنه قد سنت لكم السنن ، و فرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا و شمالا » (١) .

٢ - و عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : «ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدعة وتموت السنن» (٢).

٣ - قال ابن مسعود رضي الله عنه : «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» (٣) .

٤ - قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : « سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و ولاة الأمر من بعده سننا ، الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله . من عمل بها يهتدى ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين و ولاه الله ما تولى وصلاه جهنم و ساءت مصيرا» (٤) .

٥ - قال الحسن : « عمل قليل في سنة خير من كثير من بدعة » (٥) .

٦ - عن حذيفة بن اليمان أنه أخذ حجرين ، فوضع أحدهما على الآخر ،

---

(١) جامع بيان العلم و فضله (٢/٢٢٩) .

(٢) الاعتصام (١/٨١) . مفتاح الجنة (ص٥٨) .

(٣) الاعتصام (١/٧٩) ، البدعة (ص١٠٩) .

(٤) جامع بيان العلم و فضله (٢/٢٨٨) .

(٥) جامع بيان العلم و فضله (٢/٢٣٣) ، الاعتصام (١/٧٩) .

ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من نور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ! ما يرى ما بينهما من النور إلا قليلا . قال : والذى نفسي بيده ، لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شئ قالوا : تركت السنة (١) .

٧ - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: ستجدون أقواما ما يدعونكم إلى كتاب الله و قد نبذوه وراء ظهورهم ، فعليكم بالعلم ، وإياكم التبدع التنطع و عليكم بالعتيق (٢) .

٨ - عن الحسن رحمه الله قال : لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما و لا صلاة و لاحجة و لا عمرة حتى يدعها . (٢) .

[يتبع]

0000000

(١٢) الاعتصام (١/٧٨) .

(٢) جامع بيان العلم (٢/٢٢٧) . الاعتصام (١/٧٩) .

(٢) الباعث علي إنكار البدع والحوادث (ص١٦) .

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧) شوال ١٤١٥ هـ

العدد الثالث مارس ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٢٦ دولارا (بالبريد الجوى) ١٥ دولارات (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥٠/٥ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.
- مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد؟

الافتتاحية:

خدمة المجتمع البشري ونوعيتها

(ننشر هنا ترجمة عربية للخطاب الذي ألقاه
الدكتور مقتدى حسن الأزهري باللغة الأردية على الطلبة
المتدربين على التبشير النصراني في مدينة بنارس .)

إن كل ديانة من ديانات العالم التي تلتزم بمبدأ التوحيد بالآخرين من لايعتنقونها وقبولهم كأحد أبنائها من خلال الدعوة والإرشاد تهتم اهتماما بالغا بنشر تعاليمها وإبلاغ دعوتها إلى الناس ، ولن يكون هناك دين أبدا أكبر من دين الإسلام من حيث الدعوة والإرشاد ، إلا أن المسلمين لم تتوفر لهم لمختلف الأسباب والعوامل فرص تمكنهم من القيام بإبلاغ دعوة الإسلام إلى غيرهم بنظام متقن وبخطة مدروسة ، وكذلك من تقديمها للناس بحيث إنها حاجتهم المنشودة . وعلى العكس من ذلك فإن النصارى مارسوا هذا العمل بغاية من الدقة والنظام ووضعوا له خطة بعيدة المدى ، وربطوه بالأعمال الخيرية ، مما أثمر دخول عدد كبير من الشعب الهندي في الديانة النصرانية ، وكان للاستعمار البريطاني وتسلطه على البلاد تأثير أيضا في إحراز هذا النجاح ، ومع هذا فإنه لا يمكن التغاضي عن جانب الجهد المبذول في هذا المجال ، وربما يروج الآن لسبب من الأسباب أن التبشير لم يعد يمارس أي نشاط لتنصير الناس ، ولكننا نشاهد حتى في أيامنا هذه أن دعاة النصرانية يقيمون علاقاتهم بإسم خدمة المجتمع الإنساني مع مختلف الطبقات من الناس ، ثم إن هذه الجماعة تركز

عليها بصفة خاصة لتلقين المذهب النصراني وتعليم الطرق والأساليب التي تعامل بها الناس وتعد له إعدادا خاصا .

ولقد حضرت في اليوم ٢٨ من شهر ديسمبر الماضي سنة ١٩٩٤م أحد الاجتماعات التي عقدت لتربية الشباب على مزاولة التبشير الصليبي ، وعقد هذا الاجتماع في قاعة المؤتمرات للبنى المسمى « نوسادهنا » الواقع على طريق بابت فور في ضواحي مدينة بنارس ، وتحدث فيه ثلاثة أشخاص ، أحدهم بوذي ، والثاني نصراني ، والثالث أنا . وقد حاولت في كلمتي شرح الدين الإسلامي ، مع العلم بأن بعض الناس لايحبذ حضور المسلمين في مثل هذه المجالس إلا أن وجهة نظري في ذلك هي أن القيام بعرض دعوة الإسلام ورسالته الخالدة على الآخرين ، وبيان تعاليمه لهم ليس أمرا حسنا فحسب بل هو واجب حتمي، ثم إن كانت لدى غيرنا جرأة على عرض ما يتبنونه من دعوات أو وجهات وأفكار في المجالس العامة فيحسن من باب أولى أن لا نتردد في عرض تعاليم الدين الإسلامي التي هي كلها عدل ورحمة، وهدى مبين ومطابقة العقول السليمة .

هذا بالإضافة إلى أن الجاهلين بالاسلام أو المعاندين له يوجهون إليه طعنات واعتراضات مختلفة فلو التزمنا الصمت في مثل هذه الظروف لتجرأ هؤلاء على موقفهم ، وجعل غيرهم يتعرضون لكثير من الشبهات حول الإسلام ويسيئون الظن في تعاليمه .

وأمام هذه الجماعة من الشبان المرشحين للتدريب على التبشير الصليبي ألقيت الضوء في خلال نصف ساعة من الزمن على النقاط التالية :

١ — إن الهدف أمامكم هو تعلم الديانة النصرانية التي تعتنقونها ، ثم

تعليم الناس إياها ، وقد وهبتم أنفسكم لهذا العمل ، ومن المعلوم أن القيام بنشر المبادىء الدينية وتعليم القيم الخلقية فى هذا العصر الذى طغت فيه المادة، و وقفت الحياة له عمل جليل فى حد ذاته، فإن كنتم تريدون من هذا العمل توجيه المجتمعات البشرية وإرشادها ونفعها و رفاهيتها فعليكم أن تكون نصب أعينكم هذه الحقيقة بأن المزاولة لعملية التوجيه والارشاد أمر صعب يتطلب الكدح والمشقة، وإن الدعاة المصلحين المخلصين يقدمون تضحيات جسيمة ويتفانون فى سبيل الاصلاح ، ومع ذلك لاتترتب عليه فى الظاهر النتائج المرجوة .

وقد عبر شاعر أردى عن هذا المعنى فقال ما معناه بالعربية :

«إن إشعال النيران فى المياه وتغيير مجارى المياه للأنهار من الأمور الصعبة، إلا أن صعوبته أقل بكثير من الصعوبة التى توجد فى إصلاح وإرشاد أمة فسدت وانحرفت عن الجادة » .

٢ — اعلموا أنه توجد فى العصر الراهن شرذمة من النـاس لا تخضع للمذاهب ولا تذعن لهـا فهى تزعم أن المذاهب ليس لها أى دور فى إصلاح الامم وتوجيهها لانها تعتقد أن المبادىء الدينيـة والتوجيهات المذهبية قد ولى عصرها وانتهى، وأن الأفكار الانسانيـة والوجهات البشرية هى التى تسد حاجات المجتمعات ، فما يفرض عليكم أن تبرهنوا لهم على سمو التعاليم المذهبية وعلو القيم الاخلاقية وتأثيرها البالغ، وتقدموا لهم من الاصلاحات والتوجيهات التى تمت من طريق المذاهب والأديان نماذج طيبة تضطر هؤلاء الملاحدة إلى الطاعة والتسليم .

ومن المؤسف أن العالم الغربى الذى تدين بالمسيحية هو الذى هيأ الأسباب والظروف لرواج الإلحاد وانتشاره حتى خارت النزعات الإلحادية من براعمه

القلق والحيرة لجميع معتنقي الأديان على اختلاف طبقاتهم، وأملُ الإسلام فيهم في هذا الصدد بكل صدق وصراحة أنه لا يضمن الحل للأزمات التي تواجهه المجتمعات، والخروج من المآزق التي تحيط بالإنسانية إلا هذا الدين الحنيف الذي هو أمين على الأوامر الإلهية وكفيل الهدى الرباني.

٣ – إنكم أقدمتم على الخوض في مجال الدعوة إلى النصرانية والتبشير بها، ومما يوجب عليكم أن تفكروا هل يحتاج مجتمعنا إلى الخدمات والنشاطات الإصلاحية التي تقومون بها؟

وللتوصل إلى الجواب الصحيح عن ذلك ينبغي القيام بدراسة المجتمع المعاصر، فنحن نرى أنه يسوده الاضطراب والفوضى والفتن والمشاكل، والقتل والتدمير والدعارة والانسلاخ الخلقي وغير ذلك من المفاسد، وحتى بعد العبث بالمبادىء الدينية والقيم الأخلاقية لم يهدأ للإنسان بال، وأما الطمع فقد بلغ به إلى حد أنه لم يعد يتورع عن إراقة الدماء وإزهاق الأرواح لأتفه المصالح وأدنى الأسباب، واستحوذت عليه الشهوات بحيث إنه مستعد للتعدي والعنف ضد محارمه دون مراعاة لحقوقها، وإن العقول لتدهش من أعداد الجرائم التي تأخذ طريقها إلى الآذان من خلال وسائل الإعلام والسلطات، وأما التي تبقى في طي الكتمان والخفاء فلا داعي لذكرها، فإذا كانت الأوضاع والمجتمعات بهذه المثابة فلا يسع كل من له عقل ووعي إلا الاعتراف والتسليم بأن العصر الذي نعيش فيه في أمس الحاجة إلى الخدمات الإصلاحية، وبعد أن ثبتت حاجة المجتمعات إلى خدماتنا الإصلاحية ينبغي أن نفكر في تحديد نوعية الخدمات التي تحتاج إليها، وهل يكون التقيد ببعض التقاليد والعادات الموروثة لتسديد هذه الحاجة؟ وهل يتحقق الهدف المنشود من الحركات الإصلاحية التي تقوم

يعاني وسط المجتمع بأن عنصر المبادىء الدينية والقيم الأخلاقية في الحياة الشخصية للفرد ؟ وهل يتحضر مجتمعنا ويترقى بأن ننال الطرق للفساد والانحراف باسم الحرية والعدل والمساواة ؟

فهذه الأسئلة لو فكرنا فيها جديا لسهل علينا تعيين الطرق والأساليب المجدية للحركات الإصلاحية والخدمات التوجيهية، وإن تاريخ الحياة الاجتماعية للبشر ليشهد بأن الانسان لن يظفر أبدا بالهناء والسعادة مادام جاهلا بخالقه غير متبع لسبيله، وغير مؤمن بكرامة الانسان عن قلبه، وإن النزعات السائدة في مجتمعاتنا من الانحراف عن الهدى الذى أنزله تعالى وانتهاك الحرمات الانسانية هي السبب الحقيقي الذى جلب علينا الشقاء والتعاسة .

ومما يجب لإصلاح الحياة البشرية وتحسينها الايمان باليوم الآخر، فإن حرمنا من هذا الايمان فلن يستقيم سلوكنا أبدا .

٤ — بعد أن نجحنا في تحديد نوعية الخدمة المطلوبة يجب التفكير في يريده المجتمع منا؟ ولقد سبق القول بصعوبة الأعمال الإصلاحية، وأن الذين يمارسونها في هذا العصر المادى عددهم ضئيل جدا، وللتجنب عن الوقوع في ورطة اليأس والقنوط يجب الاعتقاد بأن العمل الذى نقوم به هو مرتبط بمصالح أنفسنا، إذ هو من احتياج مجتمعنا، ولذا فهو من احتياج أنفسنا، وتكمن سعادتنا في تقديم التضحيات لتسديد هذا الاحتياج .

أما الأعمال التى يتقدمها المجتمع منا فيطول ذكرها، لأنها كثيرة جدا ولكن الذى يأتى في المقدمة هو أن تكون حياتنا مثالية، فيجب علينا أن نطبق على أنفسنا ما ندعو إليه من فضائل وحسنات، ولقد قرر الإسلام أن المرء لا يحق له عند الله سبحانه وتعالى إذا أمر غيره بالبر ونسى نفسه .

والأمر الثانى : هو أن نكون مفعمين بعواطف النصح والايثار والتضحية

الآخرين ، فإننا إذا استأثرنا بالمصالح التى تتعلق بنا دون أن نشعر بآلام الغير

ونراعى بمصالحه فلا اعتبار ولا قيمة إذن لما نقوم به من نشاطات دعوية .

والأمر الثالث : أنه يجب أن يتم عملنا من إذعاننا بأن إصلاح الحيـاة

واستقامتها لا يتأتى إلا بالخضوع للمبادىء الدينية واتباع القيم الأخلاقيـة ،

وهذه الحقيقة لابد أن ننبه الناس عليها كما يجب أن نتنبه لها نحن ، فإنه من

حاجاتنا الأساسية .

٥ ـ وأما الخاتمة فكانت مشتملة على ترجمة بعض الآيات القرآنية ، وفى

ضمنها قدمت لهم ترجمة الآية ٢٧ من سورة الحـديد ، والآية ٦٣ ، ٦٤ من

سورة الزخرف ، والآية ١٣ من سورة الشورى ، والآية ٦٦ من سورة المائدة .

٦ ـ وفى أثناء الفترة المخصصة للأسئلة والأجوبة قمت بتوضيح أنـه

لا ينبغى أن يتطرق إلى الأذهان مما يدعو إليـه الاسلام من عقيدة البعث فى

اليوم الآخر ، وأن المرأ سوف يجازى فيه ما اقترفه من سيئات أو حسنات ،

أن الاسلام يأمره بالصبر على ما يعانيه فى الدنيا من بغى وعدوان وظلم وفساد

على أمل المجازاة فى الآخرة ، وأنه يؤثر الصمت على الانحرافات الاجتماعيـة ،

فإن لديه دستورا كاملا ونظـاما صارمـا لاستئصال شأفـة جميع الانحرافات

والأمراض فى الفكر والعمـل ، وقـد حث على استخدام مناسب للقوة ضد

الجرائم والعدوان ، وأمر فى غايـة من التأكيـد الأفراد والجماعات والحكومات

بأوامر تسهل عملية الردع للمفسدين المجرمين ، وأوجب على الحكومات والأفراد

استعمال القوة ضد البغى والفساد ، وما وضعت قوانين الحـدود والقصاص

والتعزيرات إلا لهذا الغرض ، ولم يقف الأمر على هذا الحد بل إنه أيد نظام

الكتبة التي لا تستهدف إلا أن يقوم أصحاب السلطة بمراقبة الناس ويزجرهم من الوقوع في المنكرات ، وبفرض العقوبة الرادعة على من يقترف السيئات والمآثم مستترا وتحت جنح من الظلام .

ومع الأخذ بجميع هذه الاحتياطات والتدابير تبقى الضرورة لذلك اليوم الذي ينال فيه كل واحد جزاءه الأوفى عما اكتسبت يداه من حسنة أو سيئة في السر أو العلن ، ويكرم فيه الأتقياء ، فبإنزال العقاب على المجرمين في الدنيا لا تزول حاجة اليوم الآخر ولا تنتهي ضرورته ، إذ لا ينال أصحاب البر والتقوى جزاءهم في هذه الدنيا كما يفلت دوما المحترفون الأقويا من المجرمين من مطاردة القانون ، ثم أين يكون الجزاء أو العقاب على الأوامر والأحكام التي أنزلها الله تعالى بصدد توحيده والايمان بأنبيائه و رسله مع العلم بأن هذه الأحكام والأوامر ذات أهمية كبرى ؟

وإن هذا العصر إذا جرى فيه ذكر الإسلام والمسلمين فلا بد أن يقرن معه إراما قضية الأصولية والإرهاب ، وعليه فقد طرح أمامي أيضا في هذا الاجتماع سؤال عن موقف الإسلام نحو الأصولية ، وقيل : ألم يشجع الإسلام الإرهاب وسانده بدعوته إلى تشديد العقاب والقتل والقصاص في مواضع من القرآن ؟

فقلت مجيبا عن ذلك : ليس من المعقول للمثقفين الواعين أن يجروا متمسكين موضوعا عالميا للفكر والرؤية وراء أولئك الذين ينشطون في ترويج مصطلحات مضمونها في العالم ، ويحددون لها مفاهيم خاصة تروق لهم سواء أكانت محمودة أم مذمومة ، وعليه فإنه يجب علينا أن ننظر إلى الأشياء الجديدة التي تعرض

بنيا في ضوء العلم والعقل، وتجنبه عن عبادة من المذاهب والمعارضة

الحضارات.

وحين أعلن الاسلام بأنه وضع أركانه على خمسة أمور: كلمة لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج. وقال: إن هذه الأمور الخمسة هي الأسس التي يقوم عليها بنيانه، ولا يتم ايمان المرأ إلا بالإتيان بها، فهو يعني أن يوصف النبي ﷺ بل المسلمون جميعا من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا بل جميع معتنق الأديان السماوية على الوجه الصحيح بالأصولية لالتزامهم وتمسكهم بالمبادىء والتعليمات الأساسية، ويحتم علينا الاعتراف بأن هؤلاء المسلمين الأصوليين كانوا يملكون في عهد ازدهارهم (من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادى) زمام القيادة والتعليم لسائر العالم والغرب بصفة خاصة، وعليه فإننا لو أخذنا هذا المفهوم بالاعتبار لوجب علينا أن نسمي جميع المسلمين بالأصوليين، ثم إننا نفتخر بهذه التسمية، ونود من معتنق جميع الأديان والمذاهب أن يصيروا أصوليين حتى تتوقف عملية استغلال المذهب والدين للتجارة والتوصل إلى السلطة وسدة الحكم وقضاء المآرب والأطماع.

وأما إذا كان اصطلاح الأصولية يحمل في طياته مفهوما آخر غير هذا فيجب بيان هذا المفهوم وتوضيحه لينظر فيه هل هو موافق للصحة من الناحية اللغوية والدينية أم لا؟ ومن هم من سوى المسلمين الذين يدخلون أيضا ضمن الأصوليين؟ وهل تدخل عبادة الأحجار والأصنام وتشجيع النظام الطبقي، وإحراق النسوة الأحياء، وتعاطي الخمور وتناول لحوم الخنزير، واستغلال اليائسين المحتاجين بالنظام الربوي ضمن مفهوم الأصولية أم لا؟

ثم تطرق الحديث إلى قضية العنف والإرهاب، فقلت فى هذا الصدد: إن الطعن فى الاسلام بأنه «انتشر بقوة السيف» قديم وليس جديدا، وتناولت العديد من المؤلفات والبحوث الرد عليه يمكنكم الرجوع إليها وقراءتها، إلا أنه يناسب فى ضوء الأوضاع الراهنة أن تتعرض لموضوع الإرهاب والعنف، ونسلط عليه بعض الأضواء، ولا يصح القول بأن جميع الحروب التى خاضها الاسلام كانت لأجل الدفاع عن النفس، إذ هو غير مطابق للواقع، فإن هناك بعض معارك هجومية يصح القول بأن الاسلام هو الذى بدأ بها، فإن عرضت له موانع دون ما يدعو إليه من توحيد الله سبحانه وتعالى، والايمان بالرسل، وإقامة العدل والانصاف ونشر التقوى والفضائل وتوعية الناس بالمبادئ السامية حق له أن يستخدم السيف والقوة فى إزالتها عن الطريق، وأن يقطع رأس من يؤدى دورا قياديا فى إقامة تلك الحواجز والموانع، وإن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق هذا الكون، فإن لم تكن فيه كلمته هى العالية فلا اعتبار له ولا وزن، ولم يستأهل هذا الكون ولا الذين يعيشون فيه من بنى آدم لأى كرامة وتقدير، وأما الحروب الدفاعية فى الاسلام فتجدون تفاصيلها فى الكتب المعنية بها.

والأعمال التى تلصق بالاسلام فى هذا العصر إنما هى فى الحقيقة أعمال المسلمين لم يأمر بها الاسلام، ولذا ينبغى توجيه السؤال عنها إلى الذين يداولونها ثم يدافعون عنها، وإذا كانت هناك شبهة تتقلب فى أذهانكم عن الاسلام فالمطلوب الرجوع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومطالعتها ثم تعيين الآيات والأحاديث التى تزعم أنها تشجع العنف والارهاب.

وهنا أرى من الواجب ... ليس بهدف المباهاة وإنما بهدف الكشف عن

المتنامي ـ أن أشير إلى بعض الأنواع من الاضطهاد والتعسف الذي أذاقه الاستعمار الغربي والشرقي المسلمين في العالم، مما اضطر المغلوبين إلى القيام بأنه هو الباعث الشعور بالحرمان والاحباط والذي يعبر عنه بأعمال العنف، وعلى هذا يجب البحث عن أسبابه في الاضطهادات والتعسفات التي يعامل بها المسلمون، وليس في الإسلام.

وأما الذين يصرون على عزو العنف والإرهاب إلى الإسلام فنقول لهم إلزاما: عليكم أولا بمطالعة التعليمات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في ضوء تعليمات الديانات والحضارات والأنظمة الأخرى وفي ضوء تاريخ العالم، ثم انظروا بعد إجراء الموازنة بينها هل حوادث العنف أكثر في الإسلام أم في الديانات والحضارات الأخرى؟ فإن كانت أكثر في الإسلام فنحن إذن ملزمون بالاعتذار والتبرير عنها، وإن كانت على خلاف ذلك فغيرنا ملزم بتقديم ما لديه من اعتذار وتبرير.

ثم يجب أيضا أن نلقي بعد ذلك نظرة خاطفة على الحضارة المعاصرة والمدنية الجديدة وما تجري تحت ظلها من أحداث ووقائع، فإن الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) تعتبر نقطة الانطلاق للديمقراطية والحرية والعدل والمساواة إلا أن المسلمين الجزائريين اضطروا لتضحية المليون من أرواح أبناء الجزائر في سبيل الحصول على استقلالهم من النظام الاستعماري لفرنسا نفسها، وحين بعد أن حصلت الجزائر حقها من الاستقلال يماطل في إتاحتهم الفرصة لتشكيل حكومة يختارها الشعب لنفسه.

وكلنا عليم بالدور الذي لعبه الاستعمار البريطاني في بلادنا الهند حيث لم يكن هناك نوع من أنواع الظلم والاضطهاد والعنف والوحشية إلا وهو موجود

فى التاريخ الطويل الذى يحيط بقرنين من الزمن تقريبا ، وإن الأعصاب لتهتز والجلود لتقشعر حتى فى وقتنا هذا من مجرد قراءة وسماع ما مر به الشعب الهندى فى بلده من ظروف قاسيــة على مطالبته بنفس الاستقلال والحرية التى يؤيدها الغرب ، ولقــد استهدف بهذا الاضطهــاد والعنف الاستعمارى المسلمون الذين يرمون بالارهاب ، ولعل المتظاهرين بالسلطة والنفوذ الملكى من القابضين على سدة الحكم يتجاهلون اليوم من هم السيد أحمد الشهيد والشاه اسماعيــل الشهيد وعلماء صادقفور ؟ إلا أن التاريخ الحافل بشجاعتهم وبطولتهم وتفانيهم فى الحق قد ثبتت آثاره على كل جزء من أرض هذا الوطن بل ارتسمت على كل صفحة من الصفحات غير المرئيــة من أجوائه بحيث لايسع المؤرخ القادم أن يتجاهله ويغمى بصره عنه بأى حال من الأحوال .

فإذا رمينا المسلمين اليوم بالعنف والارهاب متجاهلين أو متناسين لتاريخهم الزاهر والزاهر فلن يكون أحد أظلم منا ؟

وهل هناك تبرير أو توجيه لما قامت به أمريكا فى فيتنام والاتحــاد السوفيتى (السابق) فى افغانستــان ، والدول الغربيــة المعاصرة فى فلسطين من إجراءات قمعية وأعمال إجرامية ؟ وهكذا لما اتخذته الأمم المتحدة و دول الغرب بأنفسها من مواقف سلبية ضد المسلمين العزل فى بوسنيا ؟

إن العلامة محمد اقبال (شاعر المشرق) رحمه الله كان قد توفى قبل استقلال القارة الهندية ، وكانت كثير من أعمال الظلم والعدوان لمن يدعى المدنية والتحضر ومناصرة العدل والمساواة من أهل الغرب فى طى الكتمان والخفــاء ، ومع ذلك قد أزاح الستار عن فلسفة حب الانسانية التى تظاهر بها الغرب فى قصيدته التى عنون لها باسم « مسولينى » فى ديوانه المسمى بـ « ضرب كليم » .

وكشف النقاب على لسان « مسوليني » عن الحقائق التي نشاهدها حتى اليوم علنا ، يقول ما ترجمته بالعربية :

هل جريمة مسوليني غريبة في العصر الراهن وبدون أي مبرر .

إنكم ترفضون ما ألتزم به من الملوكية فهل أنتم لم تسبقوني بكسر الزجاج للأمم المستضعفة وبنهب الخيام للمخذولين من البدو ، وبإفساد الحرث للفلاحين والزراع ، وباستبداد السلطة والحكم ؟

إنكم قد أحللتم الأمس القتل والإبادة والتدمير تحت ستار من المدنية والثقافة ، فأنا أحل ذلك اليوم .

فيحتم علينا بالنظر إلى ما سبق من القول أن نفكر فيما يتهم به المسلمون من العنف والإرهاب ، كي نعرف مدى صحة هذا الاتهام .

هذا وآمل منكم أنكم تدرسون إلى جانب الديانة النصرانية ، الإسلام وغيره من الديانات ، وتحاولون التوصل إلى نتيجة ما بعد الدراسة المتأنية ، وشكرا ؟

نقله إلى العربية

الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري

الأستاذ بالجامعة السلفية ، بنارس

التوجيه الاسلامى :

موقف الإسلام من المرأة

بقلم : د . صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب الحرم المكى الشريف

المــرأة :

ما يقال فى الرق يقال فى المرأة فليس من حق اليهودية ولا النصرانيــة الحديثة عن المرأة فما فى دياناتهم فى حق المرأة هو شىء نكر ، فقد هضموها حقوقها واعتبروها مصدر الخطيئة فى الأرض وسلبت حقها فى الملكية والمسئولية فعاشت بينهم فى إهانة وإذلال واحتقار واعتبروها مخلوقا نجسا .

وما الزواج عندهم إلا صفقة مبايعــة تنتقل فيه المرأة لتكون إحدى ممتلكات الزوج . حتى انعقدت بعض مجامعهم لتنظر فى حقيقـة المرأة وروحها هل هى من البشر أو لا ؟

بل لعل الجاهليـة العربيـة الأولى كانت أخف وطأة على المرأة من هذه النظرة اليهودية النصرانية المنسوبة إلى تعاليم السماء — معاذ الله .

ومن هنا يثور عجبنا من النصارى ليسألوا عن المرأة فى الاسلام وموقعها من تشريعه ومجتمعه ؟

إن حضارة الغرب وما فيها من بهارج وبوارق تخدع الناظرين ليس النصرانية ولا اليهودية صنع فيها .

ومع هذا فنحن المسلمين لا نجرى خلف كل ناعق ولسنا بالراضين على ما عليه المرأة المعاصرة.

إن المرأة فى ديانتنا على التقدير والاحترام من حيث هى الأم والأخت والبنت.

ونصوص الديانة عندنا صحيحة صريحة فى بيان موقع المرأة وموضعها جاءت واضحة جلية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا حين كانت الجاهليات تعم الأرض شرقا وغربا على نحو مظلم وبخاصة فى بخس المرأة حقها بل عدم اعترافه بأى حق لها.

ويتأكد هنا ما قلته فى مقدمة الاجابة على هذه التساؤلات ما هو الأنموذج الذى نتفق عليه؟

اليهودية والنصرانية معلوم ما فيهما وهو غير مرضى من الجميع لأن الأسئلة المثارة ليس فى الديانتين إجابة عنها.

أما الحضارة المعاصرة ففيها وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة شر كثير غير موجود فى ديننا وما فيها من أمور مستحسنة فديننا لا يعارضها.

ومن أجل مزيد من الإيضاح فى ميدان التعليم:

إن من أكثر ما تميزت به هذه الحضارات الاهتمام بالعلم والتعليم والدعوة إلى ذلك والاكثار من البرامج والوسائل مما هو معروف ونقول بكل صراحة إن التعليم فى ديننا محمود مطلوب بل منه ما هو فرض عين يأثم تاركه سواء كان ذكرا أو أنثى.

المرأة فى التعليم كالرجل مما يحقق وظيفة كل جنس على أصول المساواة الاسلامية[1].

---

(١) سبق أن نشر الدكتور مقالا مستقلا باسم «موقف الاسلام من المساواة الحرية» فى العدد الحادى عشر ١٩٩٤م من مجلة صوت الأمة.

ولكن من حقنا أن نتساءل : ما هى العلاقة بين التعليم والتبرج وإبداء الزينة وإظهار المفاتن ، وكشف الصدور والأفخاذ .

هل من وسائل التعليم لبس الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة ؟

ميدان آخر : أية كرامة حين توضع صور الحسناوات فى الدعاية والإعلان وفى كل ميدان ولا يروج عندهم إلا سوق الحسناء فإذا استنفدت السنون جمالها و زينتها أهملت كأى آلة انتهى مفعولها .

ما نصيب قليلة الجمال فى هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة والجدة العجوز؟ ملجؤها دور الملاجىء حيث لا تزار ولا يسأل عنها وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد أو تأمين اجتماعى تأكل منه حتى تموت ولا رحم ولا صداقة ولا ولى حميم ولكن المرأة فى الاسلام إذا تقدم بها السن زاد احترامها وعظم حقها أى أنها أدت ما عليها ، وبقى الذى لها عند أبنائها وأحفادها وأهلها والمجتمع .

أما حقها فى المال والملك والمسئولية والثواب العقاب الدنيوى والأخروى فيستوى فيه الرجال والنساء . وأما ما اختلف فيه الرجل والمرأة فى بعض الاحكام فأمر طبيعى متقرر فيما قلناه فى الحديث عن المساواة على أننا سوف نفصل هنا فى بعض ما أثير من أسئلة فى قضايا الميراث والوصاية وغيرهما .

الميراث :

إن نصيب الذكر فى الميراث يختلف عن نصيب الأنثى و ذلك يرجع لعدة أمور :

١ — الميراث من جملة النظام العام فى الإسلام فهو خاضع لعموم التشريعات والاحكام المناطة بالذكر والأنثى وما اختلف فيه من أحكام فهو راجع إلى القاعدة العامة فى عدم لزوم إطراد المساواة بين العاملين لاختلافهم بحسب

أعمالهم ومسئولياتهم فالرجال وهم جنس واحد ليسوا يتساوى الدخول والمرتبات لدى الجهات الحكومية أو غيرها فى جميع الأنظمة وإنما التفاوت راجع إلى طبيعة أعمالهم ومؤهلاتهم وكفاءاتهم ولا تقوم الحياة إلا بهذا ولا يعتبر هذا مؤثراً فى أصل المساواة.

٣ — زيادة الذكر فى نصيبه راجعة إلى طبيعة التكاليف المناطة به فى النظام الاسلامى. فهو المسئول وحده عن تكاليف الزواج من مهر ومسكن ومن أجل مزيد إيضاح لهذا النظام لنفرض أن رجلا مات وخلف ابناً وبنتاً وكان للابن ضعف نصيب أخته ثم أخذ كل منهما نصيبه وتزوجا فالابن مطالب بالتكاليف السابقة من المهر والسكن والنفقة مدى الحياة.

أما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها حين زواجها وليست بحاجة إلى شيء من نصيبها لتصرفه فى زواجها أو نفقة بيتها.

ثم إن دية قتل الخطأ يتحمل الرجال من العصبة والأقارب مساعدة القاتل فى دفعها دون النساء. ومن هذا يتضح ما على الرجال من تكاليف مالية ليست على النساء فى نظام الاسلام.

من أجل هذا يجب أن نعلم أن الشريعة الاسلامية تختلف عن أنظمة البشر الجائرة التى تحكم كثيرا من بقاع العالم اليوم حيث فيها يترك الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشر لتخرج باحثة عن لقمة العيش وكثيرا ما يكون ذلك على حساب الشرف ونبيل الأخلاق. أما الفتاة فى الاسلام فهى مرعية فى كنف أبيها أو من يقوم مقامه شرعا حتى تتزوج.

إن منهج الاسلام أحكاما وأخلاقا لا يجوز أن يكون تأمين العيش فيه على حساب العرض والشرف فما ضياع الشرف إلا ضياع العالم كله وقد نجد

القلب والقلبة فى نزواته وصبواته وفترة طيشة لذة عابرة فأين عاقبتها السابق والتفكك الأسرى وتقطيع الأرحام وانتشار الفساد فى الأرض وما نساء الشوارع والفتيات المجلات والأفلام فى أمريكا وأوروبا واتباع أوروبا إلا من نتائج ذلك النظام الخاسر فهن إفرازات أخطاء البيوت الخربة والمسئولية الضائعة حيث أفلتها الرجال عن كواهلهم فوقعن حيث وقعن وتبع ذلك التنصل من مسئولية النسل والتربية الصحيحة وأصبح الفرد ذكرا أو أنثى لنفسه لا لأمته ولشهواته القريبة لا الهمم العليا وبهذه يسرع الفساد إلى المجتمع ويعم الخراب الديار .

٣ — الميراث ملحوظ فيه الجانب المادى فهو مرتب على نظام الزواج فهو كعملية الطرح بعد عملية الجمع لإخراج نتيجة صحيحة . أى أن الزيادة فى الميراث ليست تفضيلا ولكنها تعويض مادى بحت .

وبالنسبة للسؤال حول حق المرأة فى الزواج من غير المسلم فهذا خاضع لعموم النظام التشريعى الاسلامى وكما قلنا فى المساواة أن بعض الفئات من المجتمع قد تمنع من الزواج من فئات أخرى كالعسكرى والدبلوماسى لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة فلا غرابة فى أنظمة الدنيا لأن تشتمل على نوع من التفرقة فى الحكم والتى لا تعنى الإخلال بعموم مبدأ المساواة كما هو مشروح مفصل فى حديثنا عن المساواة .

الطلاق :

لم يعد أحد ينازع فى العصر الحاضر بفاعلية الطلاق وحاجة الزوجين إليه حينما يتعذر بينهما العيش تحت سقف واحد بعد المحاولات الجادة فى الاصلاح والتوفيق .

ويكون للإسلام فخر ومنقبة بأنه شرع الطلاق وفصل أحكامه وأعطى فرص

الزوجة فى طلاق ثلاث متفرقات يتخلل كل طلقة عدة محدودة بحساب مفصل فى أحكام الشريعة مما يعجز نظام بشرى أن يأتى بمثله حكما وحكمة ونظرة فى طبيعة البشر والعلاقة بين الزوجين الذكر والأنثى والعيش فى البيوت والروابط الاجتماعية .

وكل القوانين المتمدنة المعاصرة قالت بالطلاق وأخذت به رغما عن النصرانية المحرفة التى زعمت أن الزواج عقد ربط فى السماء فلا يحل إلا فى السماء .

إننا لا ننكر أن هناك أخطاءا فى التطبيق يزاولها بعض الأزواج وبخاصة فى المجتمعات التى يسود فيها الجهل والأمية ولايجوز أن تنسحب أخطاء التطبيق على أصل النظام وقواعده وأحكامه ألا ترى أن فى دنيا الناس من يصف له الطبيب دواءا بمقادير محددة ومواعيد معينة ثم يخالف المريض التعليمات فى الاستعمال والمسئولية حينئذ تقع كاملة على المريض مادام عاقلا راشدا .

أما ما قيل فى الأسئلة بإمكانية هجر الرجل لزوجته دون أن يقدم تبريرا لعمله ومن دون أن يعاقب من أية نتائج لعمله هذا فهذا غير صحيح وليس بموجود فى الإسلام ولا فى تشريعاته وإذا رأت المرأة من زوجها نشوزا أو إعراضا فإما أن تعالجه مباشرة مع زوجها بمصالحة أو أى طريق من طرق العلاج الذى يبقى على الحياة الزوجية ويحفظ للبيت تماسكه وإذا لم تجد كل هذه السبل فتلجأ للقضاء وإذا تبين للقاضى وجهة الحق مع المرأة فإنه يحكم بفسخ النكاح وافتراق الزوجين وإن لم يرض الزوج .

الحضانة :

ما ورد فى التساؤل من أن للأب حق الوصاية أو الولاية على الأبناء وأنهما وإن كان الأطفال فى حضانة الأم فهذا غير سديد وليس من حكم

التربية وذلك لأمرين أساسيين :

أولهما : ليس في القرآن ولا في سنة الرسول ﷺ نص عام ينص على تقديم أحد الأبوين دائما ولا في تخيير أحد الأبوين دائما .

ثانيهما : العلماء متفقون على أنه لا يتعين أحدهما مطلقاً .

وقد ترتب على ذلك خلاف في المدارس الفقهية مبني على النظر في مصلحة الطفل وعلى صلاحية الأبوين للحضانة والوصاية وقدرتهما على القيام بهذه المسئولية .

وهم متفقون على أنه لو كان أحدهما غير صالح لذلك فلا يجوز أن يتولى الحضانة أو الوصاية .

تعدد الزوجات :

جاء في التساؤلات أن من مظاهر تفوق جنس على آخر قبول تعدد الزوجات مع تحريم تعدد الأزواج . وإيضاح الموقف من جهتين :

أولاهما : أن اختلاف الجنس البشرى إلى ذكر وأنثى ترتب عليـــه اختلاف في الطبـائع والقدرات وهذا الاختلاف الذى لا ينكر لا يجوز أن يكون دليلا على تفوق جنس على آخر كما قررناه في الكلام على المساواة .

ثانيهما : سماحة الشريعة الاسلامية بإباحة تعدد الزوجات لأنه منسجم مع مجموعة تعاليمها وهو منسجم كذلك مع الطبيعة البشرية في كل من الذكر والأنثى .

أما أنه منسجم مع عموم تعاليم الشريعة فلأنها حرمت الزنا وشددت في تحريمه ثم فتحت بابا مشروعا من وجه آخر ألا وهو النكاح ، وأباحت التعدد فيما لو ألجأت إليه الحاجة من قلة الزوجات تدفع إلى الزنا لأن عدد النساء يفوق عدد الرجال في كثير من البلدان كما تسبب الحروب وفي وقتنا الحاضر ترتفع

الأسلحة بحيث تقضى فى المتحاربين بالعشرات بل المئات فى لحظة واحدة أو طلقة مدفعية واحدة بل ينال ذلك حتى غير المتحاربين فقصر الزواج على امرأة واحدة يؤدى إلى بقاء عدد كبير من النساء دون زواج ويحرمان المرأة من الزواج وبقاؤها عانسا ينتج سلبيات كبيرة من الضيق النفسى وبيع الأعراض وانتشار السفاح وضياع النسل .

ومن جهة أخرى فإن الرجل والمرأة مختلفان من حيث إستعدادهما فى المعاشرة فالمرأة غير مستعدة كل وقت للمعاشرة ففى الدورة الشهرية مانع قد يصل إلى عشرة أيام أو أسبوعين كل شهر وفى النفاس مانع هو فى الغالب أربعون يوما والمعاشرة فى هاتين الفترتين محظورة شرعا وفى حال الحمل قد يضعف استعداد المرأة فى ذلك أما الرجل فاستعداده واحد طوال الشهر والعام فإذا منع الرجل من الزيادة على الواحدة كان فى ذلك حمل على الزنا فى أحوال كثيرة

ومما سبق يكون التشريع قد قدر الغرائز حق قدرها حسب الظروف من نقص الرجال وزيادة عدد النساء والأحوال التى تعترض المرأة فتقلل استعدادها واستجابتها .

ومقصد آخر من مقاصد الزواج وهو حفظ النوع الانسانى واستمرار التناسل البشرى وتكوين الأسرة المستقرة فإذا تزوج امرأة عقيما علم يجز أن يتزوج غيرها فقد تعطلت الوظيفة عن أداء غرضها وتعطل الغرض من الزواج وإذا كان ذلك كذلك فإن بقاءها معه والاذن له بالزواج من أخرى خير من طلاقها ليتزوج أخرى ابتغاء الولد .

ثم إن قدرة الرجل على الإنجاب أوسع بكثير من قدرة المرأة فهو يستطيع الإنجاب إلى ما بعد الستين من العمر أما المرأة فينتهى الإنجاب عند

في حدود الأربعين سنة فلو حرم على الرجل الزيادة على الواحدة لتعطلت وظيفة النسل أكثر من نصف العمر.

هذه هي النظرة في إباحة الشريعة التعدد جاءت لدفع ضرر و دفع حرج ولتحقيق المساواة بين النساء. و رفع مستوى الإخلاق.

ونحن أهل الشريعة نعلم أن القوانين الوضعية الاوروبية لم تعترف بهذا بل أنها جعلته محل تندر واستهجان ومجال طعن على الاسلام.

ولكننا بدأنا نلمس ظهور بعض القبول في نفوس مفكريهم و دعاة الإصلاح منهم. وبخاصة مع انتشار الحروب المدمرة وترمل الأعداد الكبيرة من النساء و زيادة أعداد النساء على الرجال.

ويكفي برهاناً لنا وردا عليهم انتشار الخليلات فيما بينهم إذ يكون للرجل عدد من الخليلات يشاركن زوجته رجولته وعطفه وماله بل قد يكون لإحداهن في هذا كله أكثر من نصيب الزوجة.

يضم إلى ذلك شيوع الزنا وما ترتب عليه من أمراض وكثرة أبناء السفاح وقتل الاجنة في بطون الامهات.

بل لقد بنوا علاقاتهم الجنسية على فوضى رهيبة فأولاد الزنا ولقطاء الفواحش تتفاحش نسبتهم حتى قاربوا في بعض أقطارهم نسبة الأولاد الشرعيين.

وحينما يرفعون عقيرتهم في النيل من تشريع التعدد فإن تنقل الرجل عندهم بين لفيف من النساء أمر مفهوم مقبول في أمزجتهم الفاسدة وقد ذكرت امرأة كنيدي — رئيس أمريكا السابق — أنه كان لزوجها بين / ٢٠٠ إلى ٣٠٠ / صديقة. وطبقة الصعاليك عندهم يستطيعون السطو على المئات من النساء فما بالك بمن فوقهم.

والرجل عندهم يدور بين جيش من العشيقات دون حرج لا بين بضع زوجات داخل سياج من الأخلاق الحكمة والشريعة الكريمة وضع في قفص الاتهام بل الحرام.

إن جورج كلنصو نمر السياسة في فرنسا في وقته / ١٨٤١ – ١٩٢٩م / واحد رجالات أوروبا المعدودين له عندهم في السياسة قدم راسخة وتغلب على خصوم كثير حظي بهذه المنزلة الدولية عندهم مع استفاضة خبثة وشهرته في نسبة الخنا إليه وكل ذلك لم يخدش شيئا من عظمته عندهم.

لقد كانت له ثمان مائة عشيقة وكان له أربعون ابنا غير شرعي. ويقال: إنه عندما علم أن زوجته الأمريكية خانته نهض عند منتصف الليل ورماها في الشارع تهيم على وجهها في الليل البهيم. وتعجبوا لماذا حرم هذا الرجل على غيره ما استباحه لنفسه. ويقول بعض المعلقين على هذه القصة كلنصو مثل كل الذئاب البشرية – من أكثر الناس احتقارا للمرأة ولم يقل أحد في المرأة أسوأ ولا أبشع مما قاله هو سواء على فراش اللهو أو على فراش المرض[1].

بقي أن نشير في خاتمة هذا الحديث إلى أن الشريعة حين أباحت التعدد اشترطت فيه وجوب العدل بين الزوجات في السكن والنفقة وكل مظاهر العلاقات وإذا لم يقم بالعدل أو خشي الظلم فإنه لا يجوز له أن يقدم على الزواج من أخرى.

كما أنه لا يجوز أن يتزوج الرجل بأكثر من أربع وهذا تحديد ظاهر لفوضى التعدد التي كانت سائدة في عصور الجاهلية. وأخيرا فإن التعدد لمن استطاع العدل بين الزوجات جائز مشروع وليس بواجب متحتم ●●●

---

(١) صحيفة الأهرام ١٣ / ٩ / ١٩٧٩م الكاتب أنيس منصور ...

طريق النجاة من أخطار الكلب في ضوء التوجيه النبوى الكريم

بقلم : الشيخ لطف الحق المرشد آبادى
المدرس بالمدرسة دار الحديث، بوانى فور

الحمد لله الذى بعث رسوله لهداية العالمين ، والصلاة والسلام على من أنقذ الناس من الوقوع فى المرض والسقم ، وعلى صحبه الذين صحوا وسلموا من الأمراض والأضرار فى التأسى بطريقه الأقوم ، وبعـــد :

فأريد أن أقدم الى القراء الكرام مقـــالة مشتملة على ارشادات طبيب الأمة ﷺ السامية ونصائحه القيمة فى تطهير نجاسات الكلب وجراثيم أمراضه اذا ولغ فى الاناء ومن أخطاره وأضراره الجسيمة من جهة الطب التى تنشأ لعدم العناية بتطهير نجاساته وقاذوراته والمخالطة والمباشرة به . ولقــــد وقانا ورعانا طبيب الأمة محمد ﷺ من مفاسده العظيمة بالأمر بتطهير أنجاسه وأرجاسه بالماء والتراب ، وبين لنا طريق النجاة منها بيانا واضحا جليا ، ولو أنه ﷺ لم يبين لنا سبيل تنظيف نجاساته لوقعنا فى خطر عظيم وخسران جسيم ، فعليه ألف ألف تحية منا مادامت السماوات والأرض . وما رأيت أكمل طبيب وأفضل معلم وأشرف مرشد وأكبر مصلح وأعظم محسن من محمد ﷺ قط ، وما حاولت بتقديم هذه المقالة إلا تنبيها قويا وزجرا أكيدا للذين يخـــالطون بالكلاب ويصاحبونها ويقبلونها ويشتغلون بها فى الفكاهة والظرافة ويلعقونها أيديهم بعد انصرافهم من الأكل والشرب ، ويضعون البقايا من الأطعمة والأشربة

الاواني التي يأكلون فيها ويشربون فيهـا امامها، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، لايرون في ذلك حرجا ولابأسا، ويظنون أنهم يحميون بذلك. واشعارا بأن طبيب الامة ﷺ اعتنى بتطهير النجاسات وتنظيف القاذورات واهتم بوقاية الصحة من الاضرار والأمراض التي تلحق بصحة الناس وحياتهم اهتماما عظيما وأرشدهم إلى ما تصلح به الأبدان والاجسام، اود أن أذكر هنا أحكام الكلب ومواقفه من جواز اقتنـائه وعدم جوازه في ذلك و اباحة صيده وجواز قتل الكلب العقور والأسود البهيم وغير ذلك عمـا يليق ذكره بالاختصار ليكون القراء الكرام على بصيرة ومعرفة منها.

اقتنائه في نظر الاسلام: أباح الاسلام اتخاذ الكلاب عند الضرورات والحاجات والمصالح، مثلا الكلاب التي يتخذها الناس في حفظ الحقول والمواشي والدور وغير ذلك مما فيه مصالح لهم فهي مباحة جائزة في نظر الاسلام، وأما الكلاب التي يقتنيها الناس لغير حاجة ويتخذونها اعجابا ومفاخرة بها فهي حرام اتفاقا. والذين يقتنون الكلاب تنشيطا لقلوبهم وتفريحا لنفوسهم ولم يكن فيه شيء من المنافع غير السرور والابتهاج فإنه ينتقص أجرهم قيراطـــا أو قيراطين كما جاء في الحديث النبوي:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتخذ كلبـا الا كلب صيد أو زرع أو ماشية انتقص من أجره كل يوم قيراط»[١].

قال ابن عبد البر: في هذه الأحاديث اباحة اتخاذ الكلب للصيد والماشية، وكذلك الزرع لانها زيادة حافظ، وكراهة اتخاذها لغير ذلك الا أنه يدخل

(١) نيل الأوطار ١٤٤/٨

في معنى الصيد وغيره لما ذكر اتخاذها لجلب المنافع و دفع المضار قياسا فتمحض كراهة اتخاذها لغير حاجة لما فيه من ترويع الناس وامتناع دخول الملائكة الى البيت الذي الكلب فيه(١).

قال صاحب السبل : الحديث دليل على المنع من اتخاذ الكلاب واقتنا‌ئ وامساكها إلا ما استثناه من الثلاثة(٢)، وذهب إلى تحريم اقتناء الكلب الشافعي إلا المستثنى(٣).

ورد في صحيح مسلم الأمر بقتل الكلاب فقال القاضي عياض : ذهب كثير من العلماء إلى الأخذ بالحديث في قتل الكلاب إلا ما استثنى قال: وهذا مذهب مالك وأصحابه . و ذهب آخرون إلى جواز اقتنائهـا جميعا ونسخ قتلها إ‌ الأسود البهيم . قال : وعندي أن النهي أولا كان نهياً عاماً عن اقتنائها جميع وأمر قتلها جميعا ثم نهى عن قتل ماعدا الأسود ومنع الاقتناء في جميع إلا المستثنى(٤).

وقال النووي رحمه الله : وقد اتفق أصحابنا وغيرهم على أنه يحرم اقتناء الكلب لغير حاجة مثل أن يقتنى كلبا اعجابا بصورته وللفاخرة به فهذ حرام بلا خلاف ، وأما الحاجة التي يجوز الاقتناء لها فقد ورد هذا الحديث بالترخيص لأحد ثلاثة أشياء وهي الزرع والماشية والصيد وهذا جائز بلاخلاف واختلف أصحابنا في اقتنائه لحراسة الدور والدواب وفي اقتنـاء الجرو ليه

(١) نيل الأوطار ١٤٥/٨
(٢) سبل السلام ١٣٩٨/٤
(٣) أيضا ١٣٩٩/٤
(٤) " "

منهم من حرمه لأن الرخصة إنما وردت فى الثلاثة المتقدمة، ومنهم من أباحه وهو الأصح لأنه فى معناها[1].

قال الشيخ يوسف القرضاوى فى كتابه «الحلال والحرام فى الإسلام»: وهذا المنع إنما هو للكلاب التى تقتنى لغير حاجة ولا منفعة[2]. وقال الدكتور أيضا: أما الكلاب التى تقتنى لحاجة ككلاب الصيد، أو كلاب الحراسة للزرع أو الماشية أو نحوها، فهى مستثناة من هذا الحكم[3].

وقال صاحب مظاهر حق جديد: وأما الكلاب التى تنفع فى حفظ الزروع والبساتين والمواشى وتخدم الناس فابقائها وامساكها أولى وأصلح[4] بالنظر إلى منافعها ومصالحها.

قال النووى: وهل يجوز لحفظ الدور والدروب ونحوها فيه وجهان: أحدهما لا يجوز لظواهر الأحاديث فانها مصرحة بالنهى إلا لزرع أو صيد أو ماشية، وأصحهما يجوز قياسا على الثلاثة عملا بالعلة المفهومة من الأحاديث وهى الحاجة. وهل يجوز اقتناء الجرو وتربيته للصيد أو الزرع والماشية؟ فيه وجهـــان لأصحابنا، أصحهما جوازه[5]. واختلف العلماء هل المنع للتحريم أو للكراهة فقيل بالأول، وقيل بالثانى[6]. قال الشيخ يوسف القرضاوى: وقـــد

(١) شرح صحيح مسلم للنووى ١/١٣٧
(٢) الحلال والحرام فى الاسلام ص ١١٤
(٣) " " " "
(٤) مظاهر حق جديد ٣/٧٠ الأردية .
(٥) شرح صحيح مسلم للنووى ٢/٢٠
(٦) سبل السلام ٤/٩٩–١٣٩٨

استدل بعض الفقهاء من هذا الحديث على أن المنع من اتخاذ الكلاب إنما هو منع كراهة لا منع تحريم ، لأن الحرام يمتنع اتخاذه على كل حال ، سواء نقص الأجر أم لا[١].

سبب تحريم اقتناء الكلاب : قال صاحب سبل السلام : وحكمة التحريم ما فى بقائهـا فى البيت من التسبب إلى ترويع الناس وامتناع دخول الملائكة الذين دخولهم يقرب إلى فعل الطاعات ويبعد عن فعل المعصية وبعدهم سبب لضد ذلك ولتنجيسها الأوانى[٢].

وقال القرضاوى : قال بعض العلماء فى حكمة المنع من اقتناء الكلب : إنه ينبح الضيف ، ويروع السائل ، ويؤذى المارة[٣].

التوفيق بين الروايتين : جاءت الروايات مختلفة فى ذلك انتقاص الأجر ، ففى رواية عن ابن عمر من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان وفى رواية ينقص من أجره كل يوم قيراط .

و ذكر النووى التطبيق بين الروايتين المتعارضتين على أحسن طريقة ، فقال : وأما اختلاف الرواية فى قيراط وقيراطين فقيل يحتمل أنه فى نوعين من الكلاب ، أحدهما أشد أذى من الآخر ومعنى فيهما أو يكون ذلك مختلفا باختلاف المواضع فيكون القيراطان فى المدينة خاصة لزيادة فضلها والقيراط فى غيرها ، أو القيراطان فى المدائن ونحوها عن القرى والقيراط فى البوادى ،

---

(١) الحلال والحرام فى الاسلام للقرضاوى ص ١١٤

(٢) سبل السلام ١٣٩٨/٤

(٣) الحلال والحرام فى الاسلام ص ١١٣

أو يكون ذلك فى زمنين فذكر القيراط أولا ثم زاد التغليظ فذكر القيراطين[١].

وقال صاحب نيل الأوطار: واختلفوا فى اختلاف الروايتين فى القيراطين كما فى صحيح البخاري والقيراط كما فى أحاديث الباب. فقيل الحكم للزائد لكونه حفظ ما لم يحفظ الآخر، أو أنه ﷺ أخبر أولا بنقص قيراط واحد فسمعه الراوى الأول ثم أخبر ثانيا بنقص قيراطين زيادة فى التأكيد والتنفير من ذلك فسمع الراوى الثانى. وقيل ينزل على حالين فنقص القيراطين باعتبار كثرة الاضرار باتخاذها ونقص القيراط باعتبار قلته[٢].

يجوز الصيد بالكلب: أباح الاسلام الصيد بالكلب اذا كان معلما. قال القاضى عياض: هو مباح لمن اصطاد للاكتساب والحاجة والانتفاع به بالأكل وثمنه قال: واختلفوا فيمن اصطاد للهو ولكن قصد تذكيته والانتفاع به فكرهه مالك وأجازه الليث وابن عبد الحكم. قال: فإن فعله بغير نية التذكية فهو حرام لأنه فساد فى الأرض واتلاف نفس عبثا[٣].

قال النووى ضمن تشريح الحديث الآتى: «إذا أرسلت كلبك المعلم» اطلاقه دليل لإباحة صيد جميع الكلاب المعلمة من الأسود وغيره وبه قال مالك والشافعى وأبوحنيفة وجماهير العلماء، وقال الحسن البصرى والنخعى وقتادة وأحمد وإسحاق: لا يحل صيد الكلب الأسود لأنه شيطان[٤].

يحل أكل صيد الكلب المعلم إذا أمسك على صاحبه ولم يأكل منه شيء

---

(١) شرح صحيح مسلم للنورى ٢/٢١
(٢) نيل الأوطار ٨/١٤٦
(٣) شرح صحيح مسلم النووى ٢/١٤٥
(٤) " " "

فإذا أمسك على نفسه وأكل منه شيئا فلا يحل أكل صيده، وكذلك لا يحل أكل صيده إذا خالطه كلب آخر لأن المرسل لايعلم أيهما قتل. قال النووي: فيه تصريح بأنه لايحل اذا شاركه كلب آخر والمراد كلب آخر استرسل بنفسه او ارسله من ليس هو من أهل الزكاة أو شككنا فى ذلك فلا يحل أكله فى كل هذه الصور، فإن تحققنا أنه إنما شاركه كلب أرسله من هو من أهل الزكاة على ذلك الصيد حل[1].

قال أبوحنيفة وأبو يوسف ومحمد و زفر: اذا أكل الكلب من الصيد وهو غير معلم لا يؤكل صيده، ويؤكل صيد البازى وان أكل وهو قول الثورى، وقال مالك والاوزاعى والليث: يؤكل وان أكل الكلب منه، وقال الشافعى: لا يؤكل اذا أكل الكلب منه. قال أبو بكر: اتفق السلف المجيزون لصيد الجوارح من سباع الطير أن صيدها يؤكل وان أكلت منه، منهم سعد وابن عباس وسلمان وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن المسيب.

وإنما اختلفوا فى صيد الكلب فقال على بن أبى طالب وابن عباس وعدى ابن حاتم وأبو هريرة وسعيد بن جبير وابراهيم: لا يؤكل صيد الكلب اذا أكل منه، وقال سلمان وسعد وابن عمر يؤكل صيده وان لم يبق إلا ثلاثة[2].

بيع الكلب فى نظر الاسلام: ما أباح الاسلام بيع الكلب وجعل تجارته من شر الأكساب وأخبثها، قال النورى: وأما النهى عن ثمن الكلب وكونه خبيثا فيدل على تحريم بيعه وانه لايصح بيعه ولايحل ثمنه ولا قيمته على متلفه سواء كان معلما أم لا وسواء كان مما يجوز اقتناؤه أم لا، وبهذا قال جماهير العلماء

---

(١) شرح صحيح مسلم النووى ١٤٥/٢

(٢) أحكام القرآن لأبى بكر أحمد بن على الرازى ٣٨٥/٢

منهم أبو هريرة والحسن البصري وربيعة والأوزاعي والحكم وحماد والشافعي وأحمد وداود وابن المنذر وغيرهم . وقال أبو حنيفة : يصح بيع الكلاب التي فيها منفعة ، وتجب القيمة على متلفها ، وحكى ابن المنذر عن جابر وعطاء والنخعي جواز بيع كلب الصيد دون غيره ، وعن مالك روايات احداها لا يجوز بيعه ولكن تجب القيمة على متلفه ، والثانية يصح بيعه وتجب القيمة ، والثالثة لا يصح ولا تجب القيمة على متلفه . دليل الجمهور هذه الاحاديث ، وأما الاحاديث الواردة في النهي عن ثمن الكلب إلا كلب صيد وفي رواية « إلا كلبا ضاريا » وان عثمان غرم انسانا ثمن كلب قتله عشرين بعيرا ، وعن ابن عمرو بن العاص التغريم في اتلافه فكلها ضعيفة باتفاق أئمة الحديث وقد أوضحتها في شرح المهذب في باب ما يجوز بيعه[١].

حكم الاناء بعد ولوغ الكلب : ان الاناء وما فيه من الاطعمة والأشربة يتنجس لولوغ الكلاب ، وذلك لما أمر الرسول ﷺ بتطهير مثل هذا الاناء بالماء والتراب ، وسؤره وفمه ولعابه وسائر أعضاء بدنه نجس غير طاهر ، ولذا علمنا طبيب الأمة محمد ﷺ أن نطهر الاناء من نجاسات الكلب وأقذاره اذا ولغ فيه بغسل ذلك الاناء بالماء سبعا وبالتراب مرة ، كما قال رسول الله ﷺ « طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات ، أولاهن بالتراب » أخرجه مسلم وفي لفظ له « فليرقه » وللترمذي « أخراهن ، أو أولاهن » .

قال صاحب السبل : دل الحديث على أحكام أولها نجاسة فم الكلب من حيث الأمر بالغسل لما ولغ فيه . وتركت بقية الأحكام مخالفة الاطناب والطوالة . وقال صاحب النيل : واستدل بهذا الحديث أيضا على نجاسة الكلب ، لأنه

(١) شرح صحيح مسلم ٢/٢٠-١٩

إذا كان لعابه نجسا وهو عرق فمه ففمه نجس ويستلزم نجاسة سائر بدنه ، وذلك لأن لعابه جزء من فمه وفمه أشرف ما فيه فبقية بدنه أولى . وقد ذهب إلى هذا الجمهور[1].

وفى أمر طبيب الأمة ﷺ بغسل الاناء بالماء سبعا وتنظيفه بالتراب مرة مصالح جليلة وفوائد عظيمة لا يعرفها إلا من رزقه الله تعالى عقلا سليما وذوقا مستقيما ونظرا صائباً وفكرا دقيقا من علماء الطب ، فمن هذه المصالح حصول الطهارة الكاملة والنظافة التامة من الأنجاس والأرجاس ، والحفظ من الأمراض الكثيرة الخبيثة ، فقد حقق علماء الطب أن عددا كبيرا من جراثيم الأمراض لايزل ملصقا فى أكثر أفواه الكلاب ولعابها فاذا ولغ الكلب فى الاناء أو شرب ، تلوث ذلك الاناء بالجراثيم ، فاذا أكل الانسان أو شرب فى ذلك الاناء بغير تطهيره وتنظيفه بالمـــاء يلحقه كثير من الأمراض الخبيثة المستعصيـــة . ولذلك اعتنى طبيب الأمـة ﷺ بغسل ذلك الاناء سبعا بالماء ومرة بالتراب وإنما أمر طبيب الأمة ﷺ فى تنظيف ذلك الاناء بالتراب ، لأن الله تعالى قد أودع فى التراب مادة لازالة الجراثيم وقوة فى الاذهاب بالأنجاس والأقذار كما يقول أحد الكتاب : ان الأمر بتنظيف الاناء بالتراب موافق للطب الحديث ، لأن الله تعالى قد أودع فى التراب قوة شديدة لازالة جراثيم الأمراض ، فكما تزول بذلك أنجاس لعـــاب الكلب كذلك تموت بتلك الترسبات.

---

(١) نيل الأوطار ١/٤٧

واستعمل طبيب الأمة ﷺ التراب على الدمامل والقروح والجروح للحصول على شفائها، وكان النبي ﷺ يأخذ من ريقه على اصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه فيمسح بها على الموضع الجريح والعليل ويلفظ بهذه الكلمات فى حال المسح: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى سقيمنا باذن ربنا، فبان من هذا جليا أن فى التراب قوة لازالة الجراثيم ومادة لاماتة البويضات.

ولأجل ذلك جرت عادة الناس باستعمال التراب على الدمامل والقروح فى أغلب الأحيان[1].

والأمر بالتسبيع فى تنظيف ذلك الاناء لمصلحة جليلة ومقصد عظيم سوى التنجس أبداها علماء الطب. قال ابن دقيق العيد: واعلم أن مجرد النجاسة لايشترط فى ازالتها أن تغسل سبع مرات، فإذن لابد أن يكون الأمر بالتسبيع لحكمة أخرى سوى التنجس. وقد بين بعض أطباء العصر أن فى أمعاء أكثر الكلاب دودة شريطة صغيرة جدا، طولها ٤ مليمترات، فاذا راث الكلب خرجت البويضات بكثرة فى الروث، فيلصق كثير منها بالشعر الذى حول الدبر، فإذا نظف ذلك الكلب نفسه بلسانه تلوث لسانه وفمه بها، فإذا ولغ الكلب فى اناء أو شرب ماء أو قبله انسان، كما يفعل الافرنج وبعض من قلد الافرنج، علقت هذه البويضات بتلك الأشياء، وسهل وصولها إلى فم أثناء أكله وشربه، فتصل إلى معدته، وتخرج منها الأجنة فتثقب جدر المعدة وتصل إلى أوعية الدم، فتحدث أمراضا كثيرة فى المخ والقلب والرئة

(١) الصحة والطب فى نظر الاسلام للشيخ عبد الرؤف الشميم، (بالبنغالية).

إلى غير ذلك، وكل ذلك مشاهد لأطباء أوربا فى بلادهم . ولما كان تمييز الكلب المصاب بهذه الدودة عسيرة جداً ، لأنه يحتاج إلى زمن وبحث دقيق بالآلة التى لايعرف استعمالها الا القليل من الناس، كان اعتبار الشرع اياه نجساً، وغسله سبع مرات انقاء للاناء بحيث لايعلق فيها شيء مما ذكرنا هو عين الحكمة والصواب[1]، والله أعلم.

ومن هنا تبين أن الرسول ﷺ لايأمر بشيء الا كان فيه فلاح الناس وصلاحهم، ولاينهى عن شيء الا كان فيه ضرر وخسران لهم، وأن الله تعالى قد علمه كثيراً من أمور الطب والعلاج لينفع به أمته ﷺ .

<u>الكلاب فى نظر علماء الطب</u>: أود هنا أن أذكر أخطار الكلاب الهامة التى تظهر لأجل مخالطتها الناس ومعاشرتها فى صحتهم وحياتهم من جهة الطب . قد كتب أحد فضلاء الألمانيين مقالة هامة حول أخطار الكلاب ومضارها التى تظهر لمخالطتها ومعاشرتها من جهة الطب ، أصدرتها الجرائد الألمانية ، وأقدم بعض أجزائها النافعة إلى القراء الكرام ليكونوا على بصيرة منها :

« إن ازدياد شغف الناس باقتناء الكلاب فى السنوات الأخيرة يضطرنا إلى لفت نظر الرأى العام إلى الأخطار التى تنجم عن ذلك ، خصوصاً أن الحال لم تقتصر على مجرد اقتنائها ، بل قد تعدت ذلك إلى مداعبتها وتقبيلها والسماح لها بلحس أيدى الصغار والكبار بل كثيراً ما تترك تلعق فضلات الطعام من الصحون المعدة لحفظ مأكل الإنسان ومشربه .

(١) تحفة الكرام ص ٦

ومع أن في كل ماذكر من المضادات عيوبا ينبو عنها الذوق السليم ولا ترتضيها الآداب، هذا فضلا عن أنها لا تتفق مع قواعد الصحة والنظافة، إلا أننا نغض النظر عنها من هذه الوجهة لخروجها عن مجرى الحديث في هذا المقال العلمي، تاركين تقديرها التربية الخلقية وتهذيب النفس.

أما من الوجهة الطبية ـ وهي التي تهمنا في هذا البحث ـ الأخطار التي تهدد صحة الانسان وحياته بسبب اقتناء الكلاب ومداعبتها ليست مما يستهان بها، فإن كثيرا من الناس قد دفع ثمنا غاليا لطيشه، إذ كانت الدودة الشريطية بالكلاب سببا في الأدواء المزمنة المستعصية، بل كثيرا ما أودت بحياة المصابين بأمراضها.

وهذه الدودة هي عبارة عن إحدى الطفيليات الشريطية الشكل، وتسمى دودة الكلب الشريطية، وتظهر في الانسان على شكل بثرة، وكذلك في المواشي خصوصا في الخنازير، ولكنها لا توجد تامة النمو إلا في الكلاب وكذلك في بنات آوى والذئاب، ويندر وجودها في القطط. وتختلف عن الديدان الشريطية الأخرى بأنها صغيرة الحجم جدا حتى إنها تكاد لا ترى، ولم يعرف شيء عن حياتها إلا في السنوات الأخيرة. . .» إلى أن قال:

«ولأطوار نشوء دودة الكلب الشريطية خواص فريدة في علم الحيوان فمن البويضة الواحدة تنشأ رؤوس ديدان شريطية عديدة بالقرحات الناتجة عنها، كما أنه يمكن أن ينتج عن البويضات المتشابهة بثرات مختلفة اختلافا تاما، هذا إلى أن رؤوس الديدان المتولدة من القروح تتحول إلى ديدان شريطية كاملة التكوين بالغة النمو بمصران الكلاب، ولاينشأ عنها بالانسان والحيوان سوى

بثآليل وقروح عديدة تختلف اختلافاً كلياً عن الدودة الشريطية. ولا تتعدى القرحة في الماشية حجم التفاحة إلا فيما ندر، ومع ذلك يلاحظ أن وزن الكبد يزداد ازدياداً بالغاً قد يصل من خمسة إلى عشرة أضعاف وزنه العادى. وأما في الانسان فإنها تصل إلى حجم قبضة اليد أو رأس الطفل الصغير وتمتلىء سائلاً أصفر وتزن من ١٠ إلى ٢٠ رطلاً.

وأغلب ما توجد في الانسان في الكبد، وتظهر فيه بأشكال عديدة متباينة إلا أنها كثيراً ما تنتقل إلى الرئة والعضلات والطحال والكلى وإلى تجويف الجمجمة، ويتغير شكلها وتكوينها تغيراً كبيراً، حتى إنه كثيراً ما اختلط تمييزها على المختصين إلى عهد قريب.

وعلى كل حال فإن هذه القرحة أينما وجدت خطر أكيد على صحة المصاب بها وحياته، ومما يزيد الطين بلة أن توصلنا إلى معرفة أطوار تاريخ حياتها، وطرق نشأتها وتكوينها، لم يساعدنا حتى الآن على الاهتداء إلى طرق علاجها، إلا أنه في بعض الأحيان قد تموت هذه الطفيليات من تلقاء نفسها، وقد يكون السبب في ذلك هو أن مواد يفرزها الجسم تعمل على إبادة هذه الطفيليات وقد ثبت أخيراً أن جسم الانسان يفرز في مثل هذه الأحوال مواد مضادة تعمل ضد هذه الطفيليات لإبادتها وإبطال عمل سمومها. ولكن مما يدعو للأسف الشديد أن الحالات التي تموت فيهـا هذه الطفيليات دون أن تترك أثراً أو تعتبر قليلة نادرة بالنسبة للحالات الأخرى، وهذا فضلاً عن أن محاربتها بالطرق الكيماوية لم تأت بأية فائدة، وحالة لا يلتجئ المصاب إلى أسلحة الجراحين لا ينقذه من الزوال أي طريق من طرق العلاج الأخرى.

ولهذه الأسباب أصبحت ضرورية لاتخاذ جميع الوسائل المستطاعة لمكافحة هذا المرض القتال و وقاية الانسان من أخطاره الفتاكة.

وقد ثبت للأستاذ الدكتور « نوالر» من تشريح الجثث بألمانيا أن الاصابات الآدمية بقروح دودة الكلب لا تقل عن (١) فى الالف بكثير، وأما أكثر البلدان الأجنبية تلوثا بهذه الدودة فهى المناطق الشمالية بالأراضى الواطئة و دالماسيا وبلاد القوم وإسلندة وجنوب شرق أستراليا وفى اقليم نيوزيلاند بهولندة حيث تستخدم الكلاب فى الجر ظهرت الاصابة بالدودة الشريطية فيما لا يقل عن (١٢) فى المائة من الكلاب كما وجد فى إسلندة أن بين كل (٤٣) فى المائة من الأهالى شخصا مصابا بقروحها ، فإذا ما أضفنا الخسارة التى تصيب غذاء الانسان من جراء إبعاد هذه المواشى الموبوءة إلى الأخطار التى تهدد صحة الانسان بوجود هذه الدودة الشريطيـــة ، فإنه ما من أحد يتردد فى أن إبادتها من ألزم الواجبات ، وقاية للصحة العامة ، وحرصا على غذاء الشعب ، خصوصا أن النواحى التى سلمت حتى الآن مهـــددة من حين لآخر بأن يسرى إليها الوباء.

وقد يكون من أنجع الطرق فى مكافحتها هو أن نجتهد فى حصر هذه الدودة فى الكلاب وحبسها عن الانتشار ، و ذلك لعـــدم استطاعتنا فى الواقع منع اقتناء الكلاب بتاتا . . .

ولا ينبغى إغفال معالجة الكلاب التى يثبت إصابتها ، المعالجة اللازمة فى مثل هذه الأحوال بطرد الدودة الكامنة بمصرانها ، ويستحسن تكرار هذه المعالجة من حين لآخر لكلاب الرعاة وكلاب الحراسة.

... ويمكن للانسان وقاية لصحته وحرصا على حياته أن يراعى بدقة زائدة الابتعاد الكلى عن مداعبة الكلاب ، لايسمح لها بالاقتراب منه ، كما ينبغى فى تربية الأطفال على الاحتراس من الاختلاط بالكلاب ، فلا تترك تلعق أيديهم ، ولايسمح لها بالاقامة بأماكن نزهة الأطفال ولهوهم ، فإنه مما يدعو للأسف الشديد أن نرى عددا كبيرا من الكلاب خصوصا فى رياضة الأطفال هذا إلى برازها المبعثر فى كل أركانها ، كما ينبغى إعداد أوان خاصة لإطعام الكلاب . فلا تترك تلعق فى الصحون التى يستعملهـــا الانسان ، ولايسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العمومية أو المطاعم . . إلى آخره، وعلى العموم يجب أخذ الحيطة التامة بإبعادها عن كل ما له مساس بمأكل الانسان أو مشربه[1] انتهى .

وظهر من هذا جليـــا أن فى نهى الرسول ﷺ عن مخالطـــة الكلاب ومعاشرتها وعن اقتنائها لغير حاجة والأمر بالاجتناب من أسآرها والمنع من ولوغها فى الأوانى والظروف ، لمصلحة عظيمة ومقصدا جليلا للناس . وهكذا يثبت فضل الشريعة الاسلاميـــة وسموها على غيرها من القوانين والبحوث ، ونعم ما ورد فى الكتاب العزيز : ﴿ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير﴾ .

أمر الشارع بقتل الكلب : أمر الاسلام بقتل الكلب الكليب والكلب العقور والكلب الأسود ، لكونه أكثر إيذاء وأكبر اضرارا وأعظم اتلافا، ولما الكلب الذى ليس هو بكلب كلب ولا كلب عقور ولا كلب أسود فلم يأمر الاسلام بقتله كما ورد بحثه مبسوطا فى كتب الاحاديث ، قال النووى : أجمع العلماء على قتل الكلب الكليب والكلب العقور ، واختلفوا فى قتل ما لا ضرر

(١) الحلال والحرام فى الاسلام ص ١١٥—١١٨

فيه فقال امام الحرمين من أصحابنا أمر النبي ﷺ أولا بقتلها كلها ثم نسخ ذلك ونهى عن قتلها إلا الأسود البهيم ، ثم استقر الشرع على النهي عن قتل جميع الكلاب التي لا ضرر فيها سوى الأسود وغيره ، ويستدل لما ذكره بحديث ابن المغفل .

وقال القاضي عياض : ذهب كثير من العلماء إلى الأخذ بالحديث في قتل الكلاب الا ما استثنى من كلب الصيد وغيره . قال : وهذا مذهب مالك وأصحابه[1].

وقال النووي : قال أصحابنا إن كان الكلب عقورا قتل وإن لم يكن عقورا لم يجز قتله سواء كان فيه منفعة من المنافع المذكورة أو لم يكن[2].

قال صاحب السبل: والمراد بالكلب هو المعروف ، وتقييده بالعقور يدل أنه لا يقتل غير العقور ، ونقل عن أبي هريرة تفسير الكلب العقور بالأسد . وعن زيد بن أسلم تفسيره بالحية ، وعن سفيان أنه الذئب خاصة ، وقال مالك : كل ما عقر الناس وأغنامهم وعدا عليهم مثل الأسد والنمر والفهد والذئب هو الكلب العقور ، ونقل عن سفيان وهو قول الجمهور[3].

والسر الدقيق في أمر طبيب الأمة ﷺ بقتل الكلب الكلِب والعقور والأسود البهيم هو الوقاية من الوقوع في مرض خبيث وداء خطير والسلامة من المضار التي تورث اتلاف النفس، والنجاة من سائر الآفات والآلام والأوجاع التي تلحق بحياة الناس وصحتهم واجتماعهم واقتصادهم حتى يدمرهم تدميرا .

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٢٠

(٢) " " ١/ ١٣٧

(٣) سبل السلام ٢/ ٧٢١

وذلك لأن علماء الطب اكتشفوا بعد التحليل وحققوا بعد التجربة أن الكلب الكلب اذا عقر الناس يلحقهم مرض خبيث يقال له (Hydrophobia) فيكون هذا المرض الخطير سببا واضحا لضرر كبير وألم شديد.

قال الطبيب الكبير ميشور برشاد أوما شنكر الهندى حول أخطار الكلب الكلب فى كتابه: ايلو پيتهك ميڈيكل پركٹيشنر (Alopathic Medical Practitioner) إن مرض (Hydrophobia) يحدث لأجل عقر الكلب الكلب والذئاب والسراحيب والسباع الأخرى، وتكون جراثيم الأمراض فى لعاب الكلب الكلب، فإذا عقر هذا الكلب أحدا من الأصحاء السالمين يحدث له هذا المرض الخبيث، وتظهر آثار هذا المرض السيئة بعد عضه من سبعة عشر يوما إلى أربعين أو ستين يوما.

والمكان الذى عقره الكلب يكون فيه وجع وجرب وحكة، ثم بعد ذلك تظهر فيه قروح خطيرة، ولأجل ذلك يظهر عديد من العلامات المفظعة كالصراع وعدم النوم أى (Insomnia) والقلق النفسى والاضطرابات الروحية والتشويشات النفسانية والخوف والذعر وغير ذلك مما يجعل السليم محيرا ومشوشا، ويصبح اللديغ يتكلم كما يتكلم من أصابه الجنون والعتاهة، ويجد ألما شديدا فى التنفس والابتلاع، ويخاف من الماء ويحس شدة الظماء ولكن لا يستطيع أن يشرب الماء، ويصيح ويذهب لأن يعض الناس فى شدة المرض وازديادها، وتأخذه الحمى وتصعد من ١٠١ إلى ١٠٢، ويموت لأجل السكتة القلبية فجأة، وتأخذه وطأة المرض عند رؤيته الماء وينبح كالكلب، انتهى[1]

(١) Alopathic Medical Practitioner ص ٥٤٥ للطبيب ميشور برشاد ص ٥٤٥

وقال أحد الكتاب : إن الكلب الكليب مضر جدا ، ومن عقره هذا الكلب فعلاجه أربع عشرة (١٤) حقنة دوائية ، ويموت المعضوض فى أقرب وقت بعد لحقوقه هذا المرض ان لم يعالج بهذه الأدوية فى وقت مناسب .

وطبيب الأمة ﷺ كان عالما بهذه الأخطار على وجه أتم وأكمل ، ولذا أمر ﷺ حذرا من أخطاره بقتل الكلب الكليب أينما يوجد[1].

ومن هنا تبين جليا أن أخطار الكلب الكليب وأضراره عظيمة دون شك بالنظر إلى الطب ، وهى تورث حدوث أمراض مستعصية تؤدى الى الهلاك . ولذا أمر طبيب الأمة محمد ﷺ بقتل الكلب الكليب والعقور والكلب الأسود البهيم ، وكذلك علمنا كل شىء نحتاج إليه من مرافق الحياة ومستلزماتها ، وبين لنا كل طريق من الصلاح والفساد ، وحذرنا من الوقوع فى الأمراض . وجاء ذلك من الذى عاش بين أمة أمية لا تدرى ما الكتاب والحكمة والايمان والعرفان . فعليه منا ألف ألف تحيات مادامت السماوات والأرض ؟

(١) الصحة والطب فى نظر الاسلام ، للشيخ عبد الروف الشميم (بالبنغالية) ص ٤٧

مفهوم الاتباع والتقليد فى الشريعة الاسلامية

(٤)

الشيخ / سهيل أحمد فضل الرحمن الأعظمى
مكتب الدعوة والارشاد بدبى

(الاجتهاد والتقليد وموقف الشريعة منهما)

لما عرفنا فيما سبق أنه يتحتم علينا التمسك بالكتاب والسنة فى الشريعة الاسلامية ، ناسب بل لزم أن نعرف ما الذى تسمع به الشريعة وتجيزه لنا عند ما نزلت نازلة ولا يوجد فيها النص من الكتاب و السنة فمن المعلوم أن الدين الاسلامى دين حى خالد . ورسالته صالحة لكل زمان ومكان ، فإنه قد اجازلنا أن نطبق شرائعه عند كل نازلة من النوازل وحادثة جديدة فيما ليس فيها نص صريح فى الكتاب ولا فى السنة ، بالاجتهاد والاستنباط والتفكير فى الآيات ، البينات ، والاشتغال بتحقيق الأحاديث ومفاهيمها والنظر فى أقوال الصحابة الأخيار ومن تبعهم بإحسان . ولم نترك البشرية تخبط خبط عشواء بدون نظام وقانون ، مادام النص غير موجود . بل كلفنا أن نجتهد و نقيس ونبحث عن الأحكام بالعلل و الأدلة الظاهرة و الخفية الموجودة فى القرآن والأحاديث ورد الفروع إلى الأصول وغير ذلك من القواعد المسلمة المستنبطة منهما . حتى يتحقق لنا الاتباع الكامل بالجمع بين النصوص الظاهرة و العلل الخفية فيها وبتطبيق الشريعة الاسلامية فى سائر نواحى الحياة البشرية حتى تقوم الساعة

لأن شريعتنا كما قلنا شريعة كاملة شاملة لجميع الأمم فى سائر الأزمان كما قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا﴾[1].

وقال: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى»[3].

فالغرض هنا بيان معنى الاجتهاد والتقليد وموقف الشريعة من الإباحة والتحريم فيهما حتى يتبين لنا حقيقة الاتباع والتقليد اللذين هما من موضوع بحثنا ولنكون من ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[4].

وأقدم بيان الاجتهاد على التقليد لأن له أصلا فى الشريعة المطهرة واليه الاحتياج للأمة المسلمة فى كل بيئة ومجتمع وفى كل عصر ومصر. وأن التقليد قد انتشر بين العلماء بعد القرون المشهود لها بالخير.

معنى الاجتهاد لغة: فى المختار من صحاح اللغة[5]:

(ج ه د) الجهد بفتح الميم وضمها: الطاقة، وقرئ بهما قوله تعالى:

(١) المائدة: ٣
(٢) سبا: ٨
(٣) المشكاة: باب الاعتصام بالكتاب والسنة، الفصل الثانى.
(٤) الزمر: ١٨
(٥) انظر: مادة (ج ه د).

﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾[١].

الجهد بالفتح: المشقة يقال جهد دابته، وأجهدها إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها. وجهد الرجل فى كذا: أى جد فيه وبالغ. بابها قطع.

والاجتهاد والتجاهد: «بذل الوسع والجهود».

وقال ابن قدامة[٢]:

الاجتهاد فى اللغة: من الجهد، يطلق على بذل المجهود واستفراغ الوسع فى فعل، ولا يستعمل إلا فيما فيه جهد ومشقة، يقال اجتهد فى حمل الرحى، ولا يقال اجتهد فى حمل النواة أو الخردلة.

وقال الآمدى[٣]:

أما الاجتهاد: فهو فى اللغة عبارة عن استفراغ الوسع فى تحقيق أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة، ولهذا يقال «اجتهد فلان فى حمل حجر البزارة ولا يقال اجتهد فى حمل خردلة».

وقال الدكتور السيد موسى توانا فى كتابه[٤]:

وقد استعملت لفظة «الاجتهاد» وما اشتق منها من الكلمات غالبا فى معنى شيء من العمل فوق مستوى الأعمال العادية، وعن الحالة التى يصعب تحملها أو لا تكون مرغوبا فيها.

---

(١) التوبة: ٧٩

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر ص ١٩٠

(٣) الأحكام فى أصول الأحكام ٢٠٤/٣

(٤) الاجتهاد ص ٩٧

الاجتهاد فى الاصطلاح: قال ابن قدامة[1]:

هو فى عرف الفقهاء مخصوص ببذل المجهود فى العلم بأحكام الشرع.

وقال الآمدى[2]:

وأما فى إصطلاح الأصوليين فهو مخصوص باستفراغ الوسع فى طلب الظن بشىء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه.

وقال الدكتور السيد موسى توانا[3]:

هو بذل الجهد من الفقيه من استخراج الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها.

وقال الشاه ولى الله الدهلوى[4].

حقيقة الاجتهاد على ما يفهم من كلام العلماء: استفراغ الجهد فى إدراك الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها إلى أربعة أقسام: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس.

شروط الاجتهاد: معنى الاجتهاد لغة واصطلاحا الذى نقلناه عن علماء اللغة وعلم الأصول يرشدنا إلى أنه ليس سهلا وميسورا لكل فرد من أفراد الأمة بل لمن كان عنده مؤهلاته واستعداده ومن تتوفر فيه الشروط. لهذه المهمة.

---

(١) روضة الناظر ص ١٩٠

(٢) الأحكام فى أصول الأحكام ٣/٢٠٤

(٣) الاجتهاد ص ٩٨

(٤) عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد والتقليد ص ٣

ولذلك قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: «إن الاجتهاد لا يكون إلا على أصول يضاف إليه التحليل والتحريم وأنه لا يجتهد إلا عالم بها»[1].

فينبغي أن نعلم بشروط الاجتهاد والمجتهد التي قررها العلماء في كتبهم وبينوها بالتفصيل، فأذكرها بالإيجاز:

قال العلامة الشوكاني رحمه الله[2]:

«ولا بد أن يكون بالغا عاقلا قد ثبتت له ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها وإنما يتمكن من ذلك بشروط:

الأول: أن يكون عالما بنصوص الكتاب و السنة فإن قصر في أحدهما لم يكن مجتهدا ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب و السنة بل بما يتعلق منهما بالأحكام. ولا يشترط في هذا أن تكون محفوظة له مستحضرة في ذهنه بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها بالبحث عنها عند الحاجة إلى ذلك وأن يكون ممن له تمييز بين الصحيح منها والحسن والضعيف.

الثاني: أن يكون عارفا بمسائل الإجماع حتى لا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه.

الثالث: أن يكون عالما بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه ولا يشترط أن يكون حافظا لها.

الرابع: أن يكون عالما بعلم أصول الفقه لاشتماله على نفس الحاجة إليه وعليه أن يطول الباع فيه ويطلع على مختصراته ومطولاته بما تبلغ به طاقته.

الخامس: أن يكون عارفا بالناسخ والمنسوخ بحيث لا يخفى عليه شيء من

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٧١/٢

(٢) انظر: إرشاد الفحول ص ٢٥٠-٢٥١-٢٥٢

ذلك مخافة أن يقع في الحكم بالمنسوخ» .

وذكر ابن قدامة[1] :

ليس من شرط الاجتهاد في مسألة بلوغ رتبة الاجتهاد في جميع المسائل بل متى علم أدلة المسألة الواحدة وطرق النظر فيها فهو مجتهد فيها وإن جهل حكم غيرها .

وقال أيضا[2] :

اتفقوا على أن المجتهد إذا اجتهد فغلب على ظنه الحكم لم يجز له تقليد غيره .

وقال الآمدى في المسألة التاسعة في كتابه[3] :

المكلف إذا كان قد حصلت له أهلية الاجتهاد بتمامها في مسألة من المسائل ، فإن اجتهد فيها وأداه اجتهاده إلى حكم فيها اتفق الكل على أنه لا يجوز له تقليد غيره من المجتهدين في خلاف ما أوجبه ظنه ، وترك ظنه . . وذهب القاضى أبو بكر وأكثر الفقهاء إلى منع تقليد العالم للعالم سواء كان أعلم منه أو لم يكن ، وهو المختار .

وقد يشهد على ذلك ما ذكر ابن الآلوسى من كلام الإمام الشعرانى ما نصه[4] : لم يبلغنا أن أحدا من السلف أمر أحدا أن يتقيد بمذهب معين . . . والشريعة حقيقته إنما هو مجموع ما هو بأيدى المجتهدين كلهم لا بيد مجتهد واحد .

---

(١) روضة الناظر ص ١٩١

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٢

(٣) الاحكام في أصول الاحكام ٣/٢٢٣

(٤) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ١٧٠

ولم يوجب الله تعالى على أحد التزام مذهب معين من مذاهب المجتهدين بخصوصه لمطلق عصمته ومن أين جاء الوجوب والأئمة كلهم قد تبرؤا من الأمر باتباعهم وقالوا :

إذا بلغكم حديث فاعملوا به واضربوا بكلامنا الحائط . انتهى .

هذه هي بعض الشروط التي نقلها العلماء في كتبهم في شأن الاجتهاد والمجتهد أرجو فيها الكفاية ومن أراد أكثر منها فعليه الرجوع إلى كتب الأصول .

(الفرق بين الرأي والقياس والاجتهاد ومعنى الرأي الممدوح والمذموم)

إن الاجتهاد كما يعرف من تتبع السنة والآثار أنه أطلق عليه الرأي ، وكذلك القياس حمل عليه الرأي ، وإن الرأي فقد ذمه الصحابة والتابعون وغيرهم ذما شديدا ، وأنكروا عليه إنكارا عنيفا ، ومع هذا الإنكار الشديد وموقفهم العنيف نحو الرأي والقياس والاجتهاد نجد أنهم استخدموه واستعملوه في كثير من القضايا والفتيا والمسائل التي لم يعثروا فيها على نص من الكتاب والسنة والإجماع ، فمن المناسب أن أذكر أولا شيئا من هذه الآثار المتعارضة في الظاهر ثم أبين بالمقارنة موقفهم وميزانهم في قبول الرأي ورده ، ونعرف معنى الرأي المذموم والممدوح ، ثم نعرف مراد الفقهاء والأصوليين بالرأي والقياس والاجتهاد ، ليسهل علينا إدراك مفهوم الاجتهاد وموقف الشريعة في ذلك .

فمن آثارهم في ذم الرأي والقياس ما يلي :

١ — أخرج الخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تعمل هذه الأمة برهة بسنة رسول الله ﷺ ، ثم تعمل بالرأي فإذا

ضلوا بالرأي فقد ضلوا وأضلوا[1].

٢ – وأخرج أيضا عن عوف بن مالك رضي الله عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال[2].

٣ – وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ما هلكت بنو إسرائل حتى كثر فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم، فأخذوا في دينهم بالمقاييس فهلكوا وأهلكوا[3]

٤ – وأخرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه أنه قال على المنبر: الا إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فأفتوا برأيهم فضلوا وأضلوا، الا وإنا نقتدي ولا نبتدىء، نتبع ولا نبتدع. ما نضل ما تبع بالأثر[4].

٥ – وأخرج البخاري عن عروة عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا ينزع العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعا ولكن ينزعـه من قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون[5].

---

(١) كتاب الفقيه و المتفقه ١/١٧٩، إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني ص ١١، وجامع بيان العلم وفضله ٢/١٦٣

(٢) كتاب الفقيه والمتفقه ١/١٨٠، إعلام الموقعين ١٠/٥٢، إيقاظ الهمم ص ١٠، جامع بيان العلم ٢/١٦٣

(٣) أيضا الفقيه ١/١٨٠، إيقاظ الهمم: ص ١٤، جامع بيان العلم وفضله ٢/١٦٨

(٤) كتاب الفقيه ١/١٨١، إعلام الموقعين ١/٥٠، إيقاظ الهمم ص ١٣

(٥) البخاري كتاب الاعتصام، مسند أحمد ٢/٢٠٢

٦ — قال أبو بكر رضى الله عنه : أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إن قلت فى آية من كتاب الله برأيى أو بما لا أعلم[١] .

٧ — قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : علماؤكم يذهبون ويتخذ الناس رؤوسا جهالا يقيسون الامور برأيهم[٢] .

٨ — قال على رضى الله عنه : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه[٣] .

٩ — قال مسروق : لا أقيس شيئا بشيء ، قيل له لماذا ؟ قال : أخشى أن تزل رجلى[٤] .

١٠ — قال الشعبى : ما حدثوك عن أصحاب رسول الله ﷺ فخذ به وما قالوا فيه برأيهم فبل عليه[٥] .

١١ — عن ابن سيرين قال : أول من قاس إبليس ، وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس[٦] .

١٢ — قال وكيع : قال أبو حنيفة : من القياس ما هو أقبح من البول فى المسجد[٧] .

---

(١) إعلام الموقعين ٥٣/١ ، جامع بيان العلم وفضله ٦٤/٢
(٢) الفقيه والمتفقه ١٨٢/١ ، إعلام الموقعين ٥٧/١ ، إيقاظ الهمم ص ١٣
(٣) أبو داود فى الطهارة ، رقم الحديث ٩٦٤
(٤) الفقيه ١٨٣/١ ، جامع بيان العلم ٩٤/٢
(٥) جامع بيان العلم ٤٠/٢ ، إيقاظ الهمم ص ٢٣
(٦) أيضا ٩٣/٢ ، إيقاظ الهمم ص ٢٢
(٧) إيقاظ الهمم ص ٢٢

١٣ — وقال مالك : ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ ، ولا يتبع الرأى[١] .

١٤ — قال الشافعي : وضع ذلك الذين بعد التابعين والذين لقيناهم كلهم يثبت الأخبار ، ويجعلها سنة ، يحمد من تبعها ويعاب من خالفها ، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله ﷺ وأهل العلم بعدهم الى اليوم وكان من أهل الجهالة[٢] .

١٥ — قال أحمد بن حنبل : رأى الأوزاعي ورأى مالك ورأى أبي حنيفة كله رأى وهو عندى سواء وإنما الحجة في الآثار[٣] .

هذه هي بعض الآثار الواردة عن الأئمة الأعلام المتبوعين في ذم الرأى وتركه وقد وردت عنهم آثار تدل على أخذهم بالرأى والقياس والاجتهاد عند الضرورة والاضطرار إليها ، وإليكم بعض هذه الآثار :

١ — عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد بعد النبي ﷺ أهيب لما لا يعلم من عمر وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلا ، ولا في السنة أثرا ، فاجتهد رأيه ثم قال : هذا رأى فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطا فمني واستغفر الله ، وهكذا روى عنه في الكلالة[٤] .

٢ — وعن معاذ بن جبل (أن النبي ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن)

(١) إيقاظ الهمم ص ١٨ ، إعلام الموقعين ٧٨/١

(٢) مفتاح الجنة للسيوطي ص ٣٥

(٣) إيقاظ همم أولى الأبصار ص ٢٥

(٤) الفقيه و المتفقه ١٩٩/١ ، جامع بيان العلم وفضله ٦٣/٢ ، إعلام الموقعين ٥٤/١

قال : «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء» ؟ قال : بكتاب الله ، قال : «فإن لم يكن في كتاب الله» ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ ، قال : «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ» ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو قال : فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله»[1] .

٣ — وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري وأوصى إليه : الفهم ، الفهم ، ينخلج في صدرك ويشكل عليك مالم ينزل به كتاب ولم تجد فيه سنة ، واعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور بعضها ببعض وانظر أقربها إلى الله وأشبهها بالحق[2] .

٤ — عن عبد الله بن مسعود قال : فمن ابتلى منكم بقضاء فإن لم يكن في كتاب الله ، ولا في قضاء رسول الله ﷺ ولا فيما قضى به الصالحون ، فليجتهد رأيه ، ولا يقولن أحدكم : إني أخاف وإني أرى ، فإن الحلال بين والحرام بين وشبهات بين ذلك فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[3] .

٥ — وعنه قال في امرأة مات عنها زوجها قبل أن يدخل لها ولم يفرض

---

(١) الترمذي في الأحكام ، أبو داود في الأقضية ، مسند أحمد ٥/٢٣٠ ، وهذا الحديث اختلف أهل العلم في صحته ، فذهب علماء الأصول وغيرهم إلى تصحيحه وهو يتخذونه عمدة في ترتيب مصادر التشريع ، بينما ذهب أئمة الحديث إلى تضعيفه وجهالة أصحاب معاذ وغيرها من العلل ، راجع للتفصيل الأحاديث الضعيفة للألباني (٢/٢٧٣ رقم الحديث ٨٨١) (الإدارة) .

(٢) كتاب الفقيه والمتفقه ١/٢٠٠ ، إعلام الموقعين ١/٦٣ .

(٣) مسند أحمد ٤/٢٦٧–٢٧١ ، والدارمي ١/٦٨ ، باب ٢٦ .

لها صداقا : أقول فيها برأيي ، فإن كان صوابا فمن الله ، أرى لها مثل صداق نسائها ، لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث[١].

٦ — عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس إذا سئل عن الشيء فإن كان في القرآن أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن ، وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به وإن لم يكن عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر أخبر بـه ، وإن لم يكن عن أبي بكر وعمر اجتهد رأيه[٢].

٧ — كتب عمر إلى شريح القاضي : إذا حضر أمر لا بد منه فانظر ما في كتـاب الله فاقض به فإن لم يكن ففيما قضى به الرسول ﷺ ، فإن لم يكن فيما قضى به الصالحون وأئمة العدل ، فإن لم يكن ، فأنت بالخيار فإن شئت أن تجتهد رأيك فاجتهد رأيك وإن شئت أن تؤامرني فآمرني ولا أرى مؤامرتك إياي إلا خير لك . والسلام[٣].

٨ — وعن ابن عمر انـه سئل عن شيء فعله ، أرأيت رسول الله ﷺ يفعل هذا أو شيء رأيته ؟ قال : بل شيء رأيته[٤].

٩ — وعن أبي هريرة انـه كان إذا قال في شيء برأيه قال : هـذه من كيسي[٥].

١٠ — وقال عبد الله بن مسعود : ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله

(١) أبو داود في النكاح والترمذي في النكاح والنسائي في النكاح ، ومسند أحمد ١١/٢
(٢) الفقيه ٢٠٣/١ ، جامع بيان العلم وفضله ٧٢/٢ ، اعلام الموقعين ٦٣/١—٦٤
(٣) أيضا الفقيه ٢٠٠/١ ، جامع بيان العلم ٧٠/٢ ، اعلام الموقعين ٦١/٢—٦٢
(٤) جامع بيان العلم وفضله ٧٢/٢—٧٣ ، اعلام الموقعين ٦٤/١
(٥) أيضا الجامع ٧٣/٢ ، إعلام الموقعين ٦٤/١

حسن ، وما رآه المؤمنين قبيحا فهو عند الله قبيح[1] .

١١ — وقال محمـــد بن الحسن : من كان عالما بالكتاب والسنة و بقول أصحاب رسول الله ﷺ و بما استحسن فقهـــاء المسلمين وسعه أن يجتهد رأيه فيما ابتلى به ويقضى به[2] .

١٢ — قال أبو حنيفة : آخـــذ بكتاب الله فما لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ فإن لم أجد فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه أخذت بقول أصحابه من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم الى قول غيرهم . فأما اذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن والعطاء و سعيد بن المسيب — وعدد رجالا — فقوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا[3] .

١٣ — روى عن مالك أنه قال فى بعض ما كان ينزل فيسأل عنه فيجتهد فيه برأيه « إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين »[4] .

١٤ — وجاء فى « الرسالة » للشافعى :

كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة ، وعليــه اذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، وإذا لم يكن فيه . بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد والقياس[5] .

١٥ — وقال الفلانى : الأصل الخامس من أصول فتاوى الإمام أحمد :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/٧٥ ، اعلام الموقعين ٤/٦٥

(٢) أيضا الجامع ٢/٧٥ ، اعلام الموقعين ١/٦٦

(٣) أيضا هم أولى الأبصار للفلانى ص ٣٢ ، مفتاح الجنة ص ٤٩

(٤) إيقاظ الهمم ص ٢٠ ، إعلام الموقعين ١/٤٤

(٥) الرسالة ص ٤٧٧

هو القياس، فاستعمله الضرورة، وقد قال (أحمد): في كتاب الخلال: سألت الشافعي رحمه الله عن القياس فقال: إنما يصار إليه الضرورة أو ما هذا معناه، قد نقله ابن القيم[1].

وأظن هذا الذي أراده العلامة ابن القيم بقوله:

فالرأي ثلاثة أقسام: رأي باطل بلا ريب، ورأي صحيح ورأي هو موضع الاشتباه، والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به وسوغوا القول به، وذموا الباطل ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله، والقسم الثالث سوغوا العمل به والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بد، ولم يلزموا أحدا العمل به[2].

لما ننظر في هذه الآثار التي وردت عن الصحابة والتابعين وغيرهم في جواز العمل بالرأي ثم إذا قارناها بأقوالهم التي نقلت عنهم في ذم الرأي، نعلم بالضرورة أنهم يفرقون بين الرأي والرأي وليس كل الرأي عندهم مذموم بل بعضه مذموم والآخر ممدوح كما صرح بذلك ابن القيم رحمه الله بعد نقل هذه الآثار المتعارضة:

ولا تعارض بحمد الله بين هذه الآثار عن السادة الأخيار، بل كلها حق، وكل منها له وجه وهذا إنما يتبين بالفرق بين الرأي الباطل الذي ليس من الدين والرأي الحق الذي لا مندوحة عنه لأحد من المجتهدين[3].

(١) إيقاظ الهمم ص ١٢٨، إعلام الموقعين ١/٦٧

(٢) إعلام الموقعين ١/٦٧

(٣) أيضا ١/٦٦

وقال أيضا في موضع آخر في كتابه :

والمقصود أن السلف جميعهم على ذم الرأي والقياس المخالف للكتاب والسنة وأنه لا يحل العمل به لا فتيا ولا قضاء وأن الرأي الذي لا يعلم مخالفته الكتاب والسنة ولا موافقته لها فغايته أن يسوغ العمل به عند الحاجة إليه من غير إلزام ولا إنكار على من خالفه [١].

وقال الخطيب في ذكر القياس المحمود والمذموم :

أما الضرب الثاني من الأصل وهو المتعلق بأحكام الشريعة فهو على وجهين : أحدهما قياس الشيء على نظيره وشبيهه فذلك محمود والآخر قياس على غير نظيره وشبيهه فذلك مذموم [٢].

ومن كلام العلامة ابن القيم والخطيب اتضح معنى الرأي المذموم والمحمود واندفع التعارض الذي يظهر في أقوال السلف في ذم الرأي والعمل به، كما اتضح الميزان الذي وضعوه لقبوله ورده.

ولنعلم أن الرأي أو القياس الذي اعتاده السلف من استنباط الأحكام والقضاء والفتيا هو الذي عرفه أهل الأصول فيما بعد في كتبهم بالقياس والاجتهاد وغيرهما — واصطلحوا عليها بعبارات مترتبة خاصة حتى يدخل فيها جميع ما يتعلق بها ويخرج كل ما لا صلة له بها.

ويشهد على ذلك ما قال الأستاذ محمد علي السائس في كتابه [٣] :

---

(١) إعلام الموقعين ١/٧٧

(٢) كتاب الفقيه والمتفقه ١/٢٠٩

(٣) تاريخ الفقه الإسلامي ص ٣٦

وكان اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم بمعناه الواسع، فقد نظروا في دلالة النصوص وقاسوا واستحسنوا إلى غير ذلك إلا أنهم كانوا يطلقون كلمة الرأى — على ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات: كما عرفه ابن القيم[1] وعلى ذلك فليس الرأى عندهم مقصورا على القياس كما هو المعروف الآن، بل كان يشمل القياس والاستحسان والبراءة الأصليــة، وسد الذرائع والمصالح المرسلة. وهكذا قال الأستاذ محمد سلام مذكور[2]:

إن الاجتهاد عندهم عرف على ثلاثة أنواع:

الأول: بيان النصوص وتفسيرها.

الثاني: القياس على المنصوص عليه أو المجمع على حكمه.

الثالث: الاجتهاد بالرأى (المصالح المرسلة والاستحسان) وهذا هو الغالب عليهم فقد تبين من هذا كله أن «الرأى المقبول» عند السلف كان يشمل القياس والاجتهاد وغيرهما، ثم عرف الأصوليون كل واحد منها بحدود معينة وتعاريف خاصة فينبغى أن نذكر هنا للفائدة ولتوضيح الفرق بينها.

فالرأى كما قال ابن القيم[3]:

هو ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفــة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات.

---

(١) إعلام الموقعين ٦٦/١

(٢) المدخل للفقه الإسلامى ص ٧٢، ٧٣

(٣) اعلام الموقعين ٦٦/١

والقياس :

هو إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها، فى الحكم الذى ورد به النص لتساوى الواقعتين فى علة هذا الحكم[١] .

والاجتهاد :

هو استفراغ الفقيه وسعه لدرك حكم شرعى[٢] . (يتبع)

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٥٢

(٢) شرح كوكب المنير لأبى البقاء محمد الفتوحى ص ٦٠٢

موقف الشاه ولى الله الدهلوى من الأئمة المجتهدين

« و يبدو أن دروس الشاه ولى الله ومنهجه فى الفتيا كانا مقنعين للطلبة ولعامة الناس، و لكن الشاه ولى الله نفسه لم يكن مقتنعا و لا راضيا بهذا القدر من الجهود و بهذا المنهج الذى كان يسير عليه . إنه كان يرى بمثل عليه خلقا كثيرا ولكن نفسه كانت متعطشة و متطلعة إلى المزيد . إن جهوده كانت ترضى عامة المقلدين والجامدين وكانوا يزعمون أن الفقه الحنفى يحظى بالاهتمام الكافى و العناية الوافرة بفضل هذه الجهود. على أن الإمام ولى الله لم يكن يرضى بأن يتقيد بآراء الأئمة السابقين الذين و صلوا إلى ما وصلوا من الآراء والأقوال فى ضوء الكتاب و السنة بعد مراعاة الظروف و اعتبار المصالح . إن الأئمة المجتهدين قد خدموا الإسلام بعد النبى ﷺ ، و جهودهم فى هذا الباب لن تجحد ، ولكن هذا لا يعنى أن نفضل آرائهم و أقوالهم على نصوص الكتاب و السنة » (حركة الانطلاق الفكرى ص ٥٨)

مدينــة بنــارس

مدينة بنارس قديمة جدا ، حتى قيل إنها عمرت زمن نوح عليه السلام . وليس هناك مايجعلنا نقطع بمدى صحة هذا القول ، ولكن الأمر الثابت المعروف لدى العلماء و الباحثين هو أن المدينة عريقة فى القدم وتحتل منزلة معروفة بين مدن الهند .

أما دخول المسلمين فى هـــذه المدينة فيرجع تاريخه الى القرن الخامس الهجرى ، و لايزال عددهم فى ازدياد منذ ذلك الوقت .

و المدينـــة تعرف بكونها مركزا لدراسة الفيدا والثقافة الهندوسية القديمة ، و كذلك لدراسة الطب والنجوم و الرياضى وما الى ذلك من العلوم . و قـــد أقام فى هذه المدينة مدة من الزمن أبو ريحان البيرونى ، فتعلم اللغة السنسكريتية والديانة الهندوسية وألف كتابه المعروف عن هـــذه الديانة الذى يعد مرجعا موثوقا به فى هذا الباب .

و مجموعة من الشعراء تغنت بجمال هـــذه المدينة وخلدتها فى شعرها ، مثل الشاعر غالب و على حزين و نذير البنارسى وغيرهم .

و تعرف المدينة ببراعتها فى صناعة المنسوجات الحريرية المطرزة بالخيوط الذهبية ، وهذه المنسوجات تباع فى أقطار الهند ، وتصدر الى البلدان الخارجية .

و تمتاز المدينة بنشاطها المكثف فى مجال الدراسة و التعليم ، فتوجد فيها

خمس جامعات ، أحداها للعلوم الاسلامية وهى الجامعة السلفية ، و البقية للعلوم العصريـــة .

أما المدارس الاسلامية الأهليــة فيزيد عددها على عشر مدارس كبيرة ، هى جميعا تخرج العلماء و الدعاة الذين يتحملون مسئوليات متنوعة فى المجتمع ، و يواصلون الدراسة فى الجامعات الرسمية فى الهنــــد ، أو فى جامعات الدول العربية الإسلامية . و للمسلمين فى المدينة جهود طيبة فى تنظيم الدراسة العصرية ، وقد تأسست فى هذه المدينة جمعية باسم « جمعية السر سيد » و هى تعنى بتنظيم الدراسة العصرية لأولاد المسلمين و بناتهم .

وعلماء المسلمين الذين بذلوا جهودا مشكورة فى تدريس الحـــديث النبوى الشريف ونشره بين الناس كثير ، منهم الشيخ عبد الحق البنارسى المتوفى ١٢٨٦هـ ، و الشيخ حيات محمد المتوفى ١٣٤١ هـ ، والشيخ محمد سعيد البنارسى المتوفى ١٣٢٢هـ ، و الشيخ محمـــد منير خان المتوفى ١٣٦٤ هـ ، والشيخ أبو القاسم سيف البنارسى المتوفى ١٣٦٩ هـ ، هؤلاء جميعا خدموا السنة النبوية خدمة ممتازة ، وقد امتدت حلقة تدريس بعضهم الحديث الشريف عقودا عديدة . وهناك مؤلفات عديدة فى السير والتراجم تبين مدى جهـــود هؤلاء العلماء ، و تعرف بأعمالهم العلميـــة و جهودهم الدراسية ؟

جمعية أهل الحديث المركزية بالهند
تعقد مؤتمرها السنوى السابع والعشرين

إن مدينة «مئو نات بنجن» من المدن الشهيرة بشمال شرق الهند التى لها مكانة مرموقة فى مجال العلم والصناعة، وهى قد لعبت دورا ملموسا فى تخريج رجالات العلم والمعرفة والدعوة الإسلامية، ولا تزال تلعب فى تحريك عجلة الاقتصاد الوطنى، وقد قررت جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند اعترافا منها بفضلها وجميلها عقد مؤتمرها الدينى العام السابع والعشرين تحت عنوان «الإسلام ومتطلبات العصر الراهن» فى ربوع هذه المدينة لمدة ثلاثة أيام متوالية: الجمعة — السبت — الأحد (١٣، ١٤، ١٥) من شهر ذى القعدة سنة ١٤١٥هـ الموافق (١٤، ١٥، ١٦) من شهر ابريل سنة ١٩٩٥م، وذلك بالتعاون مع فرعها المحلى للمدينة، وعليه فإنها تشهد هذه الأيام تدفقا شديدا وتحركا عظيما تستعد أبناؤها لاستقبال هذا الحشد الدينى العظيم الذى تشارك فيه جموع غفيرة من الناس على اختلاف الطبقات والمستويات من جميع أنحاء الوطن الهندى بالإضافة إلى الوفود

الإسلامية المشاركة من الخارج، وفى الحقيقة إنها لأيام مشهودة — إن شاء الله تعالى — فى تاريخ هذه المدينة التى لم تشهد مثلها إلا قبل نصف قرن و زيادة.

والهدف المنشود من عقد هذا الاجتماع العام هو توعية المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم، والبحث عن السبل الكفيلة للوحدة الإسلامية، والتغلب على التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية على جميع الأرصدة.

وقد وجهت الدعوة للمشاركة إلى كبار الشخصيات الدينية المعروفة بالعلم والدعوة والإصلاح والتربية فى داخل الوطن وخارجه، وعلى رأسهم سماحة الشيخ المبجل إمام الحرم المكى حفظه الله تعالى وإخوانه فى الدين والعلم من مشايخ المملكة العربية السعودية المحروسة وغيرها من البلدان العربية، ولنا فى الله تعالى ثم فيهم أمل كبير بأنهم يشرفون هذا الاجتماع التاريخى بمشاركتهم و إلقائهم الخطب والمحاضرات والدروس والمواعظ الدينية ضمن برامجه المختلفة، فإنهم بذلك يقومون بإرواء الغليل لإخوانهم المتعطشين للعلم والمعرفة فى الهند علما بأن هناك عناوين وموضوعات شاملة ونافعة محددة للجلسات المقترحة من بينها:

١ — الأسس والمبادئ للوحدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة.

٢ — الأساليب والمناهج الناجحة للدعوة والإرشاد في العصر الحاضر.

٣ — الدور البناء للشباب المسلم في العصر الراهن.

٤ — المرأة المسلمة ومسئولياتها الدعوية والتربوية.

والجـــدير بالذكر أنه قد خصصت ضمن البرامج المتنوعة ندوات علمية وجلسات خاصة دعى إليها كبار رجال العلم والدعوة والإصلاح والتربية يبحثون خلالها عن الطرق والوسائل لم شمل المسلمين وتوحيـــد كلمتهم، والتضامن والوحـــدة، والتي هي أهم احتياجات الأمة الإسلامية في العصر الحاضر.

والجامعة السلفية ومنسوبوها إذ تبارك هذه الخطوة البناءة تسأل الله العلي القدير أن يكلل بمنه وكرمه هذا الاجتماع بالنجاح المرجو، ويحقق به الآمال المعقودة معـه — وهو الموفق والقادر عليـــه.

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧) ذوالقعدة ١٤١٥ هـ

العدد الرابع ابريل ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٣٦ دولارا (بالبريدالجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الإسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحية :

ملخص
ما ورد فى كلمة الاستقبال

التى قدمها الدكتور مقتدى حسن الأزهرى إلى المؤتمر
السابع والعشرين لجمعية أهل الحديث المركزية بالهند
المنعقد بتعاون واشتراك جمعية أهل الحديث فرع مئو نات بنجن
فى الأيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥/من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ
الموافق ١٤ ، ١٥ ، ١٦/ من أبريل سنـــة ١٩٩٥م

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهـــده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعـد :

فبتوفيق من الله العلى القدير وكرم منه ينعقد المؤتمر العام السابع والعشرون لجمعية أهل الحديث المركزية بالهند على أرض مدينة مئو نات بنجن ، وإن قلوبنا بهذه المناسبة الاسلامية التاريخية لمفعمة بعواطف البهجة والسرور ، وإن ألسنتنا اللاهجة بالحمد والثناء لرب العزة والجلال ، وإننا لمعربون عن شكرنا الجزيل وامتناننا الوافر لكل من فضيلة الشيخ / مختار أحمد الندوى حفظه الله تعـــالى

أمير جمعية أهل الحديث المركزية وفضيلة الشيخ / عبد الوهاب عبد الواحد الخلجي حفظه الله تعالى الأمين العام للجمعية وأعضائها الآخرين على تكرمهم بمنح سكان مدينة مئو شرف الاستضافة لهذا المؤتمر العظيم داعين الله تعالى أن يجزى هؤلاء المحسنين جزاءه الأوفى .

ثم إننا بهذه المناسبة السارة لنرحب من أعماق قلوبنا جميع الضيوف الكرام من العلماء والمشايخ الذين شرفوا هذا الحفل الكريم من داخل الهند وخارجها ، ونقول لهم : أهلا وسهلا ومرحبا بكم فى ربوع هذه المدينة ، ونسأل الله تعالى مبتهلين و متضرعين لهؤلاء الضيوف الأماجد الذين تحملوا متاعب السفر ومشاقه وضحوا الشيء الكثير من أوقاتهم الغالية فى سبيل تشريفهم هذا الملتقى التاريخى ، أن يجزل مثوبتهم ، كما نسأله سبحانه أن يجعل مؤتمرنا هذا مؤتمر خير وبركة ، ويحقق الآمال المعقودة به من صلاح الأمة وسعادتها فى الدنيا والآخرة . آمين .

ضيوفنا الأماثل ! إذا اجتمعت الأحبة وتآلفت القلوب الصافية تمنى المرء أن يستمر فى الكلام وأحب أن يلقى إليهم ما فى جعبته من مشاعر وأحاسيس إلا أن الصفحات لكلمة الاستقبال لا تتسع لتضم جميع ما يود المرء أن يقوله وعليه فقد قسمت هذه الكلمة إلى ثلاث نقاط :

أولاها : أين يعقد هذا المؤتمر ؟

والثانية : من الذين يعقدونه ؟

والثالثة : لماذا يعقدونه ؟

وفى ضمن هذه النقاط الثلاث يدور الحديث فى هذه الكلمة دون بسط أو تفصيل . إذن هى إجابة بغاية من الاختصار والإجمال عن الأسئلة المذكورة .

فأولا : أين يعقد هذا المؤتمر؟

١ — تتشرف مدينة مئو نات بنجن باستضافة هذا المؤتمر العظيم، وهى مدينة عريقة تمتاز من بين مدن الهند بنواحى عديدة. منها : الناحية الاقتصادية، فإن الاقتصاد فى هذه المدينة ثابت وقائم على قدم وساق، إذ يملك سكانها بعض الحرف والصناعات ولاسيما نسج الثياب وحياكتهـا بمختلف أنواعها مما يقوى الموارد الاقتصادية فى هذه المنطقة.

٢ — وحين أنعم الله تعالى على سكان هذه المدينة باقتصاد قوى فقد وفقهم أيضا لإنفاق الجزء الكبير من أموالهم وثروتهم فى سبيل نشر العلوم الدينية وترويجها، وعليه فإننا نشاهد فيها كثرة المدارس الدينية التى تهتم بتعليم وتدريس أبناء وبنات الأمة الاسلامية علوم الكتاب والسنة واللغة العربية، ومما لا يخفى أن تقدم الأمة الاسلامية وفلاحها وسعادتها مرتهنة بالالتزام والتمسك الدينى وترويج العلوم الدينية وإشاعتها. ومن حسن الحظ لسكان مدينة مئو أنهم وفقوا للتركيز على المدارس الاسلامية. وبجانب هذه المدارس مدارس أخرى خاصة بالتعليم العصرى، ويقوم الأثرياء وأهل الخير برعايتها والإنفاق عليها من أموالهم بطيبة الأنفس. وكل من يزور هذه المدينة يلمس بوضوح آثارا طيبة للمدارس الموجودة فيها.

٣ — إن أرض مدينة مئو أرض خصبة من الناحية العلمية إذ خرجت فى العصور المتعاقبة عددا كبيرا من العلماء والدعاة والأدباء والشعراء الذين لهم أيادى جمية وآثار خالدة فى ميادين العلم والأدب والدعوة والإرشاد، والفضل يعود إلى هؤلاء العلماء والدعاة بعد الله تعالى وإلى جهودهم المبذولة فى أن المدينة يغلب عليها الجو الدينى والناس إلى حد ما، وأن العامة يعرفون

أمور التوحيد والاتباع ، وأننا نلاحظ فيها عدم الرواج لأسواق الشرك والبدع والخرافات الناشئة عن الجهل والابتعــاد عن الدين ، كما نلاحظ رواجها فى الارجاء الأخرى من البلاد .

وإن الظروف الراهنة تفرض على العلماء والدعاة وغيرهم من أصحاب العلم والمعرفة مزيدا من العمل الجاد لمواجهة كثير من التحديات المعاصرة والتفكير الجماعى فى العمل لسد هوة الخلاف والانتشار بين صفوف الأمة والذى استغله الأعداء لقضاء مآربهم العدائية ضد المسلمين .

٤ — إن الاسلام ينظر إلى الأعمال الخيرية التى تهدف إلى خدمة الخلق وتقديم التسهيلات والمعونات للمحتاجين منهم فى جميع شئون الحياة نظرة تبجيل وتقديس ، وهو لايرى إعانة اليتامى والمساكين والضعفاء والمنكوبين ومساعدتهم أنها خدمة انسانية فحسب بل يرى أنها من أفضل القربات التى يتقربُ بها العبد إلى الله تعالى كما أنه لا يقتصر على الأمر بالاحسان إلى الانسان فقط بل يأمر بالرفق والشفقة مع الحيوان والدواب أيضا . وكان لمدينة مئو أيضا نصيب منها حيث وجدت بحمــد الله و توفيقه بعض المؤسسات التى تهتم بهذا الجانب فى حدود امكانياتها . ويكون من الاجحاف إن لم نشر إلى المشاريع الخيرية التى تم إنجازها تحت إشراف فضيلة الشيخ/مختار أحمد الندوى القائد الأعلى لجمعية أهل الحديث المركزية بالهند حيث بنيت فيها عدة مساجد وكلية اسلامية خاصة بالبنات ومستشفى عام ، وهى كلها تؤدى واجباتها فى مجالها المخصص لاسيا المستشفى العام الذى يفوق فى تقديم الخدمات الطبية كثيرا من المستشفيات الحكومية . نسأل الله تعالى أن يكتب لجميع الأعمال الخيرية الهادفة دوام الاستمرار والبقاء .

ثانيا : من الذين يعقدون هذا المؤتمر ؟

إن جمعية أهل الحديث المركزية بالهند هى التى تتولى عقد هذا المؤتمر العام . وهو السابع والعشرون من نوعه بمدينة مئو نات بنجن ، وإن جمعية أهل الحديث المحلية بمدينة مئو هى التى قبلت تحمل المسئولية لاستضافته مما يعنى أن الاشتراك والتعاون القائم بين جمعية أهل الحديث المركزية وفرعها المحلى هو الذى أتاح لسكان مدينة مئو هذه الفرصة الثمينة وأملنا قوى فى الله تعالى ثم فى هذا المؤتمر بأنه سوف تترتب عليه نتائج طيبة إن شاء الله تعالى . ومن المعلوم أن جمعية أهل الحديث المركزية كانت قد عقدت قبل حوالى سبعين عاما وهى كانت تحمل آنذاك اسم «مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند» مؤتمرها الرابع عشر على أرض هذه المدينة ، وهى فترة تغطى عمر جيل واحد ولعل كثيرا من شبابنا وغيرهم يتطلعون لمعرفة بعض المعلومات عن جمعية أهل الحديث المركزية ونشاطاتها . ولا يخفى أن الحديث عن أعمال جمعية أهل الحديث ونشاطاتها وتاريخها يتطلب مجلدات ضخام فإنه ذو شجون ومراحل متعددة تحتوى على أكثر من قرن من الزمن ، ولذا نقتصر على الإشارة إلى بعض الجوانب المهمة من نشاطاتها وتاريخها .

١ — إن كبار العلماء والدعاة السلفيين قد قاموا بإنشاء جمعية دينية فى سنة ١٣٢٤ الهجرية الموافق سنة ١٩٠٦م باسم «مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند» وسميت فى نشأتها الثانية بعد استقلال الهند من الاستعمار البريطانى باسم «جمعية أهل الحديث المركزية» وهى منذ ذلك الوقت معروفة بهذا الاسم .

٢ — إن هدفها الأول والأخير هو الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة لأنه لايمكن أن يتأتى التمسك الصحيح بالإسلام الحقيق إلا مع العمل بالكتاب

والسنة، وهذه الحقيقة قد نطقت بها النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة.

٣ — إن نشاطات هذه الجمعية وجهودها لم تنحصر في جانب من الجوانب، وإنما غطت جميع المجالات من العلم والمعرفة والدعوة والتأليف والتدريس وقامت في أسوء الحالات وأقسى الظروف بتقديم خدمات جليلة في هذه الميادين بحيث تلمس آثارها حتى يومنا هذا إذ قامت ببعث روح التوحيـد الخالص واتباع السنة النبوية في نفوس الناس من جهة، ومن جهة أخرى قامت بالصمود أمام السيول الجارفة حيث جعلت مكايد الأعداء و دسائس العملاء ممن ينتسبون إلى الإسلام في نحورهم وفندت مزاعم الأفكار الهدامة وشبهات المذاهب الباطلة.

٤ — وإن الجامعة السلفية (مركزي دار العلوم) ببنارس التي تعتبر من أهم الصروح الاسلامية بالهند لتعبير صادق للأحلام التي كانت تحلم بها الجمعية منذ زمن غير يسير، وهي قد خرجت إلى حيز الوجود في صورة هذه الجامعة المركزية سنة ١٩٦٦م، وبحمد الله وتوفيقه منذ ذلك الوقت تقوم بأداء واجباتها من التعليم والتدريس والدعوة والإرشاد ونشر التراث والوعي الإسلامي.

٥ — إن هذه الجمعية تتفق في الأهداف والمناهج والأساليب مع الحركة الإسلامية الأصيلة الأولى التي قامت على أساس الجهاد ضد الاستعمار والمستعمرين في البلاد، وهي التي تعرف بحركة الشهيـدين وإن هذه الحركة يعود تاريخهـا إلى ما قبل سنة ١٨٥٧م التي تعتبر نقطة بداية لمقاومة الاستعمار إذ قامت في سنة ١٨٢٦م، وساهم فيها العلماء والعوام من جماعة أهل الحديث مساهمة فعالة. وهذه الحركة قـد قضى عليها في سنة ١٨٣١م بسبب غدر المنافقين إلا أنها بقيت مستمرة في شكل من الأشكال إلى استقلال البلاد وشارك فيها أفراد الجماعة مشاركة بارزة، وإن أجواء «بالاكوت» و «صادق فور» لناطقة بمساهمة هذه

المجاعة فى حرب الاستقلال الهنـدى ، كمـا تشهد بها كتابات المنصفين من المؤرخين وبالرغم من ذلك فإنه تبذل محاولات بائسة لطمس التاريخ المجيد لهذه الجماعة وتلصق بها اتهامات الارهاب والعنف وهى منها بريئة براءة الذئب من دم يوسف .

ثالثا : لماذا يعقد هذا المؤتمر ؟

أيها الضيوف الأماجد ! إن هذا السؤال : لماذا ينعقد المؤتمر السابع والعشرون لجمعية أهل الحديث المركزية ؟ سؤال يتطلب غاية من البسط والتفصيل لأن الاجابة الصحيحة الكاملة عن هذا السؤال تحيط بتاريخ الجمعية كاملا وبنشاطاتها وأعمالها ومشاريعها وبمتطلبات العصر الحاضر ، ثم إنها قد تختلف من شخص إلى شخص باعتبار وجهات النظر التى يختارها أفراد الجماعه والأمة لأنفسهم ولكننا نشير فى ضوء ما تتبناه الجمعية من أهداف ومبادىء وفى ضوء متطلبات العصر الراهن .

١ — إن الدعوة إلى الله تعالى هى فريضة من فرائض الاسلام وواجب من واجباته ، وهى التى قد بعث لأجلها الانبيـاء والرسل وقدموا فى سبيلها أروع الأمثلة التضحية وتحمل المشاق والمتاعب : والحقيقة أن المساعى والمجهودات والتضحيات التى هى فى استطاعتنا لو خصصت لأداء هذه الفريضة لاعتبرت فى حقها قليلة ، فهذا المؤتمر محاولة لأداء بعض الواجبات نحو تلك المسئوليـة التى تقع على عواتقنا فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى .

٢ — إننا لو ألقينا النظرة على الأوضاع الراهنة للبلاد دون أن نتجاوز إلى غيرها من بلدان العالم لاتضحت لنا أهمية هذا المؤتمر وضرورته فإن هذه البلاد كانت معروفـة فى يوم من الأيام بالحضارة والمدنيـة وبكرم الأخلاق

والحاجات وباستتباب الأمن والأمان واكتمال النظام والتنسيق إلا أن هذه الأمور مندرسة ومهدرة فيها اليوم واحتلت مكانها الكراهية والعداء والظلم والعدوان والضغائن والعصبية وسوء الخلق والدعارة بحيث تقدم فيها أسوأ النماذج لهذه الأمور القذرة، وهذا الوضع السيئ يطالبنا بشدة تذكير عباد الله تعالى وهدايتهم وتبليغ رسالته الخالدة الموجودة لدينا فى صورة الإسلام إلى الناس.

٣ — إن العصر الراهن يتميز من بين العصور السابقة بترويج دعايات كاذبة ضد الاسلام وتعاليمه مستخدما فى ذلك جميع أجهزة الإعلام المعاصرة مما يفرض علينا أن نبذل ما فى وسعنا لتعميم دعوة الاسلام ورسالته التى تقوم على أسس العدل والمساواة وحب الانسانية والنصح لها وأن نبين للعالم أنه دين شامل وموافق للفطرة الانسانية ومحب للعلم والمعرفة ومؤيد للبحث والتنقيب والاختراع وغيرها مما يمتاز به هذا الدين، وأن نثبت أن قوانينه ليست من وضع البشر وصنعه الذى يعتريه عجز ونقص، وإنما هى شريعة الله تعالى الذى هو عليم بالعباد وبصير بمصالحهم، فيجيء عقد هذا المؤتمر لأجل التذكير بهذه الحقيقة وتفهيمها للناس.

٤ — إن الأمة المسلمة قد ضيعت تلكم الأمانة الجليلة التى حملها الله تعالى إياها، هى أمانة التوحيد الذى أرسل الله تعالى لأجل الدعوة إليه أنبياءه ورسله، وقد ضحى أسلافنا فى سبيل الحفاظ على هذه الأمانة العظيمة الغالى والنفيس، فيا ترى أين نحن من هذه الأمانة العظيمة المقدسة؟ ألم تتسرب إلينا أنواع الشرك بكاملها من عبادة القبور والخضوع لها والاستعانة بغير الله تعالى. أليس ما نشاهد عند الأضرحة المنتشرة فى أرجاء الهند من أمور شركية وكذلك ما نسمعه من الاستعانة بالشيخ / عبد القادر الجيلانى رحمه الله وندائه بالغوث

الأعظم لتفريج الكربات منافيا للتوحيد الذى هو أساس الاسلام وتحت الكتاب الانسانية، فيعقد هذا المؤتمر للتذكير بهـذا الدرس العظيم الذى نسيه الناس أو تناسوه.

٥ — قد أمرنا الله تعالى بطاعة رسوله ﷺ وبتحكيمه فى جميع أمور الدين، وإن الجزء الأخير من الكلمة التى يدخل المرء بالنطق بهما فى دين الاسلام يحتوى على البيان بهذه الحقيقة إلا أن المسلمين قد زلت أقدامهم فى هذه القضية أيضا حيث أعرضوا عن اتباع السنة النبوية ونبذوا بأحاديثه ﷺ واخترعوا لذلك أعذارا مختلفة وحيلا متنوعة، فكان عقد هذا المؤتمر لتذكير المسلمين بدرسهم الذى نسوه فى هذا الصدد.

٦ — إن الاتحاد والتعاون بين صفوف المسلمين من التعليمات الأساسية الاسلامية ويشعر بضرورته وأهميته ولا سيما فى الوقت الحاضر جميع الطوائف والأحزاب المسلمة، لجاء عقد هذا المؤتمر من منطلق البحث عن السبل والوسائل التى تساعد فى جمع كلمة المسلمين و التوحيد بين صفوفهم وايجاد روح التعاون والتناصر فى الأمور التى تتعلق بالمصالح المشتركة.

٧ — إن النسوة يعتبرن النصف المكمل للمجتمع البشرى كما أن الشباب تقع عليهم المسئولية بصفة أكثر لبناء المستقبل للأمة ولذلك فقد وردت لهم فى الشريعة الإسلامية أحكام خاصة إلى جانب الأحكام العامة مما يدل على أن هذه الشريعة الشاملة قد اهتمت بهم اهتماما بالغا، وحين نلقى الضوء على أهداف المؤتمر وتطلعاته لا يمكننا أن نتغافل أو نغض أبصارنا عن دور النسوة المسلمة والشباب المسلم ومدى تأثيرهم فى العمل الاسلامى، فينعقد هذا المؤتمر لأجل الأخذ بأيدى الشباب المسلم الى ما فيه صلاح لهم وسعادة لأمتهم ومجتمعاتهم

والعمل لتكثير الأخوات المسلمات بالأدوار التي في إمكانهن القيام بها في بناء المجتمع وتربية الأجيال وتوجيه العمل الدعوي . ولا يخطر ببال حين نتحدث عن الشباب وعن تحريكهم وتنشيطهم أننا نريد بذلك حثهم على القيام بأعمال العنف والإرهاب — كما يتطرق إلى بعض الأذهان الفاترة — فإن ذلك لا يقره ديننا الحنيف الذي نتمسك به ، وإنما نقصد بذلك حثهم على القيام بالأعمال الايجابية الهادفة البناءة .

الترحيب والامتنان :

وعند ما نأتي ختام هذه الكلمة نرحب مرة أخرى جميع الضيوف الكرام والعلماء العظام وغيرهم ممن شرفوا هذا الحفل العظيم بحضورهم من خارج الهند وداخلها شاكرين لهم حسن تعاونهم على انجاحهم هذا المؤتمر وتشجيعهم لنا حيث بادروا بتلبية دعوتنا المتواضعة ونشكر من صميم قلوبنا جمعية أهل الحديث المركزية على أنها شرفت مدينة مئو بعقد مؤتمرها على أرضها . وكذلك نشكر العلماء الكرام الذين تكرموا على الحضور بإلقاء مواعظهم ودروسهم النافعة وجميع من قدم مساعدته من قريب أو بعيد في سبيل نجاح هذا المؤتمر . ونسأل الله تعالى أن يجزل جميع الضيوف الكرام والعلماء العظام والعاملين المخلصين مثوبتهم ويسبغ عليهم نعمة الصحة والعافية ويجعل هذا المؤتمر نافعا ومبعثا للخير والسعادة لنا جميعا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

تلخيص وتعريب : الدكتور رضاء الله محمد ادريس المباركفوري
الأستاذ بالجامعة السلفية ، بنارس

٭٭٭

كلمة الترحيب

بمناسبة المؤتمر السابع و العشرين لجمعية أهل الحديث المركزية بالهند

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ،
شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .
صلاة الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه واخوانه أجمعين ، الى يوم الدين .

فانّ أصدق الحديث كتاب الله ، و أحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، و شر
مور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

و بعد ، فنحمد الله تعالى على توفيقه لعقد المؤتمر السابع والعشرين لجمعية
، الحديث المركزية بالهند فى مدينة مئونات بنجن فى الأيام ١٣ ، ١٤ ، ١٥/
شهر ذى القعدة سنة ١٤١٥ ھ باستضافة من جمعية أهل الحديث لمدينة مئو ،
حن اذ نبدى فرحتنا و ابتهاجنا بهـــذه المناسبة العلمية السارة نتقدم بأخلص
حيبة وأسمى التكريم الى الضيوف والعلماء والمشايخ الذين شرفوا هذا الملتقى
لعلم من الهنـــد وخارجها ، ونشكرهم على أنهم تجشموا مشاق السفر وضحوا
اتهم الثمينـة لتشريف اخوانهم فى الدين بكلماتهم الطيبة ونصائحهم الغاليـــة
جيهاتهم الرشيدة .

ضيوفنا الكرام ! مدينة مئو التى تستضيف هذا المؤتمر تتمتع بتاريخ علمى
مشرق تمتاز من بين مدن الهنـــد بميزات عديدة . منها أن سكانها يملكون

بعض الحرف والصناعات التى تسهل لهم الحصول على أقواتهم ، وتريحهم من المتاعب والمصاعب التى يقاسيها اخوانهم فى مدن الهند الأخرى . ولا شك أن هذه الناحية تستوجب منا الحمد والشكر لله العلى القدير الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

ومنها أن سكانها مهتمون بنشر التعليم وخاصة التعليم الاسلامى ، فالمدارس الاسلامية الكبيرة التى تنظم الدراسة الدينية والعربية من مرحلة الابتدائية الى الكلية يبلغ عددها سبع مدارس ، بجانب المدارس العصرية التى يقوم عليها مسلمو هذه المدينة ، وتاريخ هذه المدارس حافل بالنشاط والعمل حتى أن بعضها مستمر فى ممارسة نشاطه منذ أكثر من قرن ، وكل من يزور هذه المدينة يلمس آثار هذه المؤسسات التعليمية الدينية . ومنها أن هذه المدينة خرجت عددا كبيرا من العلماء والدعاة والمشايخ والأدباء والشعراء ، وهم جميعا لعبوا دورهم فى مجال التدريس والتأليف والدعوة ، والأمل معقود بالجيل المعاصر منهم فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية وعلوم الكتاب والسنة والأخذ بأيدى الأمة الى ما فيه الخير والصواب .

ومنها أن سكان هذه المدينة يبذلون جهودهم فى خدمة المجتمع البشرى المعاصر ، وذلك ايمانا منهم بمبدأ الاسلام الذى يدعو الى التعاون والتكاتف فى أعمال الخير والصلاح والتقوى واحياء مآثر أسلافهم الذين ضربوا أروع الأمثلة فى هذا الميدان .

ومن حسن الحظ أن هذه المدينة تتشرف اليوم بترحيبه هذه الجموع المحتشدة التى توجهت اليها من الارجاء المختلفة .

أيها الحضور ! ينعقد هذا المؤتمر وهو المؤتمر السابع والعشرون ، باشتراك

ومقطوعين من جمعية أهل الحديث المركزية وجمعية أهل الحديث المحلية لمدينة مئو ، وتاريخ هذه الجمعية فى شبه القـارة ، الهند وباكستان و بنغلاديش ، تمتد جذوره الى الهند الاسلامية ، و أنشطتها لم تنحصر فى ناحية من النواحى بل انها غطت بجهودها وأعمالها جميع النواحى للحياة البشرية ، فقـد لعبت دورها فى مجـال التدريس والدعوة والتأليف والسياسة والاجتماع ، وآثار هـذه الجهود المباركة تحتاج الى مجلدات ضخام . ونرجو من الله تعالى أن يوفق بعض العلماء المخلصين للقيام بهذا العمل الجبار .

و بعـد استقلال الهند ركزت هـذه الجمعية عنايتها حول تدريس علوم الكتاب والسنة ونشر الدعوة الاسلامية تلبية لحاجات العصر ومراعاة الظروف التى كانت تشير الى أن المسلمين لا يستطيعون الحفـاظ على كيانهم الدينى الا بعـد العناية البالغة بالعلوم الاسلاميـة واللغة العربية ، وقد أثبتت الأحداث المعاصرة أن فكرة الجمعية بصدد العناية بالمصادر الاسلامية الأصيلة فكرة صائبة ، والأمـة الاسلامية لا تتمكن من احراز النجاح فى الحياة الا بالعناية بمبادئ الاسلام الأساسية وتربية النفوس على ما تربى عليه الرعيل الاسلامى الأول .

والجدير بالذكر أن الجمعيـة قد زادت من أنشطتها العلمية والدعوية فى الوقت الراهن ، وانهـا تقوم الآن باعداد ونشر وتوزيع الكتب الاسلاميـة وخاصة المصحف الشريف وترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الاردية وكذلك تقوم بتوزيع الأموال والمساعدات الى المرضى والمنكوبين بالحوادث و الآفات فى أرجاء الهند .

وان فروعها المتواجدة فى ولايات الهند المختلفة مقبلة على مواصلة الجهود وتحقيق الأهداف التى تأسست لأجلها هذه الجمعية .

أيها الاخوة الاعزة ! ان جمعية أهل الحديث المركزية بفارس أنشطتها المتنوعة منذ أن تأسست فى سنة ١٣٢٤ هـ ، وكما سبقت الاشارة فانها غطت بجهودها جميع المجالات الحيوية ، وحاولت أن تقوم بالتوعية الاسلامية بصفة عامة ، وتدعو المسلمين الى الاتحاد والتعاون والتناصر فيما بينهم ، وتقدم الدعوة الحقة الى سكان الهند كلهم ، و تتابع القوى المعادية للاسلام وترد على هجماتهم وتفند مزاعمهم .

هذه الأهداف كانت بارزة فى الاجتماعات الشعبية التى عقدتها الجمعية عبر تاريخهـــا الممتد الى نحو قرن من الزمن والتى يبلغ عددها ٢٦ اجتماعا ، وهذا الاجتماع السابع و العشرون يعقد لنفس الأهـــداف التى تحددت للاجتماعات السابقة ، وذلك لأن الظروف و الاحوال لم تتغير كثيرا فى البلاد الهندية . فان المسلمين لايزالون يعانون من التفرق والتشتت ، وتبتلى أغلبيتهم بعادات الشرك والبدع ويضعف تمسكهم بالهداية الربانية يوما بعد يوم نتيجة انبهارهم بالحضارة الغربية المادية اللا أخلاقية ، و انتشار الاتجاهات الاباحية و النظريات الالحادية ثم انهم مهددون فى دينهم وثقافتهم وكيانهم الاجتماعى ، ووضعهم الاقتصادى من قبل القوى المعادية المتطرفـــة التى تزعم أن المسلمين ليسوا مخلصين للبلاد ، ولذلك فانهم لايستحقون العيشة الكريمة فى هذه الأرض . فهذه الأوضاع تتطلب من المسلمين أن يرجعوا الى رشدهم ويتمسكوا بدينهم ويجمعوا كلمتهم ويتعاونوا فيما بينهم و يخططوا للمستقبل تخطيطا حكيما دقيقـــا حتى يتمكنوا من مواجهـــة التحديات المعاصرة ومن أداء مسئولياتهم نحو أمة الدعوة فى الهند ، ولا شك أن هذا الاجتماع وأمثاله يساعد فى تحقيق الأهداف التى أشرنا اليها فيما سبق ، والله وراء القصد .

والذى يقوى أملنا فى تحسين حـــالة المسلمين فى الهـــند هو أن الصحوة

الاسلاميــة عمت الآن مجتمعات المسلمين كلها ، وأن المسلمين فى العالم يتابعون أحوال اخوانهم فى الهند ، ويأخذون بأيديهم الى الخير و الرشاد ويقدمون لهم من العون المعنوى والمادى ما يساعد على الحفاظ على كيانهم الدينى والحضارى ، و هذا التحول يتطلب من المسلمين أن يعرفوا واجبهم نحو دينهم وأن يواصلوا جهودهم و يقدروا موقفهم بدقة وحكمــة ، وكذلك يوجب عليهم أن يتقدموا بالشكــر الجزيل الى اخوانهم فى العالم الاسلامى الذين مدوا اليهم يد العون والمساعدة ، ثم أن يسألوا الله لهم الجزاء الأوفى والعاقبة الحسنى.

وفى ختام هذه الكلمة نرحب من أخرى بالضيوف الكرام والمشايخ العظام الذين شرفوا هذا الملتقى ، وأتاحوا لنا هذه الفرصة الثمينة للاستماع الى توجيهاتهم الرشيدة. واذ نرجو منهم دوام الاعتناء ، والاهتمام بمسلمى الهند وخاصة جماعة أهل الحــديث من بينهم ، فاننا نعتــذر عن التقصير الـذى حصل منا فى أداء واجب الضيافة وتكريم الضيوف ، ونسأل الله تعالى أن يبارك فى جهود هؤلاء العلماء الأفاضل ، وينفع بهم الاسلام والمسلمين ، ويعلى بهم كلمة الحق والدين ، ويجزل لهم المثوبة و يكتب لهم الخير والسعـــادة فى الدارين ويحفظهم فى الحل والترحال ، ويوفر لهم العافية والسلامة ويجعل حضورهم هنا من بواعث الرشد والهداية للمسلمين فى الهند .

هذا وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين . ولله الحمــد رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أمير جمعية أهل الحديث المركزية بالهند
وأعضاءها والقائمون على المؤتمر المنعقد بمئونات بنجن
ذو القعدة ١٤١٥ هـ

درس في المنهج

فضيلة الشيخ عبد الله العبيلان ، الرياض

● قاعدة في الاتباع : خطأ غير المجتهد زيغ سببه تحكيم الهوى واتباع المتشابه ومفارقة الجماعة[1].

فيعرض فيه أن يعتقد في صاحبه أو يعتقد هو في نفسه أنه من أهل الاجتهاد ، وأن قوله معتد به وتكون مخالفته تارة في جزئي وهو أخف وتارة في كلي من كليات الشريعة وأصولها العامة سواء كانت من أصول الاعتقادات أو الأعمال فتراه آخذ ببعض جزئياتها في هدم كلياتها حتى يصير منها إلى ما ظهر له ببادىء رأيه من غير إحاطة بمعانيها ولا راجع رجوع الافتقار إليه ولا مسلم لما روى عنهم — أي الصحابة — في فهمها ولا راجع إلى الله و رسوله في أمرها كما قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ ويكون الحامل على ذلك :

١ — بعض الأهواء الكامنة في النفوس الحاملة على ترك الاهتداء بالدليل الواضح .

٢ — عدم الانصاف وعدم الاعتراف بالعجز فيما لم يصل إليه علمه .

٣ — الجهل بمقاصد الشريعة .

---

(١) الموافقات الشاطبي رحمه الله ٤ / ١٧٤—١٧٧

٤ — استعجال نتيجة طلب العلم فيتوهم بلوغه درجة الاجتهاد . ودليل ما تقدم قوله تعالى : ﴿هو الذى أنزل إليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . الآية﴾ ، وفى الصحيحين مرفوعا « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

فقوله ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب﴾ المحكم هو الواضح الذى لا إشكال ولا اشتباه وهو الأم والأصل المرجوع إليه ، وقوله ﴿وأخر متشابهات﴾ أى ليست بأم ولا أصل فهى إذا قلائل ثم إن اتباع المتشابه منها شأن أهل الزيغ والضلال عن الحق والميل عن الجادة ، وأما الراسخون فى العلم فليسوا كذلك وما ذلك إلا اتباعهم لأم الكتاب وتركهم من اتباع المتشابه ، وهو الذى يشكل فهمه ويشتبه معناه على بعض أهل العلم . وثبت فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ، وفى رواية من حديث عبد الله بن عمرو « كلهم فى النار إلا واحدة » قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابى » والذى عليه النبى وأصحابه ظاهر فى الأصول الاعتقادية والعملية على الجملة لم يخص من ذلك شىء دون شىء . وفى أبى داود عن معاوية مرفوعا أنه قال : « وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة » وهى بمعنى الرواية قبلها .

● علامات أهل الزيغ على سبيل الاجمال والتفصيل[1]:

« وقد وجدنا فى الشريعة على ما يدلنا على بعض الفرق الداخلة فى الأحاديث المتقدمة فإنه جاء فى القرآن آيات تشير إلى أوصاف يتعرف منها أن من اتصف بها فهو آخذ ببدعة خارج عن مقتضى الشريعة من ذلك قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول — إلى قوله — ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ وقوله ﴿إن يتبعون إلا الظن - الآية﴾ وقوله ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ وقوله ﴿إنما النسىء زيادة فى الكفر - الآية﴾ وقوله ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ وقوله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف - الآية﴾ وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا[2] عن أشياء — إلى قوله — لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾.

وكذلك فى الأحاديث الصحيحة ومن تتبع مواضعها ربما اهتدى إلى جملة منها وربما ورد التعيين فى بعضها كما قال الرسول ﷺ فى الخوارج: «إن من ضئضئ هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية»، وفى رواية «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه من صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية - إلى أن قال - آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة ومثل البضعة تدردر الخ» فقد عرف

---

(١) الموافقات للشاطبي رحمه الله ٤/١٧٨—١٨٠

(٢) تسألوا.

عليه الصلاة والسلام بهؤلاء وذكر لهم علامة فى صاحبهم يبين من منهجهم فى معاندة الشريعة أمرين كليين :

أحدهما : اتباع ظواهر القرآن على غير تدبر ولا نظر فى مقاصده ومعاقده والقطع بالحكم به ببادىء الرأى والنظر الأول وهو الذى نبه عليه قوله فى الحديث « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم » ومعلوم أن هذا الرأى يصد عن اتباع الحق المحض ويضاد السير على الصراط المستقيم .

الثانى : قتل أهل الاسلام وترك أهل الأوثان ، على ضد ما دلت عليه جملة الشريعة وتفصيلها ، فإن القرآن والسنة إنما جاءت بالحكم بأن أهل الاسلام فى الدنيا والآخرة ناجون ، وأن أهل الأوثان هالكون ، ولتعصم دماء هؤلاء وتراق دماء هؤلاء فإذا كان النظر فى الشريعة مؤديا إلى مضادة هذا القصد صار صاحبه هادما لقواعدها وصادا عن سبيلها .

● ولهؤلاء الفرق خواص وعلامات فى الجملة :

فأما علامات الجملة فثلاث :

أحدها : الفرقة التى نبه عليها قوله تعالى ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ قال المفسرون : صاروا فرقا لاتباع أهوائهم وبمفارقة الدين تشتت أهواؤهم فافترقوا وهو قوله ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ ثم برأه الله منهم بقوله ﴿لست منهم فى شيء﴾ وهم أصحاب البدع والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله .

... وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا فى أحكام الدين ، ولم يفترقوا ولم يصيروا شيعا ، لأنهم لم يفارقوا الدين ، وإنما اختلفوا فيما أذن لهم من

اجتهاد الرأي والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصا فكل مسألة حدثت فى الاسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الاسلام وكل مسألة طرق فأوجبت العداوة والتنافر و التنابز والقطيعة علمنـا أنها ليست من أمر الدين فى شىء ، وأنها المقصودة فى قوله ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ـ الآية﴾ فيجب على كل ذى دين وعقل أن يتجنب البدع والأهواء ويزيد هذا إيضاحا قوله تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدثه أحدثوه فى اتباع الهوى وهذه الخاصية موجودة فى كل فرقة من تلك الفرق .

التانيـة : هى التى نبه عليها قوله تعالى : ﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ـ الآية﴾ فجعل أهل الزيغ والميل عن الحق من شأنهم اتباع المتشابهات وقد تبين معناه ، قال عليـه الصلاة والسلام : «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» .

الثالثـة : اتباع الهوى وهى التى نبه عليها قوله تعـالى ﴿فأما الذين فى قلوبهم زيغ﴾ وهو الميل عن الحق واتباعا للهوى وقوله ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ وقوله تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ .

● بعض الأسباب التى تعصم بإذن الله من الافتراق والاختلاف :

الأول : ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعـة ومما يفيد علما بالأحكام ، فذلك ينقسم إلى أقسام فمنه ما هو مطلوب النشر وهو

غالب علم الشريعة ومنها ما لا يطلب نشره باطلاق أو يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص فإنه وإن كان حقا فإنه يثير الفتنة ، فقد جاء في الصحيح عن علي وابن مسعود « حدثوا الناس بما يفهمون . وفي لفظ : بما يعقلون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » وفي حديث معـاذ في الصحيحين « أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا » وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما بعثه بنعليه فقـال « من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فبشره بالجنـة » وفيـه قال عمر « يا رسول الله ! لا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون فقال الرسول ﷺ فخلهم » .

وفي البخاري عن ابن عباس وعبـد الرحمن بن عوف قال : لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل فقال : إن فلانا يقول لو مات أمير المؤمنين لبايعنـا فلانا فقـال عمر : لأقومن العشية فأحذر هؤلاء الرهط الـذين يريدون أن يغضبونهم قلت لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع النـاس ويغلبون على مجلسك فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها فيطير بها كل مطير وأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة فتخلص بأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ويحفظوا مقـالتك وينزلوها على وجههـا فقـال : والله لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة .

ثانيـا[1] : أن لا يذكر للمبتدىء من العلم ما هو حظ المنتهى بل يربى بصغار العلم قبل كبـاره قال ابن عبـاس في قوله تعـالى ﴿ كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ قال : يربون الناس بصغار العلم قبل كباره .

(١) من هنا إعلام الموقعين ٢/١٨٠

الثالث: الاعتناء بقاعدة « سد الذرائع » وهى نوعان :

أحدها : أن تكون مصلحة الفعل أرجح من مفسدته .

الثانى : أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته فهو هنا أربعة أقسام :

١ — وسيلة موضوعة للافضاء إلى المفسدة كشرب المسكر المفضى إلى مفسدة السكر والزنا المفضى إلى اختلاط المياه وفساد الفراش .

٢ — وسيلة موضوعة للمباح قصد بها التوسل إلى المفسدة . مثاله : كمن يعتقد النكاح قاصدا به التحليل .

٣ — وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوسل إلى المفسدة لكنها مفضية إليها غالبا ومفسدتها أرجح من مصلحتها كالصلاة فى أوقات النهى و مسبة آلهة المشركين بين ظهرانيهم ، وتزيين المتوفى عنها فى زمن عدتها .

٤ — وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضى إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها . مثاله : النظر إلى المخطوبة . فعل ذوات الأسباب فى أوقات النهى . وكلمة الحق عند ذى سلطان جائر .

● أمثلة على القاعدة :

١ — قال تعالى : ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ فحرم الله تعالى سب آلهة المشركين مع كون السب غيضا وحمية لله وإهانة لآلهتهم لكونه ذريعة إلى سبهم لله تعالى ، وكان مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم ، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح لمنع الجائز سببا لفعل ما لا يجوز .

٢ — قوله تعالى لكليمه موسى عليه السلام وأخيه هارون : ﴿إذهبا إلى فرعون

إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ فأمر تعالى أن يلينا القول لأعظم أعدائه وأشدهم كفرا واعتاهم عليه لئلا يكون إغلاظ القول له مع أنه حقيق به ذريعة إلى تنفيره وعدم صبره لقيام الحجة فنهاهما عن الجائز لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى.

٣ — أنه تعالى نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد وأمرهم بالعفو والصفح لئلا يكون انتصارهم ذريعـــة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدة من مفسدة الاغضاء واحتمال الضيم ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة.

٤ — أن النبي ﷺ كان يكف عن قتـــل المنـافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه وقولهم إن محمـــدا يقتل أصحابه فإن هذا القول يوجب النفور عن الاسلام ممن دخل فيه ومن لم يدخل فيه، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل.

٥ — نهيه عن قتـــال الأمراء والخروج على الأئمـــة وإن ظلموا أو جاروا ما أقاموا الصلاة سدا لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه «من منكر» والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن» وقال عليـــه الصلاة والسلام «إذا بويع الخليفتان فاقتـــلوا الآخر منهما» سدا لذريعة الفتنة» انتهى ؟

التربية الإسلامية:

رحم الله امرءً عرف قدر نفسه

بقلم: فضيلة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الصويان
الرياض

قال الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر﴾ (سورة المدثر: ١-٧).

يأتي رسول الله ﷺ خائفاً وجلاً . فقد رأى شيئاً لم يعهده ، رأى جبريل بصورته التي خلقه الله عليها بستمائة جناح قد سد الأفق . فيذهب إلى زوجته خديجة رضي الله عنها يقول: «دثروني .. دثروني». فتنزل عليه هذه الآيات المباركات ليس من أجل تهدئة قلبه وتسكين نفسه ، وإنما لتقول له بكل قوة: ليس هذا وقت الخوف أو الدثارة ، ليس هذا وقت الفراش أو القعود ، وإنما هي وقت العمل والنذارة .. ﴿قم فأنذر﴾ . والعجيب أن رسول الله ﷺ لم يبدأ بعد بالعمل ، فهو في بداية الطريق ، ومع ذلك يقال له: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ لا تمن على الله عز وجل بالجهد الذي سوف تقوم به ، لا تمن على الله بقولك أو فعلك ، لا تمن على الله إذا اهتدى على يدك فلان أو فلان ، لا تمن على الله فهذا عملك وواجبك .. !!

إن المنة على الله والعجب بما يقدمه المرء من الأعمال ، بداية الهلاك والسقوط .. !

يخيل للإنسان أنه قد بلغ الآفاق بقوله وفعله، بعبادته ودعوته، وينتفش بكبرياء واستعلاء، ويتكلم بعجب وأستاذيـــة، حتى يظن أن الناس. كل الناس يشيرون إليه بالبنان، يثنون عليه بهمساتهم ونظراتهم.. !

إذا شارك بكلمـة أو درس أو خطبـة، تسلل العجب إلى قلبه وشعر أنه الداعية النشط، والمجاهد المبارك، والعامل المنتج..

نعم، ولم لا يكون كذلك.. ؟!

ألم يتحرك حينما قعد النـــاس، وتكلم حينما سكت النـــاس، وأنتج حينما عجز الناس.. ؟!

عمله لا يلحق شأوه، ودعوته لا يشق لها غبار.. نظراته مسددة، وأعماله موفقة.. وهذه هي الهاوية.. !!

إن الكبر والعجب يقودان في الغالب إلى الأمن من مكر الله، وهذا داء خطير مقعد، يحطم همة الإنسان، و يقعده عن التضحية والبناء، ويجعله يتآكل من الداخل. وكيف يصح ذلك ورسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»؟!

وها هو ذا رسول الله ﷺ يقول في دعائـــه: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»[1].. يقول ذلك وهو سيد ولد آدم، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. بل يصلي حتى تورمت قدماه، ويقول: «أفلا أكون عبدا شكورا؟!»[2].

(١) أخرجه: مسلم رقم ٢٦٥٤

(٢) أخرجه: البخاري رقم ٤٨٤٦ ومسلم رقم ٢٨١٩

ويؤكد ذلك بقوله لأصحابه: «إنه لن يدخل الجنة أحداً بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة»(١).

تربية تزكي النفس، وتدفعها إلى الالتجاء بالله، فتعلق القلب لا يكون إلا بالله سبحانه وتعالى، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «وأشهد إنك إن تكلني إلى نفسي تكلني الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك»(٢).

إن الخوف من الله، والثقة به وحده، هو الذي يهذب النفس الإنسانية ويروضها، ويطامن من كبريائها، ويحد من غرورها وعجبها. فالمرء ينشط ويدعو ويضحي بنفسه وماله، ويبذل قصارى جهده لخدمة هذا الدين. ومع ذلك فهو يلح في الدعاء، ويتضرع إلى الله بقلب مخبت منيب، يسأله القبول والرضا. ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ (سورة المؤمنون: ٦٠): أهم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر؟ فقال: «لا يابنة الصديق، هم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون، يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»(٣).

وهكذا ربى رسول الله ﷺ أصحابه، فهاهو ذا أبو بكر الصديق يأتيه

---

(١) أخرجه: مسلم رقم ٢٨١٨
(٢) أخرجه: أحمد ١٩١/٥
(٣) أخرجه: أحمد ١٥٩/٦ و ٢٠٥، والترمذي رقم ٣١٧٥، وابن ماجه ٤١٩٨

قائلا : علمني دعاء أدعو به في صلاتي. فقال له : «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

أبو بكر.. صاحب رسول الله ﷺ في الغار، الذي نصره وذب عنه، وفداه بنفسه وماله وولده..

أبو بكر.. خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ يقول : «رب إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا».

فكيف إذا يقول غيره.. ؟! كيف نقول نحن.. ؟!

إذا عمل الواحد منا عملا يسيراً تعاظم في نفسه ومن على الله، وكأنه قد أتى بما لم يأت به الأوائل، وفعل ما عجز عنه الأواخر.. !!

أما أبو بكر فيقول «وددت أني شجرة تعضد»!

عمر بن الخطاب ذلك الرجل الجبار القوي في دين الله، الذي أعز الله به الإسلام، وقوى به المسلمين، الذي إذا سلك فجاً سلك الشيطان فجاً آخر. حينما علم أن رسول الله ﷺ علم حذيفة بن اليمان أسماء المنافقين، ذهب إليه يلح عليه في السؤال : هل سماني لك رسول الله.. ؟!

شيء عجيب جدا.. عمر الفاروق لا يأمن على نفسه النفاق.. !! فكيف بمن كان دونه بمراحل.. ؟!

وتلقى ثمرة هذه التربية العجيبة حينما يطعن في خلافته، وجعل يألم، فقال ابن عباس — وكأنه يجزعه —: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد

١) أخرجه : البخاري رقم ٨٣٤ و ٦٣٢٦ و ٧٣٨٨

صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض . ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض . ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون » .

ما الظن بعمر بعد كل هذا الثناء .. ؟!

هل أحس بالعجب والخيلاء والأمن .. ؟!

قال عمر لابن عباس : « أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك من من الله تعالى من به على ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك من من الله جل ذكره من به على . وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك . والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه »(١)!

وبنحو هذا دخل عليه رجل شاب وقال له : « أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك ، من صحبة رسول الله ﷺ وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة » .

فقال عمر : « وددت أن ذلك كفاف لا على ولا لى »(٢)!

وبنحو هذا أيضا دخل ابن عباس على عائشة وهى فى الموت ، وقال لها : « أبشرى ، فوالله ما بينك وبين أن تفارقى كل نصب ، وتلقى محمدا ﷺ والأحبة ، إلا أن تفارق روحك جسدك .. كنت أحب نساء رسول الله ﷺ (يعنى : إليه) ولم يكن يحب إلا طيباً ، سقطت قلادتك ليلة الأبواء ، وأصبح

(١) أخرجه : البخارى رقم ٣٦٩٢

(٢) أخرجه : البخارى رقم ٣٧٠٠

رسول الله ﷺ ليلتقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله : ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ (سورة النساء : ٤٢) فكان ذلك من سببك، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة. ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات، فأصبح ليس مسجد من مساجد يذكر فيها الله إلا براءتك تتلى فيه أناء الليل والنهار».

ما الظن بعائشة أيضاً بعد كل هذه المناقب..؟

قالت : «دعني عنك يا ابن عباس، فوالله اوددت أني كنت نسياً منسياً»[1] ! ●●

(١) أخرجه : أحمد ٢٧٦/١ و ٣٤٩ وصححه الحاكم ٨/٤ و ٩ و وافقه الذهبي

جزاء سنمار

بقلم : اصغر على امام مهدى السلفى
الاستاذ بالجامعة السلفية بنارس

جاء الإسلام ليربي الإنسانيــة تربية صالحة كاملة ، ويهذبها في نفوسها وتصحيح شئونها وسائر تصرفاتها ، وكان قائدا لها في الأخلاق والسيرة والسلوك ، فعلمها محاسن الأخلاق والخصائل والآداب ، وقد أنعم الله عليها بنعمة الاسلام الذى هو أساس كل خير وهدى و رشد ، فهــداها إلى أقوم الطرق وأحسن السبل التي تضمن سعادة الدارين ونعيمهما إذا تمسك الانسان بها ، وهو الطريق الوحيد لنيل السعادة والنجاة والنجاح في الدارين .

وقد كان غرض هذا الانعام الرباني أن يكون الانسان مطيعا لربه شاكرا لأنعمه ، وقد أوجب الله على عباده شكر نعمه كما حرم عليهم كفران أى نعمة أنعمها .

وكان الرسول ﷺ عبدا شكورا لربه كما كان يجازى أحسن الجزاء لمن بذل إليه معروفا ، كما قال الصحابي الجليــل المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلى حتى ترم قدماه ، أو ساقاه ، فيقــال له ، فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا[1].

وكان ﷺ أتقى الناس لله وأشدهم شكرا له ولمن بذل إليه معروفا ولو كان كافرا ، فإنه كان يجزيه الجزاء الأوفى ، وكان لاينساه إحسانه أبدا ، فهذا هو

(١) الجامع الصحيح للامام البخارى مع الفتح ١٤/٣

المطعم بن عدى أحد صناديد قريش الذى نزل رسول الله ﷺ بجواره بمكة المكرمة يوم قفوله من الطائف جريحا مظلوما كما يحكى لنا ابن هشام قصة نزوله ﷺ بجوار المطعم. قال ابن هشام: إن رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته، صار إلى حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال: إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب، فبعث إلى المطعم بن عدى، فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المطعم وأهل بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن ادخل، فدخل رسول الله ﷺ، فطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله(١).

فهذا الإحسان للمطعم كان يذكره ﷺ دائما وتمنى يوم بدر أن يكون المطعم بن عدى حيا، ثم يشفع فى أسارى بدر لأطلق سراحهم مجازاة له وتقديرا لموقفه العظيم فقد روى محمد بن جبير بن المطعم عن أبيه أن النبى ﷺ قال فى أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له(٢).

وهذا الذى يرثى له الصحابى الجليل حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه يمدحه مجازاة له على ما صنع النبى ﷺ:

فلو كان مجد مخلد الدهر واحدا ... من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدك ما لبى مهل وأحرما(٣)

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٨١

(٢) الجامع الصحيح للبخارى مع الفتح ٧/٣٢٣

(٣) السيرة النبوية ١/٣٨٠

وقد مدح الله تعالى الشاكرين لنعمائه وتوعد الكافرين لها ، قال الله تعالى : ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[١].

وأن الله تعالى لا يعذب عباده المؤمنين الشاكرين وأنه يعلم من يشكر نعمه ومن يكفرها قال تعالى : ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما﴾[٢].

إن الله تعالى إذا منح عباده النعم يريد منهم أن يشكروه ، فإذا قام العبد بواجب الشكر صار من المقربين وإذا قابلها بنكران الجميل وكفران النعم يسلبها منه ويعذبه عذابا نكرا ، قال تعالى : ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وعن شمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾[٣].

وعبادة الله تعالى مشروطة بالشكر على رزقه الحلال ، إذ هما شيئان متلازمان فإنه من لم يشكره لم يقم بعبادته حق العبادة ، قال تعالى : ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾[٤].

قال الامام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : أمر الله تعالى عباده أن يأكلوا رزقه الحلال الطيب ويشكروه على ذلك فإن أنعم وحده لزم

---

(١) سورة ابراهيم : ٧

(٢) „ النساء : ١٤٧

(٣) „ السبأ : ١٥—١٧

(٤) „ النحل : ١١٤

أن يعبد وحده[1].

ومن بدل نعمة الله كفرا فيبدل الله له الأمن والاطمئنان من الخوف والاضطراب والرفاهية من الجوع قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[3].

فشكر الله واجب على العباد وشكره تعالى لا يتم إلا أن يقدروا نعمه حق تقدير وأن يعبدوه وحده لايشركون به أحدا من الخلق فى ذاته وصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وأن يطيعوه فى جميع أوامره ويحذروا من كل نواهيه.

كما لايتم شكره تعالى إلا أن يشكروا لمن بذل إليهم من المعروف من الناس فانه قد أوجب عليهم أن يشكروا الناس على معروفهم لهم. وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ فى مدح الشاكرين لله ولنعمائه ولمن يبذل المعروف، وأكد فى ذلك أشد تاكيد. وحذر من أدنى تقصير وتفريط فى ذلك. فمن هذه الأحاديث:

حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[4].

---

(١) تفسير القرآن الكريم لابن كثير تحت رقم الآية ١١٤ من سورة النحل

(٢) سورة النحل: ١١٢

(٣) " الرعد: ١١

(٤) الصحيح للامام مسلم ٤/٢٠٩٥

وفى الحديث القدسى إن الله تعالى قال: عجبت لأمر المؤمن أمره كله خيره إن أصابه خير فشكر كان خيرا له، وإن أصابه شر فصبر كان خيرا له[١].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[٢].

قال الخطابى فى شرح هذا الحديث: هذا يتأول على وجهين:

أحدهما: إن من كان من طبعه وعادته كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على احسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر احسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر[٣].

وقال القاضى: وهذا اما لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتثال أمره، وإن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط فى ايصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤديا شكر نعمه، أو لأن من أخل بشكر من أسدى نعمة من الناس مع ما يرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء، وتأذيه بالاعراض والكفران كان أولى بأن يتهاون فى شكر من يستوى عنده الشكر والكفران[٤].

---

(١) مسند الامام أحمد ١/١٧٣ و ١٧٧

(٢) أبو داود والترمذى مع التحفة ١/٨٨

(٣) تحفة الأحوذى ٦/٨٨

(٤) " " ٦/٨٧

وعن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «من أعطى عطاء فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثن به، فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره»[١].

وكفران نعمة الإنسان يسبب الدخول بالنار كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو في فطر إلى المصلى، فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار، قلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، الحديث[٢].

فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على وجوب الشكر للنعم الكريم وللعبد الذي أسدى المعروف إلى أخيه الانسان وإنه لسبب لجلب النعم ووسيلة الحصول على الثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، وكفران النعم يسلبها ويسبب بالعذاب في الدنيا والآخرة.

فيجب على الانسان أن يكون شاكرا بقلبه ولسانه وجوارحه، فان الشكر يكون بوجهين، شكر عام وشكر خاص، فاما الشكر العام فهو الحمد باللسان، وأن يعترف بالنعمة من الله تعالى، أما الشكر الخاص فالحمد باللسان، والمعرفة بالقلب والخدمة بالأركان، وحفظ اللسان وسائر الجوارح عما لا يحل[٣]، قال تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾[٤] أي اعملوا عملا تؤدون به شكرا،

---

(١) الترمذي مع التحفة ٦/١٨٣، وأبوداود كتاب الادب.
(٢) الصحيح البخاري مع الفتح ١/٤٠٥
(٣) تنبيه الغافلين ٢٥٣
(٤) سورة سبأ: ١٥

وكما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء منى ثلاثــة   يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحلون بالأخلاق الفاضلة ويتصفون بأداء الشكر لمن بذل المعروف إليهم لمـا شاهدوه من أخلاق الرسول ﷺ العاليـة، وبما كانوا أكثر النـاس امتثالا لأمر الله ولرسوله والتأسى بالأسوة النبوية الحسنة المباركة فقد روى البخارى فى صحيحه عن الصحابى الجليل عمران ابن الحصين رضى الله عنه ما معنـاه ملخصا: انه كان مع النبي ﷺ فى غزوة فاشتكى إليه الناس من العطش فنزل فدعا أبا رجاء وعليا فقال: اذهبا، فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين من ماء على بعير لها فقالا لها: انطلق جاءا بها إلى النبي ﷺ وحدثاه الحديث، قال فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبي ﷺ بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين و ربط أفواههما وأطلق العزالى ونودى فى الناس: اسقوا واستقوا... وأمر النبي ﷺ أن يجمعوا لها فجمعوا لها سويقة وعجوة ودقيقة، فأتت أهلها واحتبست عنهم، قالوا ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب! وقصت القصة وقالت: انه لرسول الله حقـا. فكان المسلمون يغيرون على من حولها من المشركين، ولايصيبون الصرم الذى هى منه، فقالت يوما لقومها: ما أرى ان هولاء القوم يدعونكم عمدا، فهل لكم فى الاسلام؟ فأطاعوها فدخلوا فى الاسلام[1].

فهؤلاء الصحابة المسلمون حقـا يحسنون صنعاً مع امرأة مشركة وقومها المشركين التى تسببت بالاحسان إلى المسلمين، وفى الرحمة يحسن عليها وعلى قومها

---

(١) الصحيح البخارى مع الفتح ٤٤٨/١

ماء كما ورد في بعض الروايات « ان الماء ليخيل أشد ملأة مما كان من قبل » كما يجمع لها تمرا وطعاما من أجود أنواع التمور والسويق والدقيق، ومع هذا الصحابة الكرام لا ينسون احسانها طيلة حياتهم، ولا يقصرون معروفهم واحسانهم لها نفسها فقط بل يحسنون على قومها وأهلها جميعا مجازاة لما تسببت بالاحسان الى المسلمين حتى لا يتعرضون بأموالهم وأنفسهم وأعراضهم عند اغارتهم على من حولها من المشركين نظرا الى معروفها ولو من غير قصد منها وجزاء لاحسان المسلمين هذا أثمر ثمرا طيبا جزيلا حيث أسلمت وأسلم قومها جميعا بما شاهدت من أخلاق المسلمين العالية وسلوكهم الحسن معها.

قال الحافظ ابن حجر في شرح قول المرأة: المعنى الذى اعتقده ان هؤلاء يتركونكم عمدا لا غفلة ولا نسيانا، بل مراعاة لما سبق بينى وبينهم، وهذه الغاية فى مراعاة الصحبة اليسيرة وكان هذا القول سببا لرغبتهم فى الاسلام، ثم قال الحافظ معلقا على هذا القول: وحصل القصة ان المسلمين صاروا يراعون قومها على سبيل الاستئلاف لهم حتى كان ذلك سببا لاسلامهم[1].

وكم كان الصحابة السعداء حيث فتحوا القلوب قبل فتح البلاد وكم كانوا جديرين ببشرى رسول الله ﷺ: والله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم﴾[3].

---

(١) فتح البارى ٤٥٣/١

(٢) البخارى مع الفتح ١١١/٦

(٣) سورة النمل: ٤٠

هذه أخلاق الجنود الاسلامية والرعيل الأول وقائده العظيم في أداء الشكر لمن بذل المعروف إليهم، فنحوا العالم بهذه الأخلاق الكريمة والسيرة الحسنة ورفعوا راية الاسلام في ربوع العالم وكان للاسلام والمسلمين في نفوس الآخرين عظمة كبيرة وسمعة طيبة، ولكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا هذا الكرامة وأساءوا إلى الاسلام والمسلمين بأعمالهم النكراء فصاروا وسمة عار على جبين الأمة الاسلامية وسلسلة فاسدة في هذه السلاسل الذهبية حينما تخلوا عن هذه الأخلاق والقيم فدنسوا الأقدار العظيمة للمسلمين وانحطوا عن الحيوية الايمانية وكرامة الانسانية إلى الوحشية والبهيمية الصماء فالاسلام الذى أوجب الاحسان في جميع الأمور حتى في البهائم والذبائح كيف أباح هؤلاء دماء المسلمين المحسنين، فليسوا هؤلاء على شيء من الاسلام بل هم أشبه بالحيوان المفترس الذى من طبيعته الاعتداء على من رباه وقام على تغذيته حيث قصدوا الإساءة إلى من أحسن إليهم، وأعطوه سوء المكافأة مثل جزاء سنمار الذى يحكى عنه انه كان بناءا عظيما من الروم، يقال انه الذى بنى قصر الخورنق الذى كان بظاهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة، وإنه لما فرغ من بنائه ألقاه النعمان من أعلى القصر لئلا يعمل مثله لغيره، فخر ميتا، ومنذ ذلك الوقت ضربت العرب المثل في سوء المكافأة إذ تقول: جزاني جزاء سنمار[1].

والآن تضرب العرب المثل بل العالم أجمع في سوء المكافأة بحاكم العراق وجنوده عند ما قام بأعماله الحربية النكراء ضد أمير دولة الكويت وشعبه

(١) مجمع الأمثال ١/١٩٥

الذين أحسنوا له الحسنى بجزائهم شر جزاء .

الا أن الفرق واضح بين صنيع النعمان وجرائم صدام ، فالأول أساء إلى المحسن فقط والثانى قضى على دولة محسنة بأسرها حسب استطاعته وبما يملك من القوة والعدد والعدد ، لجزى المحسن وأقرباءه ووزراءه وأمراءه وشعبه جميعا بأسوء ما يكافأ الرجل تجاه معروفه الذى بذله الآخرين فمثال هذه الجرائم الكثيرة لا يوجد فى تاريخ الاسلام إلا أننا نجد له مثيلا فى تاريخ السباع والحيوانات فيحكى أن قوما خرجوا لصيد فطردوا ضبعة حتى الجوها إلى خباء أعرابى فأجارها ، وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت، فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ماتى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله	يلاق كما لاق مجير أم عامر(١)
أعد لها لما استجارت ببيته	أحاليب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت	فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من	يجود بمعروف على غير شاكر

فما أشبه بهذه القصة الوحشية غدر حاكم العراق واساءته إلى أهل الكويت إذا غزاهم فى دياجير الليل وهم نائمون مطمئنون ، وإذ قتلتم وشردهم من غير ذنب اقترفوه وهم يجدون حتفهم ولا يعلمون لماذا يحدث هذا كله .

ومع هذا التشابه الكبير بين القصتين هناك فروق كثيرة بينهما فالضبعة حيوان مفترس ليس لها عقل يمنع من اقتراف هذه الخطيئة والغدر، ولا دين

(١) أم عامر كنية الضبعة .

لما يزجره عن ارتكاب هذه الجريمة بل من طبيعتها الاعتداء ، وهذا حيوان جاهل بل يدعى له بعض من لا أمانة له ولا ديانة فى القول إنه بطل جليل للإسلام ولم يستحى من تلقيبه بصلاح الدين الأيوبى الكردى رحمه الله تعالى . هدام الله من هذا الادعاء والتأييد الظالمين .

وفرق آخر جلى أن أم عامر اعتدت على المحسن وأساءت إليه فقط وحاكم العراق أساء إلى جميع من ينتمى إلى الكويت المحسنة من الحكام والمحكومين والأمراء والشعب بل اعتدت الأيدى الآثمة على العمائر السكنية وأبنية المستشفيات وآبار النفط والمدارس والمكتبات حتى إلى بيوت الله وأباحت حرمتها بممارستها الأفعال الشنيعة فيها .

وفرق ثالث أن الضبعة عرفت مصيرها ولاقت حتفها وجوزيت بمثلها فورا ، وأما حاكم العراق فمازال يتمادى فى باطله ويتحمس لظلمه وعدوانه . ولا عجب فى ذلك ، فإن سنة الله تجرى فى كونه حيث : إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته[1] وإذا أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وإذا بطش فإن بطش ربك لشديد ، ولكن الظالمين لا يتفكرون ؟

(١) البخارى مع الفتح ٨/٣٥٤

مفهوم الاتباع والتقليد فى الشريعة الاسلامية

(٥)

الشيخ / سهيل أحمد فضل الرحمن الأعظمى
مكتب الدعوة بدبى

(حجية الاجتهاد فى ضوء النقل والعقل)

حجية الاجتهاد : قد سبق الكلام فى الحلقة السابقة على معنى الاجتهاد لغة واصطلاحا و شروطه ، و على معنى الرأى و القياس والفرق بين الرأى المسوغ والرأى الممنوع .

ونريد الآن أن نأتى ببعض الأدلة على ثبوت الاجتهاد من القرآن الكريم و الأحاديث المباركة و آثار العلماء ، سلفا و خلفا و من المعقول ايضا ، لنكون على بصيرة تامة فى ذلك بمعرفة أسوة سيد الأبرار ، وطريقة أتباعه الأخيار فى فى جميع القرى والأمصار ، الذين حقا كانوا ورثة الأنبياء علما وعملا وتطبيقا رضى الله عنهم ورضوا عنه .

فاعلم أن العلماء اختلفوا فى جواز التعبد بالاجتهاد للنبى ﷺ ولأمته فى حضرته و غيبته والمختار أنه جائز للنبى ﷺ ولأمته حاضرين أو غائبين كما قال الغزالى والآمدى[1] أما جواز الاجتهاد بعد النبى ﷺ فقد اتفقوا على ذلك[2].

(١) المستصفى للغزالى ٢/٣٥٤ ، الإحكام فى أصول الأحكام ٣/٣٠٦ ، ٣١٤

(٢) الإحكام للآمدى ٣/٢١٣

فأولا حجيته من القرآن الكريم :

حجية الاجتهاد من القرآن الكريم : من أمعن نظره فى القرآن الكريم وجد كثيرا من الآيات تدل على مشروعية الاجتهاد وجوازه ، ومن تلك الآيات قوله تعالى :

١ ـ ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾[١].

إن أمر التولى شطر المسجد الحرام فى هذه الآية يتعلق بمن خرج فى الأسفار كما قال القرطبى[٢] ومن المعلوم أن الاعتماد على جهة الكعبة فى السفر فى الغالب لا يكون إلا بالتحرى والاجتهاد فثبت الاجتهاد بهذه الآية .

وقد استدل الإمام الشافعى رحمه الله بهذه الآية على التعبد بالاجتهاد فى كتابه « الرسالة »[٣].

فإنه قال : أفتجد تجويز ما قلت من الاجتهاد مع ما وصفت فتذكره ؟

قلت : نعم . استدلالا بقوله تعالى : وتلا الآية المذكورة .

٢ ـ ومنها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾[٤].

قال الخطيب البغدادى :

فنص الله على وجوب الجزاء من النعم فى المقتول من الصيد ولم ينص

---

(١) البقرة : ١٥٠

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٩٥

(٣) الرسالة ص ٤٨٧ (رقم ١٣٧٧ ـ ١٣٨٧)

(٤) المائدة : ٩٥

على ما يعتبر من المماثلة، فكان ما نص عليه أنه من النعم، لا اجتهاد فيه، وكان المرجع في الوجه الذى به تعلم مماثلته فيه، لا طريق له غير الاجتهاد والاعتبار[١].

واستدل الخطيب أيضا على ثبوت القياس بقوله تعالى:

٣ — ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾[٢].

وقال: إما أن يكون أمر برد التنازع فيه إلى ما نص الله عليه فى كتابه ورسوله فى سنته لا إلى غير ذلك، فأى منازعة وأى اختلاف يقع فيما قد تولى الله ورسوله الحكم فيه نصا؟ فهذا لا معنى له، أو يكون أمر برده إلى ما ليس له بنظير ولا شبيه، ولا خلاف إن ذلك لا يجوز، أو يكون أمر برده إلى جنسه ونظيره مما قد تولى الله ورسوله الحكم فيه نصا. فيستدل بحكمه على حكمه، ولا وجه للرد إلى غير هذا المعنى لفساد القسمين الأولين وأنه لا رابع لما ذكرناه[٣].

فقد أراد بقوله «ولا وجه للرد إلى غير هذا المعنى» ثبوت القياس أو الاجتهاد.

٤ — ومنها قوله تعالى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾[٤].

وقال الآمدى: والمشاورة إنما تكون فيما يحكم فيه بطريق الاجتهاد، لا فيما يحكم فيه بطريق الوحى[٥].

---

(١) كتاب الفقيه والمتفقه ١٨٦/١

(٢) النساء: ٥٩

(٣) كتاب الفقيه والمتفقه ١٨٨/١

(٤) آل عمران: ١٥٩

(٥) الإحكام للآمدى ٢٠٦/٣

وقال أيضاً[١]: يدل عليه قوله تعالى:

٥ ـ ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث﴾ إلى قوله ﴿ففهمناها سليمان، وكلا آتينا حكما وعلما﴾[٢].

وما يذكر بالتفهيم إنما يكون بالاجتهاد لا بطريق الوحى.

وقال ابن قدامة فى الاستدلال على الاجتهاد وبهذه الآية: لو لم يكن الحكم بالاجتهاد جائزا لما مدحهما الله تعالى بقوله: ﴿وكلا آتينا حكما وعلما﴾[٣]

حجيته من السنة: إن الأدلة على وقوع الاجتهاد فى السنة كثيرة، علما بأن الاجتهاد فى زمنه ﷺ على نوعين، الأول ما صدر من حضرته ﷺ بنفسه ومنه ما أذن لأصحابه وأقرهم عليه.

١ ـ فأما ما يدل على اجتهاده عليه السلام هو قصة أسارى بدر[٤] حيث استشار فيهم أصحابه وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما. فأشار أبو بكر على قبول الفداء منهم، وأشار عمر بقتلهم فرجح ﷺ قول أبى بكر باجتهاده. فنزلت الآية تنبيها على ما اختاره ﷺ كما قال تعالى.

﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾[٥].

(١) الإحكام للآمدى ٢٠٧/٣
(٢) الأنبياء: ٧٨، ٧٩
(٣) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة ص ١٩٣
(٤) رواه مسلم عن ابن عباس ١٥٦/٥ــ١٥٧ والإمام أحمد (رقم ٢٠٨، ٢٢)
(٥) الأنفال: ٦٧، ٦٨

قال صاحب «فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت» مستدلا على الاجتهاد بهذه الآية[1]:

لولا سبق الكتاب فى اللوح المحفوظ أنه لا يعذب من اجتهد بخالص النية مجتنبا عن شائبة الهوى وأخطأ من غير تقصير فى بذل الجهد لمسكم العذاب.

وأكثر الأصوليين استدلوا بهذه القصة على مشروعية الاجتهاد[2].

٢ — وكذلك اجتهد النبي ﷺ فى الإذن للمتذرين من المنافقين أن يتخلفوا عن غزوة تبوك. فنزل قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾[3].

٣ — ومن اجتهاده ما يدل عليه حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمى نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال ﷺ: نعم حجى عنها. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء[4].

فقد قاس ﷺ قضاء الحج على قضاء الدين باجتهاده.

٤ — وكذلك قال ﷺ لعمر رضى الله عنه لما سأله عن قبلة الصائم، «أرأيت لو تمضمضت بماء»[5].

---

(١) انظر: ذيل المستصفى للغزالى ٣٦٦/٢

(٢) انظر: المستصفى للغزالى ٣٥٦/٢، روضة الناظر ص ١٩٢، الإحكام ٢٠٦/٣، ٢٠٧

(٣) التوبة: ٤٣

(٤) رواه البخارى فى الصيد والنسائى فى الحج وأحمد فى صلاة ٢٢٩/١

(٥) سنن أبى داود والدارمى فى الصوم.

فقد قاس أيضا باجتهاده القبلة على المضمضة .

وقال الآمدى فى كتابه :

وأما السنة فما روى الشعبي أنه كان رسول الله ﷺ يقضى القضية وينزل القرآن بعد ذلك بغير ما قضى به ، فيترك ما كان قضى به على حاله ويستعمل ما نزل به القرآن والحكم بغير القرآن لا يكون إلا بالاجتهاد[1].

وهكذا قال العلامة الشوكانى[2] :

وأيضا قد وقع (الاجتهاد) كثيرا منه ﷺ ومن غيره من الأنبياء ، فأما منه فمثل قوله : أرأيت لو تمضمضت[3] ، أرايت لو كان على ابيك دين[4] وقوله للعباس : إلا الإذخر[5] ولم ينتظر الوحى فى هذا ولا كثير مما سئل عنه .

٥ — ومن دليل اجتهاده ﷺ ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ! إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، قال : « هل لك من إبل » قال : نعم ! قال : « فما ألوانها » ؟ قال : « حمر » قال : « هل فيها من أورق » ؟ قال : نعم . قال : « فأنى ذلك » ؟ قال : لعله نزعة عرق ، قال : فلعل ابنك هذا نزعه عرق[6].

وغير ذلك من الأمثلة الواردة فى السنة لا يسع المقام بذكرها جميعا .

---

(١) الأحكام فى أصول الأحكام ٣/٢٠٧

(٢) إرشاد الفحول ص ٢٥٦

(٣) رواه أبو داود والدارمى فى الصوم ومسند أحمد ١/٢١

(٤) رواه النسائى فى الحج .

(٥) متفق عليه .

(٦) متفق عليه .

أما الأحاديث التي تدل على أنه أمر أصحابه عليه السلام للاجتهاد أو أقرهم على اجتهادهم ولم ينكر عليهم، فهي أيضا كثيرة جدا. أذكر منها بعضها وهي تفي بالمقصود، إن شاء الله.

ومن أكبر الأدلة على إذنه ﷺ لأصحابه للاجتهاد، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي ذكره الخطيب في كتابه لاثبات القياس، وقد استدل به سائر العلماء على حجية القياس والاجتهاد[1].

١ — قال معاذ رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «إذا عرض لك قضاء كيف تقضي»؟ قلت: أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم يكن في كتاب الله»؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله»؟ قال: اجتهد رأي ولا آلو، فضرب صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله ﷺ»[2].

(١) انظر كتاب الفقيه والمتفقه ١/١٨٩، جامع بيان العلم ٢/٨١، المستصفى للغزالي ٢/٣٥٥، روضة الناظر ص ١٩١، الإحكام ٣/٢١١، اعلام الموقعين ١/٢٠٢ إرشاد الفحول ٢٥٦، ٢٥٧

(٢) هذا الحديث تكلم في صحته علماء الحديث فقيل: إنه روى عن أصحاب معاذ وهم مجاهيل، وقد أجاب الخطيب عنه، وقال بشهرته، وأنه يصح الاستدلال به، كتاب الفقيه والمتفقه ١/١٨٩، ١٩٠. وقال ابن القيم: فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث. إعلام الموقعين ١/٢٠٢

وقال الشوكاني: ومن أول ما يدل على هذا التفصيل تقرير معاذ على اجتهاد رأيه لما بعثه ﷺ إلى اليمن وهو حديث مشهور له طرق متعددة ينتهض بمجموعها الحجة. إرشاد الفحول ص ٢٥٧، وللألباني تفصيل جيد حول هذا الحديث، ينبغي الرجوع إليه في سلسلة الأحاديث.

٢ ـ عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فأخطأ فله أجر»[1].

فقد أجاز النبي ﷺ لأمته الاجتهاد فى الحكم، و بشر بأجرين لمن أصاب وأجر إن أخطأ[2]. قد استدل به الإمام الشافعى رحمه الله على جواز الاجتهاد[3].

٣ ـ وأخرج الخطيب عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله فى خاصة نفسه، و بمن معه من المسلمين خيرا، و ساق الحديث إلى أن قال: إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم، فإنكم لا تدرون ما يحكم الله فيهم و لكن أنزلوا على حكمكم ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم.

قال الخطيب بعد سرد هذا الحديث:

فقد أمر رسول الله ﷺ الأمير بأن ينزل العدو على حكمه وعلم أن ذلك إنما يكون من جهة الاجتهاد، لا من جهة النص والتوقيف[4].

---

(١) البخارى فى الاعتصام ومسلم وأبو داود فى الأقضية والترمذى فى الأحكام.

(٢) إن المراد بالأجر إن أخطأ هو الأجر على اجتهاده وحسن نيته فى معرفة للحق، أما خطأه فهو معفو عنه، وليس المراد أن المجتهد يعطى الأجر على خطأه، كذا قال الخطيب. انظر: الفقيه والمتفقه ١٩١/١

(٣) انظر: الرسالة للشافعى بتحقيق أحمد شاكر ص ٤٩٤، رقم ١٤٠٨-١٤٠٩

(٤) الفقيه والمتفقه ١٩٣/١

٤ ــ وأخرج أيضا عن أم عطيــة الأنصارية رضي الله عنها قالت: لما ماتت ابنة رسول الله ﷺ قال لنا رسول الله ﷺ: «اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر. (الحديث)

قال الخطيب بعد سرد هــذا الحديث: قــد جعل النبي ﷺ الأمر فيه إلى اجتهاد من ولي الغسل ورأيه. وقال أيضا:

وقد حكم جماعــة من الصحابة باجتهــادهم في وقت النبي ﷺ فلم ينكر ذلك عليهم ولا عنف أحدا منهم[1].

وذكر قصة بني قريظــة وقضاء علي باليمن في زمن النبي ﷺ، وغيرهما من الوقائع التي تدل على أن الصحابة اجتهدوا وأقرهم النبي ﷺ على اجتهادهم ولم يعنفهم ولم يمنعهم عنه.

٥ ــ أما حديث بني قريظة فقــد أخرج عن ابن عمر قال: نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف من الأحزاب لا يصلين أحــد الظهر إلا في بني قريظة قال: فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة، وقال الآخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فات الوقت، قــال: فما عنف واحدا من الفريقين[2].

٦ ــ وحديث علي عن الشعبي عن أبي جحيفة السوائي قال: لما كان علي باليمن أتاه ثلاثة نفر يختلفون في غلام فقال كل واحد منهم: هو ابني. فأقرع علي بينهم فجعل الولد للقارع ــ وجعل عليه لرجلين ثلثي الدية ــ قال: فبلغ

---

(١) كتاب الفقيه والمتفقه ١/١٩٣، ١٩٤

(٢) ذكره أيضا ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق لكنه فيه: لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة. انظر ٣/١٤١ وأخرجه مسلم في الجهاد باب ٢٣

ذلك رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء علي[1].

٧ - وأخرج أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الصلاة ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا ذلك، فقال للذي لم يعد: «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك» وقال للذي توضأ وأعاد: «لك الأجر مرتين»[2].

إن هذه الأحاديث الثلاثة الأخيرة قد نقلها ابن القيم واستدل على ثبوت الاجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[3].

حجيته في ضوء الآثار: إن الأقوال والأفعال التي وردت عن الصحابة والتابعين وغيرهم في الفتيا والقضاء، كلها تؤيد وتؤكد لنا على ثبوت الاجتهاد ومشروعيته وقد ذكرت عددا منها في الحلقة السابقة فارجع إليها وأرجو فيها الكفاية إن شاء الله تعالى.

حجيته من المعقول: بعد أن عرفنا الأدلة على ثبوت الاجتهاد ومشروعيته من القرآن والسنة والآثار، ينبغي لنا أن نعرف بعض الأدلة على ثبوته من المعقول.

فقال ابن قدامة:

ولا يبعد أن يعلم الله تعالى لطفا فيه يقتضي أن يناط به صلاح العباد بتعبدهم بالاجتهاد لعلمه لو نص لهم على قاطع لعصوا كما ردهم في قاعدة الربا

(١) رواه أحمد في المسند ٣٩٢/١، ٣٧٣/٤، أبو داود في الطلاق.

(٢) رواه أبو داود والدارمي في الطهارة.

(٣) إعلام الموقعين ٢٠٣/١، ٢٠٤

إلى الاستنباط من الأعيان الستة مع إمكان التنصيص على كل مكيل وموزون أو معلوم[١].

وكذا قال الغزالي:

فيجوز أن يعلم الله لطفا يقتضي ارتباط صلاح العباد بتعبدهم بالاجتهاد لعلمه بأنه لو نص لهم على قاطع لبغوا وعصوا[٢].

وقال الآمدي:

أما المعقول فمن وجهين:

الأول: ان العمل بالاجتهاد أشق من العمل بدلالة النص لظهوره، وزيادة المشقة سبب لزيادة الثواب.

الثاني: ان القياس هو النظر في ملاحظة المعنى المستنبط من الحكم المنصوص عليه والحاق نظير المنصوص به بواسطة المعنى المستنبط، والنبي عليه السلام أولى بمعرفة ذلك من غيره لسلامة نظره وبعده عن الخطأ والإقرار عليه[٣].

وقال الشوكاني:

وإذا جاز لغيره من الأمة أن يجتهد بالإجماع مع كونه معرضا للخطأ فلأن يجوز لمن هو معصوم عن الخطأ بالأولى[٤].

وقال الأستاذ محمد على السائس:

(١) روضة الناظر لابن قدامة ص ١٩٢
(٢) المستصفى للغزالي ٢/٣٥٤
(٣) الإحكام للآمدي ٣/٢٠٧
(٤) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٥٦

والحكمة فى اجتهاده ﷺ وإذنه للصحابة فى الاجتهاد ، أن هذه الشريعة لما كانت خاتمة الشرائع . . . وأن الحوادث متجددة لا تقف عند حد ، أراد ﷺ أن يعلمهم طريقة الاستنباط ويمرنهم على كيفية أخذ الأحكام من أدلتها الكلية[1] .

(أهمية الاجتهاد والاحتياج إليه)

لعله اتضح مما سبق من الكلام أن الاجتهاد والاستنباط لمعرفة الأحكام الشرعية والمسائل الدينية المسكوت عنها قد أباحه وأجاز له الشارع الحكيم ، وأخبر بجواز وقوعه على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام وعمل به النبي ﷺ فى حياته الشريفة وأذن لأصحابه ، فهم لم يألوا جهدهم فى تحقيق الحق ومعرفة الصواب حسب وسعهم وقوتهم فى حياته ﷺ وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى أيضا . وقد سلك مسلكهم من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم ومن الأئمة الأربعة وغيرهم فى كل عصر ومصر . كما قال المزنى :

الفقهاء من عصر رسول الله ﷺ إلى يومنا هلم جرا استعملوا المقاييس فى الفقه فى جميع الأحكام فى أمر دينهم قال : وأجمعوا أن نظير الحق حق ونظير الباطل باطل قال : فلا يجوز لأحد إنكار القياس لأنه التشبيه بالأمور والتمثيل عليها[2] .

ثم حل محله التقليد والجمود والتوقف عن بذل الوسع والاجتهاد على منهج السلف القويم وطريقتهم المثلى . كما قال الشاه ولى الله الدهلوى :

اعلم أن الناس كانوا فى المائة الأولى والثانية غير مجمعين على التقليد

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامى ص ٣٤ ، ٣٥

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٢ ، إعلام الموقعين ١/٢٠٥

لمذهب واحد بعينه .... وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخريج .... وبعد المائتين ظهر فيهم التمذهب للمجتهدين بأعيانهم ... فنشأت بعدهم قرون على التقليد الصرف يميزون الحق من الباطل ولا الجدل من الاستنباط[١] .

ويقول الأستاذ محمد على السايس فى أثناء بيانه لما آلت إليه أحوال الناس فى أمور الدين فى منتصف القرن الرابع إلى سقوط بغداد ٦٥٦هـ:

وأصبحت الشريعة هى نصوص الفقهاء وأقوالهم وصار مبلغ جهدهم أن يفهموا كلام الأئمة أو يقرءوا على قواعدهم ، أما الاجتهاد ، فقد تناسوه حتى قالوا بانسداد بابه على رأس المائة الرابعة[٢] .

ويقول الدكتور السيد موسى « توانا » :

أما بعد : هذه السنة (٦٤٥هـ) إلى أوائل القرن العاشر الهجرى فقد اقتصر عملهم غالبا فى الترجيح .... وبعد أوائل القرن العاشر الهجرى لم يبق سلطان غير سلطان التقليد ، وجاء زمان لم يبق من الاجتهاد إلا إسمه ، وأصبح دعواه ، بل دعوى إمكان وجوده ذنبا لا يغتفر[٣] .

ولما صارت هذه حالة الناس نحو الاجتهاد والتقليد حيث ظنوا أن التقليد هو الأصل ، ولا حاجة إلى الاستنباط ، قام العلماء البارزون المخلصون وتكلموا على ثبوته ومشروعيته وإمكان وجوده وجعله جزءا من أصول الفقه ، بل خصصوا له بابا مستقلا من أبواب كتب الأصول ، وما من مسألة فى هذا الباب إلا تناولوها بالبحث فقد استدلوا على إثباته بالأدلة السمعية والعقلية وذكروا له

(١) الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٥

(٢) تاريخ الفقه الإسلامى ص ١١٢

(٣) الاجتهاد ص ٩٣

شروطها ، وبحثوا هل كان النبي ﷺ متعبدا بالاجتهاد أم لا ؟ وهل كان أصحابه مأذونين له في حضرته وغيبته عليه السلام أم لا ؟ وهل الحق مع جميع المجتهدين أم مع واحد ؟ وإذا تعارض الدليلان عند المجتهد ماذا يفعل ؟ وهل يجوز خلو عصر من العصور عن المجتهدين أم لا ؟ وهل هو مما يتجزأ بحيث إنه يجوز لبعض العلماء أن يكون مجتهدا في بعض المسائل إذا تحصل له مناط الاجتهاد من الادلة دون غيرها أم لا بد من معرفة جميع المسائل من سائر الأبواب ؟ وهكذا جاؤا بأقوال العلماء واختلافهم فيها وقد أطالوا الحوار والنقاش في الرد والإثبات والوجوب والجواز في تلك المسائل ، ومن الظاهر أن هذه المباحث كلها تدل على أهمية الاجتهاد و احتياجه الأمة المحمدية التي هي أمين هذه الشريعة الخالدة وهي تضمن حل مشاكلها في الحال والاستقبال كما تكفلت لها في الماضي ، وإلا لم تكن في ذكر هذه المسائل والبحث عنها أي جدوى .

وحينما ندرس تاريخ التشريع الإسلامي يتبين لنا أن الاجتهاد لم يقف كليا في عصر من العصور بل وجد في شكل من الأشكال في جميع العصور إما بطريق التخريج و الترجيح أو بنوع من أنواع الاجتهاد في المذهب أو الانتساب إلى أصول الامام أو الاجتهاد على الإطلاق .

لم ينكر أحد ولا يمكنه أن ينكر وجود هذه الأنواع كلها من الاجتهاد وإنما يظهر من بعض الوقائع أن صلاحية الاجتهاد المطلق وغيره قد وجدت وتوفرت آلته في طائفة من علماء التابعين في العصور التي ادعوا التقليد ونادوا بتوقيف باب الاجتهاد ، لكنهم لم يستخدموها بسبب من الأسباب كما أشار اليها الأستاذ محمد علي السائس حيث يقول :

لقد كان في علماء هذا الدور (٣٥٠–٦٥٦) من لا يقل عن الأئمة

السابقين علما بأصول التشريع وطرق الاستنباط ولكن لم يكن لهم الجرأة الكافية للظهور بمظهر الاستقلال ولم تكن لهم الحرية الواسعة التى تمتع بها الاسلاف فقيدوا أنفسهم بأيديهم و وضعوا عراقيل عاقبتهم من المضى فى سبيل الاجتهاد[١].

وإنه مثل أبا محمد عبد الله بن يوسف الجوينى الذى كان قاصدا على الاجتهاد ولكنه امتنع عنه لأنه لم تكن له الإمامة فى الحديث[٢].

وقال أيضا :

أما الدور السادس فينقسم إلى قسمين :

الأول : ينتهى بأوائل القرن العاشر، وقد ظهر فيه نوابغ من العلماء كالشيخ خليل المالكى والسبكى والرملى وابن الرفعة والكمال بن الهمام، والسيوطى وغيرهم ممن كانت لهم القوة الفقهية وملكات الاستنباط غير أنهم لم يصرفوا هذه القوى كما فعل من قبلهم فى الاجتهاد و التخريج[٣].

وهكذا قال الأستاذ عباس محمود العقاد :

ويتبين من تاريخ العالم الاسلامى فى جملته أنه على ما اعتراه من أدوار التأخر والجمود لم يستمع طويلا لآراء القائلين بمنع الاجتهاد فى أية صورة من صوره، فإذا غلب التقليد فى بلد من بلاده لم يخل سائر البلدان من أئمة يقولون بالاجتهاد ويعملون به فى كل باب من أبوابه وهى كثيرة تدل كثرتها على كثرة البحث فيها وكثر العاملين بها[٤].

---

(١) تاريخ الفقه الإسلامى ص ١١٢

(٢) أيضا نفس المصدر ص ١١٢

(٣) أيضا نفس المصدر ص ١١٧

(٤) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ٥/٩٢٩

وذكر الأستاذ السائس بعض الأسباب عن توقف الاجتهاد وقال:

لهذه الأسباب... كان لها أسوأ الأثر فى تأخر الفقه و الفقهاء و بعد العلماء عن منازل الرسوخ والاجتهاد، وبالجملة، فقد طغى سيل التقليد فى هذا الدور و تمكنت روحه و أقفل باب الاجتهاد والاختيار و ليس ذلك لاستحالته[1].

وأضاف الأستاذ المذكور فى بيان أسباب التقليد وانتشاره فقال:

وكثيرا ما قام الأمراء و الوزراء و الأغنياء بإنشاء مدارس و قصروا التدريس فيها على مذهب أو مذاهب معينة فكان ذلك سببا فى الإقبال على تلك المذاهب والانصراف عن الاجتهاد محافظة على الأرزاق التى رتبت بهم[2].

واستشهد على ذلك بالكلام الذى جرى بين الإمام أبى زرعه و شيخه الإمام البلقينى ما يدل على أن الاجتهاد لم يقف لعدم الحاجة إليه بل بسبب آخر فإليك قصتها سأل أبو زرعه شيخه الإمام البلقينى قائلا:

ما تقصير الشيخ تقى الدين السبكى عن الاجتهاد وقد استكمل آلته؟ فسكت البلقينى، فقال أبو زرعه: فما عندى أن الامتناع من ذلك إلا الوظائف التى قدرت للفقهاء وعلى المذاهب الأربعة وأن من خرج عن ذلك واجتهد لم ينله شىء من ذلك وحرم ولاية القضاء وامتنع الناس من افتاءه ونسب إليه البدعة فتبسم البلقينى و وافقه على ذلك[3].

وقد ذكر هذه القصة الشاه ولى الله الدهلوى ولكن لم يصدق بأنه كان

(١) تاريخ الفقه الإسلامى ص ١١٩
(٢) تاريخ الفقه الإسلامى ص ١٢٠
(٣) أيضا ص ١٢٠، موسوعة عباس محمود العقاد ٩٣٤/٥

ذلك المانع لهم من الاجتهاد[١].

ويبدو من هـــذه الحقائق التاريخيـة أن قوة الاجتهاد ما زالت موجودة فى العلماء لاحتياجهم إليه ولم تتوقف بعد الأئمة الأربعة كما ادعى بعض العلماء ذكره السيد «توانا» فى كتابه[٢]: ولا بعد محمد بن جرير الطبرى (م ٣١٠) كما قال غيره[٣]. ولا بعد العلامة النسفى (م ٧١٠) كما حكم بعض الناس بوجوب خلو الاجتهاد بعـــده[٤] بل أدت إلى ضعف ملكة الاجتهاد واضمحلال قدرة الاستنباط أسباب آخر.

وقد أشرنا إلى بعضها سابقا، وسوف نزداد علما فى ذلك عند بيان انتشار التقليد إن شاء الله تعالى.

وحين ادعت طائفة من العلماء على عدم ضرورة الاجتهاد ورضوا بأن يقفل هنا الباب لاستحالة الجهد المزيد على ما بذل الأئمة المذكورون فى استنباط الأحكام فى كل باب من أبواب الفقه فهناك طائفة أخرى تصر وتدعى على فتح هذا الباب على مصراعية لكل من تتوفر فيه آلة الاجتهاد ولو فى مسألة واحدة وهم يقولون: إن الاجتهاد بعد الأئمة الاربعة وخاصة فى القرون المتأخرة أسهل منه فى القرون السابقـــة ولكل الفريقين أدلة على ما يقولون، ولكن فيما اعتقد أن قول الفريق الثانى أكثر موافقة لمقتضيات كل عصر تستجد فيه المسائل والحوادث ولم ينقل فيها شىء عن الأئمة الأربعة ولا غيرهم فتحمل مسئوليتها

---

(١) انظر الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف ص ٧٣

(٢) كتاب الاجتهاد ص ٥٣٨

(٣) الاجتهاد: ص ٥٣٨، وتاريخ الفقه الإسلامى ص ١١١

(٤) انظر: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ذيل المستصفى للغزالى ٢/٣٩٩

على علماء ذلك العصر باجتهاداتهم و استنباطاتهم بكونه واجبا عليهم على فرض الكفاية و يشهد على ذلك أقوال العلماء المتقدمين و المتأخرين وخاصة علماء القرون الثانى و الثالث و الرابع عشر الذين واجهتهم حوادث جديدة واحدة تلو الأخرى من مسائل الاقتصاد والسياسة والمعاش والمعاملات مثل البنوك والتأمينات والشركات الحديثة وأنواع التجارات الجديدة والعهود الدولية وغيرها من مقتضيات العصر الحديث التى تتنوع وتتجدد كل يوم .

فأريد أن أضع بين يدى القراء الكرام نموذجا من أقوالهم التى تبين قيمة الاجتهاد ومدى احتياج الناس إليه فى العصر الحاضر وفى المستقبل أيضا . وأنه لا يمكن أن يغلق بابه لكل من وهبه الله ملكة الاستنباط وقوة استخراج الاحكام بالاجتهاد التام لنكون على ثقة تامة أنه ليس من الصعب على غاية بحيث يكون من المحال والممتنع ، وبالله التوفيق .

إن باب الاجتهاد مفتوح : فمن أقوال العلماء التى تدل على فتح باب الاجتهاد ما تقدم نقله من قول المزنى رحمه الله فإنه قال :

الفقهاء من عصر رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا هلم جرا استعملوا المقاييس فى جميع الأحكام .... فلا يجوز لأحد إنكار القياس الخ .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله[1] :

فالصحابة رضى الله عنهم فتحوا للعلماء باب الاجتهاد ونهجوا لهم طريقه وبينوا لهم سبيله .

هو مما يدل على أن الاجتهاد ليس خاصا لعلماء بعض القرون دون بعض بل كلما وجد عالم ذو ملكة ومقدرة جاز له الاجتهاد .

---

(١) إعلام الموقعين ٢١٧/١

وقال الإمام النووى (٦٣١–٦٧٦) فى المجتهد المنتسب:

وهو باق إلى أن تأتى أشراط الساعة الكبرى ولا يجوز انقطاعه شرعا لأنه فرض كفاية ومتى قصر على عصر حتى تركوه أثموا كلهم وعصوا بأسرهم[1].

وذكر العلامة عبد العلى محمد الأنصارى صاحب فوات الرحموت بشرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور م ١١١٩ﻫ فى بيان خلو الزمان عن المجتهد قال:

«إن من الناس من حكم بوجوب الخلو من بعد العلامة النسفى واختتم الاجتهاد به وعنوا الاجتهاد فى المذهب أما الاجتهاد المطلق فقالوا: اختتم بالأئمة الأربعة حتى أوجبوا تقليد واحد من هؤلاء على الأمة وهذه كلها هوس[2]. ومن هو سألهم لم يأتوا بدليل ولا يعبأ بكلامهم، وإنما هم من الذين حكم الحديث أنهم أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ولم يفهموا أن هذا إخبار بالغيب فى خمس لا يعلمهن إلا الله[3].

ونقل العلامة الشوكانى عن الزركشى (م ٧٩٤ ﻫ) أنه قال:

وقول هؤلاء القائلين بخلو العصر عن المجتهد مما يقضى منه العجب فإنهم إن قالوا ذلك باعتبار المعاصرين لهم فقد عاصر القفال والغزالى والرازى والرافعى من الأئمة القائمين بعلوم الاجتهاد على الوفاء والكمال جماعة منهم، ومن كان له إلمام بعلم التاريخ والاطلاع على أحوال علماء الإسلام فى كل عصر لا يخفى عليه مثل هذا بل قد جاء بعدهم من أهل العلم من جمع الله من

---

(١) انظر الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف للدهلوى ص ٧٤

(٢) معناه: طرف من الجنون، انظر ماده ﻫ و س من المختار من صحاح اللغة.

(٣) انظر ذيل المستصفى للغزالى ٢/٣٩٩، ٤٠٠

العلوم فوق ما اعتده أهل العلم فى الاجتهاد[١].

وقال الشاه ولى الله الدهلوى (م ١١٧٦هـ):

وكذلك ما يظن من أن المجتهد لا يوجد فى هذه الأزمنة اعتمادا على الظن الأول بناء على فاسد[٢].

سهولة الاجتهاد ودعوة العودة إليه: ومن الشواهد التى تدل على أن الاجتهاد فى هذا الزمان أيسر وأسهل مما هو فى الازمنة السابقة قول الزركشى كما نقل عنه الشوكانى رحمه الله:

لا يخفى على من له أدنى فهم أن الاجتهاد قد يسره الله للمتأخرين تيسيرا، لم يكن للسابقين، لان التفاسير للكتاب العزيز قد دونت وتكلم الائمة على التفسير و التخريج و التصحيح والترجيح بما هو زيادة على ما يحتاج إليه المجتهد، وقد كان السلف الصالح من قبل هؤلاء المنكرين يرحل للحديث الواحد من قطر الى قطر، فالاجتهاد على المتأخرين أيسر و أسهل من الاجتهاد على المتقدمين ولا يخالف فى هذا من له فهم صحيح وعقل سوى[٣].

وقال الشيخ ابن جماعة (م ٧٣٣هـ):

إحالة أهل زماننا و جود المجتهد يصدر عن جبن ما و كثيرا ما يكون القائلون بذلك مجتهدين، وما المانع من فضل الله واختصاص بعض الفيض والوهب والعطاء ببعض أهل الصفوة[٤].

---

(١) إرشاد الفحول ص ٢٥٣، ٢٥٤

(٢) عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد والتقليد ص ٥

(٣) ارشاد الفحول ص ٢٥٤

(٤) الاجتهاد ص ٥٤٠

وقال الأمير الصنعاني (١١٨٢ هـ):

فالحق الذي ليس عليه غبار، الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الاعصار وانه أسهل منه في الاعصار الخالية لمن له في الدين همة عالية ورزقه الله فهما صافيا وفكرا صحيحا، ونباهة في علمي الكتاب والسنة.....

وقال ايضا:

وإن علوم الاجتهاد في هذه الأعصار أقرب تناولا منها فيما سلف من أزمنة الأئمة الانظار إلا أنه لا يخفى أن الاجتهاد موهبة من الله يهبه لمن يشاء من العباد[1].

ويقول الإمام الشوكاني (م ١٢٥٠ هـ) فيمن قصر الاجتهاد على المتقدمين:

ومن حصر فضل الله على بعض خلقه، قصر فهم هذه الشريعة المطهرة على من تقدم عصره فقد تجرأ على الله عز وجل ثم على شريعته الموضوعة لكل عباده ثم على عبادة الدين تعبدهم بالكتاب وبالسنة[2].

ويقول السيد محمد رشيد رضا في تفسيره بعد تعريفه بالاجتهاد عند علماء الأصول:

أقول ليس تحصيل هذا الاجتهاد الذي ذكروه بالأمر العسير، ولا بالذي يحتاج فيه إلى اشتغال أشق من اشتغال الذين يحصلون درجات العلوم العالية عند علماء هذا العصر في الأمم الحية كالحقوق والطب والفلسفة ومنع ذلك نرى جماهير علماء التقليد منعوه، فلا تتوجه نفوس الطلاب إلى تحصيله[3].

(١) الرسائل المنيرية ٢١/١ (إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد)

(٢) أمناء الشريعة ص ٣٨، إرشاد الفحول ص ٢٥٤

(٣) تفسير المنار ٢٠٥/٥

وقال أيضا :

وبناء هذه الشريعة على أساس الاجتهاد وطاعة أولى الأمر الذين هم جماعة أهل الحل والعقد ، فمن منع الاجتهاد فقد منع حجة الله تعالى وأبطل مزية هذه الشريعة على غيرها وجعلها غير صالحة لكل الناس فى كل زمان ، فما أشد جناية هؤلاء الجهال على الإسلام على أنهم يسمون أنفسهم علماء الإسلام[1] .

وقال الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « الديمقراطية فى الاسلام » :

وينبغى أن يكون الاجتهاد جائزا فى كل عصر ، بل فريضة واجبة على كل من يخاطبه القرآن الكريم ويأمره بالتعقل والتفكير ..... ومذهب فضلاء المتأخرين فى هذا أرجح من مذهب القائلين بإقفال باب الاجتهاد فى عصر من العصور ، لأن مراجع الفقه التى كانت مطوية أو مقصورة على بلد دون بلد قد نشرت فى عصرنا الحديث وتيسرت لمن يحسن فهمها والاقتباس منها والاقتباس عليها فلا يقفل باب الاجتهاد مع فتح باب التكاليف[2] .

(يتبع)

(١) تفسير المنار ٦/٤٢٠

(٢) انظر تاريخ التشريع الاسلامى للدكتور أحمد شلبى ص ٢٤٣

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

الجلد (٢٧) ذو الحجة ١٤١٥ ﻫ

العدد الخامس مايو ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٢٦ دولارا (بالبريد الجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥٠/٥ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيدا عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، في تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.

◇ إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام في معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.

◇ التوجيه الديني السليم للسلمين في القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة.

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحية :

صور من نشاط المدارس الإسلامية فى الهند

(٥)*

(ينظر للحلقة السابقة عدد ١١ ، نوفمبر ١٩٩٤م من المجلة)

٣ـ الجامعة العالية العربية بمئو: تاريخ هذه الجامعة يرتبط ـ طبعا ـ بتاريخ المسلمين فى الهند ، وهذا التاريخ بدوره حلقة من حلقات التاريخ الاسلامى العام . فالمسلمون كلهم أسرة واحدة ، وهم جميعا يسعون لتحقيق هدف واحد هو اعلاء كلمة الحق والدين ونشر علم القرآن والسنة .

حالة العصر: القرن التاسع عشر الميلادى هو قرن الضعف والانحطاط للمسلمين بالهند ، وخاصة فى المنطقة الشرقية بشمال الهند بولاية يو بى ، ذهبت روح التمسك بالتوحيد واتباع السنة النبوية من قلوب المسلمين . وقد لعب علماء العاصمة « دهلى » وضواحيها دورا ملموسا فى القضاء على هذا الضعف ، وبذلوا جهودا طيبة لنشر التعليم الاسلامى الصحيح . وبهذه الجهود قد أنشئت عدة مدارس دينية فى دهلى والمنطقة الغربية بولاية يو بى ، ولكن لم تكن تغطى حاجة المنطقة الشرقية : وكانت الحالة الدينية لعامة الناس سيئة جدا ، ومن هنا شعر العلماء والزعماء بضرورة تعميم التعليم والثقافة بين سكان هذه المنطقة .

بلدة مئو: تقع هذه البلدة فى مديرية أعظم كره ، وقد استقلت فى بداية [illegible] مديرية مستقلة ضمن مديريات ولاية يو بى ، عدد سكان مئو

يزيد على مائة وعشرين ألفا - ونسبة المسلمين فيهم تزيد على سبعين فى المائة (٧٠ ٪) . والبلدة صناعية يشتغل أهلها بصناعة النسيج الاقمشة القطنية ، وقليل منهم تجار ، والتجارة الرئيسية أيضا ترجع إلى لوازم النسيج .

وكما أن البلدة معروفة بصناعة النسيج ، فكذلك لها شهرتها وأهميتها فى مجال التعليم الدينى ، فقد تأسست فيها المدارس الاسلامية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى السنوات الأخيرة توجهت عنايتهم إلى العلوم العصرية وإلى تعليم البنات أيضا . وقد أنتجت هذه البلدة شخصيات علمية كبيرة لعبت دورا بارزا فى مجال العلم الدينى والأدبى والبحث والتحقيق ، وحازت شهرة عالمية ، وأثرت المكتبة الاسلامية ببحوثها ومؤلفاتها .

إنشاء الجامعة : تأسست الجامعة العالية فى سنة ١٨٦٨م على يد العالم الكبير الشيخ فيض الله المئوى (ت ١٨٨٩م) أستاذ العلامة شبلى النعمانى ، وتلميذ الشيخ سخاوت على الجونفورى (ت ١٨٥٨ م) . وقد حظيت هذه الجامعة بعناية القائمين عليها واخلاصهم وجهدهم المستمر فتقدمت بتوفيق الله تعالى ، ولعبت دورا ملموسا فى مجال التدريس والدعوة إلى الله .

عدد المدرسين والطلاب : بلغ عدد المدرسين فى الجامعة (قسم البنين) (٢٥) مدرسا ، كلهم يحملون الشهادات العالية فى العلوم الاسلامية . وعدد الطلاب فى المراحل التعليمية المختلفة (قسم البنين) يتراوح بين (٥٠٠) و (٦٠٠) طالب . وفى قسم البنات يبلغ عدد المعلمات (٢٠) معلمة ، وعدد الطالبات (٦٠٠) طالبة .

مواد الدراسة : معظم المدارس الاسلامية تقوم بتدريس المواد المتشابهة من التفسير وأصوله ، والحديث وأصوله ، والأدب العربى وتاريخه ، وعلم المعانى والبيان ، وقواعد اللغة العربية من النحو ، والصرف ، والعروض ، والفقه

وأصوله ، والفرائض ، وتاريخ الاسلام ، واللغة الهندية واللغة الانجليزية . ومنهج الجامعة العالية أيضاً يحتوى على هذه المواد الدراسية . وفى الجامعة قسم لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده . وكذلك لها اهتمام باعداد الطلاب لأداء الامتحانات فى العلوم الاسلامية واللغة العربية التى تنظمها الهيئة التعليمية فى ولاية يو بى .

شخصيات علمية كبيرة : ارتبطت بالجامعة تدريسا وتخرجا شخصيات علمية كبيرة يصعب القاء الضوء على أحوالها وأنشطتها فى هذا المقال الموجز ، ولذا أكتفى بالقاء الضوء على بعض هذه الشخصيات حتى يتضح دور المدرسة فى النهوض بالتدريس والدعوة والتأليف .

١ ــ العلامة المحدث الشيخ أبو العلى عبد الرحمن المباركفورى ، المتوفى عام ١٩٣٥م . كان من أكبر العلماء البارزين فى علم الحديث . له مؤلفات عديدة فى موضوعات دينية وعلمية ، من أهمها : « تحفة الأحوذى فى شرح جامع الترمذى » فى أربع مجلدات ضخمة ، وله على هذا الشرح مقدمة نافعة طويلة استغرقت أكثر من (٦٠٠) صفحة فصل فيها الكلام عن علم السنة وعلمائها ومؤلفيها وشيوعها فى الهند والكتب التى ألفت فى هذه البلاد . وفى الجزء الثانى من المقدمة ركز الكلام حول جامع الترمذى وما يحتاج إليه دارسه .

والحقيقة أن هذا الشرح يعتبر مع مقدمته موسوعة يجد فيها المشتغل بعلم الحديث كل ما يهمه ويفهمه فى هذا المجال . ويصور القبول الذى حظى به هذا الشرح انه طبع أولا فى الهند ، ثم صور الناشرون فى بيروت هذه الطبعة الهندية بأعداد كبيرة ، ووزعوها فى البلاد العربية . وكذلك طبعه أحد الناشرين فى مصر على الحروف .

٢ ــ العلامة الشيخ محمد عبد السلام المباركفورى المتوفى عام ١٩٢٤م. أحد كبار الدعاة والمؤلفين فى الهند ، قام بالتدريس فى عدة مدارس ، وترأس هيئة التدريس فى الجامعة العالية العربية ، ومارس التدريس فى المدرسة الرحمانية بدهلى ، وهناك انتقل إلى رحمة الله تعالى. من مؤلفاته النافعة القيمة : «سيرة الامام البخارى باللغة الاردية فى نحو (٤٠٠) صفحة بالقطع المتوسط ، وقد فصل فيه الكلام عن حياة الامام البخارى ومنزلته فى علم الحديث ومنزلة كتابه الجامع الصحيح وشروحه ومختصراته ، وعن كثير من المهمات فى علم الحديث والاسناد وما إلى ذلك. وقد أثنى على هذا الكتاب العلامة السيد سليمان الندوى فى مجلته «معارف» وقد سمعت عديدا من علماء الحديث يصرحون بأن مثل هذا الكتاب لم يؤلف إلى الآن عن الامام البخارى باللغة الأردية. والجامعة السلفية تشرفت بنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية واللغة الانجليزية ، وطبعتها ونشرتها قبل سنوات.

٣ ــ العلامة الشيخ أبو المكارم محمد على المتوفى عام ١٩٣٣م ، من علماء مئو. كان بارعا متفوقا فى علم الطب فلقبه الناس بـ «رئيس الأطباء». وبجانب تفوقه فى الطب مهر فى علوم الشريعـــة الاسلامية ، وخاصة فى علم الحـــديث والرجال. وساهم بكتاباته الرصينة فى نشر السنة فعين له النواب صديق حسن خان راتبا شهريا تقديرا لجهوده فى العلم والتحقيق. مؤلفاته تزيد على الستين ، وكان من عادته أن يخص كل موضوع برسالة يفصل فيها الكلام من كل ناحية ، ويذكر الأدلة بأسلوب واضح قوى يبدد الشكوك التى تثار من قبـــل الخصم ، وقد أعد أحد خريجى الجامعة السلفية بحثا مفصلا عن حياة الشيخ أبى المكارم وأعماله وخدماته.

٤ — الشيخ أبو المعالى محمد على الفيضى المتوفى عام ١٩٣٤م، من علماء مئو الباروزين، صاحب المؤلفات العديدة وأحد المدرسين الناجحين. قام بالتدريس فى ولايتى بيهار وبنغال، وساهم فى دعم حركة المجـــاهدين الذين قادهم السيد أحمد بن عرفان البريلوى. لايزال أنجاله وأحفاده يشتغلون بالعلم الدينى، ويقومون بالتدريس والدعوة فى بلدة مئو. مؤلفاته مطبوعة، وقد رأيت منها كتابا سماه «نظم البيان بلطائف القرآن» فهرس فيه موضوعات القرآن الكريم ومعانيه، ورتبها ترتيبا دقيقا يسهل به البحث عن الموضوعات التى وردت فى مواضع مختلفة من القرآن. والكتاب يدل على سعة اطلاع المؤلف على معانى القرآن، وعلى تمكنه من ترتيبها وتنسيقها. والنسخة التى رأيتها من الكتاب كتبت بخط المؤلف الأنيق فى صورة كتاب مطبوع بل أحسن مما يطبع الآن فى الهند. ومثل هذه الهمة العالية لا نراها الآن فى العلماء المعاصرين إلا من شاء الله تعالى.

مدرسة البنات: ومما يدل على علو همة القائمين على الجامعة العالية وبعد نظرهم فى الأمور أنهم اهتموا بتعليم البنات منذ نحو قرن، فقد أنشأوا مدرسة البنات تابعة الجامعة العاليـة، نظموا فيها دراسة العلوم الاسلامية واللغة العربيـة وقد توسعت هذه المدرسة فيما بعـد فأنشىء فيها قسم لتعليم البنات العلوم العصرية إلى المرحلة الثانوية.

الافتاء والتوجيه: نظرا إلى حاجة المسلمين إلى التوجيـه والارشاد فى شئون الحياة، وإلى معرفة مذهب السلف الصالح فى الأمور التى اختلفت فيها الآراء أنشأت المدرسة قسم دار الافتـاء، وهذا القسم يقوم بنشاطه بمساهمة بعض المدرسين فيجيب على الأسئلة التى توجه إليه من أهل البلدة وخارجها. ولهذا

القسم أهمية خاصة فى الوقت الراهن فان عامة المسلمين يعتمدون فى سبيل معرفة الأحكام الدينية على توجيه هؤلاء العلماء الذين يتولون أمر التدريس فى المدارس الدينية ، ولذلك تحرص كل مؤسسة تعليمية على تنشيط قسم الافتاء ضمن برامجها الدراسية .

انطباعات العلماء: تحتفظ كل مدرسة من المدارس الإسلامية المعاصرة بسجل الانطباعات للعلماء الذين يزورون المدرسة بين حين وآخر . وتحتوى هذه الانطباعات فى أغلب الأحوال على الثناء والتشجيع للقائمين على المدرسة ، وقلما تشير إلى ضعف أو نقص ، ومن هنا لا تساعد هذه الانطباعات فى تقويم المدرسة كثيرا . ولكن إذا أبدى عالم كبير ثقة رأيه عن مدرسة فإن له أهمية وتأثيرا فى معرفة منزلة المدرسة ونشاطها وانجازها .

والجامعة العالية العربية من المؤسسات التعليمية التى زارها علماء كبار ، وأبدوا فيها رأيا طيبا ، الأمر الذى يدل على أهمية الخدمات التى قدمتها الجامعة . زارها العلامة الشيخ عبد الرحمن المباركفورى مؤلف تحفة الأحوذى فى عام ١٣٣٧هـ فقال :

« حضرت فى المدرسة العالية العربية ، وامتحنت طلاب الصف العالى فى مواد الحديث والفقه والبلاغة والأدب العربى ، فوجدتهم يقرأون العبارة صحيحة ، ويشرحونها شرحا وافيا ، وكانوا متمسكين بآداب الاسلام فى الملابس والسلوك . وامتحنت الطالبات فى الأردية والفارسية فوجدتهن صحيحة القراءة ، سلسة العبارة صحيحة الترجمة للفارسية إلا بعضهن فى الرياضيات . وكذلك شاهدت نماذج من الخياطة والتطريز تفوق مستوى أعمار هذه الطالبات . »

وزار الجامعة العلامة السيد سليمان الندوى فى عام ١٩١٩م، وسجل انطباعاته فقال :

« تقع المدرسة العالية العربية فى مبنى جميل، وتهتم بتعليم اللغة الأردية والفارسية والعربية والانجليزية. وأبدى طمأنينتى بحالة المدرسة الدراسية، وأرجو أن عناية المدرسين بالنظام واجتهاد الطلاب فى الدراسة ينهض يوما بعد يوم. والذى يجعلنا واثقين بنهضة المدرسة وتقدمها هو تولى الشيخ محمد عبد السلام (صاحب سيرة الامام البخارى) رئاسة هيئة التدريس فيها. »

ويقول عن مدرسة البنات :

« سررت جدا بما رأيت من أن أهل قرية لا تزال بعيدة عن آثار المدنية الحديثة قد شعروا بحاجة إلى تعليم البنات. وإنى أعلن دون خوف المنازعة أن هذه هى المدرسة الوحيدة فى الهند التى تمارس نشاطها فى تعليم البنات بدون اشراف من الحكومة، وتعتمد على توجيه العلماء الكرام فحسب. وبعد امتحان الطالبات عرفت أن المعلمات وأعضاء المدرسة يبذلون عنايتهم البالغة بهذه المدرسة »[1].

٤ — الجامعة الإسلامية فيض عام : من مدارس مئو القديمة، تأسست سنة ١٩٠٢م، واشترك فى تأسيسها عدة شخصيات كبيرة من بلدة مئو، وافتتح فيها الدراسة تلميذ السيد نذير حسين الدهلوى، الشيخ الحافظ عبد الله الغازيفورى الذى عرف بين علماء أهل الحديث بغزارة علمه وسعة اطلاعه وشدة ورعه وكمال تقواه. وأول مدرس تعين فيها هو الشيخ أحمد بن الشيخ الملا حسام الدين

(١) لمحة عن التعريف بالجامعة العالية (ص ٣ وبعدها)، جهود مخلصة (ص٢٧٣).

المتوفى عام ١٩٥٨م . كان من علماء مئو الكبار ، حتى لقبه الناس بأستاذ الأساتذة . تلقى دراسته فى مدرسة جامع العلوم بكانفور، وفى المدرسة الأحدية بآره ، ثم ذهب إلى دهلى وتتلمذ على السيد نذير حسين ، و ذهب إلى ديوبند وكنكوه أيضا ، واستفاد من الشيخ محمود الحسن الديوبندى ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهى . ولما تعين فى فيض عام استمر حتى قضى فيها حياته كلها فى التدريس ، سوى المدة اليسيرة (نحو سنة ونصف) التى تولى فيها منصب رئيس المدرسين فى المدرسة الرحمانية بدهلى ، ثم رجع منها إلى فيض عام .

عدد تلامذته كثير ، ومنهم عدد كبير من علماء مئو، وبينهم سميه الشيخ محمد أحمد الذى تولى ادارة مدرسة فيض عام فيما بعد ، وسوف نعود إلى ذكره .

المراحل الدراسية : تنظم جامعة فيض عام الدراسة من المرحلة الابتدائية إلى الفضيلة ، وتعتنى بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده أيضا . وكذلك تعد الطلبة للدخول فى امتحانات الهيئـة التعليمية بولاية يو بى . يبلغ عدد المدرسين فيها (٢٥) مدرسا ، وعدد الطلاب نحو (٦٠٠) طالب . وعديد من متخرجيها نبغوا فى مجال التدريس والدعوة والتأليف . وتولى التدريس فيها علماء كبار لهم شهرتهم فى مجال العلم والتحقيق ، منهم الشيخ العلامة عبد الله الشائق بن الشيخ محمد اسماعيل المتوفى عام ١٩٧٤م ، الذى تخرج فى فيض عام ، وتولى فيها التدريس نحو أربعين سنة . كان أديبا مضطلعا باللغة العربية والأردية ، وشاعرا مجيدا يرجع إليه الناشئون فى قرض الشعر للاصلاح والتوجيه . وقد ألف بعض الكتب فحاز اعجاب القراء مثلما حاز اعجاب الطلاب بتدريسه . وتلاميذه مشتغلون بالتدريس والبحث فى مختلف أقطار الهند .

وللجامعة جهود مشكور فى تعليم البنات ، فقد أنشأ القائمون عليها فى سنة ١٩٧٦م « مدرسة فيض عام للبنات » وهذه المدرسة تنظم الدراسة للبنات فى المواد الدينية والمواد العصرية معا .

كلية مئو الاسلامية : هذه الكلية قديمة تأسست فى عام ١٩٢٣م ، وتنظم الدراسة فى العلوم العصرية للبنين . وهكذا نرى أن المسئولين عن جامعة فيض عام يهتمون بالنوعين من الدراسة ، ويساعدون بصنيعهم هذا فى تثقيف أولاد المسلمين وبناتهم ، وفى دفع الحركة الثقافية إلى الامام .

يبلغ عدد المدرسين فى هذه الكلية (٢٦) مدرسا ، وعدد الطلبة (٧٩٥) طالبا .

مدير جامعة فيض عام : يشغل منصب المدير حاليا الشيخ حبيب الرحمن الفيضى ، من علماء مئو . تخرج فى هذه الجامعة ، وتعين فيها مدرسا ثم تولى الادارة . وشغل هذا المنصب قبله الشيخ محمد أحمد الذى سبقت الاشارة إليه ، وحيث ان الشيخ محمد أحمد وقف حياته كلها على جامعة فيض عام فإننا نعطى هنا موجزا عن حياته وخدماته ، لعلها تنفع المشتغلين بالعلم والتدريس .

ولد الشيخ محمد أحمد بن الحافظ عبد الغنى فى سنة ١٨٩٢م ، وتوفى فى سنة ١٩٨٢م . تلقى دراسته الابتدائية فى بيته ثم فى مدرسة فيض عام ، وبعد ذلك درس فى بنارس وكانفور وآره ، وتخرج فى مدرسة دار العلوم بديوبند فى سنة ١٣٣١هـ ، وفى سنة ١٣٤١هـ تولى منصب المدير فى جامعة فيض عام واستمر فيه طوال حياته . وفى هذه المدة الطويلة أفاد الجامعة والطلاب افادة شاملة ، وضرب مثالا رائعا للاخلاص وللايثار وحب المطالعة والتحقيق .

يقول الدكتور عبد الرحمن الفريوائى عن مكانة الشيخ فى العلم والأدب :

«كان (الشيخ أحمد) متفوقا بين أقرانه ، متمكنا من العلوم الاسلامية والأدبية . قد انقطع مدة لمطالعة الكتب ، ثم مارس بعض الأعمال التجارية أيضا ، ولكن الاتجاه العلمى غلبه طوال حياته . وكما عرف عنه سعة علمه وقوة ذاكرته ، عرف رسوخه فى الرياضيات والحساب ، ويؤثر عنه طرائف فى هذا المجال . وأتاحت له منزلته العلمية والاجتماعية القيام بخدمات عظيمة تخلد ذكراه فى النفوس على مر الأيام ، وكل من قابله وجلس إليه وتكلم معه واستمع إليه أعجب بسعة اطلاعه وتمكنه من العلوم والفنون وخاصة الكتب الدراسية ، وبتفوقه فى حل المواضع الصعبة من هذه الكتب . »

كانت له مكتبة عامرة تضم المراجع العلمية النادرة يطالع فيها الكتب ، ويعلق عليها فوائد علمية ، وكانت صلاته مع علماء عصره قوية . وقد زاره الدكتور محمد تقى الدين الهلالى رحمه الله فى سنة ١٣٥١هـ حينما كان مدرسا فى دار العلوم بندوة العلماء ، وأقام عنده أكثر من أسبوع يطالع الكتب ، ويتبادل معه الآراء حول الموضوعات العلمية ، ويثنى عن الشيخ وعلى مكتبته ، وكذلك كان الأستاذ شبير أحمد الغورى مسجل الامتحانات العربية والفارسية فى الهيئة التعليمية بولاية يو پى معجبا بمنزلة الشيخ فى العلوم والفنون ، ومقدرا لجهوده التى يبذلها فى سبيل خدمة الدين والعلم . كانت المدارس فى مئو عديدة ، ولكن الأستاذ الغورى كان يفضل الاقامة عند الشيخ أحمد بعد انهاء عمله فى تلك المدارس .

ومن مواقفه المثالية أنه اشترى قطعة أرضية كبيرة فى السوق المركزية لبلدة مئو، وبنى فيها محلات للايجار ، وهذه الخطوة تدل على بصيرة الشيخ

وبعد نظره ، فإنه كان يرى بخبرته الواسعة وممارسته العملية أن هذه القطعة الارضية يصعب الحصول عليها بعد ازدياد عدد السكان فى البلدة ، وأن الارض لو تم البناء فيها فإنها تدر على الجامعة خيرا كثيرا ، وقد صدق الزمن رؤيته ، فان هذه المحلات تدعم الجامعة كثيرا ، وتخفف عنها عبئها المالى .

والشيخ محمد أحمد كان نموذجا فى القناعة والتعفف ، فمع أنه خدم الجامعة طوال عمره ، ولكنه لم يتقاض شيئا ، وكذلك لم يمنح أحدا من أولاده وأسرته منصبا فى الجامعة ، ولا سمح لهم بالانتفاع المادى منها ، وأكبر من ذلك أنه لم يعمل قط دعاية لنفسه ولا لخدماته للجامعة ، ولم يسمح باقامة حفلة يكرم فيها ازاء هذه الخدمات الجليلة التى قام بها ، بل استمر فى خدمة الدين والعلم ، وآثر أن لايعلم ذلك أحد سوى العليم القدير، الذى يجزى عباده المخلصين أحسن الجزاء، اللهم تقبل منه[١].

٥ — جامعة سراج العلوم : تقع هذه الجامعة فى قرية بونديهار بمديرية غونده ، من مديريات ولاية اترا براديش فى ناحيتها الشرقية . وتأثرت هذه المنطقة بجهود حركة التجديد والجهاد والاصلاح التى رأسها السيد أحمد بن عرفان ، وقد أورد المحقق الاستاذ غلام رسول مهر فى كتبه عن المجاهدين أسماء عديدة لرجال هذه المنطقة الذين شاركوا فى الجهاد ، أو نشروا دعوة الاصلاح فى مناطقهم .

علماء المسلمين المخلصون فى زمن الاستعمار الانجليزى رأوا ببصيرتهم النافذة

(١) جهود مخلصة (ص ٢٧١) ، تدريسى خدمات (ص ٥٨) ، تذكره مولانا اعظمى ناظم (ص ٤٩ وبعدها) .

أن الحفاظ على كيان المسلمين الديني والثقافي لا يتحقق إلا بالمدارس الدينية، ومن هنا شجعوا حركة انشاء المدارس مع ادراكهم بأنها لا تساعد في حل المشكلة الاقتصادية للتخرجين. ومن حرصهم على نشر الدعوة الاسلامية أنهم كانوا يقصدون القرى والأرياف البعيدة حيث تشتد حاجة الناس إلى التعليم والتوجيه، فيعلمون الناس أحكام الدين، ويحثونهم على انشاء الكتاتيب والمدارس لتعليم البنين والبنات حتى يزول الجهل ويعم العلم.

ومن هؤلاء العلماء الأعلام العلامة المحدث الشيخ أبو العلى عبد الرحمن المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي». كان يقوم الشيخ بزيارات لمديرية غونده، وقد أسس فيها عدة مدارس، منها هذه المدرسة التي تحولت فيما بعد إلى الجامعة. أسسها الشيخ عبد الرحمن في سنة ١٩٠٧م، وقام بالتدريس فيها، ثم ذهب إلى كلكته في سنة ١٩١٠م للتدريس على طلب من العلامة الشيخ الحافظ عبد الله الغازيفوري. وبعد مغادرة الشيخ عبد الرحمن المدرسة حظيت هي بشخصيات علمية أخرى مثل الشيخ الشاه محمد المباركفوري، والشيخ سليمان المئوي، والشيخ عبد السلام المباركفوري مؤلف سيرة البخاري. وهذا الأخير تولى التدريس في الجامعة منذ سنة ١٩١٧ إلى ١٩٢٣م، وفي هذه الفترة تلقى الشيخ عبيد الله الرحماني تعليمه في هذه الجامعة. واجتماع مثل هذه الشخصيات العلمية الكبيرة في هذه المؤسسة التعليمية له أهمية بالغة ومعنوية كبيرة لدى المشتغلين بالعلم والتدريس. ومما يذكر في تاريخ الجامعة أن الشيخ عبد الرحمن المباركفوري بدأ هنا في تأليف «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» وأتمه فيما بعد، وكذلك للقائمين على الجامعة مساهمة مشكورة في طبع الجزء الثاني

والثالث من كتاب « مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » للشيخ أبي الحسن عبيد الله الرحمانى ، ثم بدأت الجامعة السلفية فى طبع الأجزاء الأخرى.

وشخصية علميــة أخرى لها دورها فى نهضة الجامعة و استمرارها ، هى شخصية الشيخ محمد اقبال الرحمانى ، تخريج دار الحديث الرحمانية بدهلى . كان عالما كبيرا سمحا كريمـــا متورعا ، خدم الجامعة منذ عام ١٩٤٠ إلى ١٩٨٢ م حيث ذهب إلى الحج فوافاه الأجل المحتوم هناك ، رحمه الله وغفر له .

وفترة عمل الشيخ محمد اقبال فى الجامعة تعــد فترة مثاليــة ، ففيها تمت معادلة شهادتها فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، وتحمل مسئولية الانفاق عليها أسرة الحاج محمد نعيم ، وأضيفت مرحلة الفضيلة إلى مراحل التعليم ، وتم انشاء معظم المبانى ، وازداد نشاط الطلاب فى مجال الخطابة والكتابة .

ومن المواد الدراسية التى يتم تدريسها فى الجامعة : اللغة العربية ، واللغة الأردية ، والنحو والصرف ، والتفسير . والحــديث ، والعقيــدة ، والمصطلح ، والفقه وأصوله ، وتاريخ الاسلام ، والبلاغة ، وتاريخ الأديان ، والفقه المقارن ، والمنطق والفلسفة ، وأسرار الشريعة وأسماء الرجال ، واللغــة الانجليزية . وهذه المواد موزعة على مراحل الثانوية والعالميــة والفضيلة . وللجامعة منهج دراسى مطبوع يبين توزيع المواد على الصفوف وأسماء الكتب المقررة فى المنهج .

وعدد الطلاب فى الجامعة يبلغ (٤٦٠) طالبـا ، منهم طلاب توفر لهم الجـامعة الأكل والسكن والكتب الدراسيـــة كما هو المعروف عن المدارس الاسلامية فى الهند .

ومن أقسام الجامعــة : قسم الدعوة والارشاد الذى يهتم بنشر تعــاليم الاسلام وبتوجيه الناس إلى الوجهة الصحيحة . وقد انعقدت تحت اشراف قسم

الدعوة عديد من المؤتمرات والندوات ، وقد انعقد آخرها فى نوفمبر عام ١٩٨٦م ولاشك أن نشاط المدارس الاسلامية فى مجال التوجيه والارشاد له آثار حسنة وفوائد كثيرة ، ومن هنا يهتم القائمون على هذه المدارس بمثل هذه المؤتمرات والاجتماعات ، ويخصصون جزءا من ميزانيتها المالية لهذا النشاط.

وقد حظيت الجامعة باشراف من الشيخ عبيد الله الرحمانى طوال حياته . وللطلاب نشاط ملموس فى سبيل التمرن على الخطابة والكتابة . وتنسيقا لهذا الأمر قد أنشأوا لهم ندوة طلابية يمارسون فى اشرافها نشاطهم فى المجالين . وجلسات هذه الندوة تنعقد أسبوعيا فيلقى فيها الطلاب الخطب . وهى تصدر مجلة طلابية باسم «الضياء» تنشر فيها مقالات الطلاب فقط . وهذا النوع من النشاط الطلابى تترتب عليه آثار طيبة فى شحذ أذهان الطلاب واعدادهم لتحمل مسئولياتهم فى المستقبل[1].

٦ ــ دار العلوم الأحمدية السلفية : من مدارس ولاية بيهار الكبيرة، تأسست فى سنة ١٩١٨م بيد العلامة الشيخ عبــد العزيز الرحيم آبادى صاحب كتاب «حسن البيان فيما فى سيرة النعمان». ثم تولى الدكتور محمــد فريد ادارتها وبذل بها عنايته حتى احتلت مكانة مرموقة بين مدارس بيهار الاسلامية . وقد تخرج فيها عدد كبير من العلماء الكبار الذين تولوا التدريس والدعوة فى مختلف أقطار الهند ، واشتهروا بين الناس بخدماتهم العلمية .

وبعد وفاة الدكتور محمد فريد خلفه فى الادارة والاشراف على المدرسة ابنــه الدكتور عبــد الحفيظ السلفى خريج هذه المؤسسة، وبجهوده المتواصلة

---

(١) تدريسي خدمات (ص ٤٧) .

استمرت المدرسة فى نشاطها، ونهضت نهضة ملموسة.

والمدرسة تنظم الدراسة من مرحلة الابتدائية إلى مرحلة الفضيلة، ويوجد فيها قسم لتحفيظ القرآن الكريم، ويدخل طلابها فى امتحانات الهيئة التعليمية لمدارس بيهار.

وعدد الطلاب فى المدرسة يزيد على (٣٠٠) طالبا، ويبلغ عدد المدرسين (٢٥) مدرسا. ولهـا مكتبة كبيرة تضم أهم المراجع فى العلوم الاسلاميـة. وللطلاب قسم خاص يمارسون تحته نشاطهم فى الخطابة والكتابة.

وتولى التدريس فى هذه المدرسة علماء معروفون، منهم الشيخ نذير أحمد الأملوى، والشيخ محمد ادريس آزاد الرحمانى، والشيخ شمس الحق السلفى، والشيخ محمد رئيس الندوى، وغيرهم كثيرون.

وكما أن المدارس الاسلامية تهتم بعقد اجتماعات دعوية، فكذلك كانت لهذه المدرسة جهود مشكورة فى تنظيم الندوات العلمية باسم «المذاكرة العلمية» التى كانت قد بدأت فى المدرسة الأحمدية بآره، ثم انتقلت إلى دار العلوم السلفية بدربنغه. كان العلماء الكبار يحضرون هذه المذاكرة، ويناقشون الموضوعات الدينية والعلمية التى كانت تشغل أذهان الناس، وكانوا يودون معرفة أحكام الشريعة فيها. وأهميـة هذه المذاكرات كبيرة فى تاريخ هذه المدرسة، ولذا ينبغى أن يقوم أحد من الباحثين بالتعريف بها وبتقويمها فى مجال البحث والتحقيق، حتى يكتمل تاريخ هذه المدرسة الكبيرة.

وتأثير هذه المدرسة فى ولاية بيهـار قوى، لأن خريجيها منتشرون فى أقطار هذه الولاية وكذا فى الولايات المجاورة. وبعضهم درس فى الجامعات السعودية، واكتسب شهرة فى مجال البحث والتأليف.

يقول الشيخ فضل الرحمن السلفي عن خريجي هذه المدرسة :

« تطورت هذه المدرسة من الكتاب إلى المدرسة ، ثم إلى دار العلوم ، وقد تخرج فيها الوف من الطلاب ، و رفعوا مكانة المدرسة ، ونشروا ذكرها الجميل في العالم . والدكتور عبد الحفيظ السلفي لا يزال يخدم المدرسة بجد واخلاص ، ويسعى لتحقيق أهدافها العلمية والدينية »[١].

وللمدرسة نشاط في مجال الصحافة ، فهي تصدر مجلة نصف شهرية باسم « الهدى » تنشر فيها مقالات عن الموضوعات الدينية والعلمية ، ويتم توزيعها في في أقطار الهند . وقد أصدرت أعدادا خاصة اشتهرت في الأوساط العلمية مثل العدد الخاص بالامام البخاري وكتابه الجامع الصحيح ، والعدد الخاص بمدارس أهل الحديث في الهند .

ولدى المدرسة مطبعة حجرية تطبع فيها مجلة « الهدى » والمؤلفات الاخرى . ومنذ سنوات بدأت فيها كلية للطب العربي ، فأقبل عليها الطلاب اقبالا عظيما ، وهذا يدل على عناية القائمين على المدرسة بالتعليم العصري بجانب عنايتهم بالتعليم الديني[٢]

٧ ــ مدرسة شمس الهدى : ليست هذه المدرسة كبيرة في الوقت الراهن ، ولكننا اخترناها نظرا إلى الدور التاريخي العظيم الذي لعبته في نضال التحرير ضد الاستعمار الانجليزي . تأسست هذه المدرسة في قرية دلال غور بولاية بيهار ، في سنة ١٢٩٤ هـ ، تحت اشراف الحاج رحيم بخش مندل ، وأقام فيها الشيخ أحمد الله من علماء صادقفور ، وكذلك تم تعيين بعض المدرسين الآخرين .

---

(١) الشيخ عبد العزيز : حياته وخدماته (ص ٩٢) .

(٢) جهود مخلصة (ص ٢٦٣) ، تدريسي خدمات (ص ١٢٩) .

كان الشيخ عبد الرحمن من علماء لكنئو فى جماعة المجاهدين فى باكستان، فتم تعيينه من قبـل الجماعة للقيام بالدعوة والارشاد فى منطقة بيهار وبنغال، فقام بجولات دعوية لنشر الدعوة وتوجيه النـاس، ولما توفى الشيخ أحمد الله فى سنة ١٣١٥هـ خلفه فى التدريس الشيخ عبـد الرحمن. وكذلك كان الشيخ شهاب الدين من علماء مالده معينا من قبل جماعة المجاهدين للدعوة والارشاد فى هذه المنطقة، ولما توفى الشيخ عبد الرحمن فى سنة ١٣٣٦هـ خلفه فى التدريس ابنه الشيخ عبد الحنان.

هذا فى التدريس، أما فى الادارة فلمـا توفى الحاج رحيم بخش خلفه فى منصبه حفيده الشيخ معين الحق مندل، ولما توفى الشيخ عبد الحنان تولى الشيخ معين الحق رئاسة هيئة التدريس أيضا، وخلفه فى منصب المدير ابنه الاستاذ ضمير الحق مندل.

وعدد المـــدرسين يبلغ الآن (١٢) مدرسا، وعدد الطلاب يزيد على (٢٠٠). والمدرسة تنظم الدراسة إلى مرحلة الفضيلـة، وتوفر الأكل والسكن والكتب الدراسية للطلاب.

ومن الذين تولوا التدريس والتربية فى المدرسة: الشيخ كريم بخش، والشيخ عبد القدير، والشيخ عبد الحنان، والشيخ عبد الحميد البنارسى، والشيخ أحمد الله البيهارى، والشيخ عابد حسن الرحمانى، والشيخ محمد عمر الغوندوى.

تقع هذه المدرسة فى منطقة ريفية نائية بقرية دلال فور فى مديرية دمكا. وانشاء المدارس كان يستحسن فى المكان الذى يسهل الوصول إليه، ولكن الوصول إلى مدرسة شمس الهدى لايزال إلى اليوم متعبا لكون الطريق غير معبد حتى فى هذا العصر. ولما تساءلنا عن دافع انشاء المدرسة فى هذه المنطقـــة، أجاب

المسئولون عنها بأن هذه المدرسة كانت فى الحقيقة تقوم بمهمتين ، الأولى مهمة التدريس للطلاب الذين يبتغون العلم . والثانيـــة مهمة التجنيد للمجاهدين الذين يرغبون فى مقاومة الاستعمار الانجليزى ، فالمدرسة كانت مركزا لتدريب المجاهدين وارسالهم إلى منطقة الثغور حيث يرابط المجاهدون تحت امارة السيد أحمـــد ابن عرفان ، وكذلك كانت تقوم بجمع المال والعتاد من أقطار الهند المختلفة ، وترسلها بوسائلها إلى المجاهدين . وحتى تقوم المدرسة بهـــذه المهمة الأخيرة بطريقـــة ناجحة تم انشاؤها فى هذه المنطقة البعيـدة حتى تأمن بطش الانجليز وأعوانه ، وتمارس نشاطها فى سبيل مقاومة الانجليز بسرية تامة ، والقائمون على المدرسة مارسوا نشاطهم فى سبيل دعم المجـــاهدين بالرجال والمال طوال زمن الاستعمار الانجليزى ، ولما استقلت الهند توقف نشاطهم فى هذا المجال فتفرغوا لتنظيم الدراسة وتوفير التربيـــة للطلاب . ولا تزال المـدرسة تحتفظ بآلات وأسلحة التدريب ، وترى فيها الأماكن الخفية التى تجمع فيها الأموال والمؤن للمجاهدين ويتم فيها تجنيد الرجال وتربيتهم على الحرب والقتال مع العدو .

وبتاريخ هذه المدرسة يمكننا ادراك دور المدارس الدينية فى نضال تحرير الهنـــد ، والاطلاع على الجهود التى كان يبذلها علماء المسلمين لطرد الاستعمار الانجليزى من البلاد ، ولارساء قواعد الحكم الذاتى فيها . وهذه صفحة مشرقة فى تاريخ المسلمين السياسى فى الهند ، ينبغى أن تعرفها الأجيال المعاصرة لسكان الهند حتى تدرك مدى حب المسلمين للهند ومدى التضحيات التى قدموها فى هذه الأرض لصالح الشعب والوطن[1].

---

(١) تدريسى خدمات (ص ٢٠٥) .

٨ — مدارس بنغال : نسبة المسلمين فى بنغال طيبة بالنسبة إلى الولايات الأخرى ، فهم يشكلون نسبة عشرين فى المائة (٢٠ ٪) أو أكثر . والتزامهم بالدين واقبالهم على العلوم الاسلامية كبير ، ولذلك يأتى عدد كبير من طلاب بنغال إلى مدارس يو بى ، ويتلق فيها العلوم ، ثم يرجع إلى الوطن ويمارس نشاطه فى التعليم والدعوة .

وعلاقة مسلمى هذه الولاية كانت قوية مع حركة المجاهدين ، ومن هنا قويت فيها جماعة أهل الحديث ، وكثر أفرادها كثرة ملموسة ، وتنوعت أوجه نشاطهم الدينى والعلمى ، فنظموا الاجتماعات الدعوية ، وأنشأوا المدارس الاسلامية .

ونظام التعليم الدينى فى هذه الولاية على نوعين : الأول يتبع المدرسة العالية فى كلكته ، وهو يعتبر رسميا أو شبه رسمى . والثانى يتبع المنهج النظامى الذى يسوده فى ولاية يو بى وغيرها . ومدارس أهل الحديث منها ما يتبع المدرسة العالية ، ومنها ما يسير على المنهج النظامى . والملاحظ أن المنهج النظامى يحظى بقبول وتقدير من عامة المسلمين ، بينما يضمن المنهج العالى الوظائف للمتخرجين على الرواتب الحكومية .

والكتاب الذى أعدته الجامعة السلفية عن مدارس أهل الحديث يبلغ فيه عدد هذه المدارس فى بنغال (١١٢) مدرسة ما بين صغيرة وكبيرة . وعدد الكتاتيب فى هذه الولاية يبلغ (١٥١) كتابا .

والمعلومات التى وردت عن هذه المدارس فى الكتاب المذكور مع كونها أساسية لا يفصل الكلام عن انجازات المدارس ومناهجها وتطورها فى العصور . واعتمادا على هذا الكتاب نورد هنا موجزا عن بعض هذه المدارس .

١ — مدرسة رياض العلوم فى موهيش داتى بمديرية بيربهوم — تأسست

فى سنة ١٩٢٥م على يد الشيخ السيد محمد يوسف التونكى، أحد أتباع حركة المجاهدين. يوجد فيها قسم الابتدائية والثانوية والكلية وتحفيظ القرآن الكريم. ويتولى فيها التدريس حاليا بعض خريجى الجامعة السلفية. يبلغ عدد المدرسين تسعة (٩)، وعدد الطلاب (١٧٠) طالبا.

٢ — الجامعة الحبيبية دار الحديث فى لوها فور بمديرية بيربهوم. تأسست سنة ١٩٢٩م، تنظم الدراسة إلى مرحلة الكلية، وتمارس نشاطها فى مجال الدعوة والارشاد. عدد المدرسين (١٥) مدرسا، وعدد الطلاب يزيد على (٢٠٠) طالب، وطلاب هذه المدرسة يدخلون فى الامتحانات التى تنظمها المدرسة العالية بكلكته. وفى المدرسة مكتبة صغيرة توفر الكتب الدراسية وغيرها للمدرسين والطلاب.

٣ — مدرسة سراج العلوم فى دانكا بارا بمديرية مرشدآباد. تأسست سنة ١٩٠٣م على يد الحاج عباس على ورفقائه. بدأت بالمرحلة الابتدائية ثم نهضت إلى مرحلة الفضيلة. يقوم فيها بالتدريس عشرة مدرسين، يبلغ عدد الطلاب (١٦٠) طالبا. ولها علاقة بالهيئة التعليمية فى بنغال.

٤ — مدرسة دار الحديث فى بيلدانكا بمديرية مرشدآباد. أسسها الشيخ أنيس الرحمن الرحمانى، والشيخ عبد العزيز، والشيخ محمد بخش الندوى فى سنة ١٩٤٤م. تنظم الدراسة إلى مرحلة الفضيلة، وتعد الطلاب للدخول فى امتحانات الهيئة التعليمية لولاية بنغال. يبلغ عدد المدرسين فيها (٢٠) مدرسا، وعدد الطلاب نحو (٤٠٠) طالب.

٥ — مدرسة اصلاح المسلمين فى سيمل تله بمديرية مالده. أسسها الشيخ محمد مسلم الرحمانى ورفقائه فى سنة ١٩٤٨م. تتبع المدرسة المنهج الدراسى الذى

كان مقيما فى المدرسة الرحمانية بدهلى. وللدوسة نشاط فى الدعوة والارشاد، وفى القضاء بين الخصوم. يقوم بالتدريس فيها عشرة مدرسين بينما يبلغ عدد الطلاب (٢٥٠) طالبا.

٦ــ جامعة مظهر العلوم فى بتّه بمديرية مالدة. تأسست فى سنة ١٩٠٨م على يد الحاج زياد الدين ورفقائه، وتولى فيها التدريس كبار العلمــاء. تنظم الدراسة إلى مرحلة الفضيلة مع العناية بمنهج الهيئــة التعليمية فى بنغال. يبلغ عدد المدرسين (٢٠) مدرسا، وعدد الطلاب نحو (٤٠٠) طالب.

٧ــ مدرسة دار الهدى فى تاتى باغ بكلكته. تأسست هذه المدرسة بيد الحاج عبد الله فى سنة ١٨٨٠م، وقامت بالتدريس إلى مرحلة الفضيلة، وكان نشاطها مكثفا إلى سنة ١٩٤٧م، ولما توترت الأحوال فى العام المذكور انكمش هذا النشاط، وبقيت فيها مرحلة الابتدائية فقط.

ساهمت هذه المدرسة فى بدايتها بنشر ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة البنغالية واللغة الاردية، وكذلك نشرت من الكتب: «فتوح الشام» و«فتوح العراق». وأصدرت جريدة «أخبار محمــدى» باللغة البنغاليــة، وقد خدمت المسلمين مدة طويلة. وقد انعقدت فى هذه المدرسة جلسة مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند فى سنة ١٩١٦م، حضرها كبار علماء أهل الحديث[1].

٩ــ مدارس أهل الحديث فى كيرالا: ولاية كيرالا تمتاز بأن نسبة التعليم فيها أكبر من ولايات الهند الأخرى. وسكان هذه الولاية منتشرون فى أقطار الهند وكذلك خارج الهند بعدد كبير بحثا عن الوظائف ووسائل الرزق الأخرى.

(١) تدريسى خدمات (ص ١٢٩).

وجماعة أهل الحديث فى هذه الولاية أيضا احتفظت بالميزة المذكورة ، فنظمت أمور دراستهـا أكثر وأقوى عمـا يوجد عند أهل الحـديث فى غيرها من الولايات . وتفصيل هذا الاجمال فيما يلى :

أسست جماعة أهـل الحـديث فى كيرالا مؤسسة عامـة باسم « ندوة المجاهدين » وقسمتها إلى الأقسام الآتية :

(١) جمعية العلمـاء (٢) اتحـاد الشبان المجاهدين (٣) حركة الطلاب المجاهدين .

فمؤسسة المجاهدين بفروعها الثلاثة تقوم بتنظيم أمر التعليم الدينى والعصرى وبالدعوة والارشاد . ومشاريعها التعليمية تتلخص فى المراحل التالية مثل النظام التعليمى الحكومى :

أولا : مدارس روضة الأطفـال . ويقبل فى هذه المدارس الأولاد قبل الخامسة من عمرهم ، وتقوم بتربيتهم المعلمـات الملتزمات بأحكام الشريعـة وفق مبادىء الاسلام .

ثانيـا : المدارس الابتدائية . ويقبل فيها الطلاب إذا كانوا أقل من ثمانى سنوات . ويدرسون فى هذه المرحلة اللغـة العربيـة كتابة وقراءة ، وقواعد اللغة العربية ، والتمرين على الجمل العربية السهلة ، والعقيدة الصحيحة ، والأخلاق الاسلامية ، والفقه الاسلامى ، وتاريخ الاسلام .

والتعليم فى هذه المرحلة يجرى وفق المنهاج الدراسى الذى تعده لجنـة المناهج التابعـة لندوة المجاهدين . ويتلقى الطلاب دروسا فى اللغة المحلية واللغة الانجليزية واللغة الهندية والحساب والجغرافية .

ثالثـا : المدارس الثانوية . تقوم هذه المدارس بتدريس العلوم العصرية وفق المنهج الحكومى ، وبجانب هذا يتم تدريس اللغة العربيـة وآدابها والقرآن والحديث وقواعد اللغة العربية من النحو والصرف . وهذه الطريقة الجمع بين المنهجين يسهل الطلاب الطريق ، فيكونون على خيار بين التعليم الدينى والتعليم العصرى ، يختارون منهما ما يشاؤن .

رابعـا : الكليات الإسلامية العربيـة . خصصت بعض هذه الكليات للبنات . ويقبل الطلاب فى هذه الكليات بعد اجتياز المرحلة الثانوية ، ويتلقون دراسة المواد التالية :

التفسير وعلوم القرآن ، والحـديث وأصوله ، والفقه وأصوله ، وتاريخ الاسلام ، والعقـائد والكلام ، والبلاغة والبيان ، والنحو والصرف ، والأدب العربى ، وتاريخه مع الانشاء ، والفلسفة والمنطق ، والمعارف العامة ، واللغـة المحلية « مليالم » .

وطلاب هذه الكليات يسكنون فى المهاجع الطلابيـة ، ويتلقون تربية اسلامية تساعدهم فى أداء مسئولية الدعوة والارشاد والتدريس والتأليف .

ويبلغ العدد المجموعى لطلاب هذه الكليـات أكثر من ثلاثة آلاف . ومدة هذه المرحلة الدراسية خمس سنوات كاملة . واسم الشهادة التى تمنح خريجى هذه الكليات هو « أفضل العلماء » .

والكليات التابعـة لندوة المجاهدين يبلغ عددها (٢٣) كلية ، أقدمها أنشئت فى ١٩٤٤م . ويوجـد فى بعض هذه الكليـات قسم لتحفيظ القرآن وتجويده ، وكذلك يتم تدريب الطلاب على الافتاء بجانب تمرينهم على الخطابة والكتابة .

أما المدارس الثانوية ذات الأهمية فتزيد على عشر مدارس، وعدد
س الابتدائية يزيد على (١٥٧) مدرسة معظمها أنشئت بعد استقلال
حينما توجهت همم الناس إلى التعليم.

وهذا هو الموجز عن نظام الدراسة والتربية لدى جماعة أهل الحديث
الا. أما إلقاء الضوء على هذه المؤسسات التعليمية على حدة، والتعريف
تها ومناهجها وانجازاتها بتفصيل فنؤجله إلى وقت آخر لأن هذا المقال
، فيه سعة[1].

خاتمة: ألقينا الضوء فى هذا المقال على مجموعة من مدارس جماعة
حديث اخترناها من دهلى ويو بى وبيهار وبنغال وكيرالا، وهناك مدارس
كثيرة فى هذه الولايات وغيرها من الولايات وخاصة ولايات الغرب
ب، كما سبقت الاشارة إلى ذلك عند بيان عدد المدارس التى ورد
ـ بها فى كتاب «تدريسى خدمات» الذى أعدته الجامعة السلفية، ولكن
ذكرنا عن المدارس المنتخبة يعطى فكرة موجز تنطبق على جميع مدارس
، فإذا سنحت فرصة أخرى فسوف نعود إلى بقية المدارس، إن شاء الله،
ك نتكلم عن مناهج هذه المدارس ونظمها وما تحتاج إليه من العناية
م حتى يكتمل التصوير بجانبيه، والله الموفق.

(اعداد: الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

٥:٥●٥:٥

تدريسي خدمات (ص ١٩٢ وبعدها).

ما ذا بعد الحج ؟

بقلم/ د . محمد بن سعد الشويعر

ينظر المسلمون إلى الحج على أنه طهارة اجتماعية ، وتنقية للروح والبدن من الذنوب والآثام ، لأنه رحلة تعبدية ، دينية مخلصة ، وبمال حرص عليه الحاج بأن يكون حلالا . فكان من هذه صفته يشعر بالسعادة تغمر قلبه ، وبراحة العمل وهو يتنقل فى المشاعر منذ وطئت قدماه تراب الديار الطاهرة المقدسة ، رغم ما فى ذلك من مشقة بدنية ، وجهد نفسي وتحمل لحرارة الجو والعطش . والآن وقد انقضت أيام الحج بحمد الله فى يسر وسهولة ، وتمتع العام والخاص بما حرصت حكومة هذه البلاد على تقديمه لحجاج بيت الله الحرام ، و زاروا مسجد رسول الله ﷺ ، من خدمات مبذولة ، وجهد مشكور ، و راحة واطمئنان ، وأمن وأمان . وهذه نعم يجب أن تقابل بالشكر فالله جل وعلا يقول وقوله الحق : ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [سورة ابراهيم آية ٧] فهو وعد من الله جل وعلا بأن يديم النعم ويزيدها بالشكر ، وتأكيد منه جل وعلا بالعذاب الشديد لمن كفر وعاند ، وقابل النعمة بكفرانها .

وإن من الكفران جحود الفضل لأهله ، ومحاولة الاساءة قولا أو عملا . ذلك ان من لم يشكر الناس لا يشكر الله .

وإذا كان كثير من الحجاج المسلمين قد اتخذوا عادات اجتماعية عند ما

يعودون لديارهم تتنافى مع قدسية الشعيرة التى أدوا ، والطهارة التى منحهم الله إياها . من حيث :

ـ لزوم البيت لأسبوع أو أكثر وترك الصلاة مع الجماعة . وقد يتركها بالكلية .

ـ اتخـــاذ صفات تبجيلية ينهى عنها الاسلام . وتدفع النفس للغرور والكبرياء .

ـ تلطيخ جدار البيت بدم الذبائح . وبعضها مما أهل به لغير الله .

ـ اعطاء نفسه لقبا خاصا يميزه عن غيره لانه حاج . وهم لم يحجوا .

ـ تمسح الجهلة والعجـــائز به من باب التبرك . إلى غير ذلك من أمور شاهدتها فى بعض الديار الاسلاميـــة . وعرفت بعضها من بعض المسلمين هناك كعادات يتمنون الخلاص منها لأنها غير مشروعة .

فإن هذه الأعمال من تلبيس الشياطين واعوانهم ، ليجـــدوا مدخلا على النفوس القاصرة علما . ليفسدوا عملها . وليجعلوا ذلك العمل الخالص لله . مقرونا بما هو لغير الله ، والنفس بطبيعتها ضعيفة . ومن هنـــا يجب على كل حاج أن يدرك من صفاء الايمان . وسماحة تعاليم الاسلام ، ما عليه من أمر يحسن به أن يلتزمه ومن منهج سمح يجب عليه أن يسير فيه . ومن روحانية أخذها من الحج يجب عليه أن يستشعرها فى شئون حياته .

وحجـــاج بيت الله الحرام ، بعـــد أن أدوا ما أوجب الله عليهم بيسر وسهولة ، وراحة نفس واطمئنان ، واحتكوا بإخوانهم ، وأدركوا من مسيرة الحجاج وما يدور فى الحرمين أمورا تتمثـــل فى حرص القائمين على الحرمين بالجد ، وإعانة كل حاج أن يفهم دينـــه ، وأن ينقيه من الشوائب والدخائل ،

فلا عبـــادة الا لله ، ولا رهبانيـــة فى الاسلام ، ولا تقـــديس لاشخاص أو مبادئ .

فانهم ان شاء الله سيعودون لبلادهم سالمين غانمين .. سالمين من كل شر ، سالمين من وساوس الشيطان وأعوانه من شياطين الانس والجن ، وسالمـة عقيدتهم من الدخائل ، وخالية صدورهم من الاحن والشحناء ، والغل والحسد ، حتى يعودوا بقلوب صافية ، ورغبة أكيدة ، وطاهرة من كل درن يفسد الدين ، وصفات تثير الشحناء ، ليبدءوا حياتهم بأعمال نقيـة ، وضمائر سليمة ، ومعرفة يقينية بما يفرضه عليهم دينهم ، وما تحثهم عليه تعاليم خالقهم ، وما شرعه لهم ، لأن هذا الدين يدعو للأخوة والمحبة والصدق والتراحم ، ونبذ الشحناء ، والبعد عن الخلافات ...

وغانمين — ان شاء الله — بالأجر الجزيل الذى تحقق من قبول العمل ، واخلاص الاتجاه ، وطيب النفقـــة ، فالله جل وعلا طيب لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً .. وغانمين بما استفادوه فى دينهم ، وما تعلموه مما خفى عليهم فى أمور عبـــاداتهم ، وما أدركوه من سماحـــة الاسلام و بغضه للفحشـاء ، ومقته البغية .

فهنيئا لحجاج بيت الله الحرام ، وقـــد امتثلوا لأمر ربهم فى الاستجابة ، وأطاعوا رسولهم الكريم ﷺ ، فى تأدية مناسكهم التى أخذوها عنـــه ، وفى عباداتهم لربهم التى حرصوا عليها ، وهم بعد أيام سيتهيؤون العودة لديارهم البعيدة ، وأهلهم المترقبين مقدمهم ، بعد أن استجابوا لما سمعوا ، وعملوا بما عرفوا ، وتعلموا من الحقائق القيمة لخدمة ضيوف الرحمن بصدق واخلاص .

وحجاج أدركوا كل ذلك فى رحلتهم التعبدية ، التى تحملوا فيها المتاعب ، واستهانوا

فيهما بتجارة المال والجهد، وحرصوا خلالها على تأدية الواجب، وتصحيح مفاهيم علقت بالأذهان..

فهنيئهم أولا وقد وقفوا بعرفات فباهى الله بهم ملائكته، وغفر لهم زلاتهم وخطاياهم، وسوف يرجعون بإذن الله بصفحة جديدة تمثل الطهر والنقاء، بعد أن ظفروا باشهاد الله ملائكته بأنه غفر لهم، وهذا مكسب عظيم يجب المحافظة عليه والتزام منهجه.. من حيث:

— تطهير النفس وحفظ اللسان من القول بغير حق ومن الغيبة والنميمة، والكذب والتزود على الآخرين.

— تطهير القلب من الوساوس والظنون فان بعض الظن إثم.

— الاهتمام بالعبادات محافظة واداء فى أوقاتها وكاملة غير ناقصة حسبما كان الحاج يحرص عليها في أيام الحج.. فالله يعبد فى كل وقت وفى كل مكان.

— الحرص على أن يكون الحاج قدوة صالحة في بلده: فى كلامه وسلوكه، وفى عبادته وفى حرصه، وفى تبليغه ونقل الوقائع التي شاهد، وأمور الدين التى استفاد.

— تنقية الأعمال له ولمن حوله مما يشوب نقاوة العمل الصالح، فالإسلام طيب وسمح ويدعو للخير والمعرفة.

— الاهتمام بإبعاد البدع والمنكرات الموجودة فى بيته حتى يطهر غيره، ويباعد عنهم كل أمر نهى الاسلام عنه.

ان الحاج الذى يتعمق فى أمور دينه، يشعر من كل موقف حكمة، وخلف كل مشعر غاية، ودوره ان يتوصل للغة ما بعد الأعمال الى استنتاجات تجسيدها فى حياته، ونقلها لغيره لتكون عبرة فى العمل، وبتجربة الى أمور

مسمومة ستمس بكل فرد ، وان الدور المطلوب هو الخروج منها بفائدة ، وتغيير مسلك الحياة والعمل فيها ، إذا كان فيه مباعدة عن فطرة الاسلام ، وسماحة تعاليمه فهو دين لا رهبانية فيه ، وهو دين ينهى عن اغتصاب النفوس وقتلها . . وهو دين عن تحريم الزينة من الطيبات التى رزقها الله لعباده ، وهو دين يحل ما فيه خير ونفع ، ويحرم ما فيه شر وضرر ، ونهؤء حجاج بيت الله ، وهم يأخذون من كل موقف فى حجهم درساً فى مكافحة الشر ، ونبذ البغضاء والتشاحن ، والترغيب فى المودّة والتقارب ، والدعوة إلى المحبة والتصافى .

ندعو لهم بالتوفيق والسداد ، وقد قطعوا فى مسيرتهم المباركة من مشعر الى مشعر جهودا كبيرة ، وانتقلوا من موضع الى موضع فى اعمال متتابعة ، فى أداء يمثل النظام و الانتظام الذى يجب أن يسود حياتهم بعد الحج ، و ادركوا من وراء ذلك الترابط الذى يشد القلوب ، ويوحد الاتجاه الى هدف منشود وغاية تهفو إليها النفوس الصافية الطيبة ، فهم يشعرون فى هذه المسيرة بتقارب القلوب ، بعد أن تعارفت الاجسام ، واختلطوا فى المشاعر ، وتمازجوا فى الأحاسيس والوجدانيات طوال أيام حجهم والى أن يعودوا لبلادهم ، وهم قد عزموا ان يبدءوا صفحة جديدة فى أنفسهم عملا ولاخوانهم تعليما .

فوائد من المشاعر

ان مشاعر الحج ، ومواقفه العديدة دروس عملية تفيد كل مسلم ، وتعينه على تفهم مواقف مهمة فى حياته أو بعد مماته ، ليأخذ من ذلك عبرة ، ويتزود لأيامه بما يعينه على تحمل الصعاب ، ومجابهة الأمور .

— فتشاكلهم يجمعهم من كل جنس ولون ، وبألسنة عديدة يعطى درسا فى التواضع ، ونبذ العنصرية فالقلوب متقاربة بالعقيدة ، واتباع منهج هذا

الدين، كما أن الأبدان متجـــاورة فى كل موقف، مستجيبة فى كل جانب [illegible]
لشرع الله الذى ألف بين القلوب، ووحد الصفوف. ان ادراك ذلك من الناحية
العملية خطوة جديدة فى توجيه النفوس للمهمة الكبرى، وادراك حقيقة هـــذا
الدين الذى يدعو لعبادة الله وحـــده، وترك تعلقات القلوب، وصرف الفعل
لغيره سبحـــانه، ولتأدية الدور الحقيقى الذى خلق البشر من أجلـــه... وهو
عبادة الله وحده.

ـ واجتماع الحجاج فى صعيد عرفات جميعاً وفى وقت واحد، وانصرافهم
دفعة واحـــدة فى مسيرة إلى مشعر آخر، يشعرهم بأهمية الوحـــدة، ومكانة
التقارب، وضرورة نبذ الخلافات التى يزرعها المغرضون الحاقدون، الحريصون
على تفكيك عرى الاسلام، واختلاف كلمة المسلمين، ليجدوا منفذاً بين صفوفهم،
ومبررا للتغلغل بمجتمعاتهم.

ـ وتلك المواقف العديدة فى منى وعرفات والمشعر الحرام ومزدلفـــة،
تملأ قلوبهم خشية وأفئدتهم رغبـــة، وحواسهم تقاربا والفة مما يشعرهم بأهمية
التعاون على البر والتقوى، والتعاضد على الخير والانطلاق من مصدرى شريعة
الاسلام: هدفاً وغايـــة، لما يحس من تلك المواقف من فوائد، ولما يوجـــد
وراءها من حلول جذرية لكل معضلة، وتخلصاً من كل مشكلة. اذ لمسوا
من طريقة أداء الحج الأسلوب الذى يعينهم على مجابهـــة أمور الحيـــاة،
وتحمل اعبائها.

ـ وموقف عرفات يشعرهم بالحشر يوم القيامة، يوم يجمع الله الاولين
والآخرين لفصل الجزاء بينهم فيعاقب المسىء بسيئاته ويحاسب حسابا عسيرا،
ويعفو ويكافئ المحسن ليلقى جزاء عمله الصالح رحمة من ربه ومغفرة [illegible]

— ولباس الاحرام ينبىء عن التجرد والتواضع ، فكما جاء البشر ذكورا وإناثا الحياة بدون لباس ، يخرجون منها ، تاركين وراءهم الأموال والحصائل ، إلا من قماش يلفون به ولا يبقى الا العمل الصالح ، ولباس التقوى ، وما كسبت القلوب ، أما ما جمعت الأيدى وما يكسب المرء من زينة الدنيا ، فانه عرض زائل ، فكلما شعر الحاج بتجرده مما يملك بلباس الاحرام حيث تساوى الناس فى المظهر والتجرد فانه أيضا سيتركه بالكفن عندما يذهب به الى قبره .

— أما النفرة من عرفة الى المزدلفة ، ثم من مزدلفة الى منى ، فان فى هذا تقوية للعزائم بأهمية الانضباط و الانقياد مما يعطيهم قوة بما يجب أن يسير عليه المسلمون فى كل هدف يدعوهم اليه دينهم ، وتحثهم عليه تعاليمه باستجابة ونفس راضية .

— ورمى الجمار فى أوقاتها و بأيامها يشعرهم بأهمية الجهاد فى بناء القوة الاسلامية وأن النصر على اعداء الله ، واعداء دينه لا يتم الا بالهجوم المنظم والاستعداد المتكامل ، والقوة الدافعة والعقيدة الراسخة والطاعة لولاة الامر فيما أمر الله به ، وان القيادة العسكرية من الزم المهمات فى تحقيق النصر للمجتمع الاسلامى ، وان التدريب و التنظيم من أقوى الدعائم لعمل القوة العسكرية . تلك القيادة التى تستمد قوتها ودفعها من قاعدة الاسلام الراسخة . بفهمها وتطبيقها وتوجيها وبناء الشخصية الاسلامية .

— أما الهدى والأضحية ، والصدقات والقربات فان ذلك يشعر بدور البذل والانفاق والحب فى التقرب إلى الله بأعز ما تملك النفس وهو المال بعد أن تحملت المشاق بالبدن ، حيث يطالبنا بحسن الاختيار ، و سلامة النية وصدق العزيمة والجود فى النفقة ، و الحرص على الاطعام و الشعور بحاجة المجتمع ،

والاستجابة والطاعة فى التنفيذ والعمل .

هذا ولو سرنا مع بقية أعمال الحج ، وما يحسن بالزائر لمسجد رسول الله ﷺ ان يفعله ، وما يجب على الجميع أن يتركوه من اعمال نهى عنها الشرع فى مكة والمدينة . . . فاننا لاشك سندرك تحليلات كثيرة ، وفوائد عديدة تسير مع المسلم فى عمله هـــذا ، وتذكره بمهمات كبيرة ملقاة عليه فى خضم الحياة ، ليتبصر فى عمقها ونظرة الاسلام البعيدة نحوها . . وان العبادات فيه علاوة على كونها طاعـــة لله . واستجابة لشرعه فهى دروس عملية فى الحياة تقوى النفس ، وتفتح الذهن وتحرك القلب لأصالة هـــذا الدين ، ودوره فى بناء المجتمعات ، وحرصه على مصالحها وترابط ابنائها ، لأنه لم يكن دينا للعبادة الأخروية فقط ، ولكنه دين يتفاعل مع النفس ويدافع عنها ويحميها من المخاطر والآفات منذ الولادة . وحتى الوفاة . ثم يبقى بعد ذلك الرصيد المدخر الذى يكسب به العبد رحمـــة الله وعفوه واحسانه . . فهو مع اصلاحه للحياة وشئونها المختلفة مما نعرفـــه أو مما خفى سره ، وتفتحت فعاليته مع توسع الحياة ومطالبها وتشعب علومها . . فهو فيه سعادة الآخرى ، تلك السعادة الابدية لمن وفقه الله والتزم منهجه وحرص على تعاليمه فى تصرفاته وأعماله وطبق ذلك عبادة وسلوكا ● ●

معالى وزير الشؤون الاسلامية يلتقى بالأئمة والخطباء

د. التركى : الوزارة تولى الرفع من مستوى الأئمة والخطباء اهتمامها البالغ و ستقوم بطباعة الخطب المتميزة

التقى معالى وزير الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى بمكتبه بالوزارة يوم السبت الماضى بالأئمة و الخطباء البارزين فى منطقة الرياض.

وفى بداية اللقاء ألقى مدير عام الأوقاف و المساجد بمنطقة الرياض الشيخ عبد الله بن مفلح آل حامد كلمة اعرب فيها عن سروره لهذا اللقاء الذى فيه تكريم نخبة طيبة من الأئمة و الخطباء بمبادرة مشكورة من معالى وزير الشؤون الإسلامية و الأوقاف والدعوة و الإرشاد الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركى.

وقال: ان هذا التكريم على جانب كبير من الأهمية ليشعر المجد بأنه صواب وأن عمله محل تقدير و استحسان ليكون ذلك حافزاً له على الاستمرار ومشجعا لغيره على الاقتداء به.

وأكد الشيخ عبد الله آل حامد أن هذه اللفتة الكريمة والمبادرة الطيبة بتكريم المتميزين من الأئمة والخطباء تأتى انسجاما مع ما تحرص عليه الدولة بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين — وفقه الله — لرعاية كل ما يتعلق بالدعوة الإسلامية والعناية ببيوت الله ومنسوبيها وهو ما تمثله غرته فى اللقاء الد

من المساجد حتى زاد عددها على خمسين الف مسجـد و جامع و تبلغ مكافآت منسوبيها أكثر من ألف مليون ريال سنويا .

ونوه بمتابعة وحرص معالى الوزير الدكتور عبد الله التركى منذ توليه شؤون هذه الوزارة على متابعة كل جوانب العمل فى الوزارة و بصفة خاصة العنصر البشرى فى تلك الجوانب مشيراً الى ان النهوض بالكفاءات السعوديـة المؤهلة هو ركيزة كل تطور و تقدم .

ودعا الله أن يوفق جهود معاليه فى خدمـة الاسلام و المسلمين و تقوية دور الوزارة وفاعليته فى مجال الدعوة الإسلامية والإرشاد فى داخل المملكة وخارجها .

و أوضح أن أئمـة المساجد وخطباءها هم حملة رسالة الدعوة و بجهودهم تكون الصحوة وتؤتى ثمارها وهم يقومون بواجبهم بكل أمانـة و إخلاص فى خدمة الدين والفرد والمجتمع مؤكداً أن الدين هو حياة القلوب وشفاء الصدور وبه يصلح الفرد و المجتمع و يستقيم أمرهم مادام التوجيه لله .

ووجه آل حامد فى ختام كلمته حديثه الى الأئمة والخطباء المتميزين بقوله : ولقد كان المنهج الذى سلكتموه فى خطبكم دليلا على الوعى السليم والبصيرة الثاقبة. و الحرص على المصلحة العامة ، وأمن الوطن وسلامته وإدراكا للمخاطر الفائدة ودرء المفسدة ، والتزاما بمنهج السلف الصالح من توقير أهل العلم والعلماء وطاعة ولاة الأمر ، ووحدة الكلمة ، وهو ما تميزتم بـه فى خطبكم وهو محل تقدير من جميع المسؤولين وبخاصـة معالى الوزير الذى رغب فى أن يلتقى بكم مرحبا بمعاليه بيننا أستاذاً وموجها ومسؤولا .

ثم ألقى إمام وخطيب جامع أهل أوشيقر بالرياض الشيخ محمد عبد الله

[illegible] أوضح فيها أن المسجد في الإسلام أهمية عظمى ومكانة جليلة فهو المنطلق الأول لبناء الفرد المسلم وتوجيهه نحو الخير والصلاح وعن طريقه يتم التواصل والتعارف بين المسلمين وتفقد أحوالهم .

وأضاف أن المسجد فى صدر الإسلام كان هو الملتقى الأول لولى أمر المسلمين مع رعيته فمنه تصدر الفتوى وأحكام القضاء وتجيش الجيوش وفيـه تستقبل الوفود ويتم فيه مناقشة ومعالجة كثير من القضايا التى تهم الأمة .

وقال إنه ينبغى لمن يتولى أمر الخطابة والتوجيـه أن يدرك أهمية الموقف المناط به فيبذل قصارى جهده فى اختيار موضوع الخطبة بأسلوب شمولى مركز ومعالجته بأسلوب يتسم مع مختلف العقول والافهام مع عدم اغفال الأساليب الالقائية المؤثرة .

وأعرب عن شكره وتقديره لمعالى الوزير والعاملين فى الوزارة لما يبذل من جهود للرفع من مستوى الأئمة والخطباء للقيام بدورهم واداء رسالتهم على الوجه الأفضل .

بعد ذلك ألقى معالى الدكتور عبـد الله التركى كلمـة رحب فيها بالأئمة والخطباء وأثنى على جهودهم وما يقومون به من عمل مهم .

وأكد معاليه اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وسمو ولى عهـده الأمين ببيوت الله واعمارها وصيانتها وترميمها والقائمين عليها من الأئمة والخطباء .

وشدد معاليه على ضرورة الاهتمام برسالة المسجد فى الإسلام والعمل على تحقيقها وبذل المزيد من الجهود لخدمة بيوت الله والعناية بها .

وحث معاليه الأئمة والخطباء على التعاون على البر والتقوى .

وبين معاليه أن الوزارة تولى الرفع من مستوى الأئمة والخطباء اهتمامها البالغ مشيراً معاليه الى أن الوزارة سوف تقوم بطباعة الخطب المتميزة وتوزيعها على الأئمة

كما تناول معاليه فى كلمته مسؤولية إمام المسجد وخطيب الجمعة وما ينبغى أن يقوم به من مهام وأن من مسؤولياته أن يكون على علم بالله وبكتابه وسنة رسوله ﷺ و بأقوال السلف الصالح فى فهم الكتاب والسنة ومن ذلك حرصه على الاستيثاق والتثبت من الوقائع والأحداث والأخبار.

ثم استمع معاليه الى استفسارات إخوانه الأئمة والخطباء وأجابهم على استفساراتهم وتساؤلاتهم مبيناً معاليه أن الوزارة تعتزم تكوين لجان استشارية فى كل فرع من فروع الوزارة يتكون اعضاؤها من المدير العام لفرع الوزارة فى المنطقة، ومدير عام فرع رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومدير مركز الدعوة فى المنطقة، وأربعة من أهل العلم فى المنطقة وتتولى هذه اللجان دراسة الأمور المتعلقة بالمساجد وأئمتها وخطبائها و مؤذنيها والدعوة والإرشاد فى المنطقة وما يحال اليه من الوزارة مما يتعلق بذلك.

وتمنى معاليه من الله عز وجل فى ختام كلمته أن يوفق الجميع الى كل ما فيه الخير و الصلاح وأن يسدد الخطى ويثيب الجميع جزيل الأجر.

(مع الشكر لجريدة الدعوة بالرياض)

المساعدات الانسانية والانمائية السعودية للدول النامية

ما يزيد عن ٧٧ مليار ريال قيمتها السعودية كمنح لا ترد لـ ٩٧ دولة

قدمت المملكة العربية السعودية خلال العقدين الماضيين ، مساعدات واعانات نقدية وعينية كبيرة لكثير من الدول العربية والاسلامية والنامية . كما ساهمت مساهمة فعالة فى دعم مشروعات وبرامج عدد من المنظمات والهيئات ذات الاهداف والتوجهات الانسانية والانمائية التابعة للأمم المتحدة .

وتنطلق هذه الاعانات والمساعدات التى تقدمها المملكة من منطلقات اسلامية و انسانية غايتها تحقيق التعاون و التكافل الاجتماعى و تعميق أواصر الأخوة والجوار مع الدول العربية و الاسلامية ، ونجدة واغاثة الدول الضعيفة بشكل عام ولا سيما فى أوقات الكوارث والجفاف والحروب ، وتمكين بعض الدول النامية من تجاوز ازماتها الاقتصادية الخانقة والمشاركة فى تمويل مشروعات التنمية فيها بما يحقق لها ولمواطنيها الخير والنماء .

وقد بلغت جملة المساعدات التى قدمتها المملكة للدول العربية و الاسلامية على شكل منح لا ترد (٧٧) مليار ريال واستفاد منها (٣٥) دولة عربية واسلامية ، كما بلغت جملة المساعدات التى قدمتها المملكة لبعض الدول الاسلامية فى مجالات اسلامية فى السنوات الأخيرة نحو (٢٩٨٠) مليون ريال استفاد منها (٩٧) دولة .

ومما هو جدير بالذكر أن المملكة تقدم مساعداتها واعاناتها خالصة لوجه الله تعالى ، لا تبغى من ورائها من ولا أذى ، ولا تدفعها الأطماع الاستغلالية

ولا الاهواء المظهرية أو السياسية و إنما تهــدف الى غايات نبيلة مستمدة من روح الاسلام ومبادئه السامية التي سار ويسير عليها قادة المملكة منذ عهد الملك عبد العزيز المؤسس الاول لهـذه المملكة الفتية و حتى عهـــد خادم الحرمين الشريفين .. الملك فهد بن عبد العزيز.

ولم تتعود المملكة العربية السعودية على الاعلان عن هـــذه الاعانات و المساعدات ، بل تفضل العمل الجاد والمثمر في ظل الحكمـــة والسياسة الرادئة المتوازنة تاركة الحكم على أعمالها الجليلة في هـــذا المجال لذوى الضمائر النزيهة والجهات المسئولة المنصفة في العالم .

فني هـــذا السياق ، أوضح تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة و التنمية ، وهو التقرير الذى تناقلته مختلف وسائل الاعلام العالميـــة ، ما قدمتـــه المملكة العربية السعودية للدول العربية والاسلامية والنامية من اعانات ومساعدات سخية منذ عام ١٩٧٣م .

وقـــد جاء في هـــذا التقرير أن متوسط ما قدمته المملكة من مساعدات رسمية خلال فترة (١٩٧٣–١٩٨١م) وهي فترة الطفرة الاقتصادية في المملكة حوالى ٧.٧% من اجمالى الدخل الوطني لها . أما متوسط ما قدمته المملكة من اعانات و مساعدات خلال فترة (١٩٨١–١٩٨٧م) فهو يمثل (٣.٢٦%) من اجمالى داخلها الوطني ، وهـذه النسبة تتجاوز بكثير نسبة ما قدمتـه دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (OECD) خلال الفترة المشار اليها .

الدوافع الانسانية للعونات السعودية

وترجع تقـديم المملكة العربية السعودية لهـذه المعونات والمساعدات الانسانية الى دوافع وجذور مستقاة من تراثها الحضارى ومبادئ الاسلام .

السمحة التى تحض على التعاون و التكافل الاجتماعى، وهى المبادئ الاساسية التى يقوم عليها المجتمع السعودى، وبالتالى فقد جاء فهم العلاقات الدولية منسجماً مع المفاهيم التى تسود هــذا المجتمع. فعندما وجدت المملكة نفسها فى منتصف السبعينات فى وضع مالى يمكنها من تقــديم المساعدات المالية والانمائيــة الى الدول والشعوب التى تعانى من عجز مالى و أزمات اقتصادية، سارعت إلى تلبية الاحتيــاجات الانمائيــة الخاصة بتلك الدول بالكامل من خلال زيادة برامج المساعدات المادية والعينية، وأنشأت أجهزة لتقديم وتنظيم تلك المساعدات حسب ظروف كل دولة. وأنشأت العديد من المؤسسات المالية مع شقيقاتها من الدول العربية والاسلامية لتساهم فى تمويل التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى تلك الدول، وذلك من خلال منطلقات اسلامية وانسانية نقية وصافية.

أساليب تقديم المساعدات

و تنتهج المملكة العربيــة السعودية ثلاثة أساليب مهمــة فى تقــديم المساعدات وهى:

(١) الأسلوب الثنائى:

ويعتبر الصندوق السعودى للتنمية هو المؤسسة الرسمية التى تقدم قروضاً ميسرة للمساهمة فى تمويل مشروعات وبرامج التنمية، فقد بدأ هذا الصندوق نشاطه فى عام ١٩٧٥م، وبلغت جملة ما قدمه لتمويل التنمية فى الدول الإسلامية والنامية (٢٤٠٨٦) مليون ريال حتى عام (٨٥/١٩٨٩م) للمساهمة فى تمويل ٢٦٨ مشروعاً، منها ٥٥٪ خصص للدول ذات الدخل المنخفض أو الأقل نمواً. أما المشاريع للمرتقبة اتفاقياتها فقد وصل

قدمتها حتى عام ١٩٨٦م الى ٢١٤ مشروعاً بمبلغ (١٦٩٧٧) مليون ريال . وقد تم توقيع (١٩) اتفاقية فى العام المشار اليه بمبلغ (١٦٠٧) ملايين ريال منه (٨٧٣) مليون ريال للدول الأفريقية ، و (٤٣٥) مليون ريال للدول الاسلامية .

(٢) الأسلوب الجماعى :

ولعبت المملكة دوراً رئيسياً فى إقامة عدد من المؤسسات الانمائية تهدف الى التعاون والتضامن بين الدول العربية والاسلامية ، فساهمت بما لا يقل عن ٢٠٪ من رؤوس أموال اثنى عشرة مؤسسة انمائية أهمها : البنك الاسلامى للتنمية ، وصندوق النقد العربى ، والصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى ، المصرف العربى للتنمية فى أفريقيا ، و بنك التنمية الافريقى ، وصندوق التنمية الأفريقى ، والصندوق الدولى للتنمية الزراعية . كما تعمل المملكة على تعزيز التبادل التجارى ومعالجة موازين المدفوعات ، كما تسهم فى النواحى الاجتماعيـة فى الدول العربية والاسلامية من تعليم وصحة ورعاية الطفولة والأمومة .

(٣) أسلوب دعم المؤسسات الدولية :

و ساهمت المملكة بدور نشط فى دعم المؤسسات المالية التى تقدم المساعدات للدول النامية ومنها الدول العربية والاسلامية . كما ساهمت فى دعم مؤسسات وبرامج الأمم المتحدة المتخصصة لتمكنها من تنفيذ برامجها الانمائية والاجتماعية والانسانيـــة ، اضافة الى مساهمتها فى برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الأمم المتحدة الانمائيـة بمبلغ (١٥٠) مليون ريال تمثل نسبة (٧٨٪) من موارد هذا البرنامج .

المساعدات النقدية والعينية للدول الأفريقية

واهتمت المملكة العربيـــة السعودية اهتماماً خاصاً بالدول الأفريقية التى واجهت مشكلة الجفاف والتصحر فى السنوات الأخيرة، ويعـــد برنامج المملكة لتنمية الساحل الأفريقى مثالا على ذلك حيث أعلنت المملكة وخلال مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى عقد فى مكة المكرمة والطائف عام ١٩٨١م عن تخصيص مبلغ مائة مليون دولار أمريكى لتنفيذ مشروعات لحفر الآبار والتنمية الريفيـــة فى دول الساحل الافريقى المتضررة من الجفاف، تلى ذلك تقديم مبالغ اضافية للتوسع فى هـــذا البرنامج بلغت ثلاثين مليون دولار أمريكى. وقد بلغت جملة المساعدات التى قدمتها المملكة للدول الأفريقيـــة حتى نهاية النصف الأول من عام ١٩٨٦م (٢٨٠) مليون دولار أمريكى استفادت منها عشرون دولة. كما اهتمت المملكة بمشكلات اللاجئين حيث بلغت قيمة المساعدات النقدية والغذائية والطبية والايواء فى هـــذه المناطق أكثر من (٤٥) مليون دولار، هـــذا بالاضافة إلى (٤٥) مليون دولار أخرى قدمت للمؤتمرين الأول والثانى لمساعدة اللاجئين فى افريقيا.

وخلال مؤتمر القمة الاسلامى السادس الذى عقد فى دكار أعلنت المملكة عن اعفاء ثمانى دول أفريقيـة من تسديد القروض التى سبق أن حصلت عليها من المملكة وتبلغ جملة هذه الديون (٣١٠) مليون دولار.

المساعدات السعودية الانمائية

ولقد حرصت المملكة على تقديم المساعدات الانمائية الى الدول الاسلامية انطلاقا من مبدأ التكافل بين المسلمين فى كل مكـان. ويمثل عنصر المنح نسبة كبيرة من تلك المساعدات الانمائيـــة، خلال الفترة (١٩٧٣—١٩٨٧م) بلغت

جلة المساعدات الانمائيـــة (٥٧) مليار دولار منها (٢٧) مليار دولار منح مجانية لا ترد، أما الجزء الباقي فإنه يقدم الى الدول كقروض بشروط ميسرة وغير مشروطة . كما قدمت المملكة معونات بمئات الملايين من الريالات لبعض الشعوب العربية والاسلامية التي تعرضت للحروب والكوارث . ولا يتسع المجال هنا لذكر جميع المساعدات التي قدمتها المملكة لأنها أكثر من أن تحصر .

وخلاصة القول أن المملكة العربية السعودية تقدم الاعانات والمساعدات إلى الدول العربية والاسلاميـــة والنامية خالصة لوجه الله تعالى ، ومن منطلق اسلامي بحت كما أوضح ذلك خادم الحرمين الشريفين في أكثر من مناسبـــة . ايماناً منه بدور المملكة الريادي ، وواجبها الاسلامي في هذا السبيل ■ ■

●●
●

درس في المنهج

فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح العبيلان
الرياض

● أقوال بعض العائدين إلى منهج السلف الصالح :

قال رحمه الله[1] : ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام، ولهذا يوجد الحاذق منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك إذ لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض، وكثير منهم يترك الجميع ويرجع إلى دين العامة الذي عليه العجائز والأعراب :

١ - كما قال أبو المعالي وقت السياق : لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم و دخلت في الذي نهوني عنه . والآن إذا لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ...

٢ - وكذلك أبو حامد (الغزالي) في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظار أهل الكلام والفلسفة وسلك ما تيسر من طرق العبادة والرياضة والزهد، وفي آخر عمره اشتغل في الحديث في البخاري ومسلم .

٣ - وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخبر هؤلاء المتكلمين بالمقالات

---

(١) شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، منهاج السنة النبوية ٩٨/٣ .

والاختلاف وصنف فيها كتابه المعروف « نهاية الإقدام فى علم الكلام » وقال : قد أشار على من إشارته غنم وطاعته حتم أن أذكر له من مشكلات الأصول ما أشكل على ذوى العقول ولعله استسمن ذاورم ، ونفخ فى غير ضرم ثم ذكر أبيات :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

فأخبر أنه لم يجد إلا حائرا شاكا مرتابا ، أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطأه . فالأول فى الجهل البسيط كظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها وهذا دخل فى الجهل المركب ثم تبين له أنه جهل فندم ولهذا تجده فى المسائل يذكر أقوال الفرق وحججها ولا يكاد يرجح شيئا للحيرة .

٤ ـ وكذلك الآمدى الغالب عليه الوقف والحيرة .

٥ ـ وأما الرازى فهو فى الكتاب الواحد بل فى الموضع الواحد لينصر قولا وفى موضع آخر منه أو من كتاب آخر لينصر نقيضه ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك . والمقصود هنا أنه لما ذكر ذلك قال : ومن الذى وصل إلى هذا الباب ومن الذى ذاق هذا الشراب ، ثم ذكر أبيات :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وقال لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، إقرأ فى الاثبات (إليه

يصعد الكلم الطيب﴾[1]، ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2] واقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[3]، ﴿ولايحيطون به علما﴾، ومن جرب مثل تجربتي عرف معرفتي.

وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقال وأنه لم يجد فيها ما يشفي عليلا ولا يروي غليلا فإن من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمعقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لايعرفه فلا يذكره، وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة، ليس هذا من خصائصه فإن الحق واحد لايخرج عن ما جاءت به الرسل وهو الموافق لصريح العقل وفطرة الله التي فطر عليها عباده، وهؤلاء لايعرفون ذلك بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم مختلفون في الكتاب ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾[4].

— وقال الإمام أحمد في خطبة مصنفه الذي صنفه في حبسه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله:

« الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والعمى، فكم من قتيل لإبليس أحيوه وكم من

---

(١) فاطر : ١٠

(٢) طه : ٥

(٣) الشورى : ١١

(٤) البقرة : ١٧٦

تاله تعالى قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون الكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم».

— وقال رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/١٨)[1]:

قال رسول الله ﷺ في الحديث المشهور في السنن من رواية فقيهي الصحابة عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المحفوظ «إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم».

فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث:

١ — إخلاص العمل لله.

٢ — مناصحة أولي الأمر.

٣ — لزوم جماعة المسلمين.

وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة. وبيان ذلك أن الحقوق قسمان:

١ — حق لله ٢ — حق لعباده

---

(١) الشيخ هنا رحمه الله بصدد تبيين الأمور التي من خلالها تجتمع الأمة وبتخلف واحد منها يحصل الافتراق للأمة (من كلام الشيخ عبد الله).

فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئا كما جاء في لفظ أحد الحديثين وحقه أن يخلص العمل له كما جاء في الحديث الآخر، وحقوق العباد قسمان:

١ ـ خاص ٢ ـ عام

أما الخاص فمثل بر كل انسان والديه وحق زوجته وجاره فهذا من فروع الدين لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه ولأن مصلحتها خاصة فردية.

وأما الحقوق العامة فالناس نوعان:

١ ـ رعاة ٢ ـ رعية

فحقوق الرعاة مناصحتهم وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فان مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا فهذه الخصال تجمع أصول الدين.

وقد جاءت مفسرة في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

فالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله تدخل في حق الله وعبادته وحده لا شريك له، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم هي مناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة، وأما النصيحة الخاصة لكل واحد منهم بعينه فهذه يمكن بعضها ويتعذر استيعابها على سبيل التعيين.

بيان [illegible] ما المقصود بالدعوة؟[2]:

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: وكان المقصود بالدعوة وصول

---

(١) [illegible] ٢/٦

(٢) مسلم كتاب الإيمان (٥٥)

إليه إلى ما خلقوا له من عبادة ربهم وحده لاشريك له ، والعبادة أصلها عبادة القلب المستتبع للجوارح فإن القلب هو الملك والأعضاء جنوده وهو المضغة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد وهذا الأصل الذي هو عبادة الله بمعرفته ومحبته هو أصل الدعوة في القرآن فقال تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[1].

● تعريف الصراط المستقيم : الفتاوى ١/١٩٧

ــ قال رحمه الله : فالصراط المستقيم هو ما بعث الله به رسوله ﷺ بفعل ما أمر وترك ما حظر وتصديقه بما أخبر، ولا طريق إلى الله إلا ذلك وهذا سبيل أولياء الله المتقين وحزب الله المفلحين وجند الله الغالبين .

وكل ما خالف ذلك فهو من طرق الغي والضلال وقد نزه الله تعالى نبيه

---

(١) يقول الشيخ عبد الله : « هذا نستفيد منه في أنه ما ينبغي اشغال الناس بقضايا تبعدهم عن طاعة الله ومحبة الله وتشبثهم بالقيل والقال بل الواجب علينا ترسيخ العقيدة في قلوبهم وتقوية صلتهم بربهم وحينئذ إذا قلت هذا حرام تركوه وإذا قلت هــذا مكروه تجنبوه ، أما أن تنحرف عن منهج القرآن في الدعوة ومنهج الرسول ﷺ فتكون مثلا خطبتك يوم الجمعة عبارة عن أخبار أو بحث في قضايا سياسية بمــاذا ينفع الناس هذا الحديث . هل ينفع الناس هذا في دينهم ؟ هل أنت حينما تحدثهم بهــذا لهم يد في إصلاحه أو تعديله ، أنت الآن تشغلهم عن عبادة الله فبدل أن يخرجوا من المسجد وهم يستغفرون الله ويتقربون إلى الله والواحد منهم قد ندم حينما سمع في الخطبة شيئا أثر في قلبه على أن يترك هذا الذنب أو أن يزداد طاعة مثلا . . . بل سوف يخرج من الخطبة وقلبه قاس وربمــا يلعن فلان ويشتم فلان ! ليس هذا هو هدى الرسول ﷺ وليس هذا هو طريقة القرآن الكريم ».

عن هذا فقال تعالى ﴿والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ .

وقد أمرنا الله سبحانه أن نقول في صلاتنا ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

وقد روى الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ أنه قال : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون » قال الترمذي : حديث صحيح .

وقال سفيان بن عيينة : كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . وكان غير واحد من السلف يقول « احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون » .

فمن عرف الحق ولم يعمل به أشبه اليهود الذين قال الله عنهم ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ .

ومن عبد الله بغير علم بالغلو والشرك أشبه النصارى الذين قال الله فيهم ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ ، فالأول من الغاوين ، والثاني من الضالين . فإن الغي اتباع الهوى ، والضلال عدم الهدى قال تعالى ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ـ الآية﴾[1].

وقال تعالى ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ـ الآية﴾ ، ومن جمع الضلال والغي

---

(١) الأعراف : ١٧٠

يحبه حب هؤلاء وهؤلاء .

● قاعدة فى العبادات : (الفتاوى : ١) .

العبادات مبناها على التوقيف كما فى الصحيحين[١] عن عمر بن الخطاب أنه قبل الحجر الأسود وقال إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ، والله سبحانه وتعالى أمر باتباع الرسول ﷺ وموالاته ومحبته وأن يكون الله و رسوله أحب إلينا مما سواهما ، وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾[٢]. وقال تعالى ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ . وقال تعالى ﴿ومن يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم ﴾[٣].

وأمثال ذلك فى القرآن كثير ولاينبغى لأحد أن يخرج بهذا عن مامضت به السنة وجاءت به الشريعة و دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وما علمه قال به ، وما لم يعلمه أمسك عنه ، ولايقف ما ليس له به علم ، ولايقول على الله ما لم يعلم فإن الله تعالى قد حرم ذلك كله ؟

○⁝○●○⁝○

---

(١) البخارى رقم (١٠٩٧ ـ فتح) ، مسلم (١٢٧٠) .
(٢) آل عمران : ٣١
(٣) النساء : ١٣

مفهوم الاتباع والتقليد في الشريعة الاسلامية

(٣) الشيخ اسماعيل احمد فضل الرحمن الاعظمي
مكتب الدعوة بدبي

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه :

الاجتهاد لا يقيده زمان ولا مكان..... لأن مبناه توافر شروطه في الشخص، وهذا أمر ممكن في كل عصر... فان فضل الله واسع غير محصور بالمتقدمين دون المتأخرين... ولأن شرع الله شرع لجميع البشر وعليهم أن يتدبروه ويفهموا أحكامه، قال الله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ولأن الاجتهاد أعلى مراتب العلم، والعلم مباح للجميع، بل ندب إليه الشرع الشريف وأثنى على أصحابه وأمر بالاستزادة منه، وعلم الناس أن يقولوا (وقل رب زدني علما)[1].

قد تكلم الأستاذ أحمد أمين أيضا على صحة الاجتهاد وضرورة العمل به في كتابه «يوم الاسلام» أود أن أذكر بعض كلامه هنا نقلا عن كتاب الدكتور أحمد شلبي :

يقول الأستاذ أحمد أمين :

الف - لو وقف الاجتهاد لوقف المسلمون جامدين، لأن المدنية تخلق

---

(١) الوجيز في أصول الفقه ص ٢١٩ - ٢٢٠

أحداثا جديدة، ولو لم نقابل ذلك بالاجتهاد لوقفنا حيارى.

ب ــ كل عصر تتغير ظروفه فلا تكاد تمر عشر سنين أو عشرون سنة حتى يحدث ما يغير النظر، فكيف إذا مر ألف عام، وهذا التنوع هو الحكمة في النسخ، وهو أيضا ما دعا الشافعي أن يعدل عن مذهبه الذي وضعه في العراق في كثير من المسائل ويضع مذهبا آخر له في مصر يسميه المذهب الجديد، والفرق بين المذهبين هو في الحقيقة فرق البيئة أو فرق نشأ من أن الشافعي علم في مصر ما لم يكن قد علم في العراق.

ج ــ ومن أدلة الاجتهاد أيضا أن أئمة المذاهب، اجتهدوا وأوصوا بالاجتهاد ولم يغلق باب الاجتهاد إلا من جاء بعدهم عن هم أقل علما وشجاعة[١].

وكم من أصوات شرقا وغربا ترفع في العالم المعاصر وتنادي إلى العودة للاجتهاد والعمل به، وليس هذا إلا لشدة الاحتياج والاضطرار إليه، كما يقول في ذلك الدكتور أحمد شلبي:

وقد هبت في العصر الحاضر موجة تدعو إلى إعمال الفكر والعودة القرآن والحديث والاجتهاد فيما جد من مشكلات، أو فيما تغيرت فيه الظروف وإن استدعى الاجتهاد مخالفة هؤلاء الأئمة فيما دونوه.

ثم يقول:

ومن الملاحظ أن فكرة العودة للاجتهاد كانت غير موجودة حتى أوائل هذا القرن، ثم هتف بها الإمام محمد عبده ما استخطها الجامدون وتحدث كبار العلماء علانية بوجوب الاجتهاد... ولكنها في الواقع مرحلة غير عملية

(١) انظر تاريخ التشريع الاسلامى الدكتور أحمد شلبي ص ٢٠٢

إلا في مسائل قليلة... ولعل الاجتهاد الكامل خطوة أخرى آن لها أن تعمم لتريتا رأي الاسلام فيما جد من أحداث لم يعالجها الأئمة فيما كتبوه لمعاملات البنوك وبيع الأسهم وكالشركات الحديثة والبورصة وغير ذلك[1].

ويقول الاستاذ مناع القطان:

وقد تفتح العالم الاسلامي اليوم على مشكلات جديدة، لم يكن كلها أو جلها معروفا في العصور السابقة وهي في حاجة أن يواجهها علماء الاسلام بالبحث والاجتهاد والتجديد... وإذا تعذر الاجتهاد المطلق أو اجتهاد المذهب فإن الاجتهاد الجماعي أمر ممكن[2].

وذكر الدكتور موسى «توانا» آراء العلماء في بلوغ مرتبة الاجتهاد المطلق والتوصل اليه، وكون الاجتهاد أسهل منه في الماضي وبعد مقارنة الآراء اعترف بإمكان وجوده، ولكنه قال: إنه ليس بأمر سهل. وهذا نصه:

لا يمتنع — عقلا وعادة — وجود وقائع وحوادث جديدة تقتضي حلا جديدا، ولا يمتنع كذلك ان يوجد في بعض المشتغلين بالفقه وأصوله ملكة الاجتهاد المطلق[3].

ثم قال:

فالرأي هو أن بلوغ هذه المرتبة ليس بسهل، وان كانت ممكنا في حد ذاته، لاسيما اذا وضعت مناهج دقيقة شاملة محيطة بما هو شرط لتخريج عالم دقيق ناضج[4].

---

(1) تاريخ التشريع الاسلامي ص ٢٥، ٢٦

(2) التشريع والفقه في الاسلام ص ٢٧٦، ٢٧٧

(3) الاجتهاد: ص ٣٠

(4) أيضا: ص ٥٥

الغربيون والاجتهاد: إن كثيرا من علماء المستشرقين اعترفوا بأن الشريعة الإسلامية تتناسب مع التطور فى كل زمان ومكان، وكتبوا فيها مقالات علمية، وعقدوا مؤتمرات لدراسة هذا الموضوع، كما قال الدكتور «توانا» فى كتابه وتكلم على بعض أقوال المستشرقين واعترافهم بقيمة الفقه الإسلامى وأصوله من الاجتهاد وغيره، وكذلك الدكتور أحمد شلبى ذكر بعض قراراتهم فى المؤتمرات حول الشريعة الإسلاميـــة لا سيما الفقه والاجتهاد. وأحب أن أذكر بعض أقوالهم وقراراتهم فى هذا الصدد لتقدر قيمة مناهج الشريعة[1] باعترافهم مع أنهم أعداء الاسلام فكيف نحن المسلمون؟

يقول جولد تسيهر المستشرق عنـــد الكلام على تطور الفقه وطريقة أهل الرأى فى الاجتهاد:

ثم هـــذه العلاقات المتجددة، كان يرى من الخير أن تقنع باستعمال القياس والاستنتاج، والرأى الشخصى أيضا ولا يترك الحـــديث عند ما يقوم على أساس ثابت، لكن الاستنتاج الحر يأخذ مكانه بجانبه كطريقة صحيحة للفقه والمطلوبة أيضا[2].

ويذكر الدكتور أحمد شلبى احوال أحد المؤتمرات فيقول:

فى سنة ١٩٥١م خصصت كلية الحقوق بجامعـــة السربون بباريس أسبوعا لدراسة الفقه الإسلامى. أعدت لهم موضوعات عددة ليكتب فيها المسلمون

---

(١) مع العلم بأن الشريعة الاسلاميـــة أو مناهجها ليست فى حاجة إلى تقدير هؤلاء المستشرقين وغيرهم، وإنما نقل كلامهم لمجرد الاستئناس بحيث إنهم رغم عداوتهم للإسلام وتعاليمه اعترفوا بسمو مناهج الشريعة الإسلامية.

(٢) الاجتهاد ص ٥٠٢

وغيرهم ..... وكان نقيب المحامين فى باريس رئيسا المؤتمر فى جلسته النهائية واختتم أعمال المؤتمر بكلمة قال فيها :

لا أرى كيف أوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الإسلامية وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة وبينما سمعته فى هذا المؤتمر مما يثبت بغير شك ما عليـــه الشريعة الإسلامية من عمق وأصالة و دقة وكثرة تفريع وصلاحيته لمقابلة جمع المشكلات .

و انتهى الأسبوع بالقرارات التالية :

١ — مبادئ الفقـه الإسلامى لها قيمة قانونيـة تشريعية لا يمارى فيها .

٢ — اختلاف المذاهب يحوى ثروة تشريعية هى مناط الإعجاب ومنها ، يستجيب الفقه الإسلامى لجميع مطالب الحياة ، وأنحى المؤتمر باللائمة على فقهاء الإسلام فى العصر الحالى لأنهم لم يسيروا سيرة عصر النهضة الذى كان الاجتهاد بارزا فيه(١) .

و قد طال الكلام حول أهميـــة الاجتهاد و الاحتياج إليه مع أننا ذكرنا بعض المقتطفات من كلام العلماء و مختارات أقوالهم ، ولعل هذا القـدر يكشف لنا هذا الجانب من الاجتهاد إن شاء الله تعالى .

تنبيــــه : لئلا يظن أحـــد و يغتر بما قررنا من فتح باب الاجتهـــاد وإمكان سهولة البلوغ إلى درجته أنه تشريع كتشريعات الكتاب والسنة فيجب العمل به أو يجوز الاجتهاد و لكل رجل فى كل الأمور وفى كل الأوقات ، كلا ثم كلا ، فنرى من الضرورى أن نتنبه ونلاحظ :

(١) تاريخ التشريع الإسلامى ص ٢١٠ ، ٢١١

أولا: أن الاجتهاد ليس تشريعا، فلا يجوز أن يقال في الأحكام التي بالاجتهاد هذا حرام، وهذا حلال وهذا مباح وغير ذلك وقد تقدم في قوله عليه السلام[1].

إذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، كم لا تدرون ما يحكم الله فيهم ولكن انزلوهم على حكمكم.

وكذلك قال ابن القيم رحمه الله:

لا يجوز أن يقول لما أداه اجتهاده، ولم يظفر فيه بنص عن الله سوله إن الله حرم كذا وأوجب كذا وأباح كذا[2].

ونقل أيضا عن الربيع بن خيثم: إياكم أن يقول الرجل بشيء: أن الله م هذا أو نهي عنه. فيقول الله: كذبت لم أحرمه ولم أنه عنه، وقد روى مالك: كان يقول فيما يسئل عنه ويجتهد:

إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين.

وذكر السيد محمد رشيد رضا في تفسيره:

إن الأحكام الاجتهادية التي لم تثبت بالنص القطعي الصريح رواية لالة لا تجعل تشريعا عاما إلزاميا[3].

ثانيا: أنه لا يجوز لكل واحد من الناس أن يجتهد ويقيس في الأمور عية لأن هذه المهمة ليست إلا لمن حصل آلة الاجتهاد وهي من أهم شروط جتهاد كما ذكرنا.

---

(١) الفقيه والمتفقه ١/١٣٩

(٢) اعلام الموقعين ١/٤٤

(٣) تفسير المنار ١/١١٨

ثالثا: أنه لا يجوز الاجتهاد فى الأمور القطعية من الدين كالعقائد وأصل الايمان ولا فى العبادات التى نص عليها القرآن والحديث كما صرح بذلك جميع أهل الأصول، وقال السيد محمد رشيد رضا رحمه الله:

لا اجتهاد فى العقائد ولا قياس فى أصل الايمان... فالله تعالى قد حدد الحدود وبين الحلال والحرام وسكت عن أشياء رحمة بنا غير نسيان منه عز وجل ونهانا نبيه أن نبحث عما سكت عنه وأن نزيد فى الدين برأينا واجتهادنا وإنما أباح لنا الاجتهاد لاستنباط ما تقوم به مصالحنا فى الدنيا[1].

رابعا: لا يجوز الاجتهاد إلا للضرورة والاضطرار إليه عند عدم وجود النص فى المسألة من القرآن والسنة والاجماع كما هو ثابت من فعل النبي ﷺ وقوله وأفعال الصحابة رضى الله عنهم وأقوالهم كما هو المشهور فى قول معاذ رضى الله عنه للرسول عليه السلام عند عجزه من معرفة النص: أجتهد رأيى ولا آلو[2].

ويشهد على ذلك قول الشافعي رحمه الله:

ونحكم بالاجماع ثم بالقياس وهو أضعف من هذا، ولكنها منزلة ضرورة، لأنه لا يحل القياس والخبر موجود، كما يكون التيمم طهارة فى السفر

(١) تفسير المنار ٣٢٨/٣

(٢) هذا الحديث تكلم فى صحته علماء الحديث فقيل: إنه روى عن أصحاب معاذ وهم مجاهيل، وقد أجاب الخطيب عنه وقال بشهرته وأنه يصح الاستدلال به، كتاب الفقيه والمتفقه ١٨٩/١، ١٩٠. وقال ابن القيم: فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ فلا يضره ذلك لأنه يدل على شهرة الحديث. إعلام الموقعين ٢٠٢/١

عند الإعواز من الماء ولا يكون طهارة إذا وجد الماء، إنما يكون طهارة في الإعواز[١].

وقال الإمام أحمد: سألت الشافعي عن القياس فقال: عند الضرورة[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله:

اجتهاد الرأي إنما يباح للمضطر كما تباح له الميتة والدم عند الضرورة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)[٣].

خامسا: ويجب على المجتهد أن يرجع إلى النص إذا ظهر بعد اجتهاده كما يدل على ذلك أفعال الرسول ﷺ وآثار الصحابة رضي الله عنهم، ومن أمثلته أمره ﷺ لأصحابه بفسخ الحج في العمرة:

لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة[٤].

ومنها قول الشافعي:

قال لي قائل: دلني على أن عمر عمل شيئا ثم صار إلى غيره لخبر نبوي قلت له: حدثنا سفيان عن الزهري عن ابن المسيب أن عمر كان يقول: الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يورث الضبابي من ديته فرجع إليه عمر[٥].

---

(١) الرسالة للشافعي ص ٥٩٩، ٦٠٠ (١٨١٧)

(٢) اعلام الموقعين ٣٢/١ — ٢٦٥/٢

(٣) أيضا ٢٦٥/٢ — البقرة ١٧٣

(٤) رواه البخاري و مسلم في كتاب الحج.

(٥) اعلام الموقعين ٢٦٠/٢

و يدل أيضـــا على ذلك ما كتب عمر إلى أبي موسى الأشعـــري في القضاء قوله :

لا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن ترجع فيه الحق فإن الحق قديم ولا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[١] .

سادساً : اتفق العلماء على أن المجتهد إذا اجتهد فغلب على ظنه الحكم لم يجز له تقليد غيره كما ذكر الأصوليون[٢] .

واختلفوا إذا لم يجتهـــد بعد أو عجز في بعض المســائل فقيـل : يجوز له تقليد غيره في تلك المسائل المشابهة بالعامي ، وقيل : لا يجوز ، وذهب القــاضي أبو بكر وأكثر الفقهاء إلى منع تقليد العالم للعالم سواء كان أعلم منه أو لم يكن وهو المختار . ذكره الآمدي . والله أعلم بالصواب .

(يتبع)

(١) اعلام الموقعين : ١/١١٠ وروى هذا الكتاب أحمد و الدارقطني والبيهقي انظر سبل السلام ٤/١١٩ .

(٢) انظر روضة الناظر ص ٢٠٢ ، والاحكام للآمدي ٤/٢٢٢ ، و المستصفى للغزالي ٢/٣٨٤ ، ومسلم الثبوت على ذيل المستصفى للغزالي ٢/٣٩٢ .

انحطاط المسلمين وعلاجه

عبد النور عبد الخالق

مما يؤسفنا جدا أن كثيرا من المسلمين الذين يدّعون الاخلاص والطاعة لله تعالى ورسوله ﷺ بالرغم من اعراضهم عن كثير من أحكام الإسلام وواجباته، يشتكون من كثرة المصائب والآلام والمشاكل التي تواجه الأمة الإسلامية في العالم كله.

ولكن يتحتم علينا بدلا من كثرة الشكوى أن نبحث عن الأسباب والعلل التي تسببت هذه الآلام والمشاكل، فاننا اذا عرفنا الأسباب والعلل أمكننا معالجة تلك الآلام وايجاد الطرق للتغلب على المشاكل، ولذلك إذا فكرنا بشيء من الإمعان وجدنا الأسباب كثيرة والعلل متنوعة، ومن تلك الأسباب والعلل على سبيل المثال لا الحصر.

ان الأمة الاسلامية ابتليت بتقليد الحضارة الغربية تقليدا أعمى بحيث كل ما أتى من الغربيين قبلته بقبول حسن دون النظر إلى حسنه وقبحه، ومع العلم بأن الحضارة الغربية إن أحرزت في بعض جوانب الحياة بعض النجاح فانها فشلت في كثير من جوانبها الأخرى، حيث بلغت بالإنسانية إلى الحضيض، فالغربيون بأنفسهم بدأوا يحسون بذلك ويريدون الخروج من هذا الحضيض.

ومن هذه الأسباب والعلل أيضا أن الأمة الإسلامية الحبيبة مصابة بالتفرق والاختلاف الشديد، ومن المعروف لدى الجميع أن التشتت والافتراق لا ينتج عنهما الا الضعف والهوان والذلة. وقد صرح بذلك القرآن الكريم

حيث قال : ﴿ وأطيعوا الله ورسولـه ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (سورة الانفال : ٤٨) .

ومنها نبذ ما عاهدوا الله تعالى عليه بأنهم لا يشركون في عبادته أحدا ، ولكنهم وقعوا في شراك الجهل والشرك بالله تعالى ؛ وتركوا الجهاد الذى وصفه النبي ﷺ بأنه ذروة سنام الاسلام . وقد استفاضت الأحاديث النبوية الصحيحة في فضل الجهاد ، وأن الأمة اذا تركت الجهاد ، سلطت عليها الذلة والهوان .

ومنها أن المسلمين أصيبوا اليوم بمرض التخـاذل بحيث لا يحسون بآلام اخوانهم المسلمين ، فكثير منهم يقتلون ويذبحون ظلما وعدوانا ، وتسفك دماءهم ويحطم كيانهم وتنتهك أعراضهم ، الا انهم مطمئنون في أماكنهم ، كأنه لم يقع شيء ، وإذا أعاروهم عناية فيسكب قطرات من الدموع ، ولا يزيدون علي هذا . والنصوص من الكتاب والسنة تدل على أن المسلمين جميعا هم كجسد واحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . و إن قتل نفس مسلمـة أعظم وأهم عند الله من كل شيء على أديم الأرض .

و منها أن المسلمين أقبلوا بشدة على المادة والمـال ، وتكالبوا على اللذائذ والمتعات ، وركزوا اهتمامهم حول الزينـة والترف ، ومن هنـا قلت عنـايتهم بالدين ، وضعفت عزيمتهم في التمسك بأحكامـه والتضحية لأهدافه ، حتى صدق عليهم أنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة مع أنهم كانوا مأمورين بالعمل للآخرة وايثار جانب الدين على الدنيـا . والمؤسف بهذا الصدد أن المسلمين يستخدمون الدين وسيلة للحصول على الدنيا ، ويتغافلون عن الأهداف السامية التي خلقوا لأجلها .

وبعد معرفة الأسباب والعلل يسهل علينا معالجة أمراض الأمة وآلامها ، وايجاد السبل للتغلب على المشاكل والمحن التي حاقت بالمسلمين ، فعلينا بدلا من رفع الشكوى الى الغير و الاستغاثة بالمخلوقين مهما بلغوا ، أن نخلع قلادة التقليد

الغرب والشرق عن أعناقنا، ولا نخضع لأصحاب القوى العظمى ونتذلل أمامهم،
بل يجب علينا أن نجدد عهد الطاعة لله ولرسوله، ولا نعرض عن أحكامهما،
وأن نجتنب الاختلاف والتشتت وكل ما يؤدى إلى ذلك، ونبذل كل
ما فى وسعنا لم شمل المسلمين وتوحيد صفوفهم حتى نكون موحدين مجتمعين.

وكذلك يجب علينا أن نذكر ما عاهدنا الله تعالى عليه من عدم الشرك
به وعدم مخالفة أوامره، وأن نعود أنفسنا على الجهاد والمثابرة فى سبيل طاعة
ربنا ورفع كلمة التوحيد.

وكذلك يجب على الأمة الإسلامية، اذا أرادت الخروج من المآزق
والشدائد، أن تبتعد عن طريق التخاذل، ويجب أن تكون متحابة فيما بينها
حيث يشعر أفرادها بآلام اخوانهم الآخرين، ويجتهدوا بكل ما يستطيعون فى
إزالتها. فهذا هو الذى يضمن لأن يعيد لها كرامتها وعزها ومجدها كما كان
الأمر فى السابق، ويؤكد لنا ذلك سيرة سلفنا الصالح، فهم جمعوا بين هذه
الأمور، فنالوا بها العز والكرامة والمجد والشرف، وكانت لهم السيادة والقيادة.

فاعلموا أيها المسلمون! أن السيادة والقيادة تكون فى أيديكم ولكن
بشرط أن تكونوا مؤمنين منقادين لأوامره سبحانه وتعالى، واقرؤا إن شئتم
قول الله: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا، وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين﴾
(سورة آل عمران: ١٣٩).

وأخيرا نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأن نكون مطيعين لأوامره، منقادين
لأحكامه، ولأن نجتنب الفحشاء والمنكر وكل ما يؤدى إلى الذلة والهوان،
انه سميع مجيب؟

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧) — محرم ١٤١٦ هـ

العدد السادس — يونيو ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهري

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة
بی ١٨/١ جی ، ريوڑی تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,
B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑی تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA
B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوي : في الهند ٦٠ روبية ، في الخارج ٣٦ دولارا (بالبريد الجوي)
١٥ دولارا (بالبريد العادي) ثمن النسخة : ٥/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨ / ٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

- مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، في تعمق ووعي وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

- إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام في معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

- التوجيه الديني السليم للسلمين في القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحيـة :

وضع الأقلية المسلمة فى الهند

(نثبت هنا جزءا من التقرير الذى أعد سابقـا ، والمقارنة بين ما ورد فيه وبين الحالة الراهنة توضح أن حالة الأقليـة المسلمة لم تتحسن مع الادعاءات العريضة التى تظهر هنا وهناك بهـذا الصدد ، والمشتكى الى الله) .

يتلخص النشاط الاسلامى فى النقاط التالية :

١ – تنظيم التعليم الاسلامى فى مدارس أهلية أو شبه رسميـة بمراحل مختلفة من الابتدائية والاعدادية والثانوية والكلية وتحفيظ القرآن الكريم .

ومواد الدراسة فى هذه المدارس بعد المرحلة الابتدائية تكون عبارة عن قواعد اللغة العربية وآدابها ، والبلاغـه والعروض وتفسير القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ومصطلح الحديث ، والتوحيد والعقيدة ، والفقه وأصول الفقه ، والفرائض ، والتاريخ الاسلامى ، والمنطق والفلسفة ، واللغة الانجليزية .

٢ – القيـام بالدعوة والوعظ والارشاد ، وذلك بالقاء خطب الجمعة والدروس الدينية فى المساجد .

وبعقـد اجتماعات مفتوحـة عامة يلقى فيها العلماء والدعاة كلماتهم حول الموضوعات الاسلامية .

وبتنظيم جولات دعوية لمختلف المدن والقرى يتصل فيها الدعاة بالمدعووين ويرشدونهم ويوجهونهم الى تعاليم الاسلام وأهدافه .

والمساهمة فى هذا النشاط الدعوى تتكون من العلماء الذين تعينوا مدرسين فى المدارس الاسلامية ، ومن العلماء الذين ينتمون الى المنظمات التى تعمل لصالح المسلمين ، ومن العلماء الذين ليسوا مرتبطين بأية جهـة من الناحية الوظيفيـة ، ولكنهم شعورا بالمسئولية يقومون بالدعوة والارشاد .

٣ — نشاط التأليف و الكتابـة : ان المسلمين يصدرون جرائد ومجلات باللغات المحلية المعروفة فى مختلف مناطق الهند ، وهذه الجرائد و المجلات معظمها تتبع المدارس والمؤسسات الاسلاميـة ، وبعضها شخصية ، وكذلك معظمها تهتم بالشئون الدينية للمسلمين ، و بعضها تهـدف الى السياسة فقط . ويبلغ عددها نحو (٦٥) .

وكذلك لهم نشاط ملموس فى اعـداد و نشر الكتب الاسلاميـة التى تتناول الموضوعات المختلفـة من العقائد و العبادات و المعاملات و الأخلاق و الثقافة العامة .

ويتمثل هذا النشاط فى ترجمة معانى القرآن الكريم بمختلف اللغات المحلية ، وتراجم كتب الصحاح الستة وكتب السيرة والكتب الاسلامية الأخرى .

و فى المؤلفـات المستقلة التى تتناول موضوعات العقيـدة و العبـادات والأحكام والآداب .

وفى المؤلفات التى تهدف الى الرد على النصارى و الهندوس و القاديانيـة والفرق المنحرفة الضالة التى نشأت قديما أو حديثا فى البلاد .

وفى كتب التوجيه العام للمسلمين ، وفى الكتب التى تؤلف للغرض الدراسى .

الحالة الاقتصادية : لاستعراض حالة المسلمين الاقتصاديـة ينبغى أن نلقى نظرة على طبقات المسلمين التى توجد فى المجتمعات الهندية .

فأولا : نلق نظرة على طبقة المسلمين التى تعيش فى أرياف الهند وقراها الصغيرة .

تعتمد أغلبية هـذه الطبقـة على الزارعة ، وذلك اما بامتلاك الاراضى الزراعية أو بالعمل فى الزراعة على الأجرة . والزراعة فى الهند تعتمد الى الآن على الطريقة البدائية ، ولم تتقدم مثل البلاد الأوربية والامريكية . و المسلمون فى الزراعة لايعتبرون أقل من غيرهم من المزارعين فى الانتاج الا من ناحية أن المزارعين الهندوس يتلقون معونات وقروضا من الحكومة ، والمسلمون يكرهونها لانها تنبنى فى الأغلب على التعامل الربوى .

والمسلمون المزارعون الذين يمتلكون الأراضى الزراعية حالتهم الاقتصادية حسنة ، فانهم بجانب الزراعة يمارسون بعض الأعمال التجارية فى المدن أيضا .

أما المسلمون الذين يعيشون فى القرى و يمارسون أعمال الزراعة كعمال فى حقول الآخرين فحالتهم الاقتصادية سيئة جدا ، وهم يتعرضون أحيانا لظلم الطبقـة الغنية . انهم لايجدون بيوتا للسكنى الا على المستوى المنحط . وكذلك مستوى معيشتهم الاقتصادى والصحى منحط جدا ، فان الأرياف الهندية لم تتلق الى الآن التسهيلات الكافية فى مجال الصحة والاقتصاد ، وهم لايملكون من المادة ما يعينهم على المعالجة فى المدن و ممارسة عمل لتحسين الحالة الاقتصادية .

والعمال الذين يعيشون بالزراعة فى الأرياف يشكلون نسبة ثلاثين فى المائة من المسلمين الساكنين فيها على وجه التقريب .

أما المسلمون الذين لايشتغلون بالزراعة من الطبقة التى تعيش فى الارياف فهم يعتمدون على بعض الصناعات اليدوية الصغيرة من صنع البسكويت و السكر (النوع العادى) وصناعة النسيج القطنية العادية والسجاجيد الصوفية .

وثانيا : نتناول موضوع طبقة المسلمين التى تعيش فى المدن و القرى الكبيرة ، وتعتمد على التجارة أو العمل بالأجرة للحصول على قوته اليومى .

فالمسلمون الذين يعيشون بالتجارة ويمارسونها على المستوى العالى ، يشكلون تقريبا نسبة خمس فى المائة من مسلمى المدن ، وحالتهم الاقتصادية حسنة جدا ، مع أنهم يلاقون بعض التفرقة فى المعاملات والتسهيلات الحكومية ، ولكنهم يتمكنون من التغلب عليها باستخدام المادة المتوفرة لديهم .

أما التجار على المستوى المتوسط والمنحط فانهم يواجهون كثيرا من المشكلات ، وحالتهم الاقتصادية تتدرج الى الضعف والانحطاط بدل التحسن .

والسلع التجارية المعروفة التى يتجر فيها المسلمون هى : الجلود و الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية والحبوب و الفواكه و البسط والسجاجيد واللحوم والخضروات والملابس الجاهزة والتبغ ومصنوعاته والمطاعم وأدوات الزينة والتجميل والكتب والمطابع .

أما التجارة الخارجية بتصدير السلع فمعظمها فى أيدى الهندوس ، وقليل من المسلمين يملكونها .

وثالثا : والعمال فى المدن ، سواء كانوا فى الأعمـــال الحكومية أو الشخصية ليست حالتهم الاقتصـاديـــة على سبيل العموم حسنة ، بل يعـــانون كثيرا من المشكلات ، وخاصة فى عصر غلاء الحاجيات وارتفاع الأسعار .

أما العمال فى القرى والأرياف فهم أحط مستوى فى المعيشـــة ، وحالتهم تلفت النظر من نواح عديدة ، فالأجرة التى تحصل لهم لاتسد حاجاتهم الأساسية ، ولذلك لا يستطيعون تعليم أولادهم ولا تدريبهم على صناعـــة تدر عليهم المال ولو قليلا . وكل من يقوم بجولة فى أرياف الهند يرى ذلك واضحا ، ان ضعف الحالة الاقتصادية والجهل قد فرضا عليهم عيشة البؤس والمسكنة .

ولاشك أن برامج الحكومـــة الاقتصادية قد ساعدت فى تغيير الوضع

المذكور الى حدما ، ولكن كثرة السكان وفشو الخيانة والسرقة فى توزيع المعونات الحكومية وتسهيلاتها تضيق نطاق الاستفادة من هذه الفرص بطريقة ملموسة .

والتسهيلات التى تحصل لهم فى مجال الصحة والمعالجة فانها لا تذكر بالنسبة الى احتياجات السكان وحالتهم الصحية . ومثل هذه المشكلات فى المجتمع الهندى معروفة منذ مدة و لدى الجميع .

ورابعا : أما التوظف فى الوظائف الرسمية فعدد المسلمين فيها قليل جدا ، أى لايقبلون بالنسبة التى يمثلونها بين سكان البلاد ، وخاصة بعد استقلال الهند وانقسامها . أما المسلمون الذين كانوا موظفين فى الوظائف الرسمية فهم يسهلون تعيين بعض أقاربهم ومنتسبيهم فى هذه الوظائف . وهذه نقطة حساسة وموضوع دقيق شائك . فإن الذى يدعى قلة نسبة المسلمين فى الوظائف الرسمية لايستطيع أن يظفر بدليل مكتوب أو مسجل على هذه الدعوى سوى الاحصائيات التى يجمعها من هنا وهناك للتعيينات التى تتم فى مختلف المصالح والمؤسسات الحكومية . ثم ينظر فيها عدد المسلمين ويستخرج نسبتهم من هذا المجموع . ولكن الملموس المشاهد أن المسلمين قل عددهم فى الوظائف الرسمية بعد الاستقلال بطريقة ملموسة ، فى حين ازداد عدد بعض الطبقات التى صارت موضع عناية الحكومة ومساعدتها لسبب أو آخر بعد الاستقلال .

أما الوظائف غير الرسمية فيقل فيها أيضاً عدد المسلمين ، و السبب المباشر فى ذلك أن المصانع والمؤسسات الكبيرة التى توجد فيها هذه الوظائف يملكها كلها أو معظمها الهندوس ، وهم لايحبون توظيف المسلمين فيها تعصبا . وهذه التفرقة فى الوظائف ، رسمية وغير رسمية ، تكثر فى جميع أقطار الهند سوى القطر

الجنوبى ، فان العصبية هناك ضعيفــة ، ولذلك نرى الحالة الاقتصادية للسلمين فى الجنوب أحسن منها فى الشمال ، ونسبتهم فى الوظائف أكبر .

وما يواجه المسلمين من المشكلات فى مجال الاقتصاد والصحة لا يقلق كثيرا ، فانها تنحل بعد مجهود أو بمرور الأيام وتيقظ المسلمين ، ولكن المشكلة العويصة التى عجز القادة والزعماء المسلمون عن وجود حل لها هى مشكلة الاضطرابات الطائفية ، فانها موجهة مباشرة الى المسلمين ، و هم هدفها وغرضها ، تقتل فيهــا نفوسهم وتنهب أموالهم وتحرق بيوتهم ، ومشهد هذه الاضطرابات ضد المسلمين لا يستطيع أحد فى الحقيقة أن يتصور تماما من الذين لم يشاهدوه ، منظر رهيب وحالة مفزعة ، يسود قانون الغابة فى المجتمع البشرى ، يأكل الانسان الانسان ، و يجسد الوحشية والهمجية التى لايرى مثيلها فى التاريخ .

والذى يعقد هذه المشكلة أكثر فأكثر هو موقف البوليس والسلطة من الشعب أثناء الاضطرابات ، فانه يغمض العين عن المجرمين و يفسح المجـــال للشاغبين ، ومن هنا نرى الوضع يتدهور زمن الاضطرابات الى أن ينشط الجيش لاعادة الوضع الى مجراه الطبيعى وللضرب على أيدى المجرمين .

ويتضح دور السلطة والجيش فى أمر الاضطرابات بأنها اذا تنبهت ونشطت فإن الاضطرابات لا تجد سبيلها الى الوقوع مهما ساءت الظروف ، ولكنها حينما أهملت وتكاسلت فى أداء واجبها فانها تقع وتعم مثل حريق الغابة ● ●

(د / مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

أنواع التوحيد الذي بعث الله به الرسل عليهم الصلاة والسلام

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارة البحوث العلمية والافتاء

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى بعث رسله عليهم الصلاة والسلام دعاة للحق وهداة للخلق بعثهم مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا لأممهم وصبروا على أذاهم وجاهدوا في الله حق جهاده ، حتى أقام الله بهم الحجة وقطع بهم المعذرة .

كما قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (سورة النحل آية ٣٦) وقال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء آية ٢٥) وقال سبحانه : ﴿واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ (الزخرف الآية ٤٥) فبين سبحانه في

هـذه الآيات أنه أرسل الرسل ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده ويحذروهم من الشرك به و عبادة غيره ، و قـد بلغ الرسل عليهم الصلاة و السلام ذلك ودعوا إلى توحيد الله في عبادته فأرسوا لأممهم قواعد العدالة والبر والسلام ونجحوا في مهمتهم غاية النجاح ، لأن مهمتهم هي البلاغ والبيان ، أما الهداية للقلوب وتوفيقها لقبول الحق فهذا بيد الله سبحانه ليس بيد الرسل ولا غيرهم كما قال الله عز وجل : ﴿ ليس عليك هداهم و لكن الله يهـدي من يشاء ﴾ (البقرة الآية ٢٧٢) وقال سبحانه : ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ (النحل الآية ٣٥) ، وقال سبحانه : ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد الآية ٢٥) ولاسيما خاتمهم و إمامهم و أفضلهم نبينا محمد ﷺ ، فإنه قد نجح في دعوته أعظم نجاح وأكمل الله له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة وجعل شريعته شريعة كاملة عامة لجميع الثقلين منتظمـة لجميع مصالحهم العـاجلة و الآجلـة كما قال الله عز وجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة الآية ٣) ، وقال سبحانه : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (سبأ الآية ٢٨) وقال عز وجل : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات و الأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسولـه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (الأعراف الآية ١٥٨) وقد أجاب الرسل الأقلون وكفر بهم الأكثرون جهلا وتقليـدا للآباء والأسلاف ، واتباعا للظن والهوى كما قال سبحانه : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عبـاد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ، وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا

يخرصون ، أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ، فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (الزخرف الآيات ١٩—٢٥) وقال تعالى لما ذكر اللات والعزى ومناة: ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ (النجم الآية ٢٣) والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقد يحمل بعضهم على التكذيب والمخالفة الحسد والبغى والاستكبار ، مع كونه يعرف الحق كما جرى لليهود فإنهم يعرفون محمداً عليه الصلاة والسلام كما يعرفون أبناءهم ولكن حملهم البغى والحسد وإيثار العاجلة على تكذيبه وعدم اتباعه وكما جرى لفرعون وقومه . قال الله تعالى عن موسى أنه قال لفرعون : ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ (الإسراء الآية ١٠٢) وقال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ (النمل الآيتان ١٣ ، ١٤) وقال سبحانه عن كفار قريش فى تكذيبهم محمد ﷺ : ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ (الأنعام الآية ٣٣) وقد كانوا يعرفونه فى الجاهلية بالصدق والأمانة ويسمونه الأمين ويشهدون له بالصدق ، فلما جاءهم بخلاف ما عليه آباؤهم وأسلافهم أنكروا عليه وكذبوه وعادوه وآذوه وقاتلوه ، وهذه سنة الله فى عباده مع الرسل ودعاة الحق يحتجون

ويكذبونهم ويعادونهم ثم تكون لهم العاقبة ، كما شهدت بذلك الآيات المحكمات ، والأحاديث الصحيحة والوقائع المعروفة قديما وحديثا ، وكما شهد هرقل عظيم الروم لما سأل أبا سفيان عن حال النبي ﷺ وسيرته وكيف الحرب بينهم وبينه فقال أبو سفيان : إنها بينهم وبينه سجال يدال عليه ويدال عليهم فقال هرقل : هكذا الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة .

وقد وعد الله الرسل وأتباعهم بالنصر والتمكين وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة كما قال عز وجل : ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ (الصافات الآيات ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣) وقال سبحانه : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (غافر الآيتان ٥١ ، ٥٢) وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ (محمد الآيات ٧ ، ٨ ، ٩) وقال عز وجل : ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ (الروم الآية ٤٧) ، وقال سبحانه : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور الآية ٥٥) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ومن تأمل سنة الله في عباده علم صحة ما دلت عليه هذه الآيات من جهة الواقع كما قد علم ذلك من جهة النقل وإنما يصاب أهل الإسلام في بعض الأحيان بسبب ما يحصل منهم من التفريط

بالتفريط في أمر الله وعدم الإعداد المستطاع لأعدائهم ولحكم أخرى وأسرار عظيمة كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾ (الشورى الآية ٣٠) وقال سبحانه فيما جرى يوم أحد ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير﴾ (آل عمران الآية ١٦٥) وقال عز وجل: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ (النساء الآية ٧٩) ومن يتأمل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وحال الأمم الذين دعتهم الرسل يتضح له أن التوحيد الذي دعوا إليه ثلاثة أنواع، نوعان أقر بهما المشركون فلم يدخلوا بهما في الإسلام وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، أما توحيد الربوبية فهو الإقرار بأفعال الرب من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة إلى غير ذلك من أفعاله سبحانه فإن المشركين قد أقروا بذلك واحتج الله عليهم به لأنه يستلزم توحيد العبادة ويقتضيه كما قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ (العنكبوت الآية ٦١)، وقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ (الزخرف الآية ٨٧)، وقال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس الآية ٣١) المعنى فقل أفلا تتقون الإشراك به في عبادته وأنتم تعلمون أنه الفاعل لهذه الأشياء وقال تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل أفلا تذكرون. قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ (المؤمنون الآيات ٨٤-٨٩).

والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها دالة على إقرارهم بأفعال الرب سبحانه ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، كما تقدم لعدم إخلاصهم العبادة لله وحده وذلك حجة عليهم فيما أنكروه من توحيد العبادة لأن الخالق لهذه الأشياء التي أنكروها هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له .

أما النوع الثاني وهو توحيد الأسماء والصفات فقد ذكر الله ذلك في آيات كثيرات ولم ينكره المشركون سوى ما ذكر عنهم من إنكار الرحمن في قوله تعالى : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ (الرعد الآية ٣٠) .

وهذا منهم على سبيل المكابرة والعناد وإلا فهم يعلمون أنه سبحانه هو الرحمن كما وجد ذلك في كثير من أشعارهم ، قال الله سبحانه : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ (الحشر الآية ٢٢) وقال الله عز وجل ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (الإخلاص كاملة) ، وقال سبحانه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى الآية ١١) وقال عز وجل ﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ﴾ (الفاتحة الآيات ٢ ، ٣ ، ٤) وقال سبحانه : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (النحل الآية ٧٤) والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها دالة على أن الله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى وله الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شريك له في ذلك . وقد أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ الصحيحة من الأسماء والصفات وإمرارها كما جاءت ، والإيمان بأن الله سبحانه موصوف بها على الحقيقة لا على المجاز على الوجه اللائق به لا شبيه له في ذلك ولا ند له ولا كفو ولا يعلم كيفيتها إلا

هو سبحانه وهو الموصوف بمعانيها كلها على الكمال المطلق الذى لايشابهه فيها أحد كما تقدم فى قوله عز وجل : ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى الآية ١١) وهذا النوع حجة قاطعة على استحقاق ربنا سبحانه العبادة كالنوع الأول.

أما النوع الثالث فهو توحيد العبادة وهو الذى جاءت به الرسل ونزلت الكتب بالدعوة إليه والأمر بتحقيقه وخلق الله من أجله الثقلين وفيه وقعت الخصومة بين الرسل وأممهم، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل الآية ٣٦)، وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء الآية ٢٥) وقال عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام أن كل واحد منهم قال لقومه: ﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ (الأعراف الآية ٧٣)، وقال سبحانه: ﴿ وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾ (العنكبوت الآيتان ١٦، ١٧). وقال سبحانه : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات الآية ٥٦)، وقال عز وجل: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة الآية ٢١)، وقال عز وجل ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ (الإسراء الآية ٢٣) وقال سبحانه: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة الآية ٥)، والآيات فى هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على أن الله سبحانه أرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الخلق ليعبد وحده لا شريك له ويخص بالعبادة دون كل ما سواه.

وقد تنوعت عبادة المشركين لغير الله ، فمنهم من عبد الأنبياء والصالحين ومنهم من عبد الأصنام ومنهم من عبد الأشجار والأحجار ومنهم من عبد الكواكب وغيرها ، فأرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب لإنكار ذلك كله، ودعوة الخلق كلهم إلى عبادة الله وحده دون كل ما سواه فلا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا به ولا يتوكل إلا عليه ولا يتقرب بالنذور والذبائح إلا له عز وجل ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة وهى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وقد زعم المشركون أنهم قصدوا بعبادة الأنبياء والصالحين واتخاذهم الأصنام والأوثان آلهة مع الله زعموا أنهم إنما أرادوا بذلك القربة والشفاعة إلى الله سبحانه فرد الله عليهم ذلك وأبطله بقوله عز وجل : ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (يونس الآية ١٨) ، وقال عز وجل : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ماهم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾ (الزمر الآيتان ٢ ، ٣) .

ولما دعا نبينا محمد ﷺ قريشاً وغيرهم من كفار العرب إلى هذا التوحيد أنكروه واحتجوا على ذلك بأنه خلاف ما عليه آباؤهم وأسلافهم كما قال سبحانه ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب ﴾ (ص الآيتان ٤ ، ٥) ، وقال سبحانه : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ (الصافات الآيتان ٣٥ ، ٣٦) ، قال الله سبحانه :

﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ (الصافات الآية ٣٧) والآيات الدالة على كفرهم واستكبارهم وعنادهم كثيرة جداً قد سبق ذكر الكثير منها.

فالواجب على الدعاة إلى الله سبحانه أن يبلغوا عن الله دينه بعلم وبصيرة، وأن يصبروا ولا ييأسوا وأن يتذكروا وعد الله رسله وأتباعهم بالنصر والتمكين فى الأرض إذا نصروا دينه وثبتوا عليه واستقاموا على طاعة الله ورسوله، كما تقدم ذكر ذلك فى الآيات المحكمات وكما جرى لنبينا محمد ﷺ فقد أوذى وعودى من القريب والبعيد فصبر كما صبر الرسل قبله واستمر فى الدعوة إلى ربه وجاهد فى الله حق الجهاد وصبر أصحابه وناصروه وجاهدوا معه حتى أظهر الله دينه وأعز جنده وخذل أعداءه ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، سنة الله فى عباده، فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، كما قال تعالى: ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ (المائدة الآية ٥٦) وتقدم قوله عز وجل: ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ (الروم الآية ٤٧)، وقوله سبحانه: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾ (النور الآية ٥٥) وقال سبحانه: ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (هود الآية ٤٩)،

وأسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلى كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين ويجمع قلوبهم على الحق وأن يفقههم فى دينه وأن يصلح قادتهم ويجمعهم على الهدى ويوفقهم لتحكيم شريعته والتحاكم إليها والحذر مما خالفها إنه جواد كريم.. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

دروس مستفـادة

بقلم/ د. محمد بن سعد الشويعر

صورة عادية تناقلتها وكالات الأنباء العالمية، وصدرت في بعض صحفنا أيام معركة تحرير الكويت، قد تمر بكثير من الناس دون لفت نظر، لكنها تركت في نفسي أثرا، وفي نفوس كثير من أبناء الاسلام المحبين لانتشار رايته خفاقة في الآفاق، وجذوره متغلغلة في القلوب.

تلك الصورة تمثل جنديا أمريكيا يؤدي الصلاة في الصحراء، مبتهلا إلى ربه، مطمئنا في عمله، قد وضع سلاحه أمامه، ليكون سترة له حسب السنة، وقريبا من متناوله إذا دعت إليه الحاجة، هذه الصورة جعلتني أجول بخاطري في عمق الاسلام، ودوره في اصلاح النفوس، وأثر المتحدثين فيـه بغير علم سلبيـا. وما يتركه المسلم الممتثل من إيجابيـات ومحبة لهـذا الدين، حتى لو لم يدع إليـه بلسانه، لأن العمل خير سلاح يتغلغل القلوب، وخير طريق ترتاح إليه النفوس الطيبة، والأفئدة السليمة.

ذلك أن الهداية من الله كما قال سبحانه: ﴿ومن يضلل الله فما له من هـاد﴾ [٢٣ غافر] والبشر دورهم تبليغ شرع الله قولا وعملا، لتقوم الحجة على من عرف، ويدان من لم يستجب، سواء كان هؤلاء البشر أنبياء أو دعاة أو غيرهم من بني آدم كما قال سبحانه عن نبيـه الكريم ﷺ: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ [٤٨ الشورى] وهي رسالة الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام

كما فى قوله تبارك وتعالى : ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ [٣٥ النحل]
ومن هنا ومن نصوص القرآن الكريم ، فإننـــا نعيب على أولئك المتشنجين فى
حماستهم الخفلة ، والمضللة ، عندما جاءت القوات الشقيقة والصديقة ، لتساعد
فى ردع الظلم ، وإعادة الكويت المسلوبة إلى أصحابها ، فأفتوا بغير عــلم ،
وحجزوا الاسلام على فئة معينة ، لم تعرف فى يوم من الأيام مدافعــة عنه ،
ولا بذلت غيرة عليــه ، بل عرف عن تلك الأصوات التى تبعها الناعقون من
دون روية ، والقول بغير علم أو دراية ، عرف عنها محــاربة الاسلام عملا ،
وإدعاؤه فى الملمات قولا : فكأن الاسلام عندهم بضاعة من البضائع تعرض فى
المزاد العلنى وقت الحاجة ، ويدخل المستودع التخزين عنـدما تنقضى المهمة ،
فالاسلام أشمل من ذلك ، ورسالته أكبر من تلك الادعاءات ، لأنــه دين
شرعه الله للبشر ، ولايقبل من الخلق دينا سواه . فهو يخاطب العقول بتشريعاته ،
ويستولى على المشاعر بعمق دلالاته ، وقد حرصت على متابعة آثار الاسلام فى
المشاركين الأشقاء والأصدقاء ، فى التصدى للجيوش الصدامية المعتدية فوجدت
آثارا تثلج الصدر ، وتدعو إلى الاطمئنان بأن الاسلام لايزال بخير ، وأن هذه
الأمة تحوطها عنــاية الله مادامت متمسكة بدينها ، حريصة على الانطلاق من
قاعدته الصلبة ، لما مهابة فى قلوب الاعداء ، واحترام فى افئدة الأصدقاء .

فالله إذا أحب عبدا سلك حبه فى قلوب الناس ، ومن علامة محبــة الله
لعبده ، أن يكون ذلك العبد حريصا على تطبيق شرع الله ، مهتما بتنفيذ ما أمره
به دينه ، تطبيقا ومتابعة وتقيدا ، ولكى يستحق العبد المدافعة التى جعلها الله
جزاء التقيد بمنهج دين الاسلام كما فى قوله تعالى : ﴿إن الله يدافع عن
الذين آمنوا﴾ [٣٨ الحج] والنصر الذى جعله الله حقا المؤمنين كما فى قوله

تبارك وتعالى: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [٤٧ الروم] فإنه لابد أن يكون ممثلا لما يعنيه الايمـــان بأركانه الستة، ولئن أكرهنا على أمر لا نريده فإن الحكمة فيما أراده الله ألم يقل سبحانه: ﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [١٩ النساء] فقد انتهت بفضل الله الأزمة بمصالح وفوائد بتسجيل بعض الدروس المستفادة من هذه الأزمة ضمن محاضرة طلبها منى النادى الأدبي بالمنطقة الشرقيـــة، ألقيتها فى مدينة الاحساء فى شهر رمضان المبارك، لكن دروسا كثيرة ظهرت أمامى فيما بعد، ذات أثر بعيد المدى على الاسلام، ودعوة عميقة تحبب فيـــه، برز معظمها أمامى عيانا، وحدثنى بعض الاخوة المهتمين عند اللقاء بهم بنماذج منها. فمن ذلك:

ـــ حكى صاحب محطة وقود أن بعضا من العسكريين فى مرورهم به للتزود بالوقود لديهم رغبـــة فى الاستيضاح عن الإسلام وماهيته حيث لمسوا أمورا لم يعهدوها من قبل، من ذلك راحة نفوس النـاس فى هذه البلاد، واستمرار حياتهم عادية، وعدم وجود مؤثرات أو جرائم بين المواطنين أثناء الحرب، ودماثة أخلاق الناس فى هذه البلاد سواء كانوا من المسئولين أو المواطنين، واستمرار الاسعار كما هى دون نقص فى النوعيات، أو ارتفاع فى الاسعار، ووداعة الأطفال ومجيئهم للسلام على العسكريين دون خوف أو وجل، وغير هذا من أمور كلما سألنا عن سرها قيل لنا إنه الاسلام، فنحن نحب أن نعرف هذا الاسلام الذى يروض الطبع إلى هذا الحد، وكان من بينهم عسكرى يبكى، قال عنه زملاؤه لصاحب المحطة: إن من آثار ما نسأل عنـه. ماترى على هذا الرجل، فهو منـــذ ثلاثة أيام على هذه الحالة وكنا نحسب به أو بعائلته بأسا، فكان جوابه لنا، أريد من يتحدث الانجليزية ليخبرنى عن الاسلام، ولما كان

صاحب المحطة ممن عمل في أرامكو وتقاعد ، فقد كان يجيد المحادثة بهذه اللغة ، مع بساطته في العلوم الشرعيــة ، إلا أنه يعرف الاسلام تطبيقـــا ، فذهب إلى صاحبهم وتحدث إليه و فرح بذلك كثيرا ، وعلى قلة ما تلق من علوم عن الاسلام بواسطة صاحب المحطة ، فقد قال له : أريد الدخول في الاسلام و دلني على الطريق الموصل لذلك . فكان من المسلمين الجدد من ذلك اليوم .

ـ في مكة المكرمة حضرت مجلسا لأحد الأفواج التي أسلمت من القوات الصديقة ، وجاءوا بعد اسلامهم لأداء مناسك العمرة ، ثم زيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وكان عددهم يربو على الثلاثين ، حيث قيل إن هذا هو الفوج السابع الذين أدوا مناسك العمرة في شهر رمضان ، وكان مشهدا مؤثرا ، حيث أدركت دلالة الآية الكريمة : ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا مـــا أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممـــا عرفوا من الحق يقولون ربنـا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [٨٢ - ٨٣ المائدة] فقد كانوا يجهشون بالبكاء عندما يتحدث إليهم العلماء ، بما اختصهم الله به من فضل الهداية للاسلام ، كما كانوا يتأثرون من رؤية المشاهد الاسلامية ، فيقولون إننا عندما دخلنـــا مكة ، وعندما اقتربنا من الحرم الشريف ، وعندما شاهدنا الكعبــة المشرفة ، وعندما انفترنا مع الجموع المسلمــة لطوف ونسعى ، وعندما دخلنا المدينـــة المنورة ، وبعدما دخلنا مسجد رسول الله ﷺ وأدينا فيه ركعتي التحية ، وفي مرورنا على رسول الله ﷺ ، وصاحبيه للسلام ، وفي غير هذا من المواقف ، كنـــا نحس بشعور غريب لا نستطيع تحديده ولا وصفه لكم ، ونجد راحة نفسية ، ونحدده بالسلام لكوننا مسلمين في حياتنا من قبل ، وكلما نبكي في كل موقف خوفا على

أنفسنا من الضلال بعد الهداية ، وعلى أقرباننا من التفكر لهذا الدين ، وعدم الهداية إليه . وندرك فى كل موقف سر ما لاحظناه على مواطنى هذه البلاد أيام الأزمة ، ودلالة ما انطبع فى نفوسنا عن زميلنا العسكرى السعودى وشجاعته ، وهدوئه تلك الأيام العصيبة .

— والمسلمون الجدد من العسكريين الذين قيل لنا بأن عددهم زاد عن الألفين ، قد تأثر بهم وبحرصهم ورقة قلوبهم كل من احتك بهم من سائق وموظف ، وصاحب فندق وغيرهم فمن قابلهم أثروا فيه ، لكنهم جميعا يدعون الله لهم بالثبات ، كما يضع هؤلاء مشكلة يحملون اخوانهم المسلمين العطون فى حلها ، وهم الذين لم يزد عمر أكبرهم عن ثلاثين عاما ، ألا وهى مشكلة المتابعة بعد العودة لبلادهم ، وإيصال الكتاب الاسلامى إلى ذويهم قبل وصولهم ، حتى يتعرفوا على الاسلام قبل معرفتهم باسلامهم ، ثم الاهم وهو الاستجابة لتساؤلاتهم عن الاسلام ، والاجابة على الشبهات التى قد تطرح عليهم بقصد تنفيرهم عن الاسلام ، و ردهم إلى دياناتهم السابقة ، حيث لن يرضوا عنهم هذا الاتجاه الجديد، إنها مسئولية كل مسلم فى التعاون على البر والتقوى ، ومسئولية الجمعيات الاسلامية فى تلك الديار للتعرف على هؤلاء و ربطهم بالمسجد للعبادة والتعلم ، ومسئولية أهل العلم بتنظيم زيارات لتلك الديار والتعرف على عناوين المسلمين الجدد ، وتوثيق صلتهم بالاسلام : زيارة ومراسلة ، واهداء للكتب الاسلامية ، وتوجيهات ونصحا مستمرا . ألم يقل جل وعلا فى سورة الزخرف: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ [٤٤] فهى مسئولية كبيرة على كل قادر أن يساهم فيها بما يستطيع : علما أو جهلا أو مالا أو فكرا. حتى تبرأ الذمم .

— ومثلما أن شعار اليهود فى إقامة دولتهم على أرض فلسطين المغتصبة :

ادفع دولارا تقتل عربيا ، فإننا معاشر المسلمين نختلف عنهم من حيث الهدف والغاية : فهم يريدون الشر والابادة لغيرهم ، ونحن نريد الخير والحياة والهداية للاخرين وشعارنا : ادفع دولارا تنقذ مسلما . ذلك ان الاسلام من صفاته الاخوة والمحبة : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ومن مستلزماته البذل والمساعدة ، صدقة وزكاة وكفارات ونذورا لكي يتعاطف المجتمع ويلتئم شمل أبنائه .

وبالحرص على البذل ، يعمل المجتمع المترابط على كل ما فيه مصلحة للمسلمين الجدد ، لتعليمهم أمور دينهم قولا وعملا ، ووسيلة ذلك : الكتاب والنشرات ، والشريط المسموع والمرئى . ليشعر المسلم فى كل مكان أن هناك اخوانا يهتمون به ويرعون أحواله . ولكى تبقى روحانية الاسلام ماثلة فى نفوسهم دائما ، وصلتهم بدينهم موصولة بواسطة العلماء والمهتمين ، لأن المسلم الجديد فى غربة ووحشة لا يخفف وطأتها على نفسه إلا اهتمام اخوانه به ، وتفقدهم لأحواله باستمرار ، وبذلك تخف وطأة الشيطان عليه ومغالبة أعوانه من دعاة الضلال والغواية من بنى آدم .

ــ وموقف آخر له أثر عميق فى مكانة دين الاسلام عندما يلامس أوتار القلوب ، قد لا يصمد على مثله كثير من أبناء الاسلام الذين ترعرعوا فى كنفه ، فقد كان من المسلمين الجدد طبيب كبير المستوى فى فنه ، وحيث الحكمة تقول من جهل شيئا أنكره ، فقد اتهم بالجنون عندما رؤى يسجد على تراب الصحراء ، قال لقد كنت أتمنى مثل هذا الموقف لأننى قرأت عما حصل لرسول الله وأصحابه ، وتمنيت موقفا مثلهم ، وها هو بى أخف بكثير مما حل بأوليائك سأثبت إن شاء الله على دينى ، وسأوقف كل مدخراتى التى تقارب المليون دولار فى الدعوة

للإسلام، ومساعدة المسلمين فى بلادى، وحل ما يعترضهم من مشكلات، فكان موقفا يهز المشاعر لأنه يماثل صمود الصفوة الأولى من هذه الأمة، ضد التحديات التى اعترضتهم.

ـ إن الدروس المستفادة كثيرة، والوقائع كثيرة، ولعلها تتاح فرصة أخرى فى ذكر جوانب ذات أثر حيث تخاطب الوجدان، وتزيل الشبهات، وتعلى من مكانة هذا الدين فى النفوس، لأن الله قد رفع قدره وأعلى مكانته عنده، حيث لا يقبل من البشر دينا غيره. وإننا لنرجو لاخواننا المسلمين الجـدد أن يكونوا عن عناهم الله بقوله: ﴿فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [١٢٢ التوبة].

ـ والمخططون العسكريون، قد استفادوا دروسا من دور الإسلام وتعاليمه فى تقوية النفوس، والانضباط العسكرى، والقـدرة على الأداء، سيناقشونها لتصبح نظاما مستفادا يرفع من القدرة العسكرية، والكفاءة الفردية فى جيوشهم، هى فرصة لمن آتاه الله علما واسعا، وحلما وتواضعا، وأسلوبا شيقا فى العرض أن يقدم بضاعته بالأسلوب الذى يفهمه أولئك، فلعل ذلك مدخل جديد للدعوة إلى دين الله، ومنهج معين للتعريف بما جهلوه عن الاسلام، فقد يكون من تظافر الجهود تحقيق لما فى سورة النصر من الدخول فى دين الله أفواجا. لأن الحوار الهادىء والقناعة الحسنة هما سمات هذا العصر، وهما أقصر طريق ينفذ إلى القلوب، وتنفتح أمامه مغاليق الأذهان.

لماذا أسلمت:

أنقل إليك أخى القارىء من هذا الكتاب الذى ترجم بالعربية وطبع عام ١٤٠٤هـ قصة اسلام السيـدة سيسيليا محمودة كانولى من استراليا فهى تقول:

أولا وقبـل كل شيء، أود أن أقول إنى أسلمت لأنى كنت فى قرارة نفسى مسلمة دون أن أعلم ذلك منذ حداثة سنى كنت قـد فقدت الايمان بالمسيحية لأسباب كثيرة أهمها أننى سألت مسيحيا سواء كان من يقال عنهم رجال الكهنوت والاسرار المقدسة، أو من العامة، عن أى شيء يبـدو لى غامضا فى تعاليم الكنيسة: ألا تلقيت الجواب التقليـدى: ليس لك أن تناقشى تعاليم الكنيسة، ويجب أن تؤمنى بها.

وفى ذلك الوقت لم تكن عندى الشجاعة الكافية لأقول لهم: إننى لا أستطيع الايمان بشيء لا أعقله. وتعلمت من خلال تجاربى أن غالبية الذين يسمون أنفسهم مسيحيين، لا يجدون هذه الشجاعة كذلك.

كان كل ما فعلته أن هجرت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وتعاليمها وركزت ايمانى بالله — الاله الواحد الحق، لأن الايمان به أيسر من الايمان بثلاثة آلهة كما تقول الكنيسة، وعلى النقيض من التعاليم الكنيسة الغامضة البعيدة عن الادراك، بدأت أرى الحياة أوسع وأرحب، طليقة من الطقوس والفلسفات، كنت حيثما وجهت وجهى، أجـد آيات الله فى خلقه، وكنت مثل غيرى ممن يفوقنى عقلا وذكاء، عاجزة عن فهم المعجزات التى تقع تحت بصرى، كنت أقف أتأمل كل هذا الابداع فى خلق الله: الأشجار الأزهار، الأطيار الحيوانات، حتى الطفل الوليد، أصبحت أحس أنه معجزة رائعة جميلة، وليس كما كانت الكنيسة تصوره لنا، تذكرت كيف أننى فى صغرى، كنت إذا نظرت إلى طفل حديث الولادة تصورته: مغطى بسواد الخطيئة، أما الآن فلم يعد للقبح مكان فى خيالى، بل لقد أصبح كل شيء أمامى جميلا.

وذات يوم جاءت ابنتى إلى المنزل، ومعها كتـاب عن الإسلام، أثار اهتمامنا بهذا الدين، حتى اتبعناه بقراءة كتب كثيرة أخرى عنـه، وسرعان ما أدركنا أن الاسلام هو نفس العقيدة التى كنا نؤمن بها.

فى الفترة التى آمنت فيها بالمسيحية، كنت متأثرة بمـا كان يلقى فى روعنا عن الاسلام، بأنه لايعـدو أن يكون حديث فكاهة، حتى قرأت عنه ما قرأت فـانقشع عنى ذالك الوهم، ولم يمض وقت طويل حتى بحثت عن بعض المسلمين لأسألهم عن الأمور التى لم تكن واضحة تمام الوضوح أمامى، وهنا أيضا تهتكت الاستار التى كانت تحجب ما بينى وبين الاسلام، فـما خطر لى من سؤال إلا كنت أتلقى عنه الجواب المقنع الدقيق، على النقيض تماما من ذلك الهراء الذى كنت أسمعه حينما كنت أناقش المسيحية.

وبعد طول قراءة و دراسة، قررت وابنتى أن نعتنق الاسلام، وتسمينا باسم: رشيدة ومحمودة.

ولو أن أحدا سألنى عن أهم جانب فى الاسلام اجتـذبنى، لأجبت إنها الصلاة، لأن الصلاة فى المسيحية لا تعـدو أن تكون دعاء الله بواسطة المسيح عيسى، ليمنحنا خير الدنيا، أما فى الاسلام فهى ثناء على الله وتحميـد له، على كافة نعمه لأنه العليم بمـا ينفعنا، ويمنحنا ما يلزمنا، دون أن نسأله من ذلك شيئا؟

◇‡◇●◇‡◇

تصحيح المفاهيم :

نقد «رؤية نقدية لمستقبل الدعوة السلفية»

(١)

بقلم الشيخ عبد المجيد عبد الجليل
نادى - جزر فيجى

(الموضوع فى حاجـة الى هدوء واتزان، ولعل الكاتب تبرم بما جرى وبما يجرى فى العالم الاسلامى من المكروهات، وأصابه نوع من اليأس وخيبـة الظن بالمواقف التى وقفتها الجماعات الاسلامية فى عديد من قضايا العقيدة والولاء والبراء وفى تهيئة جو الوحدة والوئام بين المسلمين. والمجلة ترجو من الكاتب احسان الظن بالناس والالتزام بالهدوء فى مناقشة الأمور، وكذلك ترجو من القراء الكرام ملاحظة الحقائق الثابتة فى المقال وصرف النظر عن الحـدة التى وجدت فى بعض المواضع من المقال، والله لطيف بالعباد).

فى الرحلة الأخيرة إلى الهند أعطانى الأخ عبد الواحد مجلة البيان العدد ٧٣ رمضان ١٤١٤هـ، وأمرنى أن أقرأ المقال «مستقبل الدعوة السلفية : رؤية نقدية» وأكتب حولها شيئا. ولما وضعت عصى التسيار، واطمأن البال طالعت المقال وكتبت هذا المقال حوله بتوفيق الله.

إن الكاتب أظهر ثلاثة مخاوف حول الدعوة السلفية يمكن أن تكون حواجز فى سيرهـــا إلى المستقبل وأوجز تلك المخـــاوف فى ثلاث ملحوظات :
١ ــ الانعزالية ٢ ــ عدم تفقه الواقع ٣ ــ عدم الشعور بفقه الاختلاف .
هذه التقاصير التى توجد فى السلفيين وفى الدعوة السلفية هى تتشكل كظاهرة فى هذه الدعوة ورجالها عند المصنف . وإن تعليقاتى حول هذه الملحوظات ستظهر فى السطور الآتية :

إن مستقبل الدعوة السلفية مستقبل زاهر ، و إن أهلها ظاهرون على الحق لا يضرهم من خذلهم . هذه حقيقـة لامراء فيها أصلا ، لكن الرؤية التى يراها النـــاس بها ، أو القراءات المبتورة التى تعكسها لهم تبدو مشبوهة ، أو تتجلى ذات عيوب ونقص .

إن الدعوة السلفية هى دعوة الكتاب والسنة فكما أنهما مصونان محفوظان فكذلك الدعوة القائمـة عليهما ستكون زاهرة مستبشرة مرحمة . لقد ظهرت فى القرون العديدة لحياة الأمة الاسلامية فتن وضلالات من جراء الزيغ الفكرى والاعوجاج العقـدى ، وتضافرت أسباب عديدة لهما من زمانى ومكانى وسياسى و شخصى و تقاليد و طقوس وجمود و تعصبات وهواء نفسى وغيرت المذاهب وجوها عديدة عبر العصور سواء كانت المذاهب الباطلة ، أو المذاهب التى تعد فى أهل السنة ، ولكن الدعوة السلفية باقية على محورها و منطلقها متنورة مضيئة تهـدى السبيل وتدل على الصراط المستقيم ، ولا تزال تسير فى مسارها سديدة متدفقة موفقة للهدى والنجاح والفوز والفلاح .

إن الدعوة السلفية يمكن فعلها فى أنها فى حين المطالع لا تتأثر بالدوافع الآنية والدواعى السياسية و المبالغات والأخطاء الفردية . اعلى من عظامه شوبكل

بكل إخلاص ورأفة ورحمة لكل من يبتغيه من غير نظر إلى قيود مكانية زمنية . ولا هي تتقيد بالجزيات و المنظمات . انما هي ضوء يضيق الطريق لمن يريد الحق ، ونور يستنير به الجادون عليه .

- إن فضلها الأصالة ، لا تتدل صورتها ولا هيكلها ولو كانت فى أحلك وقت للجمود الفكرى ، والاصرار الشديد على التقليد والباطل ، ان الثوابت الأسس الدين الحنيف لاتتزحزح عن مكانها ، ولا تتغير بالتأويلات الباطلة بالتاثيرات الفردية فى الدعوة السلفية ولا مفهومها فى التطبيق عليها .

- ان الدين و الشريعة لكليهما تاثير فى النفوس و العقول والقلوب ، وبالتالى فى المجتمع والدولة ، وهما غابا من المذاهب والمنظمات ، والدعوات فى أكثر الأحوال . وذلك لأن الحرج والضيق اللذان نشأ فى القلوب والعقول لإعطاء المحبة و الانقياد للرجال . حتى تغير وجوهها ، و تسويه إلى أكثرها الشرك بالبدعات والضلالات ، وتغيرت مفاهيم كثيرة لها عند هذه المذاهب والمنظمات ، سواء بلغت فى أوجها فى الرقى والتقدم فى الميادين السياسية أو الاقتصادية أو علمية ، والايحاءات التى لديهما تترتب على القلوب والأذهان فقدت فيها معظارا لأفكار و التصورات الأرضية العصرية مثلة تفكر و تعمق و تفلسف غلب سرهما ، وبساطتهما .

- أما الدعوة السلفية فهى تحتضنهما طرة غضية بكل تاثيراتهما وايحاءتهما ولاتهما الانها لا تفلسيهما ولا تعقدهما بل تعرضهما يسرا سهلا بسيطا .

- ومن ميزة الدعوة السلفية أنها لا تقبل السلبيات و المبالغات و الإطراء التى سواء كانت شخصية أو جماعية مهما حاول جيل لتحسيها ادخالها فيها لا يمضى إلا ويرفضها الجيل نفسه . وهى تكون طرية غضيية خالصة وكذلك

يمكن أن يسوء حال السلفيين ولكن السلفية نفسها لكونها قائمة على أسس ثابتة أصيلة لا تتأثر بأحوالهم السيئة أصلا . والذى عنـده المام بالتاريخ فانه سوف يدركها ادراكا تامـا ، فالسلفية ليست اتجاها فكريا فى عصر دون عصر ، وفى مكان دون مكان ، و إنما هى امتداد لفهوم ، و استخراجات ، و تطبيقات حسب النصوص القرآنية والسنية متلقاة عن الجيل الأول والأجيال الأخرى تبعته عبر العصور من غير تقيد زمنى ومكانى وفردى واجتماعى .

والدعوة السلفيـة ليست كالحركات و المنظمات التى لها حدود و تعاريف مشخصة . انما هى دعوة فطرية تتجاوز الحدود التنظيمية و التعاريف الحركيـة . انمـا هى للذين تكيفوا بالطاعـة والاتباع ، وهم لها من غير انتظام فى سلك دنيوى خاص انمـا ينظمهم سلك الدين فهوم الأمـة . فكل من يقوم بها على التكيف ، تكيف الاتباع والطاعة هم رجال الدعوة السلفية سواء كانوا منتشرين فى العالم من أقصاه الى أقصاه أو مجتمعين فى البـلاد ولو لم تجمعهم استمارات دنيوية . انما الهدف و الغـاية و الوسيلة و المنهـاج كلها واحـدة ، وهذه الوحـدة هى تجمعهم فطريا . وهم الذين يحملون أعباءها لا تضرها ولا تضرهم الأسماء والمنعرات .

وإن من ميزتها أنها لا تبالى الكثرة ، ولا تعتنى بتكثير الأعضاء ، و انما المهم أن تحرس على أبواب الكتاب والسنـة ، ولا تجيز المزج بهما بعقـائد وأفكار باطلة . فلا تزول قدسيتهما ، وبركاتهما ، وعلو منزلتهما ، إنها تسعى أن توقف القلوب والأذهان على عتباتهما . فلا يعبث بهما محض الآراء ، والغلو فى الرجال إن الحفاظ على الأصالة للدعوة السلفيـة المستقاة من الكتاب والسنة أهم شىء وهى أكبر كنز فيها ، هـذه الأصالة هى الجوهر فى تعليم الناس وتربيتهم

وتنشيط النـــاس لعودتهم الى الحق والصراط المستقيم واحياء الدين فيهم وهى التى غابت فى الدعوات الأخرى على الاطلاق فلا روح فيها ولا قوة ولا آثار طيبة تترتب على مجهوداتها.

إنها ليست كالدعوات الأخرى من دعوات قائمـــة على قبول الأشخاص كالواسطة بين الله وبين عباده أو المتأثرة تأثرا آنيا أو مكانيا بل هى تعبير عن معانى «انا نحن نزلنا الذكر، وانا لـه لحافظون» وتشريح لحديث «ما أنا عليه وأصحابى» وبيان لخبر الرسول ﷺ «لا تزال طائفـــة من أمتى ظـاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك» وهى زاد الطائفـــة المنصورة، إنهـــا تأويل للآيـــة «كنتم خير امـــة أخرجت للناس» انها تتعلق بمجهودات إحياء الدين وتجديده.

إن حياتها ليست قائمـــة على حياة الرجال، إنما حياتها على أصل ثابت وأساس قائم. إنها لو لم تكن لما كان يعرف الاسلام من بين الأديان الأخرى.

إنها تهتم بالدرجـــة الأولى بأسس الاسلام وحقائقه الثابتة فى الكتاب والسنة أصلا وفرعا، الحقائق التى هى قوام الحياة والنجاة فى الآخرة. إنه من فطرتها وطبيعتها أن يعتنى بها حتى لا تنطمس معالمها ولا تموت روحها، فانه فى حين موتها، وطمس معالمها سيكون الاسلام جســـدا بلاروح والاحتياجات العصرية تستسق منها فى اطارها القويم بباب الاجتهاد التى لم تغلقها أبدا فانها إن لم تكن ذات عطاء فى عصر دون عصر — لو سلمنـــا جدلا — فانهـــا أرشدت الناس إلى بابها المفتوح حتى يدخلوا بها إلى ما يحتاجون إليها ويصلوا إلى مبتغاهم.

ولو لم تكن الدعوة السلفية لم توجد عبر العصور حركات الحق ونشاطاته.

إن غيرها أجلب المشاكل على الأمة، وإنها نفسها هي في كل عصر على الاطلاق .

ولنطالع التاريخ خاصة تاريخ الهند، وتاريخ ماوراء النهر، وتاريخ الدولة العباسية، و تاريخ الاندلس ثم نتقصى الأمر كم كان دور المذاهب فى انحطاطها وزوالها . هذا شئ معروف يعرفه القاصى والدانى .

هــذه حقائق عن الدعوة السلفيـــة ارتجلها القلم وستكون لنا عودة ان شاء الله لبيانها و شرحها تفصيلا، فأنا فى الغربـــة، بعيـــد عن المراجع التى أحتاج إليها .

انما أريد هنا أن ألقى ضوء على الملحوظات الثلاث عليها بعد عرض سريع للدعوة السلفية، وطبيعتها، وميزتها ننظر فى ملحوظات ثلاث بينها الكاتب .

١ ــ الانعزالية : إن الكاتب يوقن أن السلفيين فيهم ظاهرة الجمود على الدعوة إلى التوحيد وتصحيح معانى الربوبية والألوهية، وتصحيح تصورات الناس حول الأسماء والصفات حسب منهج أهل السنة والجماعة من غير بيان كاف شاف حتى تتجلى آثارها على القلوب، وتنجلى إيحاءاتها على الأذهان وعلى السلوك الفردى والاجتماعى . ومن جراء هذا الخلل ستكون الدعوة السلفية ميدانا للجدل الكلامى، وتشقيق المعـــانى، وتهويم الخواطر، وكذلك تنحسر عن الميـــدان فتنصرف التيارات الفاسدة فيه .

إن الكاتب يزعم أن هناك صورا مختلفة لقصرها هؤلاء الحديث عن أن تصحيح العقيدة هو المطلوب الأول ولا اعتناء لها بالانحرافات الفردية والجماعية ولا المشكلات ولا الازمات الاقتصادية و الدولية و التشريعية، ولا تبالى بهموم الناس وواقعهم . إن المهم عندها فقط هو تصحيح العقيدة، وبعد الفراغ من

تصحيحها تأتى مرحلة لاحقة لتصحيح باقى الانحرافات . وعد هذا الفهم الدعوة من الانحراف الكبير.

ثم حاول عبثا بالآيات المدينة المكية تخطئة الفهم القاصر للدعوة.

هذا من أعاجيب الدنيا أن ينتصب رجل ، ويتهم الدعوة السلفية بالانعزالية . ويصفها من عند نفســه بعد رؤيـة أمثلة نادرة شاذة دعوة قاصرة . وانحرافا كبيرا فان كان رميه اياها بهذه الانعزالية بصدق واخلاص فانا أترحم على مثل هذه السذاجة وإن كان بغيرها فادعوا الله له بالسداد .

إن الذين يعرفون تاريخ الدعوة والدعاة فى العالم كلــه ، وعنــده خبره بأعمالها ، وجهودها فانه سيشهد أن جميع المساعى التى توجد فى العالم الحاضر كله لاحياء الدين وإقامته فانما هى كلها مستمدة من الدعوة السلفية تقوت بها ، وهى التى دفعت القلوب ، و العقول تنشط وتتحرك وأيقظتها من السبات ، وإن جميع الحلول التى توجــد على سطح الأرض فى أى صورة مبتورة أو ناقصة أو كاملة إنها كلها ليست إلا من قوتها الدافعة مباشرة أو غير مباشرة .

ان الـدعوة السلفيـــة ليست كالأحزاب السياسيـــة كما هى حال المنظمات الاسلامية بل هى تنير السبيل لأهل الباطل وللذين يعدونها حواجز طريقهم . إن من طبيعتها أنها لاتعرف العصبية فالمنتسبون إليها اذا لم توفقوا الأداء واجبهم فان وقعاتها وترشيدها تعطى غيرهم عطاء كبيرا فى سبيل الدين . إن نورها عام لجميع النـــاس . إنها لا تحصرها فى اطار خاص باسم خاص ، فكل من يتقرب إليها ، وكل ماتناسبها أصلا وأساسا تعد منها .

إن الجهابذه والأعلام الذين يعــدون بالبنان ، ويشار اليوم بالأصابع فى حقل الدين والدعوة ، لم يتأتى لهم ذلك المنصف الكبير إلا لأن الدعوة السلفية

فتحت قلوبهم وعيونهم ، ودلت على الطريق .

وإن الكاتب الذى يتكلم بصوت جهورى هكذا ويورد التهم على الدعوة السلفيـة لم يتأت له هذا الصوت الجاهر إلا لأجل الدعوة السلفيـة و إلا فإنه معروف فى التاريخ أن المذاهب والفرق والدعوات العديدة كممت الأفواه وغلقت أبواب التفكير ، وأجبرت الناس على سلوك ونمط خاص يعجبها ، وإن الدعوة السلفية هى التى حركتها عبر العصور لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

إن الدولة العثمانية والدولة المغولية كانتا تدعيان السنية ، وتجمعان المسلمين تحت رايتهما ، وكذلك كانتا متمذهبتين بمذهب حنفى . وهنا نتساءل هل كان بقى شىء من أصل الدين عندهما سوى الخرافة ، والترهات والشرك والبدعة والجمود والتعصبات البغيضة ؟

هـذا التذمر و الذوبان ألم يجرا مشاكل الاستعمار مع قضه و قضيضه على المسلمين ؟ ألم تكن الدعوة السلفيـة ورجالها فى العالم الاسلامى من أقصـاه الى أقصاه زلزلوا صرح البـاطل وكيـانه ، وأيقظوا المسلمين ، وكسروا القيود التى كانوا يرتسفون تحتها ؟

ثم انظروا الى المشاكل العصرية ، سياسية كانت أو اقتصادية ، أليس السلفيون هم الذين وضعوا الحلول لها وخففوا وطأتها ، و وفروا التسهيلات لها ؟ ولم تكن الدعوة السلفية هى مدت الأرض لجميعها ؟ ان الحبر على الأوراق ليست هى الحل وحدها ، إن الدماء هى أكثر تأثيرا فى حلول المشاكل . إن أرض الجزيرة هى التى سهلت لجميع الحلول ، من الذى سهلها ؟ هى صارت ملجأ يلتجأ إليه فى كل طارئة وحادثة ؟ من الذى جعلها لكى لتكون ملجأ ؟ نعم الدعوة السلفية هى التى جعلتها هكذا . الاسلاميون طوردوا فى مشارق الأرض ومغاربها ثم وجدوا جوا ملائما

فى تلك الأرض هى هى التى حرستها السلفية ولا تزال تحرسها بعيون ساهرة. الحلول والشروح و البيان كلها كانت كالحبر على الأوراق وإنها وجدت لباس الحقيقة، ورأت النور. و تمتعت التطبيق فى تلك الأرض التى يتمتع بها الناس عامة ثم يخونونها إلا من حفظهم الله.

إن قصر النظر يرى أن الكمال و الفضل هما يتلألآن يتجليان على الأوراق، و البله كل البله أن لا تتجاوز الأنظار منهما إلى الحقائق المنورة بل تتقيد فى رومانسية عجيبة أو بنفسجية مهولة.

لقد رأى التاريخ أن جميع الحركيين و جميع المبتدعين وجميع الطرقيين الحزبيين جميع المذهبيين فشلوا فى مقاومة فتنة الخمينى و الفتننة الصدامية، وإنما السلفيون هم الذين حدوا أمامهما. أليس هذا فقه الواقع، فتنـة عامة جارفة تحدث وتجرف بجميع المربين والمرشدين وأصحاب الشعور والوعى، واستقام فيها أولئك الذين لا يعرفون فقه الواقع.

ما هى هموم الناس؟ وأى هم أكبر من أن ينصر المسلم الله فينصره؟ وأى هم حققه الناس ولم تحققه الدعوة السلفية إنى أرى بعينى خاصة حولى فنرى أن أصحاب الوعى والشعور هم تحت الصفر بالنسبة لغيرهم.

إن الجهاد القائم فى البلاد العديدة يساهم فيه السلفيون أكثر من غيرهم، وبكل اخلاص من غير أن يركزوا عيونهم على الكراسى فالجهاد فى بوسنه والجهاد بفلبين، والجهاد فى ارتيريا، والجهاد فى بورما، والجهاد فى أفغانستان، وفى بلاد أخرى اضطهد فيها المسلمون، هل خلا الميدان من السلفيين، وهل نسى التاريخ أولئك الذين طاروا إلى افغانستان زرافات و وحدانا من أمق العالم بكل ما يملكون ومولوا أعمال الجهـاد فيها هل كان نصيب الأسد للناس سوى السلفيين؟

ومن هو أول من حرر مناطق في افغانستان و نفذ الشريعة وأنشأ أمارة اسلاميــة حسب إرشادات مجلس الشورى لمجاهديها فعم الأمن والسلام فيها . إن هــذه المنطقة هي أول امارة اسلامية انشئت لإقامة الدين وتنفيذ الشريعة في شبه القارة بعــد قرون . فلم تعجب الحركيين فدحوه وقتلوا أميرها الشيخ جميل الرحمن المجاهد الكبير والرجل الأكبر في الثمانينات في قطرى وتلوا عرشه بمعاونة المجرمين وقطاع الطريق .

وانظروا الذئاب الذين لهم لحى طويلــة ولكنها تتقاطر بدماء الأبرياء والمظلومين ، إن الحرص والطمع أعما أبصارهم . وإن الجهاد الذى حان قطف ثماره تماوك الظالمون للعظم الغليظ و تدفقت الأسلحــــة من الدول التى دمرتها وهم قاوموها أكثر من عشر سنوات ، فلتبك عليهم البواكى .

أو هذا هو الفقه للواقع الذى تبختر به الحركيون . اذا لم تكن هداية السنة ونورها فكل فقــه فقه نفسانى . وهــذا ما نراه فى الواقع فى كل مكان يتقاتل الناس على الكراسى و المناصب . و صاروا عبيد الدينار والدرهم يبيعون دينهم بعرض من الدنيا ولماعتها .

و السلفيون يبذلون أنفسهم و نفائسهم و يطيرون الى كل مكان يحتاجهم فى تبصيرهم للدين ، و سد حوائجهم و تعليمهم ، وتربيتهم ، و فتح المدارس ، أليس هذا فقه الواقع .

(يتبع)

مفهوم الاتباع والتقليد فى الشريعة الاسلامية

(٧)

الشيخ / سهيل أحمد فضل الرحمن الأعظمى
مكتب الدعوة بدبى

(موقف الشريعة من التقليد وآثاره على الأمة الإسلامية)

معنى التقليد لغة و اصطلاحا ، وبيان الفرق بينه و بين الاتباع :

وعند ما انتهينا من الكلام على الاجتهاد الذى كان ضروريا لفهم معنى التقليد ندخل فى باب التقليد وبيان موقف الشريعة منه وآثاره على الأمة الإسلامية ، وقبل الخوض فى تلك المباحث يلزمنا معرفة حقيقة التقليد لغة واصطلاحا ، فنبدأ بمعناه فى اللغة و الاصطلاح .

التقليد لغة :

قال ابن منظور (٦٣٠ — ٧١١ هـ) :

وقد قلده قلادا وتقلدها ، ومنه التقليد فى الدين ، وتقليد الولاة الأعمال .
وتقليد البدن أن يجعل فى عنقها شعار يعلم به أنها هدى[١] .

وقال الفرزدق :

حلفت برب مكة والمصلى   وأعناق الهدى مقلدات

---

(١) لسان العرب ، فصل القاف حرف الدال (قلد) .

وقال الفيروزآبادي :

التقليد لغة ماخوذ من (قلدتها قلادة) جعلتها فى عنقها ، و القلادة ما جعل فى العنق ، ومنه تقليد البدنة شيئا يعلم به أنها هدى[١] .

وقال ابن قدامة (م ٦٢٠) :

التقليد فى اللغـة وضع الشيء فى العنق مع الإحاطة به ، ويسمى ذلك قلادة ، والجمع قلائد . قال الله تعالى : ولا الهـدى ولا القلائد[٢] ومنه قول النبي ﷺ فى الخيل : « ولا تقلدوها الأوتار » .

وقال الشاعر :

قـلدوهـا تمـائمـا   خوف واش وحاسد[٣]

وقال الآمدى (م ٦٣٩) :

والتقليد : هو مأخوذ من تقليده بالقلادة وجعلها فى عنقه[٤] .

فقـد علم من كلام أهل اللغـة و غيرهم من علماء الأصول أن التقليد فى اللغة هو جعل الشيء فى العنق قلادة كانت أو غيرها مع الإحاطة به .

التقليد اصطلاحا :

أما التقليد فى اصطلاح الأصوليين ، فهو كما قال الغزالى (م ٥٠٥ هـ) :

التقليد : هو قبول قول بلا حجة[٥] .

---

(١) انظر القاموس المحيط ، مادة (قلد) فصل القاف باب الدال .

(٢) المائدة ٢

(٣) روضة الناظر ص ٢٠٥

(٤) الإحكام فى أصول الأحكام ٣/٢٤٥

(٥) المستصفى للغزالى ٢/٣٨٧

وقال ابن عبد الشكور (م ١١١٩ هـ) فى مسلم الثبوت :

التقليد : العمل بقول الغير من غير حجة كأخذ العامى وأخذ المجتهد من مثله[1] .

وقال الآمدى :

أما التقليد فعبارة عن العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة[2] . ثم قال : وعلى هذا فالرجوع إلى قول النبي ﷺ ، وإلى ما أجمع عليه أهل العصر من المجتهدين ورجوع العامى إلى قول المفتى ، وكذلك عمل القاضى بقول العدول لا يكون تقليدا لعدم عزوه عن الحجة الملزمة .

وكذا عرفه الشوكانى ذكر المحترزات ، فقال :

وفى الاصطلاح ، هو العمل بقول الغير من غير حجة ، فيخرج العمل بقول رسول الله ﷺ ، والعمل بالإجماع ورجوع العامى إلى المفتى ورجوع القاضى إلى شهادة العدول فإنها قد قامت الحجة فى ذلك[3] .

وأما المناسبة بين معناه اللغوى و بين معناه الاصطلاحى فهى واضحة جلية إذ أن المقلد يصير فى تقليده للمجتهد كأنه يجعل حكمه كالقلادة فى عنقه ، فلا يخرج عن دائرته وإن لم يعلم دليله .

الفرق بين الاتباع والتقليد :

ومن المناسب بعد بيان معنى التقليد لغة و اصطلاحا أن نعرف الفرق بينه وبين الاتباع لتتضح حقيقته جليا ويحصل المقصود من الكتابة فى هذا الموضوع .

---

(١) انظر ذيل المستصفى للغزالى ص ٤٠٠

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام ٣/٢٤٥

(٣) انظر إرشاد الفحول ص ٢٦٥

وقد سبق الكلام حقيقـة الاتباع بالتفصيل فأريد هنا أن أتحف القراء بما قاله العلماء فى الفرق بينه وبين التقليد .

فقال أبو عبد الله بن خويز منداد البصرى المالكى :

التقليد معناه فى الشرع : الرجوع إلى قول لا حجـة لقائله عليه ، وذلك ممنوع منه فى الشريعة ، والاتباع ما ثبت عليه حجة . — وقال أيضا : والاتباع فى الدين مسوغ والتقليد ممنوع[١] .

وقد فرق الإمام أحمد بين التقليد والاتباع فقال أبو داود : سمعته يقول : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبى ﷺ وعن أصحابـه ثم هو من بعد التابعين مخير[٢] .

وقال الإمام الشافعى : العلم على وجهين — يعنى علم الشريعـة — اتباع واستنباط ، فإن الاتباع اتباع كتاب الله ، فإن لم يكن فيه فسنة ، فإن لم يكن فقول عامة من سلفنا لا نعلم له مخالفا ، فإن لم يكن فقياس . . . ولا يجوز القول بالقياس إلا فى هذه الحالة[٣] .

وقال أيضا فى الرسالة ، أثناء بيان من يجوز له القياس ومن لا يجوز :

وكذلك لو كان حافظا مقصراً العقل أو مقصراً عن علم لسان العرب لم يكن له أن يقيس من قبل نقص عقله عن الآلة التى يجوز بها القياس ، ولا نقول يسع هذا ، والله أعلم أن يقول أبدا إلا اتباعا ، لا قياسا .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١٤٣/٢ ، إعلام الموقعين ١٧٨/٢ ، إيقاظ الهمم للفلانى ص ٤٢

(٢) إعلام الموقعين ١٨٢/٢

(٣) إيقاظ الهمم للفلانى ص ٣٥

وعلق العلامة أحمد محمد شاكر على قوله ، فقال :

الشافعى يأبى التقليد وينفيه ، لذلك تراه يقول لمن حفظ وكان مقصرا
لعقل أو غير متمكن من لسان العرب أنه يتبع ما عرفه من العلم ويمنعه أن
قيس ، لكنه لم يجز له أن يكون مقلدا[1].

إنما يظهر من قولى الإمام أحمد والشافعى رحمهما الله أن الاتباع هو ما
ان بالعلم والمعرفة والدليل ، وهو المسوغ فى الدين كما قال أبو عبد الله بن خويز
منداد وما ليس كذلك ، أى لم يحصل بالمعرفة والدليل فهو الجهل والتقليد ،
. هو ممنوع فى الدين ولا يجوز إلا بالعذر ، كما سنعلم فى حكم التقليد إن
شاء الله تعالى .

وقال أبو عمرو : وقال أهل العلم والنظر : حد العلم التبيين وإدراك المعلوم
على ما هو به فمن بان له الشىء فقد علمه ، قالوا : والمقلد لا علم له ، ولم يختلفوا
فى ذلك ، ومن ها هنا والله أعلم قال البحترى .

عرف العالمون فضلك بالعلم و قال الجهال بالتقليد
وأرى الناس مجمعين على فضلك من بين سيد ومسود[2]

وقال ابن القيم رحمه ردا على المقلدين ما يستبين منه الفرق بين
الاتباع والتقليد ، فإنه قال :

فمن ترك الحجة وارتكب ما نهوا عنه ونهى الله ورسوله عنه
قبلهم فليس على طريقتهم وهو من المخالفين لهم ، وإنما يكون على طريقتهم من
اتبع الحجة وانقاد للدليل ، ولم يتخذ رجلا بعينه سوى الرسول ﷺ يجعله

---

(١) الرسالة للشافعى ص ٥١١
(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٤٣ ، إعلام الموقعين ٢/١٧٨ ، ايقاظ الهمم ص ٣٢

مختارا على الكتاب والسنـــة يعرضهما على قوله. وبهـذا يظهر بطلان فهم من جعل التقليد اتباعا ، بل هو مخالف الاتباع. فإن الاتباع سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به(١).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى :

ومن المعلوم الذى لا شك فيـــه أن اتباع الوحى المأمور به فى الآيات لا يصح اجتهاد يخالفه من الوجوه، ولا يجوز التقليـد فى شيء يخالفه ، فاتضح من هذا الفرق بين الاتباع والتقليد ، وأن مواضع الاتباع ليست محـــلا أصلا للاجتهاد ولا للتقليد(٢).

(موقف القرآن والسنة من التقليد)

موقف القرآن : إن الآيات القرآنية التى تدل على منع التقليد وذم الكفار على تقليـد آبائهم كثيرة و منثورة فى مختلف السور ، نذكر بعضهـا على سبيل المثال ، وهى تصور لنـا موقف القرآن الكريم من التقليد وتوضيح ما فيـه من البلايا ، والحرمان ، أعاذنا الله منها .

١ — فمنها قوله تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾(٣).

ذكر ابن عبد البر بعد إيراده لهذه الآية المراد منها ، فقال :

وروى عن حذيفـــة وغيره ، قالوا : لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم أحلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم(٤).

---

(١) إعلام الموقعين ١٧١/٢

(٢) أضواء البيان ٥٤٩/٧

(٣) التوبة ٣١

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١٣٢/٢

ونحوه ذكر ابن كثير فى تفسيره[١].

وعلى ذلك يشهد حديث عدى بن حاتم ذكر، ابن عبد البر وابن كثير[٢].

قال عدى بن حاتم: أتيت رسول الله ﷺ وفى عنقى صليب، فقال لى: يا عدى! ألق هذا الوثن من عنقك، وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية ﴿ اتخذوا أحبارهم ..... الخ ﴾ قال: قلت: يا رسول الله! إنا لم نتخذهم أربابا، قال: بلى، أليس يحلون لكم ما حرم الله عليكم فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه؟ فقلت: بلى. فقال: تلك عبادتهم[٣].

فثبت من هذه الآية بطلان التقليد لأنهم كانوا يأخذون أقوال علمائهم بدون دليل وحجة، فشنع عليهم القرآن ذلك.

٢ — ومنها قوله تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[٤].

فقد أصروا على اقتداء آبائهم بدون حجة وبرهان، لأنه لما قال لهم نبي الله فى قوله تعالى: ﴿ أو لوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾[٥].

٣ — ومنها قوله تعالى الذى ذم فيه على صنيعهم وشبههم بالدواب فى

(١) تفسير ابن كثير ٣٤٩/٢

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١٣٣/٢، تفسير ابن كثير ٣٤٨/٢

(٣) رواه الترمذى فى كتاب سورة التوبه.

(٤) الزخرف ٢٣

(٥) أيضا ٢٤

الجهل وعدم التعقل فى قبول الحق والصواب ، فقال :

﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾[١] .

٤ — ومنها قوله عز وجل الذى بين فيــه حزنهم و أسفهم الشديد على تقليدهم الباطل يوم القيامة حينما يرون العذاب فقال :

﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العـذاب وتقطعـت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأو منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وماهم بخارجين من النار ﴾[٢] .

٥ — ومنها قوله تعالى : ﴿ إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾[٣] .

قال العلامة الشوكانى فى تفسير هذه الآية :

المراد بالسادة والـكبراء هم الرؤوساء و القادة الذين كانوا يتمثلون أمرهم فى الدنيا ويقتدون بهم وفى هـذا زجر عن التقليـد شديد ، وكم فى الكتاب من التنبيــه على هذا ، والتحذير منه والتنفير عنـه ، ولـكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتـدى به وينصف من نفســه لا لمن هو مـن جنس الأنعام فى سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب[٤] .

فإن الـكتـاب العزيز ملئ بمثل هـــذه الآيات البينـات التى ذم الله فيها المقلدة وهدّدهم ووبخهم وعاب عليهم أعمالهم التى تبنى على سوء الفهم وعــــدم معرفة الحجة و البرهان .

---

(١) الأنفال ٢٢

(٢) البقرة ١٦٦ — ١٦٧

(٣) الأحزاب ٦٧

(٤) فتح القدير ٤/٣٠٦

فإن قيل : إن الاستدلال بهذه الآيات على بطلان التقليد ليس صحيحا ، لأن الذين خوطبوا بها هم الكفرة ويقلدون الكفار من آبائهم وأجدادهم ، وأهل التقليد من الأمة المحمدية هم يقلدون الأئمة الهداة المهتدين .

فالجواب كما قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله :

قد احتج العلماء بهذه الآيات فى إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها ، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما و إيمان الآخر ، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد[١] .

وكم من الآيات التى تدعو الناس إلى التعقل و التدبر فى الآفاق والأنفس فى القرآن الكريم ، لو تتبعنا كلها وفهمناها حق معرفتها لعلمنا أن بناء هذا الدين ليس على عمى وجهالة بل على علم وبصيرة ، كما قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[٢] .

قال سيد محمد رشيد رضا أثناء تفسيره لهذه الآية :

وفيه أيضا وجوب الاستقلال فى فهم القرآن ، لأن التدبر لا يتم إلا بذلك ، ويلزم من ذلك بطلان التقليد ، قال الرازى : دلت الآية على وجوب النظر والاستدلال على القول بفساد التقليد[٣] .

ومثله قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾[٥] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٣٤

(٢) النساء ٨٢

(٣) تفسير المنار ٥/٢٩٦

(٤) محمد ٢٤

(٥) الأنعام ٩٨

وقوله: ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير، أفلا تتفكرون﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾[2].

هذا قليل من كثير، فقد تكررت هـذه الألفاظ، «يتدبرون، يفقهون، يتفكرون يعقلون» مرارا وتكرارا، و قد خوطبوا بها جميعا ودعوا إلى إعمال الفكر والتعقل.

فمن هنا ثبت أنه لا داعي للتقليد الذى بناؤه على عدم التدبر والتفقـــه، وعدم التفكر والتعقل، و القرآن يدعو إلى استخدام العقل و النظر فى معرفـــة العقيدة والدين. وفى معرفة شرائعه وأحكامه ولكن فى نطاق ما خلق له.

موقف السنة: إن الأحاديث التى وردت فى منع التقليـــد هى نفس الأحاديث التى تدل على وجوب طاعة الله ورسوله وعدم الإعراض عنهما، وعدم التوجه الى قول أحـد من الناس عند وجود نص فيهما، و قـد سبق الكثير منها عند الكلام على وجوب الاتباع لكن أودّ هنـا ذكر بعض الأحاديث الأخرى التى تؤكـد لنا عدم صحة التقليد وبطلانه.

١ — فمنها ما مضى آنفا من حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه ومنه تصريح بتحريم قبول أقوال العلماء بدون معرفة الدليل.

٢ — ومنها ما أخرجـه ابن عبد البر بسنـده عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنى لأخاف على أمتى من بعدى من أعمال ثلاثة. قال: وما هى؟ يا رسول الله! قال: أخاف عليهم من

(١) الأنعام ٥٠

(٢) الروم ٢٨

زلة العالم ومن حكم جائر ومن هوى متبع»[١].

إن وجه الاستدلال بهذا الحديث ظاهر، وهو أنه خاف عليه الصلاة والسلام على أن يزل العالم فى أحكام الشريعة والناس يقلدونه فيها بدون حجة، وكذلك خوفه على حكم غير العدل بحجة باطلة فيتبع حكمه، وأيضا خوفه على اتباع الهوى الذى يكون بناؤه على جهل محض أو لحصول حطام الدنيا، فسار الناس على سير تقليدا له فضلوا عن سواء السبيل.

وقال ابن القيم بعد ذكر هذا الحديث:

ومن المعلوم أن المخوف فى زلة العالم تقليده فيها إذ لولا التقليد لم يخف من زلة العالم على غيره[٢].

٣ — ومنها قوله عليه الصلاة والسلام:

«من سن سنة خير فاتبع عليها فلـه أجور، ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئا، ومن سن سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزره وأوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئا»[٣].

٤ — ومنها ماروى عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ:

«بدأ الإسلام غريبا، فطوبى للغرباء، قيل يا رسول الله! من الغرباء؟.

(١) جامع بيان العلم وفضله ١٣٤/٢، إيقاظ الهمم ص ٣٥ — ٣٦، إعلام الموقعين ١٧٢/٢ — ١٧٣

(٢) إعلام الموقعين ١٧٣/٢

(٣) رواه الترمذى فى كتاب العلم.

قال : الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله »[١].

ويفهم من هــذا الحديث بدليل الخطاب أنه من أمات سنته عليه الصلاة والسلام باتباع اجتهاد العلمـاء تقليــدا منهم فهو خارج عن جماعــة الغرباء ، ولا يستحق هذه البشارة التي بشر بها رسول الله ﷺ .

٥ — ومنهـــا ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال :

« من قال علي مالم أقل فليتبوأ مقعــده من النار . . . و من أفتى بفتيـا بغير ثبت فإنما إثمها على من أفتاه »[٢].

قال ابن القيم بعد ذكر هذا الحديث :

وفيــه دليل على تحريم الإفتاء بالتقليـــد ، فإنه إفتاء بغير ثبت ، فإن الثبت الحجة التي يثبت بها الحاكم باتفاق الناس ، كما قال أبو عمر[٣].

٦ — ومنها قوله ﷺ فيمن لايتفكر في الآيات الكونية كما يرشدنا القرآن في كثير من آياته ﴿ إن في خلق السماوات والأرض . . . . . . إلخ ﴾[٤].

ويل لمن لاكها بين لحييه ، ولم يتفكر فيها[٥].

فإن هذه النصوص تصور لنا تصويرا واضحا لموقف السنة من التقليد ،

(١) رواه مسلم والترمذي في كتاب الايمان .

(٢) رواه البخاري وأبو داود في كتاب العلم .

(٣) إعلام الموقعين ١٧٧/٢ ، جامع بيان العلم وفضله ١٤١/٢

(٤) آل عمران ١٩٠

(٥) أورده ابن كثير في تفسيره بهذا اللفظ : « ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها » . وقال : رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه ٤٤١/١

وهو إنكارها الشديد على ذلك، فلا داعى على إصراره. والحقيقة كما قال بعض الأئمة: لا تصلح هـذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وهو ترك التقليد الشخصى والاهتمام بالكتاب والسنة و الرجوع إليهما. أللهم وفقنا جميعا لاتباع الكتاب والسنة واهدنا الصراط المستقيم.

(موقف الصحابـة والتابعين والأئمة المتبوعين وغيرهم من التقليد)

بعد ما عرفنا موقف الكتاب والسنـــة من التقليد يجب علينا أن نسمع الاخبار عن أولئك الأخيـار من السابقين الاولين الـذين تلقوا علم الكتاب والسنة من مشكاة النبوة صافيا خالصا و فهموا الشريعـــة حق فهمها، وطبقوه عمليا، ثم تعلم منهم من أتى بعدهم من التابعين وساروا على نهجهم مستنيرين من تلك المشـكاة المنيرة، ثم أخـذ عنهم من خلفهم سالكين مسلكهم لم يغيروا ولم يتغيروا، وأولئك الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بحسن سيرهم، فقال:

«خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

وحث على اختيار أسوتهم التى تحاكى أسوته عليه الصلاة والسلام. (لكم فى رسول الله أسوة حسنة)[2]. ثم نذكر أقوال بعض العلماء من بعـــد القرون المفضلة إلى يومنا هذا، مما يثبت لنا حقيقة التقليد، وهل هو الاتباع أم غيره؟

(موقف الصحابـة و التابعين)

فإليك أولا أسوة الصحابـة و التابعين فى التقليد قولا وعملا لبيان موقفهم منـــه حتى نكون على علم وبصيرة على ذلك، ونجعلهم قـــدوة فى اتباع الشريعة الغراء.

(١) رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ بلفظ: «خير الناس قرنى».
(٢) الأحزاب ٢١

١ — قال عمر رضي الله عنه : « ثلاث يهد من الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون » . وروى مثله عن أبي الدرداء رضي الله عنه[(١)] .

٢ — وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « يا معشر العرب ! كيف تصنعون بثلاث دينا تقطع أعناقكم ، وزلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن » . فسكتوا . فقال : « أما العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم ، وإن افتتن فلا تقطعوا منه أناتكم ، فإن المؤمن يفتتن ثم يتوب ، وأما القرآن فله منار كمنار الطريق لا تخفى على أحد ، فما عرفتم منه فلا تسألوا عنه ، وما شككتم فكلوه إلى عالمه »[(٢)] .

٣ — وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : « أغد عالما أو متعلما ، ولا تغد إمعة فيما بين ذلك »[(٣)] .

والمراد بالإمعة : المقلد ، أو الرجل الذي لا رأى له ولا عزم[(٤)] .

٤ — عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول : « ويل للاتباع من عثرات العالم » . قيل كيف ذلك ؟ قال : « يقول العالم شيئا برأيه ، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه فيترك قوله ذلك ، ثم تمضي الاتباع »[(٥)] .

(يتبع)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١٣٥/٢ ، إعلام الموقعين ١٧٣/٢ — ١٧٤
(٢) » » » » » ١٣٦/٢ ، » » ١٧٤/٢ ، إيقاظ الهمم ص ٣٦
(٣) » » » » » ١٣٦/٢ ، » » ١٧٥/٢ ، » ص ٣٦
(٤) إعلام الموقعين ٩/٢ ٢ ، إيقاظ الهمم ص ٣٨
(٥) جامع بيان العلم وفضله ١٣٧/٢ ، إعلام الموقعين ١٧٤/٢

درس في المنهج

فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح العبيلان
الرياض

● قال شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله — في فتواه في الغيبة[1]:

جرح رواة الحديث بالحق وبدع المبتدعة واجب شرعا .

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة والعبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين . حتى قيل لأحمد بن حنبل الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : «إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل» فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء .

(١) من كتاب (مسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية — المجلد الخامس) .

● شروط غيبة المبتدع :

قال الشيخ : هما شرطان :

١ ــ العلم. ٢ ــ حسن النية.

ثم قال ــ ثم القائل فى ذلك بعلم[١] لابد له من حسن نية فلو تكلم بحق بقصد العلو فى الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذى يقاتل حمية و رياء ، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصا له الدين كان من المجاهدين فى سبيل الله من ورثة الأنبياء خلفاء الرسل، وليس هذا الباب مخالف لقوله « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره »[٢]، فإن الأخ هو المؤمن وأخ المؤمن إن كان صادقا إن كان صادقا فى إيمانه لم يكره من هذا الحق الذى يحبه الله و رسوله وإن كان فيه شهادة عليه وعلى ذريه بل عليه أن يقوم بالقسط ويكون شاهدا لله ولو على نفسه أو والديه أو قريبه و متى كره هذا الحق كان ناقصا فى إيمانه ينقص من أخوته بقدر ما نقص من إيمانه فلم يعتبر كراهته من الجهة التى نقص منها إيمانه إذ كراهته لما يحبه الله و رسوله توجب تقديم محبة الله و رسوله ، كما قال تعالى : ﴿ والله و رسوله أحق أن يرضوه ﴾.

قال عبد الله بن أحمد : جاء أبو تراب النخشبي إلى أبي ، فجعل أبي يقول : فلان ضعيف ، وفلان ثقة فقال أبو تراب : لا تغتب العلماء. فالتفت أبي إليه وقال : ويحك هذه نصيحة وليس هذا غيبة.

---

(١) قوله بعلم خرج به الجاهل فإنه لايجوز للانسان أن مبدع خلق الله، هذا مبتدع وهذا جاهل ، (من كلام الشيخ عبد الله).

(٢) جزء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه فى مسلم (٢٥٨٩) باب تحريم الغيبة.

● ضوابط بين العبادات الشرعية وبين العبادات البدعية :

قال شيخ الاسلام[1] :

ــ فصل ــ فى العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها فإن هذا باب كثر فيه الاضطراب كما كثر فى باب الحلال والحرام أحدث أقوام عبادات لم يشرعها الله بل نهى عنها .

وأصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين هو ما شرعه الله ورسوله ليس لأحد أن يخرج عن هذا الصراط المستقيم الذى بعث الله به رسوله قال تعالى ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه خط خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ثم قرأ ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ .

● قواعد فى العبادات[2] :

١ ــ النهى عن الغلو فى العبادات المشروعة : كالخوارج وهؤلاء غلو فى العبادة بلا فقه فآل الأمر بهم إلى البدعة فقال : يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما وجدتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة »[3]، فإنهم قد استحلوا دماء المسلمين وكفروا من خالفهم وجاءت

(١) من كتاب (مسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ــ المجلد الخامس) .
(٢) » » » » »
(٣) البخارى رقم (٦٩٣٠) ومسلم رقم (١٠٦٦) .

فيهم الأحاديث الصحيحة . قال الامام أحمد بن حنبل : « صح فيهم الحديث من عشرة أوجه قد أخرجها مسلم فى صحيحه وأخرج البخارى قطعة منها .

ثم هذه الأجناس الثلاث مشروعة[1] ولكن يبق الكلام فى القدر المشروع منها وله صنف كتاب الاقتصاد فى العبادة وقال أبى بن كعب وغيره «اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة» .

مثال من العبادات المبتدعية :

خلوة الصوفية واحتجاجهم عليها بتعبده ﷺ فى الغار وبأربعين موسى وطائفة يجعلون الخلوة أربعين يوما و يعظمون أمر الاربعينية ويحتجون فيها بأن الله عز وجل وأعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر ، وقالوا : قد روى أن موسى عليه السلام صامها وصامها المسيح أيضا أربعين لله تعالى وخوطب بعدها فيقولون يحصل بعدها الخطاب و التنزل كما يقولون فى غار حراء حصل بعده نزول الوحى .

وهذا أيضا غلط فإن هذه ليست من شريعة محمد ﷺ بل شرعت لموسى كما شرع له السبت والمسلمون لايسبتون ، وكما حرم فى شرعه أشياء لم تحرم فى شرع محمد ﷺ فهذا تمسك بشرع منسوخ و ذاك تمسك بما كان قبل النبوة . وأما الاستدلال على الخلوات بتحنثه عليه الصلاة والسلام بغار حراء فإنه خطأ أيضا ، فإنما فعله النبى ﷺ قبل النبوة إن كان شرعه فنحن مأمورون باتباعه فيه وإلا فلا ، وهو من حين نبأه الله عز وجل لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون وقد أقام عليه الصلاة والسلام بمكة قبل الهجرة

(١) أى الصلاة والصيام وقراءة القرآن .

بضعة عشر سنة و دخل مكة فى عمرة القضاء وأقام فيها عشرين ليلة وأتاها فى حجة الوداع وأقام بها أربعة ليال ، وغار حراء قريب منه ولم يقصده وقد .

وقد جرب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين وحصل له تنزل شيطانى وخطاب شيطانى وبعضهم يطير به شيطانه و أعرف من هؤلاء عددا طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزل فنزلت عليهم الشياطين كأنهم خرجوا عن شريعة النبى ﷺ التى أمروا بها قال تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين

— فصل —

وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم فى العلم والقرآن والحديث ، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره وقد يبغض إليهم جنس الكتاب فلا يحبون كتابا ولا من معه كتاب ولو كان مصحفا أو حديثا ، كما حكى « النصر آبادى » : أنهم كانوا يقولون يدع علم الخرق ويأخذ علم الورق قال : ولست أستر ألواحى منهم فلما كبرت احتاجوا إلى علمى ، وكذلك حكى « السرى السقطى » وأن واحدا منهم دخل عليه فلما رأى عنده محبرة وقلما خرج ولم يقعد عنده . ولهذا قال سهل بن عبد الله التسترى : يا معشر الصوفية لا تفارقوا السواد على البياض فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق . وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع أو القرآن أو يكن معه كتاب أو يكتب و ذلك أنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم فصارت شياطينهم تهربهم من هذا كما يهرب

اليهودى والنصرانى ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده فى دينه . وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم فى آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعون كلامه ولا يروه .

● نفورهم من العلم والعلماء ونفور العلماء منهم(١).

وكان مما زين لهم طريقهم أن وجدوا كثيرا من المشتغلين بالعلم والكتب معرضين عن عبادة الله تعالى وسلوك سبيله إما اشتغالا بالدنيا وإما بالمعاصى وإما جهلا وتكذيبا بما يحصل لأهل التأله والعبادة فصار وجود هؤلاء مما ينفرهم وصار بين الفريقين نوع تباغض يشبه من بعض الوجوه ما بين الملتين اليهود والنصارى ، هؤلاء يقولون ليس هؤلاء على شىء وهؤلاء يقولون ليس هؤلاء على شىء وقد يظنون أنهم يحصل لهم بطريقهم أعظم مما فى الكتب .

● متى يشرع لنا أن نقتدى بالنبى ﷺ(٢)؟

قال شيخ الاسلام : إنما الاتباع للرسول ﷺ فيما كان مقصودا من فعله للقربة لا للعادة وما فعله النبى ﷺ على وجه التعبد فهو عبادة يشرع التأسى به فيه فإذا خصص زمانا أو مكانا بعبادة كان تخصيصه لتلك العبادة سنة كتخصيصه مقام ابراهيم فى الصلاة فيه فالتأسى به أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذى فعل لأنه فعل وذلك إنما يكون بأن يقصد مثلما قصد فإذا سافر لحج أو عمرة أو جهاد وسافرنا لذلك كنا متبعين له ، ولو فعل فعلا بحكم الاتفاق مثل نزوله فى السفر بمكان أو أن يصب فى إداوته ماء فصبه فى أصل شجرة أو أن تمشى

(١) من كلام شيخ الاسلام .
(٢) « « «

راحلته فى أحد جانبى الطريق ونحو ذلك فهل يستحب قصد متابعته فى ذلك؟ كان ابن عمر — رضى الله عنه — يحب مثل ذلك. وأما الخلفاء الراشدون وجمهور الصحابة فلم يستحبوا ذلك لأن هذا ليس بمتابعة له إذ المتابعة لابد فيها من القصد فإذا لم يقصد هو ذلك الفعل بل حصل له بحكم الاتفاق كان فى قصده غير متابع له، وقد ثبت بالاسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان فى السفر فرآهم ينتابون مكانا يصلون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله فقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد إنما هلك من كان قبلكم بهذا، من أدركته الصلاة فيه فليصل فيه وإلا فليمض ؟

❖❖❖❖

عاشوراء

عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم إلى المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم فيه أنجى الله موسى و قومه وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا لله فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه ●●●

تعريف ونقد :

حكم وأحكام

تأليف : عبد الله خياط رحمه الله
عرض : سعيد عبد العزيز الجندول

هذا الكتاب حكم وأحكام من مؤلفات العالم الصالح الورع فضيلة الصديق الشيخ عبد الله خياط امام المسجد الحرام رحمه الله والرجل بعلمه وسلوكه غني عن التعريف ولولا معرفتي بعدم رغبته في ذكر أي شيء مما يتميز به من مزايا وصفات هي في الحقيقة مزايا وصفات العلماء العاملين لذكرت بعض ما أعرفه عنه من أمور أرجو الله أن يجزل له ثوابها .

هذا الكتاب مدار الحديث طبع عن طريق دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع طباعة جيدة وبعد استعراضي لمواضيع الكتاب وجدت أن المؤلف قد بذل فيه من المجهود ما يستحق عليه الشكر وانه قد أضاف به للمكتبة العربية مصدرا جديدا من مصادر العلم والمعرفة مما لايستغنى عنه الباحث والقارىء .

يقع هذا الكتاب في مائتين وسبع وتسعين صفحة من الحجم المتوسط هو من ألفه إلى يائه أي من أوله إلى آخره يتحدث كما يدل عليه عنوانه عن حكم وأحكام استخلصها المؤلف من سيرة نبي الله العظيم خاتم الأنبياء وآخر رسل الله إلى هذه الأرض وما اعطر سيرة محمد عليه الصلاة والسلام وما أكثر الاسرار والحكم والأحكام فيها .

لقد بدأ المؤلف كتابه بأسلوب تحس فيه عمق الايمان وحسن القصد وصفاء العقيدة فكان أول موضوع تحدث عنه تحت عنوان — سلامة العقيدة — وهو

على لا أشك أن المؤلف وضعه فى المقـــدمة عن قصد و ذلك من خلال ايمانه بأن الانسان بدون عقيدة لا قيمة له ، وليوضح من جانب آخر صلابة الرسول عليه الصلاة والسلام فى الاصرار على تبليغ دعوته الناس وعدم تزحزحه عنها مهما كانت النتـائج وإن هذه العقيــدة عندما تتحكم فى النفس تذوب أمامها كل الصعاب ولذا وقف الرسول عليه الصلاة والسلام كما ذكر المؤلف يتحدى كل القوى المعـادية له آنذاك بأمر يجعلهم فى يأس تام على عدم تراجعه عن تبليغ رسالة ربه فيقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبـه » وهذا ما ينبغى أن يكون عليه المسلم من صلابة العقيدة وعمق الايمـان ، ويسير المؤلف بين أنوار سيرة هذا النبي المطرة متنقلا بين حكمها وأحكامها فيعيش لحظات موضحا المتاعب و المشكلات التى واجهها الرسول عليه السلام مع عشيرته وبنى قومه من أجل تأدية رسالته وما قام به أبوطالب عمه من مؤازرة له وحماية رغم قوة المعارضة للدعوة التى يدعو إليها وما تعرض له من مهانة من ثقيف بالطائف عندما قدم عليهم طالبا الاستجابة لدعوة الله إذ اغروا به سفهـاءهم وعبيــدهم يرمونه بالحجارة حتى سالت الدماء من قدميـــه ، ومع هذا يوضح المؤلف كرم الرسول ﷺ وعدم انتصاره لنفسه عندما ناداه جبريل وهو فى حالـة كرب عظيم من شدة ما ناله من سفهاء ثقيف وما نالـــه من ذله ومهانة ، قائلا له : إن الله قد سمع قول قومك لك و ردهم عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت . فنادانى ملك الجبال فسلم على وقال : يا محمد ذلك لك فما شئت . وإن شئت أطبق عليهم الأخشبين ، فقـال النبي ﷺ : « بل ارجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولايشرك به شيئا» ويستعرض المؤلف المواقف المعادية للرسول ودعوته من صناديد الكفر ومحاولتهم لكل من دخل فى دين الله من الرجال والنساء وما رآه من

فتح باب الهجرة لمن أسلم حتى لا يفتنوا عن إيمانهم بالله بسبب ما يلاقونه من أعداء الدعوة من تعذيب وتجويع وقتـل ، فكانت الهجرة إلى الحبشة ثم تأتي بعدها هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة والتي غيرت مجرى التاريخ واعطت الاسلام دفعا جديدا وبها وعن طريقها انتشر الاسلام و زاد عدد المسلمين ومنها وبها بدأ الصراع الجاد بين الحق و الباطل إلى أن أعز الله دينه ونصر نبيه على اعدائه واستمر المؤلف يبين ما حدث بعد الهجرة إلى المدينة من مشروعية القتال ، وأن الغرض منه اعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه و رد كيد الأعداء عن الوقوف امام انتشاره وبدأ يتحدث عن غزوة بدر وما حصل فيها من انتصار للرسول وأصحابه وما حصل فيها من عبر كان من أبرزها أن جيش الكفار قوامه ألف مقـاتل من بينهم مائة فارس بينما جيش المسلمين عدده ثلاث مائة وثلاثة عشر مقاتلا من بينهم فارسان فقط وهذه وحدها كافيـة للدلالة على قوة الايمـان لدى المسلمين وإن النصر إنما كان من عند الله وإن القوة المادية ليست وحدها كل شيء في تحقيق النصر لجانب على آخر، وعن نقض يهود بني قينقاع عهدهم مع رسول الله ﷺ وما يقومون به من استفزازات للمسلمين مما اضطر الرسول ﷺ إلى محاصرتهم في دورهم و إجلائهم عن المدينـة حسما لشرورهم ثم تحدث عن غزوة أحد و أسباب الهزيمة التي حلت بالمجاهدين من الصحابة وغزوة بني النظير وبدر الصغرى والخنـدق وحديث الافك وصلح الحديبيـة و أوضح السياسة الحكيمة التي انتهجها الرسول ﷺ في معالجته للخلاف الذي نشأ بينه وبين قريش في دخوله مكة عام الحديبية وعدم دخولها ذلك العـام ، وانهائه الخلاف بينه وبينهم بتلك المعاهدة التي أبرمت بينه و بينهم ونصت فيما نصت عليه أن يعود الرسول ومن معه عامهم ذلك إلى المدينة على أن يعودوا من العام القادم وبهذا الصلح انتهت حدة التوتر بين الرسول وقريش وانتهى الأمر دون أراقة دماء

وسار الكاتب فى كتابه القيم هذا يورد قصة تصفية الحساب مع البقية من اليهود سكان خيبر مركز دسائس اليهود وكيدهم وتآمرهم على الرسول والمسلمين معه، ويذكر ما دار بين المسلمين واليهود من قتال عنيف خارج حصونهم ولجوئهم إلى الحصون عندما بلغ بهم الخوف مبلغه وحصار المسلمين لهم فى آخر حصن من حصونهم إلى أن بلغ منهم اليأس مبلغه فطلبوا الصلح من الرسول ﷺ فوافق على ذلك فاستسلموا وسار المؤلف مع هذه السيرة العطرة يقرأ ويستخرج الحكم والأحكام قائلا فى صفحة ١٣٨ ان الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية فكر فى خطوة ايجابية يتخذها لنشر الدعوة خارج نطاق مكة و المدينة وما جاورهما، ورأى أن أنجح وسيلة لنشر الدعوة بعث رسائل للملوك والرؤساء والقادة والزعماء فكتب إلى هرقل عظيم الروم وكسرى عظيم الفرس وإلى النجاشى ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وإلى الحارث ابن أبى شمرة الغسانى أمير دمشق برسائل لا تختلف فى صوغها ولهجتها إلا فى بعض الفقرات والألفاظ لكنها كلها يلاحظ عليها انها بمثابة انذار لا مصانعة فيه ولا مجاملة وعرج على عمرة القضاء واعتبر هذه العمرة بمثابة رجفة زلزلت كيان قريش فقد اعترفت بالشخصية الاسلامية كواقع لامندوحة عن الاعتراف به مما جعل المسلمين يجهرون بدينهم دون تحفظ أو رهبة فكانت عمرة القضاء بحق خطوة كبرى نحو سيادة الدولة الاسلامية على دولة الشرك وبأسلوب شيق تحدث المؤلف عن غزوة مؤته وذات السلاسل وفتح مكة وقصة حاطب بن أبى بلتعه وغزوة حنين والطائف وعمرته بعد انتهاء حربه مع هوازن سالكا فى ذلك مسلكه فى المواضع السابقة من استخراج الحكم والأحكام من سيرة هذا النبى الكريم وفى صفحة ١٧٩ تحدث عن حركة المنافقين مبينا ما حدث منهم فى غزوة تبوك من تآمر لاغتيال الرسول ﷺ واستهزاء وسخرية منه ومن أصحابه ومن دسائس ومكائد ما كان لينجو

منها الرسول وأصحابه لولا لطف الله وكشفه لنبيه ما تنطوى عليه نفسيات هؤلاء المنافقين من حقد وكراهية وما يبيتونه للإسلام من كيد وافساد ويستمر المؤلف أمد الله فى عمره فى الحديث عن هذه الغزوة فيذكر قصة أولئك الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى تلك الغزوة لا بدافع النفاق: بأسلوب ينفطر له القلب من خلال ما حصل لهم من محن كادت أن تذهب بعقولهم عندما ابتعد أقرب الأقربين منهم وقاطعوهم حتى من مجرد الحديث معهم إلى أن أعلن الله توبتهم فطابت نفوسهم وعادت إلى القلوب محبتهم وتعرض بعد ذلك للحديث عن اخضاع أمراء الحدود وما كتبه الرسول ﷺ لبعضهم من أمان واستمر فى طريقه يميش احداث هذه السيرة الطاهرة يتحدث عن بعث عثمان بن أبى العاص معلما لثقيف وعرج فى ذلك على هدم اللات واستخلص من هذه أحكاما هى كما يلى:

١/ جواز انزال المشرك بالمسجد سيما إذا كان يرجى اسلامه.

٢/ الرفق فى الدعوة إلى الله و الالتزام بأحكام الاسلام وقبول المناقشة من المدعو فى آرائه رغبة فى اقناعه فى قبول ما يمكن قبوله من مطالبة إذا لم يكن ثمة ضرر أو خطر على الدين فإن الرسول ﷺ قبل مناقشة وفد ثقيف إلى أن اقنعهم بهدم أوثانهم.

٣/ مركز الامامة فى الدين لا يكون بالحسب ولا النسب ولا بالجاه والثروة والسلطان وإنما ينال بالفقه فى دين الله.

٤/ هدم معالم الشرك والوثنية دون تباطؤ.

وفى صفحة ٢٠٣ تحدث عن العام التاسع للهجرة وأسماه عام الوفود وذلك لكثرة الوفود التى وفدت فيه على رسول الله ﷺ بالمدينة مذعنة للإسلام معلنة

الطاعة مستجيبة لدعوة الرسول ﷺ فذكر وفد بنى تميم وبنى عامر وبنى سعد بن بكر ووفد عبد القيس ووفود طيء والازد ووفد روس ونصارى نجران وفزاره وبنى أسد وما إلى ذلك من بعض الوفود الذين جاءوا من جميع أقطار الجزيرة العربية معلنين رغبتهم فى الاسلام ومستوضحين عن بعض أمور من الدين وقد أوضح المؤلف ما دار بين الرسول ﷺ وبين هذه الوفود كلها من نقاش ومحادثات وأخذ ورد إلى أن عاد كل وفد إلى بلده وهو يحمل لهذا النبى فى قلبه معانى الحب والتقدير والاحترام ومع وفد بنى حنيفة قدم مسيلمة معهم فاسلموا وأحسن الرسول وفادتهم. وبعد رجوعهم إلى اليمامة أدعى مسيلمة انه قد أشرك فى الرسالة مع محمد عليه الصلاة والسلام وذلك ضمن رسالة وجهها إلى الرسول ﷺ وما كان من الرسول عليه الصلاة والسلام إلا أن اجابه برسالة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى — أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» واستمر المؤلف فى حديثه عن قصة مسيلمة الكذاب موضحا تفاهة هذا الادعاء وسخافة هذا الافتراء ومبينا ما تقوم عليه دعوته من هدم لتعاليم الاسلام كاسقاطه الصلاة عن قومه واحلال الزنا والخمر لهم، وقد استوفى المؤلف فى عرضه لهذه القصة مبينا ما جاء فيها من حكم وأحكام وما بها من خرافات وأوهام واختتم المؤلف كتابه هذا عن حجة الوداع التى وضع فيها الرسول عليه الصلاة والسلام الخطوط العريضة لحقوق الانسان وأصول الدين وقواعد العدل، من أجل رسم سياسة اسلامية واضحة المعالم، إذ قال فى خطبته فى هذه الحجة بعبارات مؤثرة «أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ثم بدأ يتحدث عن حرمة المال فقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وشهركم هذا. وحط على

اداء الأمانة و رعاية حق المؤمن ونهى عن الربا وشدد فيه وتعرض لواقع الأمة الاسلامية وقد وحد الله بين قلوبها بعد فرقة وحذر أن تعود الأمة بعد لم الشمث إلى التناصر ، وأوصى بالنساء خيرا وفى استيعاب تام أوضح المؤلف ما فى هذه الخطبة من حكم وأحكام كثيرة .

وفى النهاية عرض المؤلف لمرض موت النبي ﷺ تحت عنوان إلى الملأ الأعلى و ذكر ما روته عائشة رضى الله عنها من بداية المرض معـــه وإنه كان يداعبها كعادته مع أهله لادخال السرور إلى نفوسهم وما رواه من أنه خرج رسول الله عليه السلام من بيت عائشة إلى المسجد حيث جلس على المنبر ونادى فى الناس فاجتمعوا إليه لحمد الله ثم قال : أيها الناس انه كان منى حقوق بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضا فهـــذا عرضى فليستقد منه ومن أخذت له مالا فهـــذا مالى فليأخذ منه ولايخشى الشحناء من قلبي فإنها ليست من شأنى ، الا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقا إن كان له أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس ، وقد أرى ان هذا غير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا» ويقول المؤلف تعليقا على هذا أن رسول الأمة بهذا الطلب يرسم للأمة بموقفه هذا خطورة ظلم الناس على أى شكل من الاشكال ويتابع سيرة مرضه عليه الصلاة والسلام حتى اختاره الله لجواره مبلغا الرسالة مؤديا للأمانة ناصحا عليـه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وبنهاية موت الرسول ﷺ أنهى المؤلف كتابه القيم هذا الذى يستحق أن يقرأه كل من يرغب أن يرى سيرة الرسول عليه السلام وما فيها من حكم وأحكام ؟

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧) — صفر ١٤١٦ ﻫ

العدد السابع — يوليو ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٣٦ دولارا (بالبريدالجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيداً عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبى ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحية :

فى ساحة السياسة الهندية

تحول مفاجئ :

ولاية اترابراديش أكثر ولايات الهند سكانا ، ولها تأثير ملموس فى سياسة الهند ، وقد تم هدم المسجد البابرى الواقع فى هذه الولاية حينما كان يحكمها « حزب بهارتيه جنتا » المعروف باتجاهاته المعادية للاسلام والمسلمين . وبعد هدم المسجد استقالت حكومة حزب بهارتيه جنتا ، ثم جرت انتخابات فى الولاية نجح فيها « حزب سماجوادى » تحت قيادة « ملائم سنغ » الذى سبق أن أحبط مؤامرة هدم المسجد بأيدى المتطرفين فى سنة ١٩٩٠ م .

وبعد الانتخابات المذكورة شكل حزب ملائم سنغ الحكومة باشتراك من « حزب بهوجن سماج » الذى ادعى مثل حزب سماجوادى تأييد الطبقات المتخلفة و المنبوذة و حزب المؤتمر . و استمرت هذه الحكومة الائتلافية نحو (١٨) شهرا ، ثم سقطت فى شهر يونيو لهذا العام حينما سحب حزب بهوجن سماج تأييده لها ، وقد استغرب المراقبون السياسيون كثيرا هذا التحول المفاجئ فى موقف حزب بهوجن سماج ، وقد بلغ هذا الاستغراب ذروته حينما أعلن حزب بهوجن سماج أنه يشكل الحكومة الجديدة فى الولاية باشتراك من حزب بهارتيه جنتا ، وذلك لأن البون شاسع بين الحزبين ، فان الأول يدعى الوقوف مع الطبقات المنحطة ، و الثانى يعرف بوقوفه مع الطبقة العليا التى تسيطر مع قلتها على سياسة البلاد ، وتنادى باعادة الحضارة الهندوسية اليها . وهذا التغير

فى الوضع السياسى للولاية يعتبره المعلقون السياسيون نذير شر للأقليات الدينية وخاصة المسلمين . فان اتجاه مقاومة الطائفيــة و العصبية الدينية الذى تبنته الحكومة السابقة كاد أن يتلاشى ، وعادت سياسة التفرقة والتخويف والارهاب الى الممارسة من جديد ، وغاب من الساحة حزب المؤتمر الذى ادعى فى ممارسته للحكم فى السنوات السابقـة محاربة الطائفية والتعصب والتمسك بالعلمانية والعدالة الاجتماعية ، ولكن الحقيقــة أنه وقف مع المتطرفين والعنصريين ، وأتاح لهم فرصة التلعب بمصير الضعفاء و المنكوبين ، وساعــد تماما فى دعم العنصريــة والطائفيــة فى البلاد . ويرى المعلقون أن حزب المؤتمر لعب دورا فعــالا فى اسقاط الحكومة السابقة ، وكان ذلك قد تم بتواطئه مع حزب بهارتيه جنتا .

وكذلك يرون أن العقـد الأخير من هـــذا القرن الميلادى يعتبر عصر نهضة الهندوسية ، ولكن حركة النهضة هــذه تتبنى سياسة الدفاع وليس سياسة الهجوم ، لأن القائمين بها يدركون تماما انقسام المجتمع الهنـدوسى الى الطبقات الأربع و احتقار بعضها للبعض بناء على هـــذا التقسيم ، الأمر الذى أدى الى شيوع التفرقـة و الفوضى ، و انعدام المساواة و العدالة ، و التجرؤ على استغلال الضعيف من القوى .

وهذه المعاملة القاسية مع الطبقات المنحطة قد أحدثت فى أفرادها شعورا بالبغض و الكراهيــة ضد الطبقـــة العليا ، ودفعتها إلى بذل الجهد للحفاظ على حقوقها ولتأمين مستقبلها فى المجتمع المعاصر . وقـــد استغل الزعماء السياسيون هــــذا الاتجاه فأنشأوا أحزابا سياسية ترمى الى الدفاع عن حقوق الطبقـــات الضعيفـــة ، والى تحسين مكانتها فى المجتمع . والى توفير حياة كريمة للفقراء والمتخلفين . وقـــد انضم الشعب المهانـــ الى هـــذه الاحزاب ، وأيدوها فى

الانتخابات ، وأبدوا رضاهم واعجابهم بالمبادىء والأهداف التى تبنتها الأحزاب المذكورة لانصاف الضعفاء والمقهورين . وهذه اليقظة السياسية والاجتماعية فى الطبقات المنحطة قد دفعت حزب بهارتيه جنتا الى النظر فى سياسته التى كانت تتسم بالتفرقة والعنصرية وترمى الى استغلال الضعفاء والمنحطين . وبعد النظر فى الأوضاع القائمة فى البلاد أدرك المسئولون عن الحزب المذكور أن الأقليات الدينية والطبقات المنحطة يتجمعون ضد حزبهم ، ويكرهون سياستهم ، وأن الوصول الى السلطة المركزية لايتيسر بدون تأييد من هذه الطبقات . وهنا حدث تحول — شكلى لاحقيق — فى سياسة هذا الحزب ، فأيد حزب بهوجن فى تشكيل الحكومة ، وكذلك حاول استمالة المسلمين باعلان البرامج التى ترمى الى مساعدة هذه الأقلية التى تعرضت لكثير من الابتلاء والمحن على يد الحزب المذكور .

ولما أثير موضوع حجز الوظائف الرسمية للطبقات المتخلفة بنسبة معينة رحبت به هذه الطبقات ، وأيدته تأييدا قويا ، وقد اعتبره الطائفيون ضربة لازب لمصالحهم المادية ومكانتهم الاجتماعية ، وكذلك انتاب القلق واليأس حزب المؤتمر وحزب بهارتيه جنتا بادراكهما تحول الطبقات المتخلفة الى غيرهما من الأحزاب السياسية . وهنا التجأ الحزبان الى اذكاء نار العصبية فى نفوس الهندوس واثارة عواطفهم الدينية ضد غيرهم حتى تتحقق مصالحهما السياسية ويقل فى المجتمع الهندوسى التفكك والانقسام ، وكذلك سعى الحزبان لنشر الرعب والارهاب بين الناس وتهيئة الجو للصدام الطائفى حتى يسهل اخضاعهم لدكتاتورية القانون واشغالهم فيما بينهم .

والحزب بهارتيه جنتا محاولة أخرى للحصول على الشعبية وللوصول الى السلطة

المركزية ، وهى تتلخص فى المشاركة والتفاهم مع الأحزاب السياسية الأخرى كما رأينا حاليا فى مشاركته مع حزب بهوجن سماج فى ولاية اترابراديش مع التضاد والتفاوت بين مبادىء وأهداف الحزبين .

(آواز ملك ، عدد ١٩٩٥/٦/٢١م ص ٦)

تهديد سافر :

قال المستر أشوك سنغل الأمين العام لوشوهندو بريشد : ان تحليل وشوهندو بريشد من قبل الحكومة المركزية كان خطأ ، وقد ثبت ذلك بقرار المحكمة ، ولذا تستعد هذه المنظمة لرفع القضية الى المحكمة ضد قرار الحكومة السابق .

وقد صرح المذكور بعد وصوله الى مفاسرائے لأعضاء منظمته : ان موضوع « متهرا وكاشى » داخل فى جدول أعمال المنظمة ، ونحن نستمر فى جهودنا للحصول على المكانين المقدسين غير مبالين بقول أحد وفعله .

وطالب حكومة الولاية بازالة الموانع و العراقيل فى بناء المعبد فى أرض أيودهيا .

وقد انتقد المستر أشوك الارساليات التبشيرية النصرانية فقال : ان ازدياد عدد هذه الارساليات يزيد قلق وشوهندو بريشد لأن نحو أربعمائة ألف هندوسى يدخلون فى النصرانية والاسلام كل سنة . ونحن الآن نمنع هذا العمل .

و استطرد قائلا : ان عشرة آلاف هندوسى يتم تدريبهم للحفاظ على الدين الهندوسى ومنع ظاهرة تغيير الديانة ، ويمنح مليون ونصف مليون شخص عضوية المنظمة ، وكلهم يجمعون ألفى روبية من الأثرياء .

وقـــد اكتشف أشوك سنغل عن وجود المنبوذين فقـــال : ان المجتمع الهندوسى كان يمنح الجميع مكانة مساوية ، والمنبوذون كانوا محترمين فى هذا المجتمع ، ولكن الاسلام جاء لجعل الذين لم يدخلوا فى الاسلام منبوذين .

(آواز ملك ، عدد ٢٦/٦/١٩٩٥م)

◎ هـذا التهديد السافر يصدره مسئول عن منظمة معروفة فى ظل دولة علمانية ديمقراطية ضد الأقليتين الدينيتين (النصرانية والاسلام) وانه ينتقد فى نفس الوقت الحكومـــة المركزية ، ولا يرى أحـــد فى هذا البيان خرقا للدستور الهندى الذى يصرح باعطاء الأقليات الدينية حرية الفكر و التدين ، أو انتهاكا لمبادىء العدالة والأخلاق ! ان المشكلات التى تواجـــه شعب الهنـــد كثيرة ، ولكن لايتقدم أحـد لحلها ، ولكن أصحاب الأهواء و الأغراض من السياسيين يثيرون عواطف الحقد و الكراهية بين الناس ، و يذكون نار العصبية والتطرف للحصول على الأغراض السياسية التافهة . وفى مثل هـــذه الأوضاع أين تذهب الأمانى والآمال التى يعلقها الشعب بالنهضة والتقدم ؟

(د/ مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

العسل ومنافعه فى ضوء القرآن الكريم وتجارب الأطباء الاخصائيين

(١)

بقلم : الشيخ لطف الحق الشمسى
المدرس فى المدرسة الحميدية دار الحديث ، بيهار ، الهند

الحمد لمن قال فى القرآن الكريم « فيـــه شفآء للناس » والصلاة والسلام ، على من أنقذ الناس من الأرجاس والأدناس ، وعلى أصحابه الذين استعاذوا من شر الوسواس الخناس.

وبعـــد : فقد أخبر القرآن الكريم بوضوح قبل أربعـــة عشر قرنا عن العسل فقال : « فيـــه شفاء للنـــاس » وعرف به أهل العالم ، وكانوا قبل ذلك لا يعرفون الا بعض منافعه ، وكانوا لا ينتفعون به الا قليلا ، ثم انهم عرفوا بجميع منافعه ، ووجدوا فيه أكبر منفعة وأعظم فائدة فى باب الشفاء من ساير الأمراض والأوجاع والآلام ، وشاهدوا فيه تأثيرا عجيبا ونتيجة بديعة فى مجال المعالجة ، بعـــد أن أخبر القرآن الكريم عنه ، وبعد أن شربه الرسول الأكرم ﷺ طول حياته ، وبين للناس منافعه التى وجدها ﷺ من المواظبة والاستمرار على شربه طوال عيشه ﷺ ، وداوى به المرضى والضعاف ، ولاشك أن القرآن الكريم لقـــد من على الكيمياويين خاصة ، وعلى الأطباء عامة باعلانه عن العسل بأنه « فيـه شفاء للناس » منا عظيما ، فاتخذ الكيمياويون منه من الأدوية

المتنوعة النافعة ما لا يمكن احصائه هنا ، وسقاه الأطباء المرضى والشيب فصحوا وانتعشوا فى أقل وقت ، وأصبحت المئات بل الآلاف من الأمراض المستعصية والأدواء المزمنــة تزول بشربه في وقت قصير ، وبذلك تقدم وازدهر الطب ازدهارا رائعا ، وفاز الأطباء والحكماء فى التــداوى به فوزا عظيما . فلو ان القرآن الكريم لم يخبر عن العسل ولم يعرف به أهل العالم لجهلوه وحرموا من منافعه الجليلة و مصالحـــه النبيلة ، و هلكوا و ماتوا ، و ازدادت الأمراض ، وتكثرت الاوجاع ، وانتشرت الادواء ، وتخلف باب الطب ، وانحط مجـــال العـــلاج ، و خاب الأطباء و الحكماء فى ميدان التداوى خيبة عظيمة ، ويئس المرضى والضعاف من عدم الشفاء .

و يسعدنى أن أقـــدم بين أيدى القراء مقالة ألق فيها الضوء على منافع العسل وخصائصه بايراد آراء الأطباء الأفاضل وأفكار الحكماء الأماثل تحقيقا لما أخبر عنه القرآن الكريم ، وبينه طبيب الامـــة ﷺ وكذلك فيها أضواء على معلومات مفيدة وأبحاث نافعة مختلفة حول العسل ، فكما تتجلى أمام القارىء فى هذه المقالة منافع العسل و خصائصه ومميزاته ، كذلك تتحقق معجزة القرآن الكريم بهذا الصدد ، وتظهر واقعيـــة اعلانه وسمو منزلته بكونه وحيا من الله العلى القدير .

و المقصود الأهم بتقـــديم هـــذه المقالة الى القراء الكرام هو الاعلام بصدق اخبـــار القرآن الكريم عن العسل ، و التعريف بمنافع العسل العظيمة وخصائصه البارزة ، و التنويه بأن أهل العـــالم كله بفضل نطق القرآن الكريم بالعسل اطلعوا على منافعـــه و انتفعوا بتناوله ، و الاشارة الى اهتمام الرسول الأكرم ﷺ الشديد بشربه كل يوم بعد العصر والتداوى به للمرضى والضعاف .

فأقول مستعينا بالله وراجيا من القراء العناية بهذه المحاولة المتواضعة :

اعلم أيهـــا القارىء أن القرآن الكريم كما اعتنى بعلم الطب كذلك انه اهتم بذكر العلوم و الفنون و المعارف التى توجد فى العالم . فان العاقل العارف اذا تدبر معـــانى القرآن الكريم و مطالبـــه وجد أنه كما هو محتو على جميع التوجيهات الإسلاميـــة اجمالا كذلك انه جامع على وجه الايجاز لجميع العلوم و المعارف من علم الكيميا و علم الأحياء و علم طبقات الأرض و علم الفلك و علم الأجسام و علم النباتات و علم الاجتماع و علم الاقتصاد و علم التربيـة وعلم الحساب وعلم الفلاحة و الفلسفة و التاريخ و الجغرافية وعلم الجنين وغير ذلك من العلوم والفنون والموضوعات التى لا يمكن هنا احصائها .

وكذلك ان الناظر المنصف إذا نظر فى القرآن الكريم وألفاظه وتفـكر فيـــه لظهر أمامه جليا أن القرآن الكريم قد بلغ أعلى درجة من الفصاحة و البلاغة ، وليس كتاب فى العالم يساويه فى جزالة اللفظ ، وبديع النظم وحسن السياق و المبادىء و المقاطع و تنويع الخطاب و الإطناب والايجاز وغير ذلك من محاسن الكلام .

وحارت العقول ودهشت الأنظار بأسلوب القرآن الكريم البـــارع الذى أقنع العقل و أمتع العاطفة وهز القلب بجودة السبك و إحكام السرد و ترابط الأجزاء وتماسك الكلمات والجمل والآيات والسور ، وفى إيراد المعنى الواحـــد بألفاظ و طرق مختلفة تنقطع فى حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء . ان القرآن الكريم هو كتاب امتاز فى تأليف كلامه واختيار ألفاظه عن غيره من كلام الناس ، لا يوجد له نظير قبله ولا بعده .

كان العرب أفصح الفصحاء و فرسان الكلام فى العـــالم ، وكانوا بذلك يتعاظمون و يتفاخرون ، وكان القرآن الكريم ينزل على محمد ﷺ فى البقاع التى

يعيشون فيها . فتصدوا لمعارضة القرآن الكريم ، فتحداهم القرآن الكريم تحديا سافرا لأن يأتوا بمثله ، وأمهلهم طوال السنين فلم يقدروا . كما قال تعالى : ﴿فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين﴾(١) .

ثم تحداهم بسورة فى قوله : ﴿وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾(٢) .

فألجمهم الجاما بينا ولما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء والبلغاء والشعراء فيهم نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال : ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾(٣) .

فلو اجتمع أدباء الأرض كلها و فصحائها وبلغائها شرقا وغربا على أن يأتوا بآية قصيرة من مثل آية القرآن الكريم ما استطاعوا ذلك و لن يستطعوا الى أن تقوم الساعة .

واهتماما بالعسل وبمنافعه الجليلة سمى الله تبارك وتعالى سورة من سور القرآن الكريم بالنحل ليتدبر فيه الناس ويهتموا به ، ولقد سجل القرآن الكريم ايحاء الرب تبارك وتعالى الى النحل فى تتبع الأشجار و الأكل من أنواع الأثمار والأزهار واتخاذها بيتا والجمع فيه عسلا بعناية فائقة واعتناء كبير ، قال تعالى : ﴿وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها

---

(١) الطور : ٣٤

(٢) البقرة : ٢٣

(٣) الاسراء : ٨٨

شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾[١].

سبحان الذى بإذنه تتبع النحل الأشجار ، فتأكل من ثمراتها ، ثم تتخــذ بيتا ، ثم تجمع العسل هنالك ، و من حكمــة الله تعــالى الباهرة أنه قد أودع فى رياحين وأثمار مادة شفاء من كل داء ، ليس أحد من البشر يعلم أن فيها مادة من شفاء ، وكذلك انه كان لا يعرف أن النحل تتتبع الأشجــار وتأكل من أثمارها ثم تجمع منهــا العسل ، و اطلع على ذلك الناس بعــد ما أخبر عنه القرآن الكريم .

تتحير العقول وتنــدهش الأفكار اذا تاملت فى أنهــا كيف تجمع العسل ، ان فى اتخاذ النحل بيتا ، وأكلها من صنوف الأزهار وضروب الأثمار ، وخروج الشراب من بطونها نماذج رائعــة لقوم يتأملون كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿ إن فى ذلك لآيــة لقوم يتفكرون ﴾ ينتفع بمنافعه المتنوعــة قوم يتفكرون فيه .

اتفق الأطباء و الحكماء قاطبة على أنه لم يخترع منذ أن بث الله الأرض إلى يومنا هذا دواء أفضل وأنفع من العسل ، وأرجو أنه لن يخترع دواء مثله إلى يوم الدين .

وليس فى العــالم فيتامين يساوى العسل ، فإن جميع الفيتامينات التى يحتاج اليها الإنسان مودعة فيه دون شك كما اكتشف ذلك علماء الطب .

وقبل أن أبدأ بالمقصود أود أن أكتب كيف تهئ النحل العسل ؟

(للبحث صلة)

◇✻◇

(١) سورة النحل : ٦٩

النقوش الكتابية الإسلامية المبكرة فى بلاد البنغال

بقلم : الأستاذ د . محمد يوسف صديق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد : فقد بزغ نور الإسلام وانطلقت حضارته فى وقت كانت الحضارات السابقة فى طريقها إلى الانهيار والاضمحلال . كانت البشرية آنذاك تهيم فى ضلال الجاهلية ، وتعانى من أجوائها الملبدة بالزيغ والانحراف ، فجاءت رسالة الإسلام هبة ثمينة منحها الله تعالى للبشرية ليخرجها من الظلمات إلى النور .

جاء الاسلام بمنهج متكامل للحياة البشرية يحوى كل ما تتطلبه هذه الحياة من خير وهداية ونظام ، ويتضمن ما يكفل للبشرية سعادتها فى الدنيا والآخرة ، ولم يكن الاسلام كغيره من الأديان التى تدعو الانسان الى العزوف عن الدنيا ، فالاسلام لا يقر الرهبانية لقد جاء الاسلام ليقدم للبشرية منهاجا واقعيا سليما شاملا متكاملا ، ويبين لها دورها فى هذه الدنيا كى تقوم هى بدورها بعمارة الأرض ، وكذلك يبين لها حقيقة الآخرة لتعمل لها ، كما جاء فى قول نبي الإسلام محمد ﷺ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » . وانطلاقا من تلك الشمولية و ذلك التكامل اللذين تتسم بهما رسالة الاسلام بدأ المسلمون يترجمون ما جاء به الاسلام من دعوة للبناء والعمران فى حياتهم العملية ، وهكذا كان ميلاد الحضارة الإسلامية العلمية العملية المتفردة بخصائصها ومقوماتها .

لقد أقام المسلمون دعائم حضارتهم على أسس ثابتة راسخة ، منطلقين من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية ، فكانت حضارتهم متجـددة متميزة عن الحضارات الأخرى ، ولم يقتصر التراث الاسلامى على ما أنتجه العلماء المسلمون من مخطوطات ثمينـة فى مجالات العلوم الدينية والدنيوية ، بل تعدى ذلك الى ما تركه لنا الفنانون المسلمون من العمائر والصناعات الفنية فى الشرق والغرب على السواء والتى اتسمت بذوق جمالى رفيع ، ذلك أن القيمة الجمالية تعتبر من الصفات العليا التى جاءت بها الشريعة الاسلامية السمحة . وكان من أهم العناصر الجمالية فى المنتجات الفنية الاسلاميـة الخط والكتابة حيث اعتمدهما المسلمون كعناصر أساسية الأعمال الزخرفية والفنيـة ، وابتكر الفنانون المسلمون أنواعا عديدة من الخطوط العربيـة وأودعوها عنـاية خاصة ، فأبدعوا وأنتجوا روائع فنية متنوعة مما أثبت أصالة الفن الاسلامى وابتكاره .

ولم يكن انتشار الحركة الفنية الاسلاميـة وازدهارها بما فى ذلك الخط العربى مقصورا على قطر اسلامى معين ، بل شمل البلاد الاسلاميـة كلها ، وقد لعب المشرق الاسلامى دورا هاما فى الاضافات القيمـة إلى تلك الفنون ، وفى ابتكار أنواع جديدة من الخطوط . ومن أروع الأمثلة على ذلك ما عثر عليـه فى بلاد الهند ، حيث نجد أن الخط العربى وفنونه تشكل عنصرا هاما من عناصر الزخرفة فى تلك البلاد ، وقـد نقش الخط العربى بأنواعه المختلفة على اللوحات الحجرية فضلا عن استخدامه فى مجالات أخرى مثل كتابة المخطوطات .

ولما كانت هذه النقوش تحوى أعمالا مختلفة لعلماء وفنانين كان لدراستها أهمية كبيرة فى مجالات عديدة ، فالنقوش خير شاهد على تطور الكتابة وزخرفتها عبر العصور المختلفة ، وكذلك فإن نصوصها تعتبر كنزا من الكنوز الطيبـة

المليئة بالمعلومات التاريخية الصحيحة عن الأزمنة الغابرة لآسيا وأن هذه النقوش كانت تحمل عادة تاريخ كتابتها واسم الحاكم الذى أمر بالبناء . وخلاصة القول فإن دراسة النقوش والكتابات الأثرية تغطى جوانب عديدة فى دراسة التاريخ والحضارة والفنون .

والنقوش الاسلامية العربيـــة فى شبه القارة الهندية بصفة عامة وفى بلاد البنغال لصفة خاصة لها أهمية كبيرة فى دراسة الحضارة و الفنون الاسلامية فى تلك البلاد ، فقـــد شهدت بلاد البنغال أزهى عصورها خلال الحكم الاسلامى الذى ازدهرت فيـه العلوم والفنون حتى وصلت إلى أوجها ، وتميزت النقوش الاسلامية العربية فى هذه المنطقة بجودة كتابتها فى الخطوط المختلفة ، وكذلك فإن نصوصها غنية بالمعلومات التاريخية المتنوعة ، فلم يكن غنى للباحث فى التاريخ والحضارة الاسلامية فى أن يعتمد عليها فى أبحاثه .

وتجدر الإشارة إلى أن المواد بالنقوش العربية فى مقالى هذا ليس تلك اللوحات المكتوبة باللغة العربيـــة فحسب ، بل تشمل جميع النقوش واللوحات التى استخدم فيها الخط العربى ، فقد قمت أيضا بدراسة النقوش والكتابات التى كتبت باللغة الفارسية ضمن هذا البحث حيث إن جميعها منقوشة بالخط العربى ، واللغة الفارسية لها أهميتها فى دراسة تاريخ الهنـد وحضارتها لأنها كانت اللغة الرسمية فى الهنـد الاسلامية وخاصة فى البلاط المغولى ، وبها كتبت كثير من المخطوطات والنقوش واللوحات فى ذلك العصر ، وكثير من النقوش تجمع بين اللغـــة العربية والفـــارسية فكان لا مفر من دراستها ، وكانت معظم النقوش المكتوبة باللغة الفارسية تحتوى على كثير من الكلمات والعبارات العربية فضلا عن بدء نصوصها بالبسملة والحمدلة والتهليل وآيات قرآنيـــة مختلفة وأحاديث

نبوية شريفة، ونظرا لاستخدامها مع اللغة العربية كان لايسع الباحث إهمالها في دراسته.

ومما لا شك فيه أن البنغال من أغنى البلاد الإسلامية في النقوش العربية في العصور الوسطى، وقد عثر على ما يقرب من مائتي نقش تعود في تاريخها إلى الفترة ما بين ٦٠١هـ و ٩٤٥هـ، وعلى الرغم من الأهمية التاريخية والحضارية لهذه النقوش فإن دراستها أهملت من قبل المؤرخين والباحثين، ويعتبر هذا البحث الأول من نوعه في هذا الموضوع حيث لم يسبق إلى مجال دراسته باللغة العربية أحد.

ومع أن هذه النقوش العربية لم تدرس في البلاد العربية فإن هناك من المستشرقين وكذلك بعض علماء البنغال من حاول دراسة بعضها من الناحية التاريخية والفنية، وإن كانوا قد مهدوا الطريق إلى البحث بسبقهم إلا أنني تمكنت من تصحيح بعض ما ورد في كتاباتهم، كذلك قمت بقراءة لبعض النقوش التي لم تسبق دراستها من قبل وناقشت القيمة التاريخية للمعلومات الواردة فيها، كما فصلت في أسلوبها الفني والأدبي وتعرضت بشيء من التفصيل للألقاب التي وردت في هذه النقوش، ولا يخفى أن هذه الألقاب تمدنا بالكثير من المعلومات عن الأنظمة الحكومية والإدارية والسياسية والاجتماعية. ولما كانت معظم هذه النقوش تحمل في نصوصها تاريخ كتابتها فإن دراستها تقدم إضافات جديدة للمؤرخين والباحثين.

وفيما يلي أسماء المتاحف التي عثرت فيها على نقوش بنغالية عربية:

١ — المتحف الهندي بكلكتا في الهند، ويحتفظ بأكبر عدد من هذه النقوش حيث يبلغ عددها حوالى خمسة وعشرين نقشا.

٢ — متحف أبحاث و رندره براجشاهى فى بنغلاديش ، ويحتفظ هذا المتحف بما يقرب من سبعة عشر نقشا .

٣ — متحف دهاكا فى بنغلاديش .

٤ — المتحف البريطانى بلندن ، ويحتفظ بسبعة نقوش بعضها فى حالة غير جيدة .

٥ — متحف بى آر سين فى مالدهة بالهند .

٦ — متحف ديناجبور بنغلاديش .

٧ — متحف بشتاغنغ ببنغلاديش .

٨ — متحف جمعية الأدب البنغلالى بكلكتا فى الهند .

٩ — المتحف الجامعى بفيلادلفيا فى الولايات المتحدة الأمريكية

١٠ — المتحف الوطنى بكراتشى فى باكستان .

١١ — متحف غوهاتى بالهند .

١٢ — متحف بانكى بور بالهند .

١٣ — متحف بتنا بالهند .

١٤ — متحف لكنهو بالهند .

ويحتمل أن تكون هناك نقوش محفوظة فى مجموعات خاصة لهواة جمع النقوش ، وقد أشرت إلى أمثلة لنقوش كهذه خلال عرض النقوش ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكثير من هذه النقوش موجود حتى الآن فى مكانه الأصلى ، كما أن هناك نقوشا كانت قد نقلت من أماكنها الأصلية ونصبت فيما بعد على الأضرحة والمساجد فى الفترات اللاحقة ، وهذا من أشق الأمور التى واجهتها فى جمع المعلومات عن تلك النقوش .

ويلاحظ أن معظم هذه النقوش تتعلق بالمساجد ، وهناك أيضا عدد

لابأس به من النقوش التذكارية التى تسجل إنشاء المدارس والقلاع والحصون والجسور والمداخل والأسبلة والأضرحة ، ولاشك أن هذه كلها تشير إلى تقدم النهضة المعمارية والفنية فى البنغال فى تلك الفترة الإسلامية المبكرة .

وقد صنعت معظم اللوحات الحجرية من البازلت الأسود الكربونى الفحمى، وكان هذا النوع من الأحجار كثير الاستعمال بين الفنانين فى البنغال منذ عهد ما قبـــل الإسلام حيث كانوا يستخدمونه فى النحت على الأحجار مثـــل عمل المجسمات والتماثيل وكذلك فى بناء المنشآت المعمارية وكثير من الأعمال الفنية الأخرى . وجدير بالذكر أن بلاد البنغال أساسا ليست بلادا جبليـة وقليلا ما توجد فيها الأحجار ولذلك كانت الكتلات الحجرية تستورد غالبـــا من راج محل عن طريق الأنهار التى تقع على حدود البنغال وبهار الحالية والتى لا تبعد كثيرا عن غور وبنڈوه العـــاصمتين الاسلاميتين فى العصر السلطانى ، وكذلك فإن الفنانين لم يستخدموا الأحجار الكريمـــة فى الكتابات الحجرية لندرتها فى البنغال ، وهناك عدد قليل من اللوحات المصنوعة من الحجر الرملى وهى محفوظة حاليا فى المتحف الهندى بكلكتا ومتحف أبحاث و رندره براجشاهى .

ولم يعثر على أية لوحات كتابية خشبية ترجع إلى تلك الفترة مع أن بلاد البنغال غنية بالأخشاب ، ويندر أيضا أن تجد نقوشا عربية على لوحات معدنية ، وقد برع الفنانون فى استخدام الكتابات العربية من الآجر ، ويحتفظ المتحف الهندى بتحفة رائعة من هذا النوع غير أن التاريخ المحفور على الآجر فى ذلك النقش ليس كاملا .

أما طريقة نحت الكتابات على الأحجار فأغلب الظن أن الفنانين والنحاتين كانوا يكتبون أولا على أرضية اللوحة بالحبر ، ثم يحفرون أرضية اللوحة دون

الأجزاء المكتوبة لتبرز الكتابة على اللوحة ، وهذا ما نلاحظه فى جميع هذه الكتابات حيث تجدها بارزة على اللوحات التى يحيط بها من جوانبها الأربعة الإطار والمستطيل .

أما اللوحات الكتابية التى استخدمت فيها الزخارف النباتية أو الهندسية من تلك الفترة فقليلة نسبيا ، إلا أن بعض هذه اللوحات تشكل نموذجا رائعا لاستخدام العناصر النباتية فى الزخرفة ، وخير مثال على ذلك نقش بارى درغاه المؤرخ سنة ٦٤٠هـ ويمثل هذا النقش نموذجا رائعا لاستخدام العناصر النباتية كالزهور والأغصان والأوراق على أرضية الكتابة متداخلة فى الحروف ، وقد عثر أيضا على لوحات نقشت إطاراتها بالزخارف النباتية بأسلوب جميل .

وكثيرا مما نرى الأخطـاء النحوية واللغوية فى نصوص هذه النقوش ، ويرجع ذلك إلى عدم إلمام النقاش باللغة العربية حيث كانوا من غير الناطقين بالعربية ، ونرى أيضا أن بعض الحروف أو الكلمات سقطت من الناسخ بسبب إهماله ، وكذلك هنـاك تكرار لبعض الحروف أو الكلمات فى بعض النقوش خاصة عند كتابة اسم الشهر خلال تسجيل التاريخ ، فنقرأ مثلا فى أحد النقوش «شهر رجب رجب» وتحتوى النقوش البنغاليـــة فى تلك الفترة على كثير من الكلمات الفارسية حيث كانت اللغة الفارسية متغلغلة فى الحياة الثقافية والاجتماعية فى هذه البلاد[١].

ومن أهم المظاهر الفنية فى هذه النقوش تلك الزخارف الكتابية الغربية التى تميزت بالجودة والاتقان ، والمتأمل للنقوش العربيـــة يلاحظ أن الفنانين

(١) وكذلك لم تخل هذه النقوش من الكلمات والتعبيرات المعارضة للدين الاسلامى بسبب جهل الناقشين بالحكم دقائق العقائد والأساسيات (المجلة) .

المسلمين فى البنغال لم يتقيدوا باستخدام الخطوط التقليدية الشائعة مثل الخط الكوفى والنسخى والثلث بل استخدموا خطوطا أخرى لم تكن شائعة كالخط البهارى والمسلسل، وكذلك أضافوا إليها ابتكارات فنية جديدة ، وبعبارة أخرى فإن الخطوط العربية قد نمت تحت تأثير العوامل المحلية فى البنغال واتسمت ببعض الملامح الفنية الخاصة التى جعلتها متميزة عن الخطوط العربية التى كانت معاصرة لها فى البلاد الاسلامية.

ومن أبرز المظاهر الزخرفية فى هذه الكتابات إطالة أصابع الحروف القائمة إلى الأعلى بشكل منتظم ومتناسق وإعطاء رؤوسها شكل الخطاف أو نصف الرمح أو السهم ، وكثيرا ما كانت تزين رؤوس هذه الأصابع الطويلة الحروف القوسية المنتخبة من الأسفل. وقد عرف هذا المظهر الجمالى بأسلوب الطغرا البنغالية ، وهى تختلف عن الطغرا العثمانية اختلافا واضحا فقد استخدم الفنانون المسلمون فى البنغال أسلوب الطغرا للكتابة على الأحجار بينما اقتصرت الطغرا العثمانية فى الغالب على التوقيعات والشعارات الحكومية وكتابة البسملة وبعض الجمل الدعائية ، ومع ذلك فإن الطغرا العثمانية هى التى كانت معروفة لدى الباحثين العرب وفى الغرب فى الوقت الذى لم تحظ فيه الطغرا البنغالية على اهتمام الباحثين أو المؤرخين.

ويمكن تقسيم الطغرا البنغالية من الناحية الفنية والجمالية إلى أقسام عديدة نسبة إلى أشكال الحروف التى ابتكرها الفنانون خلال رسم تلك الحروف، وأهم هذه الأقسام أسلوب القوس والسهم وأسلوب الزورق والمجاديف وأسلوب البجع وأسلوب كتيبة الجيش ، ونلاحظ فى بعض النقوش أن ذيول بعض الحروف متصلة مع بعضها وقد أطلق على ذلك اسم الخط المسلسل ، وهناك

خط آخر فى بعض النقوش كان يكتب بطرف خاص من القلم حتى تتنوع سماكة الحروف فيه من موضع إلى آخر، وسمى هذا الخط بالخط البهارى، وكان يستخدم فى كتابة المصاحف فى مناطق مختلفة فى الهند، واستخدم الفنانون أكثر من خط فى النقش الواحد.

أما النقوش المغولية فقد تميزت عن النقوش الاسلامية السابقة فى أمور مختلفة، فنلاحظ مثلا فى كتابة تاريخ النقش أن الكتاب بدأوا يفضلون استخدام حساب الجمل بدلا من تسجيل أعداده بالحروف أو بالأرقام، وقد شاع استخدام حساب الجمل فى العصر المغولى بشكل عام فى جميع مناطق الهند، ومن الجدير بالذكر أن استخدام حساب الجمل كان قد انتشر فى كثير من الأقطار الاسلامية فى تلك الفترة لدرجة أنه استخدم فى بعض نقوش المسجد الحرام بمكة المكرمة.

أما السنة والتاريخ المذكوران فى النقوش فكانا دائما يسجلان بالتقويم الهجرى، وهى ظاهرة عامة فى الكتابات الأثرية الاسلامية فى معظم أنحاء العالم الاسلامى، ونرى بعض النقوش الاسلامية المغولية أن تسجيل السنة كان بحساب جلوس الامبراطور على العرش.

ومن الملاحظ أن الكتاب فى العصر المغولى كانوا قد اتجهوا إلى استخدام الأبيات والأساليب الشعرية لكتابة نصوص النقوش بدلا من كتابتها بأسلوب نثرى كما كان التقليد سابقا، وتقدمت اللغة الفارسية فى هذا العصر تقدما ملموسا وأصبحت هى اللغة الرسمية فى البلاد وكتبت بها النقوش واللوحات وكثير من المخطوطات فى شتى مجالات العلوم والفنون والأدب واللغويات والعلوم الدينية. وكان لنفوذ الشيعة وسيادتهم فى الحكومة والمجتمع فى بداية العصر المغولى أثره فى نصوص بعض النقوش حيث كانت تحمل الطابع الشيعى

وتسجل المنشآت الشيعية ، إلا أن الأقلية الشيعية لم تنجح فى السيطرة على دفة الحكم ، وتقلص نفوذهم فى بلاط الامبراطور المغولى بدهلى مما اضطرهم إلى الهجرة إلى مناطق بعيدة لمزاولة نشاطهم السياسى والاجتماعى ، وقد عثر أيضا على عدد كبير من النقوش فى البنغال تتعلق بأضرحة الصوفية ومنشآتهم أو تسجيل أسماءهم وألقابهم ، و يدل هذا على مركزهم الدينى فى المجتمع البنغالى ، و يبدو جليا من بعض هذه النقوش أن وقف الأراضى للمساجد والمدارس كان تقليدا شائعا فى ذلك العصر ، وتسجل نصوص بعض النقوش شروط صرف محاصيل الوقف وتحذر الناس من التصرف فيها وسوء استخدامها .

وتشير نقوش العصر المغولى إلى التفاعل الثقافى والحضارى الذى تم فى تلك الفترة بين المسلمين والهندوس ، فقد تأثر الهندوس كثيرا بلغات المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم وشارك كثير منهم فى أنشطة الدولة المغولية ، وقد كتبت العديد من النقوش الفارسية التى تضمنت أسماء هندوسية بجانب منشآت للهندوس مما يدل على الحرية الدينية التى كان يتمتع بها الناس آنذاك فى تلك البلاد .

وختاما فإن بحثى هذا المتواضع ليس إلا خطوة على الطريق لدراسة تاريخ الحضارة فى البنغال والهند عن طريق دراسة النقوش والكتابات التى عثر عليها فى تلك البلاد ، وكلى أمل أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت فى إضافة معلومات جديدة من تاريخ تلك البلاد ، وصححت بعض المعلومات الخاطئة فى المصادر التاريخية ، وفسرت بعض الأمور الغامضة فى تاريخ تلك البلاد ، ولعل هذه الدراسة تثير انتباه الباحثين والمؤرخين والمشتغلين بالفنون والآداب فتكون حافزا لهم للقيام بمزيد من الأبحاث العلمية فى هذا المجال ، والله ولى التوفيق ؟

تصحيح المفاهيم :

نقد «رؤية نقدية لمستقبل الدعوة السلفية»

(٢—٢)

بقلم الشيخ عبد المعيد عبد الجليل
نادى - جزر فيجى

والحق أن من طبيعة السلفيـــة أن تسرع إلى التطبيق والعمل من غير أن تمنى أهلها بأمانى حلوة وتحلم بأحلام كاذبة . وأن النـاس يقتلون صورة الأسد فيصبحون أنهم قتلوا أسدا وهم أقوياء ، وهذا هو الفرق بين الحقيقة والمجاز .

المشكلة أن الاراجيف و الأبواق الكاذبة هى التى تقيم وتقعد ، وهى التى تكبر وتصغر ، وهى التى تحرف وتؤول .

إن الفلسفات والبيـــان الخطابى ، والكتابات الثائرة و النعرات الكاذبة والتزاحم والتجمع والجرائد و الصحف و المطابع و المنابر ليست حلولا انما هى الأسباب والوسائل ، انما الحل هو معالجـــة الأمور بالدين الصحيح ، و التقوى والطاعـة ونصرة الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله ، والجهاد فى سبيل الله .

وهل أعطى أى حل ثماره فى نصف قرن بعد ذهاب الاستعمار ، لا كلا لا ، إن المرض صار عويصا مزمنـا ، و الفلسفات ذهبت هباء منثورا بل أكثر أصحابها ضاعوا . أما الذين عندهم نور السنة والاتباع وهدى القرآن وارشاداتهما والاستقامة عليهما فانهم معالم نيرة للحياة فى تيه الفلسفات والحلول وأوكامها .

نتكلم عماذا؟ وعمن؟ هل نتكلم عن الحركيين فى شبه القارة الذين بدأوا أعمالهم بإقامة الحكومة الالهية ثم تدحرجوا وتدحرجوا وتدحرجوا حتى صاروا عملاء لمرأة لايعرف اتباعها بالاسلام فى باكستان ، وألبسوا القبور الأردية لجلب آراء الناس، واستهزوا بأعمالهم خلق الاسلام ، واستباحوا فى الانتخاب جميع المحظورات ، واستلدوا أموالا طائلة مثل ٩٠ مليون روبية باكستانية من عدوة الاسلام والمسلمين لحصول ثلاث مقاعد فى البرلمان وخالفوا تنفيذ الشريعة فى المناطق التخومية المجاورة لأفغانستان .

أم نتكلم عن اخوانهم مثل حكمت يار الذئب الملتحى وأحمد مسعود شاه الذين أراقوا الدماء للأبرياء، وصاروا أشق من شياطين الاتحاد السوفيتى .

أم نتكلم عن هؤلاء فى البلاد الأخرى الذين ذاب أكثرهم فى ابتغاء الجاه والكرسى فأبغضوا السلفيين خاصة لتمسكهم بالكتاب والسنة وعدم تجنيدهم ترهاتهم وكيدهم وحيلتهم ،

هل نتكلم عن هؤلاء الذين يعاملون مع النصوص معاملة الجهلاء مع الشرفاء ، الذين تجد فيهم ضلال التشيع والبريلوية والتصوف والاعتزال . هل يستطيع هؤلاء أن يقدموا حلولا ، أو هل يستطيعون بعقيـدتهم المهزوزة أن ينفذوا الى واقع الحياة الإسلامى ، أو حلولهم تضع بجانبها رسمة دينية سمحة .

اذا لم تكن العقيـدة صحيحة ، ولم تكن العبادات طبق السنة ، ولم تكن الأعمال صحيحـة فالويل كل الويل للحلول التى ليست الا أفكارا باردة ، وأثقالا باهظة على عاتق الأمة ، وحواجز فى سبيلها .

ان الذين يرمون الدعوة السلفية بالانعزالية فانهم لا يفهمون عمومها وشمولها ، وانهم ربما يرون حفوة من الناس فى مكان ما فلا تعجبهم تصرفاتهم ، فسرعان

ما يصدرون أحكامهم الجائرة ، ويظنون أن تصرفاتهم هى السلفية .

ان السلفية فى ساعديها قوه تحول مد التيــارات حين تتموج ، ولننظر الأمثلة عبر التاريخ .

هذا من عادة النـاس من قديم الزمان أن يرموا أصحاب الحديث ، أو السلفيين بشتى التهم ، فقديمـا قيل أنهم حشويون ، وسموا بأصحاب الظــاهر ، وأصحاب العقاقير وأنهم يعدمون الفقه والتفقه .

والمعاصرون ربما يسمون السلفية الوجهة القاهرة ، والسلفيون يعرفون عند المبتــدعة والمتصوفين بالوهابين والوهابيــة . وبعض الأشقيـاء سموا الدعوة السلفية بتسويل شيطانى ، وأن أصحابها هم خوارج العصر . ودنــا كاتب يصفها بالانعزاليــة . وكثير من الكتـاب لهم غمز ولمز لهم ، وأكثر «المتنورين» يعرفونهم بالتطرف .

ثانيا : لقد صار ديدن بعض الكتاب أن يذكروا فى كتاباتهم أنهم لايفهمون فقه الواقع . إن فقه الواقع مصطلح جديد أحبه أولئك الذين يظاهرون التوسع فى الأمور الدينيــة . ويغضون النظر عن البدع ، والشرك والتقاليد والترهات الباطلة فى المجتمع ، ولا خفــاء جبنهم عامة ، وضعف قلوبهم يلجأون إلى هذا المصطلح فيصطبغون زلاتهم ، وقصورهم عن تحمل أعبــاء قول الحق صبغــة دينيــة علميــة .

والدعوة السلفيــة لأصالتها ، وقوتها ، تـدفق فى أصلهــا ومنتسبيها قوة لايجدون حيلة فى إذاعة الحق وإعلاء كلمتـه من غير خوف أحد ولا مهابة ، ولا لومة لائم .

هل دعوة أدرى بفقه الواقع الاسلامى من الـدعوة السلفيــة ؟ والذين

يحتقون السلفية ، ولا توجد عندهم الحكمة والموعظة الحسنة فالسلفية منهم براء . إنها ذات بصيرة لشمولها الحق والنور من الهداية ، فإذا لم تفهم الواقع لم تحمل مراعاة له فغيرها أولى أن لا تفهمه ، وذلك ما يشهد به التاريخ ، يمكن أن نسأل من الذين راعوه حق رعايته فى العصور العديدة وفى العصر الراهن أيضا ؟ أليس السلفيون .

إن كتابا يبغضون الشباب الذين يهتمون بالسنة اهتماما بالغا ، ويتأسون بأسوة الرسول فى كل صغير وكبير فيتحرقون تحرقا ، فيلمزون ويغمزون .

إذا رويت شواذ وشذوذ فلا يجوز أن تجعلها ظاهرة ، وتلصقها كعيب على دعوة مطلقا مثل الدعوة السلفية .

إن الذين يتبوأون مكان الصدارة من الكتاب الاسلاميين ، ويزعمون أنفسهم متحلين بالثقافة والحضارة . من ثقفهم وحضرهم؟ السلفية والسلفيون . لأن الدعوات الأخرى ليست عندها الا التعصبات البغيضة والعداء ، والضيق الفكرى ، والقلوب الضيقة هل نسى الناس تاريخها الذى هو مملوء بالمعارك الطاحنة . وفتاواها الجائرة المكفرة ؟

إن لسان الخرس فى العصر لا يتحرك لحفظ المنفعة . فى هذه البيئة إذا تدفع السلفية أهلها فيبوحون به فربما يتضرر الناس لإعلان الحق ينسبون إليها أنها لا تعرف فقه الواقع . إن الأمور التى توزن عامة فى هذه الأيام بفقه الواقع إنما هو فقه النفاق . أما فقه الواقع حقيقة فهو يتعلق بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر والاستقامة ، وحسن السيرة ، وهى أمور السيئة ، ومن لم يمتثل لها فهو لا يستطيع الدعوة بتاتا . فالحاجة إليها ماسة فى كل زمان ومكان .

ولو يريد أحد أن يعرف فقه الواقع فى أمور السلفيين فلينظر أعمال الأعلام فى عصرنا هذا لا العامة ، فإنه سيجد عندهم أكثر مما عند غيرهم ،

وإنى قد رأيت عند العلماء الكبار من غير السلفيين فقه الواقع ما يمكن أن نسميه فقه المكر والدهاء ولو نريد لتسميهم .

المشكلة تبرز فى أن الناس يرون السلفية برؤى عجيبة ، فكثير من الكتاب يحسبونها إخصائية الفرعيات . وبعضهم يراها مقيدة بفترات زمنية أو يفهمها آراء رجال مع أن الحقيقة ليست هكذا ، وإنما هى تسلسل تاريخى ولها حلقات متصلة من عصر النبوة إلى عصرنا هذا ، وإنه سيتواصل ، وإنها لن تتقبل السلبيات .

إن من طبعها أن تلفظ الباطل فى أى صورة كانت ولنأخذ مثلا ، نحن فى الهند عرفنا دعوة الشاه اسماعيل الشهيد ، وقرأناها ، وكذلك دعوة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله . ولكن الوضوح والبيان ، والأصالة التى نجدها فى دعوة نجد لا نجدها فى دعوة دلهى ، فنى كوننا فى الهند لايمنعنا من تحبيذ دعوة شيخ الاسلام أكثر من دعوة الشهيد .

أما الدعوات الأخرى كجماعة التبليغ بدون الشيخ الياس ، والديوبندية من دون الشيخ محمد قاسم ، والبريلوية من غير أحمد رضا خان ، والجماعة الاسلامية من دون المودودى فلا يتصور وجودها ، ولايستطيع أهلها أن يتخلى عنهم شيئا .

أليس من فقه الواقع أن نأخذ الحق أينما كان وحيثما وجد ؟ وهذا من ميزة الدعوة السلفية أن لا تقيد نفسها فى بوتقة شخصية .

فهذه هى السلفية التى توصل الى الحق من غير أن تبالى بالرجال وغيرهم وهذا هو أكبر فقه للواقع .

إن إيراد الكاتب النصوص من القرآن والسنة لتفهيمنا فقه الواقع ، ليس

إلا كطفل مدال زاد تدلله لحاول تدريس والديه .

ثالثا : أوردت ملحوظة ثالثة على الدعوة السلفية ، والحقيقة أنها على منتسبيها ، ولابد هنا أن نذكر أن الفرق بينهما وبينهم كبير ، فهى لا تقوم على الرجال ، إنما هى تضع بجانبها أسسا ثابتة ، والذين يتخون عنها ، ويفعلون حسب أهوائهم فلاجناح عليها على عكس ما للدعوات الأخرى فإنها قائمة على الرجال ، فالإيراد عليها وعليهم سواء تتضرر بهم ويتضررون بها فى حين إيراد الملحوظات أو الأحكام الجائرة عليهم وعليها . وانظروا إلى الدعوات الحركية فى العالم العربى وشبه القارة كانت بدايتها شيئا ، وختامها شىء آخر لا شبه بين البداية والنهاية .

أما الدعوة السلفية فلنشاهد عمرها الطويل ، وحلقاتها الزمنية هل تغيرت حلقة عن حلقة فى صميمها ؟ أتى رجال و ذهبوا ، ومر عصر وأتى آخر ولكنها هى هى .

بعد هذه التقدمة يمكن أن ننظر فى هذه الملحوظة :

إن الكاتب يدعى أن السلفيين لا يعرفون فقه الاختلاف ، وفى غياب هذا الفقه وقعت ثغرة خطرة فى صرح الدعوة السلفية تهدد كيانها ، وتؤرق أبناءها . وان أتفه الأسباب للخلاف يؤجج نار الحرب الشرسة بينهم حيث تسل سيوف التجريح وسهام التقريع ... حتى يبلغون الى قاعدة جاهلية « لا نجوت إن نجا » .

بعد مطالعة مقولة الكاتب أنا أتعجب هل هو يسكن على الكوكب الأرضى أم هو يسكن على كوكب آخر .

ان التهويل والمبالغة التى نلمسها فى مقال الكاتب ثم نرى السلفيين وكتاباتهم وردودهم فنجد أن البون شاسع بين ما قال الكاتب ، وبين ما هو موجود على وجه المعمورة .

أنا من أصغر أصاغر الخــدام للدعوة السلفيــة ولكننى أضع فى ذهنى تصورا واضحا لفقه الاختلاف . لقد ارتجلت ٤٥ دقيقة فى خطاب الجماهير فى مؤتمر عقد عام ١٩٨٩م فى سوفا بجزفيجى وبينت فيه هذا الفقه بيانا واضحا ، فما بال المشايخ والعلماء الكبار الذين عددهم كثر ولله الحمد .

انى أتعجب على الكاتب حيث أغمض عينيـه عن السباب و الأتهامات التى يواجهها السلفيون من إخوانهم ذوى وجهات عديدة ، وصب عليهم التهم فقط، ولو هو حاول التعرف على جهود الكوثريين ، والمتهالكين فى بدعة التعصب المذهبي ، ومدى جرائهم ، وسطوهم على الحق وأهلها ، وتجريحهم العلماء والمحدثين والرواة و المصلحين ، أو هو ألم بالبـدعيين وغولهم وتكفيرهم السلفيين لزال عجبه وما كتب ماكتب من مبالغات وتهويلات حول متبعى السنة .

انى متيقن أن الكاتب رجل لديه قلم خطابى يرى الأمور بمنظار المبالغة ، وليس عنده معرفة بالخلافات ، والمعارك الدامية حول المسائل التافهة . لقد كفر السلفيون برفع اليدين وآمين خلف الفاتحة ، وأخرجوا من المساجد . و واجهوا مقاطعة باتة فى شبه القــارة حتى فى غضون سنوات راهنـــة حرقت بيوتهم وأخرجوا من القرى وممتلكاتهم فى باكستان ، وقتل عديد من العلماء السلفيين .

وفى السنة الماضية أثيرت مسئلة الطلقات الثلاث فسهام الأحناف فى الهند أبناء اليهود والنصارى ، وعملاء الحزب المتطرف B. J. P. الهندوسى . إذا يريد الكاتب أن يعرف مدى فساد التعصب المذهبي وبغض أصحابها السلفيين فليأت إلى شبه القارة بعيون متفتحة ، ويطالع الماضى والحاضر لجميع المذاهب الاسلامية والفرق فى الهند وكذلك يمكنه أن يطالعها فى العالم العربى فإنه سيتحير ، ويدور

رأسه إذا لم يغش عليه لهول ما سيرى قدرها من انحراف وتعصب وسوء ظن وسلاطة لغة ، وبغض وكراهية وتاويلات باطلة وسباب وتكفيرات وتفسيقات فى كتبها ، وفتاواها ، وشروحهـا الأحاديث وتفاسيرها وتاريخها ، وهدف كلها ضد السلفيين .

إنى أخذ مثلا نزهة الخواطر كتاب فى الرجال فى اللغة العربية دونه طائفة من العلماء ويعرف هذا الكتاب بالسماحة والعـدل ، ولكن مطالعته اعيادية ستضع القارى فى حالة مربكة .

وفى جرز فيجى بلد الجهال والغارقين فى البله والخرافات والحضارة الغربية تصدر رجال جماعة التبليغ حكمها بأن القاديانيين والسلفيين كلاهما سواء .

فى بيئة مكهربة بالسباب والفسوق والعداء مملئة بالأحكام الجائرة والتهم وبالفتاوى المشيرة بالقتل والنفى ان وجد تطرف وتجاوز عن الحد فى الخلاف فمن يكون عليه الوزر الأكبر ؟

ثم نسأل هل يوجد فى العالم سلفى يتسم بالعـلم يتجاوز إلى حد المقولة « لا نجوت إن نجا » فى أمور بسيطـة ؟ إن كان صدر عن عالم هذا التجاوز الرهيب فالسلفية منـه براء . والسؤال الهام هو هل يوجد مثل هذا التجاوز كالظاهرة فى السلفيين فى بلدنا ؟ سيكون الجواب ألف مرة لا . إن الأراجيف التى ينشرها أعداءهم ولهم أبواق كاذبة يتلقفها البسطاء والحمقاء أيضا .

إن الحب الذى يوجد بين أهل الحق لا يوجد عنـد غيرهم ، ففيـه الإخلاص كل الإخلاص ، أما أهل الدنيا الذين اندسوا فيهم الذين يتاجرون الدين بالدنيا فهم يمكن أن يصيروا سببا للخلاف الجـائر ، وهم خارجون عن بحثنا ، نجانا الله منهم .

إن الكاتب يقول إن السلفيين ترصدون للخلاف فالحق أننا نرحب بهذه التهمة وليقل الأعداء أو الأصدقاء ما يشاؤن.

إن الدعوة السلفية لن تسمح أبدا أن يلعب الناس بالدين صغيره وكبيره، أصله وفرعه. إنهم يجدون سعة وفسحة لأن يغمضوا عيونهم عن يلعب بالدين حينا باسم الفرع، وحينا باسم التوسع والسماحة وحينا بالمذهبيـة والحزبيـة وحينا بتأويل باطل، وأحيانا بكثيرة بأسماء أخرى. أما السلفيـة فإنها تدعو الى الانقيـاد المطلق لما قال الله من غير حرج يوجد فى الصدور، وضيق فى القلوب، ولا يوجد عالم سلفى يحجر الواسع أو يوسع المحظور.

هذا الفرق فى المعتقـد هو الذى لا يترك السلفى يجلس ويتمتع بما يلعب الناس به فى الـدين كغيره إنه لا يبحث التوسع لاصطبـاغ الآراء الباطلـة والتأويلات الفاسدة بصبغة الدين.

ولذا يجد نفسه مضطرا الى ترصد التلاعب بالدين قديما وحديثا، خاصة فى العصر الراهن الـذى تكاسلت فيـه القلوب والهمم، فبـدل أن يعترف النـاس بأخطاءهم، يحاولون أن يتأقلم الدين أو يتقمص آراءهم فيعدوا من أصحاب الدين.

السطو على الدين ومصادره ونصوصه، والتجرؤ على الرواة الثقات، والاستخفاف بالاتباع، ونفق سوق البدعات والشرك، والقصص الواهية الخارقة لأصول الدين من قصص الزهاد الزائغين والصوفياء المنحرفين ورواج الضعاف والموضوعات وغيرهـا من المشاكل، فن لها غير السلفيين؟ هل يتحمل غيرهم عبء الزود عن الحق ودفع الأباطيـل؟ لا كلا لا. فى صورة وجودها فى

المسلمين جميع الحلول والحكم والفلسفة ستذهب أدراج الرياح ، يا إخوتنا الأعزاء ، فلتفهموا ولا تشابزوا بنا .

هذا ، وأنا أشكو من العلماء السلفيين الذين تأخذهم الغرة أو يستولى عليهم عاطفية دينية غير ناضجة فيحبذون جماعة التبليغ ويعاونونها مع أنها جماعة نشر البدعة ، والشرك الظاهر والغلو الغليظ فى الصوفياء والقصص الخرافية الألف ليلوية والجهل البغيض . ان ثقافتها ليست إلا انحراف التصوف وثقافة ابن حجر المكى المتوارثة والتصوف الحلولى والكشوف والكرامات الكاذبة والعياذ بالله . انى أرى حسب علمى وتجربتى أنها صارت أخطر فى نشر الباطل من البريلوية .

وفى هذه الحالة أرى أن الترصد للزيغ والضلال واجب جماعى لابد أن تكون طائفة تميز بين الحق والباطل . لقد انحط العيار للعلم والحق . فالدين صار عند جماعة التبليغ كالبصل والبطاطس يقوم كل جاهل غرير ليشرحه ويبلغ به كما يشاء .

انى أوقن أن هذا الجهد جهد الترصد لو توقفت سنوات لانهدم صرح جميع الجهود للتربية والعلم ، واختلط الغث والسمين ، وإن الفلاسفة والحكماء الذين ينصحون السلفيين بكف أقلامهم وألسنتهم فإن حكمتهم وفلسفتهم ستذهب سدى ، وهم لا يجدون ميزانا للتفريق بين ما قال الله وقال الرسول وما معنى الآية الصحيح وبين ما هو التأويل الفاسد . (انتهى) .

◇⁑◇●◇⁑◇

الجملة ما هي ؟

الدكتور بشير أحمد جمالی
جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهی

ان تعريف الجملة أصبح أمرا صعبا للنحاة العرب وغير العرب ، ونجد في الكتب عدة تعاريف لهؤلاء النحاة ، واحد يختلف عن الآخر . وكان خلاف هؤلاء النحاة مقتصرا على أمرين ، الأول اصرارهم على أن الجملة لابد لها من ركنين أساسيين ، وهما المسند (أى المتحدث به أو المحكوم به أو المحمول أو الخبر أو الفعل) والمسند اليه (أى موضوع الكلام أو المتحدث عنه أو المحكوم عليه أو المبتدأ أو الفاعل) . والثانى الحاحهم واثباتهم على أن الجملة يكفيها أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر[1] . وهؤلاء اقتنعوا بعبارات مثل « سبحان الله ، يا سلام لله دره » الخ بكونها مفيدة . ويقول ابراهيم أنيس[2] : ان الاسم مثل « زيد » هو جملة كاملة اذا كان جوابا لمن سأل : من القاتل ؟ أو من كان معك وقت ارتكاب الجريمة ؟ لأن الاجابة عن مثل هذه الأسئلة بكلمة واحدة تفيد افادة تامة توجب السكوت عليها رغم عدم توفر المسند والمسند اليه فيها .

(۱) ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، صفحة ۲۷۷
(۲) نفس المرجع ص ۲۷۷

ونجد فى الانجليزية أيضا ما لا يقل عن ٢٠٠ تعريف للجملة يسجلها النحوى الأمريكى السيد فريس (Fries)[١] فى كتابه "The Structure of English" وانه لم يرض بأى تعريف منها . فلما كانت هذه التعاريف الانجليزية لم تستوعب العبارات المختصرة كالسابقة حاول النحوى الحديث المشهور جسبرسون (Jesperson) واتى بتعريف شامل مقتنع (الى حد ما) يكاد يتغلب على التباسات التعاريف القديمة وهو عرف الجملة بقوله :

"A sentence is a complete and independent human utterance— the completeness and independence being show by its standing alone or its capability of standing alone"[٢] .

(ان الجملة تعبير بشرى متكامل مستقل يظهر تكامله واستقلاله بكونه على انفراد أو قدرته أن يكون على انفراد) .

وقد ضم تعريفـــه عبارات مثل : Non Sende – Good Morning Not at all – Anything in the mail ? etc.

وأصبحت هـــذه العبارات كلها جملا مستقلا تفيد افادة كاملة . فاذن ان افتراض المسند والمسند اليه مجرد نزعـــة ذهنية و ليس قانون اللغـة . ولذا نجد حجما كبيرا من محادثاتنا اليومية يحتوى ويتضمن من مثل هـــذه العبارات التى كثيرا ما لا نجد فيها فعلا أو فاعلا .

ويسمى روبرت (Robert) هذا القسم من الجمل جملا غير فعلية (Verbless Sentences) ويضم فيها العبارات مثل For heaven's Sake – Well – Ouch وأيضا «نعم» و «لا» .

(١) Fries C.C (1952) "The Structure of English" New York, H,B&Co.

(٢) Jesperson, oths (1963) "Philosophy Grammar" L. G A. Unwin Page 307

"The words yes and no and their equivalents often occur as verbless sentences"[1].

« خير الكلام ما قل ودل ». واذا استطاع الانسان أن يخبر ويفيد سامعه بأقل عبارة أو صوت ما يمكن وضعه (أيضا) فى جملة كبيرة طويلة فهو الكلام وهى الجملة . لأن الانسان الحديث لا صبر له ولا بطىء فى أعماله اليومية وهو يسرع أو يكاد يسرع فى كل شىء بما فيه فهم الكلام . وهذا الانسان السريع (الفهم) لا فائدة عنده فى فكرة « التقدير » و « الحذف » و « التعليل » التى كان النحاة القدماء يلتجئون اليها فى معالجة كل عبارة وكلمة . وليست هذه الفكرة للانسان الحديث الا ضياع الوقت وضياع طاقة الذهن البشرى .

فاذن التركيب هو الأساس وهو الأهم فى الجملة ، لأن التركيب لابد أن يكون نظامه سليما مهما قلت الكلمات ، وقول فلان « يا سلام » هو كلام مفيد لأن فيه نظاما فى التركيب ، واذا بدل ذاك الفلان هذا النظام وقال « سلام يا » ماذا نفهم ؟ وماذا نسميه ؟ ولذا يقول يعقوب « لا بد فى الجملة من أمرين معا هما التركيب و الافادة المستقلة »[2] . ويقول السيد بوترس (Potters) .

"A sentence is not merely a chain of words. It is structure also"[3].

---

(١) Robert, P (1954) "Understanding Grammar" New York Horge & Bros Page 299

(٢) أميل بديع يعقوب (١٩٨٨) « موسوعة النحو والصرف والاعراب » بيروت دار العلم للايين الصفحة ٢٢٧

(٣) Potters (1970) "Modern Linguistics" London Page 104

مفهوم الاتباع والتقليد فى الشريعة الاسلامية

(٨)

الشيخ / سهيل أحمد فضل الرحمن الأعظمى
مكتب الدعوة بدبى

٥ — وعن على رضى الله عنه فى حديث مشهور عنـه، قال لكميل ابن زياد النخعى : « يا كميل ! إن هذه القلوب أوعيـة، فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة، فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق »[1].

٦ — عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، يقول : « إن حديثكم شر الحديث إن كلامكم شر الكلام، فإنكم قد حدثتم الناس حتى قيل : قال فلان، قال فلان، ويترك كتاب الله، من كان منكم قائما فليقم بكتاب الله وإلا فيجلس ».

يقول ابن القيم بعـد ايراده لهذا الأثر : فهـذا قول عمر لأفضل قرن على وجه الأرض فكيف لو أدرك ما أصبحنا فيه من ترك كتاب الله وسنـة رسوله وأقوال الصحابة لقول فلان وفلان، فلله المستعان[2].

٧ — وعن أبى البخترى عن على رضى الله عنـه، قال : إياكم و الاستنان

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١٣٧/٢، إعلام الموقعين ٢٧٦/٣

(٢) إعلام الموقعين ١٧٥/٢

بالرجال ، فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنـــة ، ثم ينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيموت وهو من أهل النـار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، فينقلب لعلم الله فيـه : فيعمل بعمل أهل الجنـــة ، فيموت وهو من أهل الجنة ، فإن كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء[١].

ليس المراد باستنان الأموات تقليدهم وأخذ قولهم بغير حجة ، يعنى بذلك الاقتداء بهم وهو أن يأتى المقتدى بمثل ما أتوا به ويفعل كما فعلوا على بصيرة ، كما علم من قول ابن مسعود : « لا تغـــد إمعة » أى : كمن لا بصيرة له . ولمزيد انظر قول ابن القيم فى كتابه اعلام الموقعين[٢].

٨ ــ وقال ابن مسعود رضى الله عنه أيضا : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلا إن آمن آمن ، وإن كفر كفر ، فإنه لا أسوة فى الشر[٣]» .

٩ ــ عن سفيان بن عيينة ، قال : اضطجع ربيعـــة مقنعا رأسه وبكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ فقـــال : رياء ظاهر وشهوة خفيـــة ، والنـــاس عنـــد علمائهم كالصبيان فى حجور أمهـــاتهم ، ما نهوهم عنـــه انتهوا ، وما أمروهم به ائتمروا[٤].

١٠ ــ وقال عبيد الله المعتز : لا فرق بين بهيمة تنقاد وإنسان يقلد[٥].

---

(١) إعلام الموقعين ١٧٦/٢ ، جامع بيان العلم وفضله ١٣٩/٢

(٢) إعلام الموقعين ٢٧٤/٢

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١٣٩/٢ ، إعلام الموقعين ١٧٦/٢

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١٤٠/٢ ، إعلام الموقعين ١٧٧/٢

(٥) جامع بيان العلم وفضله ١٤٠/٢ ، ١٧٧/٢ ، إيقاظ الهمم ص ٣٨

(موقف الأئمة المتبوعين وغيرهم)

◎ قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله :

١ ــ لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه[١] .

٢ ــ وقال : إذا قلت قولا يخالف كتاب الله وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولى[٢] .

٣ ــ وقال أيضا : لا ينبغى لمن لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى[٣] .

◎ قول مالك بن أنس رحمه الله :

١ ــ إنما أنا بشـــر أخطئ وأصيب ، فانظروا فى رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[٤] .

٢ ــ عن مالك ، قال : ليس كل ما قال رجل قولا وإن كان له فضل يتبع عليه لقول الله عز وجل : (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه[٥])[٦] .

---

(١) إعلام الموقعين ٢/١٩٢ ، صفة صلاة النبي ص٤٢ ، إيقاظ الهمم ص٥١ ، القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ص٤٢

(٢) إيقاظ الهمم ص ٥٠ ، صفة صلاة النبي ص ٢٧ ، عقد الجيـــد ص ٣٤ ، القول المفيد ص ٥٤ .

(٣) عقد الجيد ص٤٣ ، الإنصاف فى بيان سبب الاختلاف ص١٠٤ ، صفة صلاة النبي ص٢٤

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٢/٣٩ ، صفة صلاة النبي ص٢٧ ، إيقاظ الهمم ص ٧٢ القول المفيد ص ٥٤

(٥) الزمر ١٨

(٦) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٤٤ ، إعلام الموقعين ٢/١٨٠

٣ – لما حج المنصور قال لمالك: قد عزمت أن آمر بكتابك هذه التى وضعتها وآمرهم بأن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوه إلى غيره. فقال: «يا أمير المؤمنين! لا تفعل هذا ودع الناس وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم» تنسب هذه القصة إلى هارون الرشيد[1].

◎ قول الإمام الشافعى رحمه الله:

١ – مثل الذى يطلب العلم بلاحجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدرى[2].

٢ – إذا صح الحديث فهو مذهبى[3].

٣ – إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت[4].

٤ – إذا رأيتمونى أقول قولا وقد صح عن النبى ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلى قد ذهب[5].

٥ – ما قلت وقد كان النبى ﷺ قال بخلاف قولى مما يصح لحديث النبى ﷺ أولى، لا تقلدونى[6].

---

(١) الإنصاف فى سبب الاختلاف ص ٣٨، القول المفيد ص ٤٥

(٢) إعلام الموقعين ١٨١/٢

(٣) عقد الجيد ص ٤٣، الإنصاف ص ١٠٤، القول المفيد ص ٥٧

(٤) إيقاظ الهمم ص ١٠٠، صفة صلاة النبى ص ٣٠، إعلام الموقعين ٢٦٦/٢، مفتاح الجنة ص ٥٠، القول المفيد ص ٥٥

(٥) صفة صلاة النبى ص٣٣، القول المفيد ص٥٥، ٥٦، مفتاح الجنة ص٤٩، ٥٠

(٦) إعلام الموقعين ٢٦٦/٢، صفة صلاة النبى ص٣٣. القول المفيد ٥٦

● قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

١ — قال : لا تقلدونى ولا تقلدوا مالكا ولا الثورى ولا الأوزاعى وخذوا من حيث أخذوا[١].

٢ — وقال أيضا : من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال[٢].

٣ — وقال : رأى الأوزاعى ، ورأى مالك ، ورأى أبى حنيفة ، كل رأى وهو عندى سواء ، وإنما الحجة فى الآثار[٣].

(موقف العلماء من غير الأئمة الأربعة)

١ — قال أبو يوسف رحمه الله : لا يحل لأحـــد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . وروى هذا عن زفر وغيره[٤].

٢ — نقل الألبانى حفظه الله عن ابن عابدين فى الحاشية : إن الإمامين محمد بن الحسن وأبا يوسف رحمهما الله قد خالفا شيخهما أبا حنيفـــة فى نحو ثلث المذهب ، ويقـال بنحوه فى الإمام المزنى وغيره من أتبـــاع الشافعى وغيره[٥].

---

(١) إعلام الموقعين ١٨٢/٢ ، عقد الجيد ص٤٣ ، الإنصاف ص ١٠٥ ، صفة صلاة النبي ص ٣٤ ، إيقاظ الهمم ص ١١٣

(٢) إعلام الموقعين ١٨٢/٢ ، إيقاظ الهمم ص١١٣

(٣) صفة صلاة النبي ص ٣٤ ، إيقاظ الهمم ص ٢١ ، إعلام الموقعين ٧٩/١ القول المفيد ص ٧٨

(٤) إعلام الموقعين ١٨٢/٢ ، الإنصاف ص ١٠٥

(٥) صفة صلاة النبي ص ٣٧ ، ٣٨

٣ — وروى عن عصام بن يوسف أنـه قال: كنت فى مأتم، فاجتمع فيه أربعـة من أصحاب أبى حنيفة زفر بن الهذيل، وأبو يوسف، وعافيـة بن يزيد وآخر، كلهم أجمعوا أنـه لا يحل لأحـد أن يفتى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا[1].

٤ — قيل لعصام بن يوسف: إنك تكثر الخلاف لأبى حنيفة رحمه الله. قال: لأن أبا حنيفة أوتى من الفهم ما لم نؤت، فأدرك بفهمه ما لم ندرك، ولا يسعنا أن نفتى بقوله ما لم نفهم[2].

٥ — عن الأوزاعى رحمـه الله، أنه قال: عليك بآثار من السلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول[3].

٦ — قال سند بن عنان المالكى: أما مجرد الاقتصار على محض التقليـد فلا يرضى به رجل رشيد[4].

٧ — قال ابن حزم الظاهرى رحمـه الله: وليس فى اتباع ملة إبراهيم ما يوجب اتباع مالك وأبى حنيفـة والشافعى، ولم نؤمر قط باتباع هؤلاء المذكورين، وإنما هذا بمنزلة من سمى الخنزير كبشا[5].

٨ — قال ابن عبد البر رحمـه الله: وإذا صح وثبت أن العـالم يزل

(١) إيقاظ الهمم ص ٥٢
(٢) الإنصاف ص ١٠٥
(٣) القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ص ٧٧
(٤) » » » » » ص ٤٢، إيقاظ الهمم ص ٧٣
(٥) الإحكام فى أصول الأحكام ٦/٨٠١

ويخطىء ، لم يجز لأحد أن يفتى ويدين بقول لا يعرف وجهه[١].

٩ — وقال ابن الجوزى رحمه الله فى تلبيس إبليس : اعلم أن المقلد غير ثقة فيما قلد ، وفى التقليد إبطال منفعة العقل[٢].

١٠ — وقال الإمام أبو شامة رحمـــه الله : ينبغى لمن اشتغل بالفقه أن لا يقتصر على مذهب إمام و يعتقد فى كل مسألة صحة ما كان أقرب إلى الكتاب والسنة المحكمة[٣].

١١ — وأشار إليه الشيخ عز الدين عبد السلام حيث قال : ومن العجب العجاب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبهم جمودا على تقليد إمامه ، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلدا له فيما قال كأنه نبى مرسل[٤].

١٢ — قال المحدث عبد الحق الدهلوى رحمه الله : بعد أن علم أنه قوله ﷺ فالمتابعة لغيره غير معقول[٥].

١٣ — قال محمد حياة السندى — وهو من مشايخ الفلانى : اللازم على كل مسلم أن يجتهد فى معرفة معانى القرآن وتتبع الأحاديث و فهم معانيها وإخراج الأحكام منها ، فإن لم يقدر عليه أن يقلد العلماء من غير التزام مـــذهب لأنه

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٣٦ ، إعلام الموقعين ٢/١٧٥
(٢) القول المفيد ص ٦١
(٣) الإنصاف ص ١٠٠
(٤) " ص ٩٩
(٥) إيقاظ الهمم ص ٥٥

يشبه إتخاذه نبيا[١].

١٤ — وقال الفلانى فى التقليد : لا شك فى كون هذا بدعة مذمومة وخصلة شنيعة ، احتال بها إبليس اللعين على تفريق جماعة المسلمين وتشتيت شملهم و إيقاع العداوة والبغضاء بينهم[٢].

١٥ — وقال الأمير الصنعانى رحمه الله : الحاصل أن من اعتقد مذهبا من المذاهب فإنه يؤدى ذلك إلى المحاماة عليه وإلى إخراج الآيات والأحاديث عن معانيها التى أرادها الله ورسوله ﷺ[٣].

١٦ — ويقول العلامة الشوكانى رحمه الله : أما التقليد فهو قبول قول الغير من غير صحة فمن أين يحصل به العلم وليس له مستنده إلى قطع وهو أيضا فى نفسه بدعة محدثة[٤].

١٧ — وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : فتقليد العالم المعين من بدع القرن الرابع ، ومن يدعى خلاف ذلك فليعين لنا رجلا واحدا من القرون الثلاثة الأول التزم مذهب رجل واحد معين ، ولن يستطيع ذلك أبدا ، لأنه لم يقع البتة[٥].

١٨ — إن العلامة المودودى مع اعترافه أنه يميل فى كثير من المسائل إلى المذهب الحنفى ، يقول فى كتابه « رسائل ومسائل » ما ملخصه : من يقدر على

---

(١) إيقاظ الهمم ص ٧٠

(٢) „ „ ص ٧٧ ، ٧٨

(٣) انظر الرسائل المنيرية الإرشاد إلى تيسير الاجتهاد ص٣٩

(٤) القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ص٤٣

(٥) أضواء البيان ٧/٤٨٨ ، ٤٨٩

استنباط الأحكام بنفسه من الكتاب والسنة فعليه أن يجتهد لمعرفة حكم صحيح ويستفيد فى تحقيقه ممن أراد من السلف ويتجنب من كل تعصب ثم يعمل بالحق الذى ظهر عنده[1].

١٩ — قال العلامة محمد ناصر الدين الألبانى حفظه الله بعد ذكر النصوص والأقوال فى التقليد وحقيقـــة العلم : جملة القول أن التقليد مذموم لأنه جهل وليس بعلم ، وإنما العلم الحقيق هو العلم بالكتاب والسنة والثقة بهما[2].

٢٠ — وقال الدكتور محمد تقى الدين الهلالى رحمه الله :

كل من اتخـــذ رجلا غير النبى ﷺ حجـــة يحلل به ويحرم به دون أن يسأله عن دليل ما أفتى به تحسينا للظن به واعتقادا منه أنه لا يخطئ حكم الله أبدا فقد اتخذ فى ذلك الشخص ربا من دون الله[3].

(يتبع)

(١) مولانا مودودى پر اعتراضات کا علمی جائزه ، أى نقد علمى للاعتراضات التى وجهت إلى الشيخ المودودى لمولانا مفتى محمد يوسف .

(٢) الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام ، لمحمد ناصر الدين الألبانى ص ٧٤

(٣) الحسام الماحق ص ٣٥

إعجاز القرآن دراسة علمية

الدكتور توقير عالم الفلاحى
قسم اللغة العربية الجامعة الاسلامية بعلى كره

من الحقيقة ان القرآن نظام الحياة الذى أرسله الله للهداية البشرية فهو الفرقان بين الحق والباطل والحلال والحرام والحسن والقبيح . يعطى البشرية درس الاخلاص ويزينها بحلية الأخلاق ويرفع الصوت ضد الظلم والعدوان ويهدى من الظلمات إلى النور يحمل لواء الحرية فى جميع أنحاء الحياة الانسانية وينجيها من كل الآفات . وهو كتاب الهداية فى ناحية وكتاب دستور فى أخرى وهذا من حيث الناحية الدينية ، أما الناحية الأدبية فلاشك ان القرآن بلغ فيها مبلغا لا يدركه المصنفات البشرية أبدا .

ومن المحقق ان القرآن محا السيئات والرذائل وقلع المبانى القائمة على أسس الجاهلية والعصبية فى شؤون الحياة الانسانية. تحدى القرآن حملة الأدب والفصحاء أن يأتوا بمثله ولكنهم عجزوا عن الاتيان بمثله ولو فى جزء قليل منه البروفيسر فلب حتى يقول فى كتابه :

« مع السن المبكرة ان القرآن يقرأ أكثر منه جميع الكتب المقروءة فى العالم مع ان القرآن كتاب العبادة التى تقرأ فى الصلوات هو مدرسى ، ولذلك يحصل المسلمون كلهم على وجه التقريب علم اللغة العربية »[1].

(1) P. K. Hitti : History of the Arabs- P 126 .

صحيح ان مسلمی العالم کلهم يؤمنون بالقرآن من حيث المعجزة التی تدل علی نبوة صاحب السيرة ﷺ ومن هنا يصدق ان القرآن ليس بمعجزة لأزمنة مخصوصة وأمكنة محدودة لأن بعثة النبی ﷺ كانت لبشرية العالم كلها إلی يوم الدين الموعود. والحق أن أدباء العرب لم يتلبوا تحدی القرآن، فهذا يؤكد أن القرآن معجزة خالدة لانهم كانوا يدعون انه ليس كمثلهم قوم فی العالم يبلغ مستوی لغتهم ولم يقدروا علی تقديم جملة مثل القرآن.

تشعبت آراء العلماء فی اعجاز القرآن، فمنهم من يقول ان اعجاب القرآن يتلألأ فی سمو موضوعات القرآن وأهدافه، ومنهم من يقول: الاعجاز يقع فی تنوع الموضوعات، ومنهم من يحدد اعجازه فی التنبؤات وبالاضافة إلی تلك الآراء هناك رأی يقول: ان الاعجاز يقع فی أسلوب البيان وفصاحته والمسلك الواضح.

من الأقوال المذكورة اعلاه القول المستحسن فی تعيين السبب الحقيق للاعجاز هو القول الأخير. لأن العرب لا يدعون علی عمق أفكارهم وعلو مباحثهم فی شؤون الحياة ولا علی معرفة الغيوب بل يتفاخرون بأنهم علی قمة الجبال فی اللغة والأدب وهم كانوا فرسان البيان لا مثيل لهم فی هذه الساحة.

والحقيقة ان الاعجاز يلوح فی كل موضوع من مواضيع القرآن ولكن اعجاز القرآن الحقيق لا يعرف إلا بملاحظة أحوال المدعوين الذين خاطبهم القرآن. هذا صحيح انهم لم يقدروا علی استقرار الرأی علی أن القرآن فی أی صنف مختص يعد من الأصناف المروجة عبروا عن ذاك حينا انه شعر وحينا سحر يؤثر ويجمع. لاشك ان الأسلوب البيانی للقرآن قتر هممهم وأذهل عقولهم فتشهد أحوالهم المدهشة وعقولهم المذهلة للاعجاز بأن سببه الحقيق هو أسلوبه

المؤثق والفصاحة الرائعة[١].

الكفار والمشركون كانوا يصرون على أن القرآن هو كلام بشرى يجتهدون أن ينسبوه إلى الرسول نفسه وصحبه وخبراء زمانهم وإن كانوا يعرفون بأن القرآن كلام منزل من الله وبالرغم من ذلك قرروه انتاج الجهود الانسانية مخافة أن ينهدم دينهم المتوارث وسطوتهم الأبوية واختاروا حيلتين لتكذيب النبوة وصاحبها.

أجابوا على النبي ﷺ اعتراضات لا اساس لها من ناحية ومن ناحية اخرى زعموا أنهم يقدرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فالقرآن طالبهم أن يقولوا شيئا مثل القرآن ، ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾[٢].

ونظرا لسكوتهم وعجزهم عن الاتيان بعشر سور تنزل معهم فرخص لهم وطالبهم بسورة واحدة من مثله ، فقال : ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾[٣].

والحقيقة انهم لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء وفق ما تحداهم القرآن ، وهذا لم يكن يختص بزمان دون زمان بل لسائر الأزمنة كلها ، وبعد ذلك تحدى القرآن الجن والانس كليهما فقال : ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾[٤].

وإن التاريخ يشهد بأن الفرسان العرب لم يستطيعوا على أن يأتوا بشيء من مثل هذا القرآن حتى التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى والحال أيضا

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، اعجاز القرآن ص ١٠ ، ١١

(٢) هود : ١٣

(٣) البقرة : ٢٣

(٤) الاسراء : ٨٨

أنهم أتلفوا فى مخالفة النبي ﷺ ومعاداته كثيرا من الأموال والأسباب وتجشموا خسارة فادحة فى النفوس والأرواح فإن كانوا من القادرين على معارضة القرآن فما كان لهم أن يتحملوا هذه الخسارة العظيمة ، ومع ذلك فإن التاريخ يحتوى على الحوادث لابد أن يرفع عنها الستار لتوكيد الاعجاز القرآنى .

فمنها واقعة عمر بن خطاب رضى الله عنه ، وهى أن عمر خرج متوشحا بسيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه ، وفى الطريق لقيه نعيم بن عبد الله فأخبره بقبول اسلام ختنه سعيد وأخته فاطمة ، فذهب إليهما عمر وهناك سمع خبابا يتلوا عليهما القرآن ... فلما قرأ صدرا منها قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ثم ذهب إلى النبي ﷺ فأعلن اسلامه .

ومنها واقعة الشاعر المشهور لبيد طلب أن يقول فى القرآن قولا يسلم به قومه انه له كاره ، قال : فماذا أقول فيه ؟ فوالله ! ما منكم رجل أعلم منى بالشعر ولا برجزه ولا بقصيدة ولا باشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقوله شيئا من هذا : والله ! إن لقوله حلاوة ، و إن عليه لطلاوة و إنه ليحطم ما تحته والله ! ليعلو وما يعلى .

مسيلمة الكذاب والسفاح وغيرهما ممن خرجوا بعد العهد النبوى مدعيين للنبوة وجدت الشواهد أيضا فى القرون المقبلة وهى كلها التى تدل على أن الرجال طمعوا وماتوا إلى إجابة تحدى القرآن ، ومن أشهرها واقعة عبد الله ابن المقفع وكان أديبا شهيرا لا يبلغ مستواه أحد من البلغاء فى زمانه فيقول عنه مستشرق شهير « والشن » ليس دعوى النبي ﷺ المتعلق بالنبوغ الأدبى للقرآن عبثا وعقيا ، يصدقه واقعة وقعت بعد مائة سنة بعد قيام الاسلام[1] وهى أن

(١) Wollaston - Mohammad-His life and doctrine P - 142 -

المتشككين حينما رأوا أن القرآن لايزال يسيطر على القلوب والأذهان وتنتشر أشعة لمعات الاسلام يوما فيوما إلى أنحاء العالم لم يتركوا جهودا متواصلة غير قعبة أن يحضروا مثيل القرآن لأن يتخلص ويتجنب محمد ﷺ عن الدين الجديد المدهش والمقلق لسطوتهم الأبوية. فلذلك ركزوا الانتباه والهم على عبد الله ابن المقفع الأديب المعروف المصقع فى زمانه، كان يثق على نفسه تاما. فإنه رضى بأن يبذل جهوده البلاغية الحاسمة لتقديم الرد على القرآن فى سنة واحدة واشترط على أن يهيىء له المواد الضرورية لتحقيق الهدف، فأوجب طلبه وبدأ عمله المهم، وبعد ستة شهور تفكر أصحابه عنه، فذهبوا إليه فوجدوه جالسا عاجزا متعبا فى يده قلم وعنده لومة من الأوراق المتمزقة فى الحجرة.

كان هذا الأديب المصقع ركز قصارى جهوده على المعارضة للقرآن، ولكنه فشل فى تحقيق الأمل واعترف حائرا بأنه قضت ستة شهور فى كتابة فقرة واحدة فلم يقدر عليها وبعد ذلك اعتذر من هذه المذقة نهائيا.

والحقيقة أن التاريخ ملىء بالواقعات العديدة التى تتعلق بتأثير البيان للقرآن المعجز ولكن اكتفينا بالاشارة إلى بعضها وهى تكفى لاثبات معجزة هذا الكتاب الخالدة فإن تردد أحد فى هذا الكتاب من أى جهة وفى أى زمان أو أنكر كونه منزلا من الله تعالى فلن يقبل دعواه إلا أن يأتى بشىء من مثله وهذا ليس بمستطاعه ولا مستطاع غيره ؟

O:O●O:O

تعريف بكتاب
تاريخ الحضارة الإسلامية

تأليف الدكتور الأستاذ محمد ياسين مظهر صديقى

هذا هو المجلد الأول من المجلدات الخمس التى خطط المؤلف تأليفها لالقاء الضوء على التاريخ والحضارة الاسلاميتين . وتفصيل المجلدات كما يلى :

الأول : عن العصر الجاهلى والعصر النبوى ، ويقع فى ٢٣٩ صفحة بالقطع المتوسط .

الثانى : عن الخلافة الراشدة والعصر الأموى .

الثالث : عن العصر العباسى .

الرابع : عن الأندلس .

الخامس : عن شمال أفريقية والصقلية .

والمؤلف يهدف أساسا الى سد حاجة الطلاب فى المدارس الاسلامية والجامعات الحكومية ، ولكن قدرته على التعبير والبيان وتعمقه فى علم التاريخ والحضارة الاسلامية قد جعل كل من يعرف اللغة الاردية يقبل على الكتاب ينهل من مورده العذب ، ويتمتع بتفكير المؤلف الخصب .

ويوضح المؤلف منهج تأليفه فيقول : انه يدرس التاريخ والحضارة دراسة اسلامية وآفاقية ، ويدل على مسيرته التطورية فى مختلف العصور ، مع العلم بأن

على التاريخ و رق الحضارة لا يتقيدان بقيود وحدود . وشرحا لوجهة نظر الإسلام أشار المؤلف إلى الحديث الشريف : الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ' حيث وجدها فهو أحق بها .

وحيث ان البروفيسور صديق متخصص فى التاريخ والدراسات الاسلامية فإنه قد تناول الموضوع بعمق و دقة ، وقام بنقد وتصحيح النظريات والاستنتاجات التى راجت لذى بعض الأوساط العلمية نتيجة الجهل والتعصب . وقد أشار الأستاذ صديق إلى النقص الذى يوجد فى كتب التاريخ والحضارة فقال : ان المؤرخين المسلمين اكتفوا فى مؤلفاتهم بسرد الأحداث والوقائع ، ولم يقوموا بتحليلها ، وكذلك جهلوا الأصول الحديثة لكتابة التاريخ .

أما المؤرخون غير المسلمين من علماء الشرق الجدد و المستشرقين فأغلبهم يجهلون مصادر الحضارة الاسلامية ، وعديد منهم يجهلون أصول كتابة التاريخ . ولكن الغلطة الكبرى التى يبتلون بها هى أنهم ينظرون إلى تاريخ الإسلام وحضارته بعين التعصب والنظرة الدينية ، ويعمل فى هذه النظرة ادراكهم الحضارى واتجاههم الخاص ، وهكذا يصلون الى تشويه التاريخ والحضارة الاسلاميتين ، ويقفون عند وجهيهما الأسود شعروا بذلك أم لا .

والدارسون لهذا النوع من الكتب يحصلون على فكرة مشوهة لتاريخ الاسلام وحضارته ، حتى انهم يصابون بنوع من الخجل و التنافر إزاء هذا التاريخ وهذه الحضارة بدل أن يعتزوا بها ، ثم ينتابهم الشعور بالنقص فيفقدون طاقة العمل والانتاج .

وفى المقدمة بين المؤلف معانى الاسلام والتاريخ والحضارة لما لها علاقة

بموضوع الكتاب ، فقال بعد شرح معنى الاسلام : ان تاريخ الاسلام يبدأ بمجيء أول رسول الله إلى الدنيا وهو آدم عليه السلام ، أول انسان سكن فى الأرض وانتشرت بعده ذريته فى أقطار مختلفة ، واستمر رسل الله بعد آدم إلى أن انتهت الرسالة وختمت النبوة بمحمد ﷺ .

ويشير المؤلف الى سر ختم النبوة بمحمد ﷺ فيقول : من سنن الله عز وجل أنه خلق الكون وما فيه من الأشياء على أصل التدرج والتطور ، وهذا الأصل يسرى فى أمر الرسالة أيضا ، وتوضيح ذلك أن الانسان يتدرج فى فهمه وشعوره ، وبحسب ذلك يمكنه فهم الرسالة وأمر الدين بالتدرج . فالعناية الالهية كانت ترعى الفكر البشرى فى مراحله ، فلما ظهر نضوجه وتم استعداده لفهم الدين على وجه الكمال ، أتم الله تعالى الاسلام ، وأرسل خاتم الانبياء والرسل محمدا ﷺ بكتابه الأخير القرآن الكريم .

ويتجلى عمق المؤلف فى دراسة التاريخ ونظرته النقدية فى تناول قضاياه حينما يشرح معنى التاريخ فيقول : إن التاريخ عبارة عن دراسة الانسان فى ضوء عصره وبيئته ، وعن الأعمال الصالحة أو السيئة التى قامت بها طائفة أو طوائف من الناس فى عصر معين ، ودفعت بذلك عجلة الحياة الانسانية إلى الأمام أو إلى الوراء ، فتقدم الحياة الانسانية أو تقهقرها هو التاريخ ، وليس التاريخ سرد الوقائع والأحداث فقط ، بل هو وجود المجتمع الانسانى فى عصره وبيئته على أساس الأحداث التاريخية ، أو تصويره تصويرا صحيحا .

ويتم هذا التصوير بأن يبحث المؤرخ عند بيان الأحداث التاريخية عن أسبابها التى يتكون منها التاريخ ، ويحلل الآثار التى تؤثر فى الحياة الانسانية أو

فى مجتمع من المجتمعات ، وتوجهها إلى وجهة مخصوصة ، فواجب المؤرخ الأول أن يقوم بجمع الوقائع التاريخية ، ثم يمحصها من ناحية الصدق والكذب ، حتى يختار منها الصادق ويطرح الكاذب ، ثم يبحث عن أسباب الوقائع الصادقة وكيفية وقوعها . ويكون رائده فى هذا البحث هو الالتزام بالصدق والأمانة والموضوعية . وتعنى الموضوعية أن يعرض المؤرخ صورة الحياة التى تتبلور بعد تحليل الوقائع التاريخية ، لا أن يبحث عن الأحداث التى تلائم فكرته المبيتة ومعتقداته الذاتية ، فيقدم صورته المرضية . وهذا هو أصعب مقام فى تحليل الوقائع التاريخية ، وعنده تزل أقدام كثير من الباحثين المعروفين .

نظرية الاسلام التاريخية تختلف عن تصور غير المسلمين للتاريخ ، يوضح المؤلف الفروق بين النظريتين فيقول : من الفروق الأساسية بين النظريتين أن المؤرخين غير المسلمين يعتبرون الوقائع التاريخية محايدة ، حينما يصرح المؤرخون المسلمون أن جميع الوقائع التاريخية تؤيد الحق والصدق ، أو بعبارة أخرى تكمن فيها الشهادة على الحق والصدق .

والفرق الثانى الأهم أن المؤرخين غير المسلمين يرون أن الوقائع التاريخية وحدها تكون التاريخ وتصوغه حسنا أو قبيحا ، ولكن كتابة التاريخ عند الاسلام تقرر أن الأسباب والعلل إنما تكون الوقائع التاريخية دون شك ، ولكن الارادة الالهية تعمل دائما وفى خفاء وراء هذه الأسباب ، وكذلك هى تقوم بنفى وتعطيل كثير من الأسباب والعلل . وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تذكر هذه الارادة وتشرح تأثيرها .

ثم ان التاريخ فى نظر الاسلام ينبغى أن يدرسه الانسان للاعتبار والاتعاظ ،

فيتحلى بالفضائل والمحـــاسن التي نهضت بها الأقوام والأشخاص، ويتخلى عن الرذائل والمساوىء التي أدت بالامم والأشخاص إلى الانحطاط. وهذا هو الغرض الذي يجب أن يكون أمام المجتمع الذي يدرس التاريخ أيضا. ثم ان النجاح المنشود ليس هو النجاح في الدنيا، بل الواجب أن يتوخى الانسان نجاح الآخرة أيضا، و ذلك بعد أن يسعى له سعيا مخلصا.

ويتميز التاريخ الاسلامي عن غيره بعـدة نظريات أساسية لخصها المؤلف في النقاط التالية:

الأولى: أن تصور التاريخ الاسلامي مرتبط بالعقيدة والدين، بل تاريخ الاسلام في عصره الاول هو كله تاريخ الدين، ومن هنا يجب على المسلمين دراسة هذا التاريخ لمعرفة دينهم وفهمه. وبدون هذه الدراسة لا يتخبط المسلمون في الفراغ الحضاري والجهـــل التاريخي فحسب، بل يتنكرون لدينهم، ويجهلون ميزتهم، ويعرضون عن اسلامهم. وهكذا يحرمون ماضيهم المجيد، ويتعرضون لمؤثرات غير اسلامية، ويخافون الحضارات والأديان الأخرى، ثم انهم يخجلون من تاريخهم وحضارتهم، ويقضون حياتهم في التبعية والتقليد لغيرهم، ويكون الدين عندهم عبارة عن عدة تقاليد فقط.

والثانية: أن التاريخ الاسلامي يستوعب الحضارة الاسلامية بكاملها، ومن هنا فإنه حلقة جامعة بين مختلف العلوم والفنون، وانه يكشف لدراسه نشأة العلوم التي أسسها المسلمون ويبين تطورها. وكذلك يوضح النهضة الاجتماعية ومناحي الاقتصاد والقيم الحضارية.

والثالثة : أن التاريخ يذكر المسلم في جميع خطواته الله تعالى، ويدله على الاعمال التى يجب عليه اجتنابها ، وعلى الأعمال التى يجب الاتيان بها للفوز بسعادة الدارين . ومن الحقائق التى يعترف بها الناس اليوم فى ضوء الوقائع التاريخية أن العالم الاسلامى حينما تمسك بالاسلام ، والتزم بتعاليم الكتاب والسنة الصحيحة ، أحرز النجاح المادى والروحى معا ، وحينما أعرض عن هذه التعاليم منى بالانحطاط والذل والهوان .

والرابعة : أن التاريخ الاسلامى ينبغى أن يعمل لاقرار الاسلام ونهضته ، ويدافع عن مبادئه وأهدافه ، وهذا هو ما يطلبه من المسلمين أيضا .

والخامسة : أن التاريخ الاسلامى يتجه اتجاها عالميا ، ويؤلف بين الأقوام والطبقات التى تختلف من ناحية اللغة والوطن والمذهب ، و يربط المجتمع البشرى برباط الانسانية ، حينما يعمل التاريخ غير الاسلامى لتقسيم الانسان إلى وحدات مختلفة .

وفصل المؤلف الكلام عن معنى الحضارة والمدنية فقال : ان طائفة انسانية أو مجتمعا بشريا حينما يصل إلى درجة معينة من الرقى والنهضة فى مجالات الدين والاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلم والعقل والأخلاق ، فهذه هى حضارته وثقافته . والأصل أن المعاشرة الاجتماعية ومجموعة أساليب الحياة تسمى الحضارة والمدنية . و دراسة هذا الموضوع تتضمن ناحيتين هامتين : الأولى مبادىء القوم ونظرياتهم . والثانية تقاليدهم وعاداتهم الناشئة من بيئتهم ومحيطهم .

فالاسلام يريد فى مجال الاجتماع انشاء مجتمع انسانى على أساس الاخوة الاسلامية واحترام المسلمين ، تسود فيه العدالة الاجتماعية ، وتصان فيه حقوق

كل فرد وجماعة ، ولا يتم فيه التفريق بين أفراده على أساس الطبقة والعشيرة واللون والنسل والمنطقة وما يماثلها من التقسيم الجائر .

وفى مجال الاقتصاد يهدف الاسلام إلى توزيع الثروة توزيعا عادلا ، وإلى تقليل الفرق بين الغنى والفقير مهما أمكن . أما القضاء على طبقـــات الأغنياء والفقراء ، والنزوع إلى مساواة اقتصادية تامة فإنهما يعارضان قانون الاسلام .

وفى المجال السياسى يريد الاسلام اقامة دولة تراعى فيها حقوق كل فرد وطبقة وطائفة ، ويعامل فيها الجميع بالقـانون على قدم المساواة ، فالقانون الاسلامى يطبق على الحاكم الأعلى وعلى العامل العادى بالمساواة .

وفى المجال العلمى يقرر الإسلام أن العلم حق للجميع ، فعلى المؤمن أن يبذل جهده لتحصيله ، ويسعى للنهضة والرقى فى هذا المجال . والإسلام لايعارض استخدام العقل ، بل انه يحث على النظر والتفكر والتدبر فى آيات القرآن الكريم وفى آيات الكون على السواء ، نعم انـــه يوجب أن يستخدم العقل فى نطاق الوحى الالهى وليس خارجا عنه حتى لا يؤدى إلى الضلال والانحراف .

وفى المجال الخلقى يريد الاسلام السمو بالمسلمين إلى حيث يتم كل عمل فيه على أساس التقوى ، ويلتزم جميع أفراد المجتمع وليس المسلمين فقط ، بالقيم الخلقية والمثل العليا . أما العادات والتقاليد فالاسلام يقر منها ما يوافق تعاليمه وينفى ما يعارضها .

وإلى هنـا تم استعراض ما ورد فى مقدمة الكتاب ، وبه تتجلى دقـــة المؤلف فى منهجه وفى تناول موضوع الكتاب وشرح قضايا الحضارة الاسلامية وتصحيح المزاعم والأفكار التى تسربت إلى التاريخ الاسلامى بتقصير أو ذهول من المؤلفين .

وفيما يلى نثبت بعض العناوين والقضايا التى وردت فى صلب الكتاب من الجزئين حتى يأخذ القارىء فكرة عامة عنه .

فى الجـزء الأول تكلم المؤلف عن العرب فى العصر الجـاهلى ، فقسم الامارات العربيـة القديمـة إلى قسمين : الأول امارات الجنوب ، وهى تضم حكومات سبا ومعـان وقطبان وحضرموت وحمير . والثـانى امارات الشمال ، وهى تضم الحكومات النبطية والتدمرية والكنـدية والغسانيـة واللخمية . وفى القسمين أعطى المؤلف موجزا عن كل حكومة بحيث يطلع القارىء على بدايتها ونهايتها ومناطق نفوذها وخصائص شعبها وما يتعلق به من الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية .

وفى كلامه عن النظام القبلى ذكر المؤلف العدد التقريبى لأفراد القبائل الكبيرة ، فقال ان القبيلة الكبيرة كانت تضم بصفة عامة خمسة آلاف أو ستة آلاف شخص ، حينما كان عدد أفراد بعض القبائل الكبيرة يزيد على عشرة آلاف شخص ، مثل قريش وهوازن وغطفان . والقبيلة المتوسطة كانت تحتوى على نحو أربعة آلاف شخص ، والقبيلة الصغيرة كان عدد أفرادها يتراوح بين خمس مائة شخص وألف وخمس مائة شخص . ومثل بعض المجتمعات القديمـة كان مناط القوة والكرامة الاجتماعية فى النظام القبلى على كثرة العدد .

وفى الكلام عن النظام الاقتصادى ألقى المؤلف الضوء على التجارة والزراعة والصناعة والعمالة ، وأعطى موجزا عن كل قسم من هذه الأقسام بحيث تحصل القارىء فكرة كاملة عن الحالة الاقتصادية للأمة العربية .

وفى الكلام عن النظام الاجتماعى أشار المؤلف إلى التقـاليـد والعادات

المنتشرة فى الأمة العربية ، وإلى المحاسن والمساوىء الاجتماعية ، وإلى الديانة التى ينتمى إليها العرب ، وإلى الوثنية التى عمت الجزيرة كلها .

وأورد المؤلف نوعا من التفصيل فى الكلام عن مكة المكرمة وسكانها الأولين ، وقال : ان فضل تمدين مكة وتعميرها يرجع إلى رئيس قريش قصى ابن كلاب الذى عاش فى أوائل القرن الخامس الميلادى . ثم ألقى الضوء على السكان المجاورين للكعبة ، وعلى تاريخ مكة وسياستها ومناصب قريش وحالتها الاقتصادية والتجارية ومكانة الطائف فى دعم الحالة الاقتصادية لأهل مكة .

وفى كلامه عن القوة العسكرية صرح المؤلف بأن قبيلة قريش كانت أكبر قوة عسكرية فى الجزيرة العربية كلها وخاصة فى المنطقة المتوسطة ، وأفراد هذه القبيلة كانوا متمتعين بالكثرة العددية للجيش وبالمهارات الحربية والأسلحة المعروفة ، ولم يكن أحد هزمهم فى القرون الخمسة الماضية .

وفى الكلام عن الحضارة الجاهلية أفاد المؤلف بأن هذه الحضارة لم تكن قوية مثلما صارت فى الزمن اللاحق ، ولذا لم توجد فى هذا العصر نهضة علمية ، نعم كان فن البناء والتعمير راقيا وخاصة فى العرب الجنوبى ، وكذلك عرف العرب فن التصوير والنحت ، وألموا ببعض العلوم التى كانوا يحتاجون إليها .

وقد صرح المؤلف عن الشعر العربى بأنه لم يكن وسيلة للتعبير عن الميول والعواطف فحسب ، بل امتاز بكونه قيمة اجتماعية وقوة حضارية ، وكان له تأثير قوى فى حياة العرب ، ودور ملموس فى إقامة الحرب واقرار السلام . وكانت القصيدة أهم أصناف الشعر وأكثرها تأثيرا . ومن هنا رأينا أن رسول الله ﷺ أمر بعض أصحابه بالدفاع عن الاسلام باستخدام الشعر .

وتكلم فى الجزء الثانى، وهو استغرق نحو ثلاثة أرباع الكتـاب، على النقاط التالية:

الحياة الطيبـة فى العهد النبوى وهو العهـد المكى، ولادة النبى ﷺ، مشاركته فى بناء الكعبـة، أسفاره التجارية، سيرته الطيبة وخلقـه القويم، مشاركته فى حرب الفجار، مساهمته فى الحياة العامة، حياته العائلية، حياته الاجتماعيـة، مشاركته فى بناء الكعبة الجديد، مشاركته فى حلف الفضول، بعثـة النبى، سنة الله فى بعث الأنبياء والرسل، بدء الوحى ونزول القرآن، الدعوة إلى الاسلام وتأثير القرآن فى النفوس، شخصيـة الرسول وتأثيرها فى الدعوة، مركز الدعوة الأول، مقاومة الدعوة وآثار هذه المقاومة، المواخاة فى مكة المكرمة، الهجرة إلى الحبشة، تعذيب المسلمين و مقاطعتهم الاجتماعية، الاسراء والمعراج، لقاؤه مع القبائل، بيعة العقبة، تحليل العهد المكى.

ويجد القارئ ضمن هذه النقاط تحليلا دقيقـا وتفصيلا شافيا لكثير من وقائع السيرة النبوية فى العهـد المكى، وبذلك يمتـاز الكتاب عن غيره من كتب السيرة الكثيرة.

فى الكلام عن قبيلة قريش وبطونها وأسرها يوضح المؤلف بأن روابط الوحدة والتآلف كانت تربط بين هذه البطون والأسر، و ذلك لأن الحيـاة فى تلك البيئة كانت تفرض عليهم هذا التآلف. وأحيانا كان ينشأ بينها خلاف وجدال وحرب، ولكنه كان يزول سريعا، ولم يكن مرجع هذا الخلاف إلى التنافس القبلى.

وفى ختام العهد المكى أورد المؤلف تحليلا لهذا العهد يعتبر خلاصة لما

وقع فى هذه المدة . قال المؤلف : إن الدعوة إلى الاسلام كانت سرية فى سنواتها الأولى الثلاث ، وهى بدأت فى ٦١٠ م ، وانتهت فى ٦١٣ م ، وقد تضمنت من عقائد الاسلام الايمان بالتوحيد والرسالة والبعث بعد الموت . وكذلك الايمان بالجنة والنار والقدر والملائكة والكتب . وفى هذه الفترة ورد الأمر بالأخلاق الكريمة مثل الصدق فى القول و أداء الأمانة و وفاء العهد ونصرة المسلمين وغير ذلك .

أما مرحلة الدعوة العلنية فانها بدأت عام ٦١٣ م ، واستمرت عشر سنوات ، وقد حفلت بأحداث مهمة كثيرة منها ازدياد عدد المسلمين من قريش وغيرهم . ومنها المواخاة بين المسلمين وتكون المجتمع الاسلامى على أساس الدين لأول مرة فى التاريخ . ومنها انتشار الاسلام فى العرب الجنوبى والشرقى . ومنها هجرة المسلمين إلى الحبشة . ومنها مقاطعة المسلمين الاجتماعية التى استمرت ثلاث سنوات ، وانتهت فى سنة ٦١٩ م . ومنها بداية انتشار الاسلام فى المدينة .

وبعد استعراض العهد المكى أورد المؤلف تفاصيل نافعة عن العهد المدنى ، فقسم هذا العهد إلى أربعة أدوار توخيا للسهولة ومراعاة للفروق الأساسية بينها . ثم وضح أن الله تعالى جعل المدينة دار هجرة لرسوله ﷺ لحكمة عظيمة ومصلحة شاملة ، فأغلبية سكان المدينة كانت قد أسلمت بتوفيق الله تعالى . وإنها كانت بعيدة عن تأثير مكة المكرمة التى وقف أهلها موقف العداء والمقاومة من الدعوة ، ومع ذلك كانت فى موقع مركزى للجزيرة العربية . وإنها كانت تقع على الطريق الدولى التجارى ، وتربط بين جنوب الجزيرة وشمالها ، وهكذا كانت تصلح لممارسة الضغط التجارى والعسكرى على قريش الذين أعلنوا الحرب ضد

الاسلام والمسلمين. وسكان المدينة من الأوس والخزرج كانوا أهلا لمكانتهم الاقتصادية والاجتماعية لانشاء مجتمع اسلامى قوى. وانها كانت صالحة لأن تكون مركزا عسكريا لقربها من البحر الأحمر. وإنها كانت قادرة على انشاء دولة اسلامية بتحقيق الوحدة بين القبائل المجاورة التى كانت بمعزل عن آثار السياسة المكية. وإنها كانت توفر جوا صالحا للعمل بأحكام الاسلام ولتنظيم شئون الحياة فى ضوئها.

ومن العناوين الواردة فى هذا الموضع من البحث: بداية الهجرة، هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة، طبقات المهاجرين الثلاث، حسن معاملة الأنصار، مهن المهاجرين، هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.

وفى الفصل الخاص عن تأسيس المجتمع الاسلامى والدولة الإسلامية، تكلم المؤلف عن النقاط التالية:

بناء المسجد النبوى، بناء البيوت النبوية، نشر الاسلام، سكان المدينة، المواخاة بين الأنصار والمهاجرين، دستور المدينة.

وفى هذا الفصل تكلم عن توسيع الحكومة المدنية للدينة، فألقى الضوء على الدعوة إلى الاسلام، والسرايا الأولية، وعلى الغزوات وأسبابها وآثارها. ثم تكلم عن نهضة الدولة الإسلامية، وأشار الى الأسباب التى تم بها القضاء على أعداء الإسلام من المنافقين واليهود والقبائل المتمردة وقريش، وخضع العرب جميعا للإسلام وأخلصوا له.

وفى الفصل الذى عقده عن النظام الحكومى للدولة الإسلامية ألقى الضوء على النقاط التالية:

أساس الدولة الاسلامية ، أهداف هذه الدولة ، دولة المدينة ، مكانة الرسول ﷺ ، مجلس الشورى ، مستشارو النبي ﷺ ، خلفاؤه ونوابه ، كتابه للوحي ، سفراءه ، أصحاب القضاء والفتيا ، الشعراء والخطباء ، نظام الحكومة الولايات ، الادارة المحلية .

ثم تكلم عن النظام المالي والعسكري لدولة الاسلام فأشار إلى طريقة الحرب للعرب ، وإلى الجيش الاسلامي وأمرائه ، و إلى المناصب الأخرى التي كان يضمها هذا الجيش ، وإلى المصادر المالية والقائمين على توزيع الأموال .

وبصدد الكلام عن الغزوات والسرايا لم ينس المؤلف (وهو الخبير بالمؤلفات الغربية عن الإسلام) المزاعم والأباطيل التي لفقها أعداء الاسلام وأشاعوا بأن الاسلام انتشر بقوة السيف ، فقال : ان عدد الحملات الواقعة في العهد النبوي يبلغ تسعين حملة ، منها سبع وعشرون غزوة ، وثلاث وستون سرية . وقد وقعت هذه الحملات في مدة عشر سنوات ، على أن تسعا منها فقط وقع فيها الحرب والجدال ، وقتل فيها ٢١٦ شخصا من الأعداء واستشهد من المسلمين ١٣٨ شخصا . ومعظم السرايا كانت خالية من الحرب والقتال .

والاجراءات الحربية التي امتدت طوال عشر سنين لم يقتل فيها إلا ألف شخص على الأكثر . وكان سبب ذلك أن النبي ﷺ قد اضطر لحمل السلاح ، ولم يكن يهدف إلى قتل الأعداء واخضاعهم ، بل أراد ﷺ بالمودة والرحمة دخول الناس في الاسلام ، ولذلك قل سفك الدماء في عهده ، وأمسك ﷺ عمن لم يقاتله ، وإذا دخل في الاسلام عامله بالرفق واللين . ونظامه العسكري كان لاقرار الأمن والسلام والقضاء على الظلم والعدوان ، والاسلام قد انتشر

بصدقه وبسمو خلق النبي ﷺ وبمعاملة المسلمين الحسنى مع الناس.

وعقد المؤلف فصلا خاصا بالنظام الديني . فتكلم فيه عن هدف البعثة النبوية ، ونظام التعليم والتبليغ وأئمة الصلاة والمؤذنين ومناصب الكعبة والحج وأميره . ثم تطرق إلى المجتمع الاسلامى فأبان عن أسس هذا المجتمع وطبقاته من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، وكذلك وضح ميزات المجتمع الاسلامى ، وفصل الكلام عن الاصلاحات التى قام بها الاسلام فى المجتمع ، وعن عقائد الاسلام الأساسية و أركانه المعروفة من الصلاة و الزكاة و الصيام والحج والأخلاق والمعاملات .

والفصل الأخير من الكتاب عقده المؤلف لالقاء نظرة اجمالية على السيرة الطيبة ، فقد أبرز فيه الآثار التى ترتبت على جهود النبي ﷺ وجهاده فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى وتربية النفوس وتزكيتها بالأصول والعقائد والأحكام والتشريعات . وقد أشار فى هذا الفصل إلى ميزات النظام الاسلامى الذى أرسى قواعده الرسول ﷺ ، وإلى التحول والانقلاب الذى أحدثه هذا النظام فى المجتمع الذى بعث فيه النبي ﷺ ، وإلى الأسس والتوجيهات التى قدمها الاسلام فى مجال الاقتصاد والسياسة والتنظيم العسكرى .

وقد صرح المؤلف فى هذا الفصل بأن النبي ﷺ قام بدور ايجابى خالد فى مجال الحضارة وخاصة العلوم والفنون ، ثم تكلم لتوضيح هذا الدور على النقاط التالية :

التعليم والتعلم ، تدوين القرآن الكريم ، تفسير القرآن وعلومه ، علوم الحديث ، الفقه ، السيرة والتاريخ ، العلوم والفنون الأخرى .

والنتيجة التي وصل إليها المؤلف في ختام هذا الفصل هي أن النبي ﷺ أرسى قواعد الحضارة والمدنية ، ونهض بها من الصعيد القبلي إلى الصعيد المدني ، وعلى هذه القواعد سارت الحضارة الاسلامية فيما بعد ، وتحققت لها مقوماتها .

وبعد فهذا هو التعريف الموجز بالكتاب ومؤلفه ، ولست متخصصا في التاريخ والحضارة حتى أزيد على ذلك ، ولكن الأمانة العلمية تقتضي أن أنوه بخدمات المؤلف لتاريخ الاسلام وحضارته ، وبموقفه المحايد من القضايا والأفكار والمواقف والرجال . انه حقا باحث مثالي وعالم كبير ، نظرته عميقة واسعة ، وكتابة ممتعة رائعة ، ومواقفه محايدة عادلة . ومن حسناته أنه مستمر في البحث والكتابة ، وقد أثرى المكتبة الاسلامية بعدة مؤلفات قيمة منها كتاب في السيرة النبوية منحت عليه الحكومة الباكستانية جائزة للمؤلف . وقد تشرفت الجامعة السلفية أيضا بنشر رسالة صغيرة للمؤلف تحت عنوان « قضايا كتابة التاريخ الاسلامي وحلولها » وقد قوبلت هذه الرسالة في البلاد العربية بإعجاب وتقدير ، وأثنى عليه كثيرا بعض المتخصصين في التاريخ والحضارة . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، إنه ذو الفضل العظيم ؟

(بقلم د / مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهري)

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧) — ربيع الأول ١٤١٦ هـ

العدد الثامن — أغسطس ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٣٦ دولارا (بالبريد الجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥٠/٥ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

ترحيب بضيف كريم

(تشرفت الجامعة السلفية فى ١٧/٢/١٤١٦هـ باستقبال ضيف كريم من دولة الكويت فرحبت به فى كلمة تضمنت شرح أحوال المسلمين فى الهند، والتذكير بمسئولياتهم نحو السكان، والاشارة الى التحديات التى تواجههم فى الظروف الراهنة، وهذا هو سبب نشر الكلمة المذكورة فى هذا المكان).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين، أما بعـــد:

فإنه من دواعى الفرح والسرور البالغين أن الجامعة السلفية تعقد اجتماعا خاصا للترحيب بسعادة الشيخ / مشعل سليمان السعيد رئيس لجنة القارة الهندية بجمعية إحياء التراث الإسلامى بدولة الكويت و يسعدنى بهذه المناسبة السعيدة أن أرحب أصالة عن نفسى ونيابة عن رئيس هذه الجامعة وأمينها العام وجميع القائمين عليهـــا و الأساتذة و الطلاب بضيفنا الكريم الذى تجشم مشاق السفر وشرف إخوانه فى الهند عامة وفى هذه الجامعـــة خاصة بهذا اللقاء الأخوى العظيم الذى يجسد قول الله تعـــالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ و قول الرسول الكريم ﷺ: «المسلم أخو المسلم الخ».

ولاشك أن مثل هـذا الاجتماع وما يعقبه من تبادل الآراء والمشورات يحتاج إليـه المسلمون الآن أكثر من أى وقت مضى، وذلك لأن المعمورة

الإسلامية تعترض فى سبيلها عقبات كثيرة لا سبيل إلى التغلب عليها إلا بمبدأ التعاون و التناصح و التضحية و الإخلاص الذى قرره الإسلام و تمسك به المسلمون المخلصون فى القرون المشهود لها بالخير .

ضيفنا المحترم ! عدد المسلمين فى الهند كثير لا يستهان به فى حال من الأحوال ، ولكن واقعهم المرير يحمل على التأسف والقلق ، وذلك لأن الأغلبية منهم قد ابتعدت عن التمسك الصحيح الجاد بمبادئ الإسلام السامية و منيت بعادات الشرك و البدع و الإقبال المذموم على الدنيا و الانبهار بمغريات الحضارات المادية الملحدة ، وحرمت قوة الإيمان الصحيح التى نراها متجلية فى عصر الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين . زد على ذلك تفرقهم وتشتتهم لأدنى الأسباب ومحاربتهم لما ثبت بالكتاب والسنة الصحيحة بأعمالهم المشينة .

هذه صورة مصغرة لما نرى عليه المسلمين اليوم فى الهند ، و بجانب هذا الضعف الداخلى تبعث الأوضاع الراهنة للهند على كثير من القلق والأسف فإن القوى المعادية للإسلام و المسلمين فى البلاد قد تجمعت وتكتلت ضد الدعوة الحقة وحامليها ، وجدت فى تنفيذ ما خططته فى السنوات الماضية الطويلة ، وإنها قد التجأت لمحاربتها للإسلام إلى أخبث الوسائل والأساليب ، وأخضعت لغرضها السيء جميع القوانين و الأعراف ، وحاولت أن تصوغ من القوانين ما يساعده فى تنفيذ خطتها الماكرة ، ومن ذلك ما نرى حينا بعد آخر من الهجمات المستمرة و التهديدات السافرة للمدارس الإسلامية و لأعمال الدعوة والإرشاد ، وكذلك لاننسى بهذا الصدد المحاولات الجائرة التى ترمى إلى إضعاف المسلمين فى المجال الاقتصادى ، وإلى سلب حقوقهم الأساسية من الأمن والسلام

و حرية الفكر والدين والعلم . فالمتتبعون لأحوال الهند يعرفون جيدا أن الأقلية الدينية فى هذه البلاد تتعرض حينا بعد آخر لاشتباكات طائفية دامية يكثر فيها القتل و النهب وإحراق الممتلكات وهتك الأعراض بصورة مفزعة ومن هنا يتأكد لدينا أن الأمة الاسلامية فى الهند تشهد صراعا حضاريا عنيفا لأن الحضارة الوثنية تقف وجها لوجه للحضارة الاسلامية وتتحداها فى جميع مجالات الحياة و لعل هذا الصراع لم يتبلور فى زمن سابق مثل ما تبلور الآن ، وفى هذه الأحوال المتوترة تسعى الأمة الإسلامية للحفاظ على كيانها الحضارى ، ولأداء رسالتها نحو البشرية فى مجال الدعوة والتوجيه ، وذلك من خلال جهودها التى تبذلها فى سبيل تنظيم الدراسة الدينية فى المدارس الإسلامية التى تنتشر فى أرجاء الهند الواسعة ، وبذلك ندرك أن دور هذه المدارس مهم جدا فى حياة المسلمين المعاصرة ، فإنها تعتبر بعد عون الله تعالى المعاقل و الحصون التى تحفظ على المسلمين هويتهم الدينيـــة و الثقافية . ومن فضل الله تعالى على المسلمين أنه وفقهم للنهوض بهذه المدارس وبذل الجهد لتحقيق أهدافها المهمة .

ضيفنا الكريم ! ومن بين هذه المدارس الجامعة السلفية مركزى دار العلوم بينارس التى تشرفت الآن بزيارتكم الكريمة ، و انتهازا لهذه الفرصة الثمينة أود أن أشير بإيجاز شديد إلى بعض الأمور الخاصة بهذه المؤسسة التعليمية :

تأسست هذه الجامعة فى سنة ١٣٨٣ ﻫ الموافق لسنة ١٩٦٣م وبدأت فيها الدراسة سنة ١٣٨٥ ﻫ الموافق لسنة ١٩٦٦م و إنها تواصل مسيرتها بعون الله و توفيقه إلى الآن ، ونرجو أن الله تعالى يكتب لها دائما التقدم والازدهار .

ضيفنا الكريم ! تمتاز هذه الجامعة بأنها جامعة مركزية لجماعة أهل الحديث فى الهند ومن هنا فإنها تحظى بعون و مساعدة من أفراد هـــذه الجماعة جميعا ،

والجامعة بدورها تسعى لنشر الدعوة السلفية في هذه البلاد والوقوف مع الأفراد و المنظمات التى تتفق و أهداف السلفية وتتصدى لمقاومة جميع الأفكار والأعمال التى تعارض عقيدة الإسلام الصحيحة وتتيح للأعداء فرصة النيل من الدين الحنيف .

ضيفنا المكرم ! مضت على إنشاء الجامعة نحو ثلاثين سنة ، وهذه المدة لا تكفى لتقويم أعمالها وأنشطتها ، و لكننا نلمس أن الجامعة نجحت بعون الله تعالى و بمساعدة الإخوة المخلصين بتحقيق العديد من أهدافها ، و الطلاب الذين تخرجوا فيها يواصلون نشاطهم فى مجال الدعوة و التدريس و التأليف و التحقيق بكفاءة وجدارة . ولا نطيل بذكر الأعمال التى تمت فى مجـال البناء وفى مجال الطبع والتأليف . فإن الاطلاع عليها يسهل من خلال التقارير والنشرات التى طبعت فى الجامعة بمناسبات مختلفة .

ونحن إذ نستعرض أحوال الجامعة لن ننسى الدور الكريم المشرف الذى وقفته لجنة القارة الهندية وجمعية إحياء التراث الإسلامى بدولة الكويت من هذه الجامعة ، فمنذ أن تأسست الجامعة تواصل لها العطاء السخى والبذل الكريم من جمعية إحياء التراث الإسلامى ، و كذلك حظى القائمون على الجامعة بتوجيه رشيد ومشورة نافعة من القائمين على الجمعية فى سبيل النهوض بالجامعة وتطوير أعمالها وتنشيط سيرها .

وقد طرأ على ذلك تحسن ملموس منذ أن تم تشكيل لجنة القارة الهندية التى يشرفها ضيفنا الكريم برئاسته .

وكذلك لن ننسى الموقف الكريم و الدعم السخى الذى تلقته الجامعة من

الكويت المحروسة حكومة وشعبا ، وإذ نرجو استمرار هذه الوقفة الطيبة نسأل الله تعالى للمحسنين الأجر الجزيل المضاعف .

وحيث إن جمعيــة إحياء التراث الإسلامي تغطي بأنشطتها مسلمي العالم جميعا وعندها خبرة كافيــة عن احتياجات المسلمين معنويا وماديا فإننا لا نرى حاجــة إلى ذكر ما يحتاج إليه المسلمون في الهند ، وخاصة السلفيون منهم ، ولكن نبدي ثقتنا بالضيف الكريم ونرجو أن هذه الزيارة الكريمة تعطي فكرة كاملة عن المسلمين واحتياجاتهم المادية والمعنوية .

أما بخصوص مشاريع الجامعة فلا أود أن أثقل على الضيف الكريم بذكر المشاريع البنائية والعلميــة البعيدة التي قد لا تجد طريقها إلى التنفيذ ، بل أثبت هنا المشاريع العلمية والبنائية التي تحتاج إلى تنفيذها في أقرب فرصة ممكنة وذلك نظرا إلى مصلحــة الدعوة و الطلاب الذين يدرسون في هــذه المؤسسة ، وهذه المشاريع كما يلي :

١ ـــ تخطيط دقيق لعمل الدعوة في شبه القارة ، وذلك لأن المسلمين فيها مبتلون بالانحراف الرهيب في مجال الفكر والعمل ، ولا يعرفون شيئا من توجيهات الكتاب والسنة وأصول العقيدة الصحيحة إلا من رحم الله ، أما غير المسلمين فلم تتهيأ لهم فرصة الاطلاع على مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية السمحة وتوجيهات الكتاب و السنة في مجــال الفكر والعمل مع انهم يحتاجون إليهــا أكثر من غيرهم ، وكل ما لديهم من المعــلومات عن الإسلام وشريعته فهو معلومات مشوهة مبتورة ، تبعث على الحقد و الكراهية ضد الإسلام و المسلمين و حالة المسلمين السيئة و التناقض الموجود في حيــاتهم الفكرية والعملية إنما يساعد في إساءة الظن إلى شريعة الإسلام السمحة ،

ومن هنا نرى الحاجة ماسة إلى التعريف التام بتوجيهات الإسلام المنصوص عليها في القرآن والسنة ، حتى تتجلى مزية الإسلام التي منحها الله هذا الدين الحنيف .

٢ ــ مشروع توسيع نطاق الدعوة والارشاد وذلك بتفريغ عدد معين من العلماء الأكفاء الذين يستطيعون إجراء إحصائية دقيقة للسلمين واحتياجاتهم في المناطق التي يزورنها في سبيل الدعوة والتوجيه .

٣ ــ إعداد وطبع وتوزيع ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم ومجاميع الأحاديث الصحيحة باللغة الأردية والهندية والبنغالية ، وكذلك إعداد الرسائل الصغيرة بهدف التعريف الموجز بمبادئ الإسلام الأساسية حتى يتم توزيعها بين المسلمين وغيرهم في مناطق الهند المختلفة .

٤ ــ مشروع التعليق على كتب الحديث المقررة في مناهج المدارس السلفية في الهند ، وأهمية هذا المشروع هي أن الكتب المقررة في مادة الحديث التي يدرسها الطلاب في المنهج الدراسي تحمل تعليقات غير سليمة من علماء الحنفية الذين تعودوا على التحريف المعنوي والتأويل المذموم للأحاديث الصحيحة التي تعارض مذهبهم الفقهي . والأولية في هذا المشروع للصحيحين ، ثم بقية الكتب الأربعة .

٥ ــ مشروع تطوير شعبة تدريب الدعاة والمعلمين التي تعمل حاليا في الجامعة بغية أن تقوم هذه الشعبة بتأهيل وإعداد مجموعة من الكتاب والمحققين والدعاة الذين يتحملون عبأ العمل الإسلامي بكفاءة وبصيرة ، وكذلك يقومون بإجراء مقارنة علمية دقيقة بين الأديان المعاصرة السماوية وغير السماوية .

٦ — مشروع معهد التدريب المهنى الذى يلتحق به خريجو الجامعة و طلاب المدارس الإسلامية الأخرى ممن يريدون الدخول فى مجال التجارة أو الأعمال الحرة، وقد قدمنا إلى الضيف الكريم تعريفا موجزا لهذا المعهد مع ضرورته وخلفيته فى ورقة على حدة.

ومرة أخرى أرحب بالضيف الكريم، وأتقدم إليه بالشكر الجزيل الوافر على هذه الزيارة الكريمة، وأقدر الجهود الطيبة المستمرة التى تبذلها لجنة القارة الهندية وجمعية إحياء التراث الإسلامى لتحقيق أهداف الإسلام السامية ونشر العقيدة الصحيحة، وتقديم المعونات الطيبة إلى المحتاجين والبائسين وإلى الأفراد والمنظمات والجمعيات والهيئات التى تقوم بالعمل الإسلامى فى أى بقعة من بقاع العالم، هذه جهود عظيمة تترتب عليها آثار طيبة، ونسأل الله تعالى أن يكتب الاستمرار و النجاح لهذه الجهود الكريمة وأن يجزل المثوبة لضيفنا الكريم و للعاملين و المسئولين والمتعاونين مع لجنة القارة الهندية و جمعية إحياء التراث الإسلامى. و فى ختام هذه السطور أرجو من الضيف الكريم التكرم بالصفح الجميل عما حصل منا من تقصير فى أداء واجب الضيافة وان يجعل هذه الجامعة السلفية دائما موضوع عطفه وعنايته، سدد الله خطانا و وفقنا لما يحب ويرضى، وكتب للجميع العافية والسعادة والتوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله.

سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز يفتتح المركز الإسلامي الثقافي في روما

افتتح الرئيس الايطالي اوسكار لويجي سكالفارو وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ممثلا لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله المركز الاسلامي الثقافي في روما صباح الأربعاء الماضي (٢٢) محرم، بحضور عدد من الشخصيات الاسلامية والسلك الدبلوماسي.

وقد بدأ الحفل بالقرآن الكريم ثم ألقى سفير المغرب لدى ايطاليا و رئيس مجلس ادارة المركز كلمة اشاد فيها بما تقدمه حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز من خدمة للاسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم. وشكر السفير المغربي الحكومية الايطاليا على ما قدمته من تعاون في انشاء المركز حيث تبرعت بلدية روما بموقع المركز البالغ مساحته ٣٠ ألف متر مربع. ثم أوجز ما يقوم به المركز من خدمة لأبناء الجالية الاسلامية في ايطاليا البالغ عددها ٨٠٠ ألف نسمة.

ثم ألقى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي الدكتور أحمد محمد علي كلمة نوه فيها بما تقوم به حكومة المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود من دعم لكل ما يخدم الاسلام والمسلمين في بقاع الأرض قاطبة.

وأكد الدكتور أحمد محمد على أن المركز الاسلامى الثقافى فى روما سيقوم بتغيير الفهم الخاطىء عن الاسلام لدى الغرب وان المسلمين لا يكمل اسلامهم ولا ايمانهم بدون الايمان بكل الرسل والكتب السماوية المنزلة من رب العالمين. ثم ألقى صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض وممثل خادم الحرمين الشريفين فى افتتاح المركز الكلمة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى رسله وأنبيائه أجمعين.

صاحب الفخامة الرئيس أوسكار اويجى سكالفارو رئيس جمهورية ايطاليا الأخ رئيس مجلس ادارة المركز والاخوة أعضاء مجلس الادارة أصحاب المعالى والسعادة أيها الحفل الكريم السلام عليكم و رحمة الله وبركاته. ومرحبا بكم فى هذا الصرح الاسلامى الثقافى الجليل بطرازه المعمارى الجيل الجديد بمدينة روما بتراثها العريق فى تاريخ الحضارة الانسانية العالمية، ويطيب لى ان استهل كلمتى بأن أنقل إليكم تحيات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وشكره لفخامة رئيس الجمهورية الايطالية على رعاية الاحتفال بهذا الحدث التاريخى الذى يمثله افتتاح المركز الثقافى الاسلامى فى روما، كما يطيب لى أن أشيد بالعلاقات المتينة والقوية بين المملكة العربية السعودية وجمهورية ايطاليا.

إن خادم الحرمين الشريفين قد قدر الأهمية الكبرى لهذا المشروع واضطلع برعايته ليكون منارا للتعريف بحقيقة الاسلام الذى يشيد بتكريم الله للانسان وتهيئته للتنقل فى ارجاء الأرض لعمارتها ماديا و روحيا والتعاون على ذلك بين بنى آدم جميعا بسلالاتهم وثقافاتهم المتباينة على أساس المساواة الانسانية

والعدل والاحسان والتعرف الصادق على الخصائص الفردية والجماعية مع تأكيد مقومات الانسان العامة ، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر و رزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [سورة الاسراء آية ٧٠] ونحن أيها الحفل الكريم يجمعنا عالم تتقارب مسافاته يوما بعد يوم بفضل التقدم الهائل الذى حققه الانسان فى وسائل المواصلات والاتصالات وهكذا تتشابك المصالح حتما فى كرتنا الأرضية هذه فلا يضمن تعاوننا ويمنع تصادمنا إلا الفكر السديد والخلق القويم ولا يوجهنا إلى الرشد خير من هداية الخالق الحكيم العادل الرحيم .

والمسلمون العرب بصفة خاصة تجمعهم يا صاحب الفخامة ببلادكم وشعبكم روابط الجوار القريب وبين الجار وجاره فى تقاليد العرب وتعاليم الاسلام أواصر معنوية وحقوق متبادلة وعلاقات تعاون وثيق كريم ، والمسلمون جميعا يعتزون باتباع إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام فى دعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد حيثما حلوا وحيثما رحلوا وما يترتب على ذلك من قيم تقاوم الانانية والجشع وترعى حقوق الفرد من بنى الانسان : ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا . وما كان من المشركين﴾ [سورة النحل آية ١٢٠–١٢٣].

والمسلمون يؤمنون برسل الله جميعهم وآخرهم محمد عليه وعليهم صلوات الله وسلامه ويؤمنون بكتب الله المنزلة قبل القرآن . ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾

[سورة البقرة آية ٢٨٥] . صاحب الفخامة . أيها الحفل الكريم . إن الهدف من انشاء هذا المركز الاسلامى الثقافى الاسهام فى تقديم صورة فكرية وعملية لما يمكن أن يقوم به المؤمنون بالله ورسالاته من جهود فى انقـــاذ سفينة البشرية الجائحة وسد ما نجم من ثقوبها وثغراتها . انه مؤسسة ثقافية اسلاميـة يعرف الشعب الايطالى بحقيقة الاسلام ومبادئه السامية التى تدعو إلى التعاون والتسامح والحوار الهادف البناء .

و يعتبر هذا المركز جسرا مهما لإرساء العلاقات الثقافيـة والحضارية بين العالم الاسلامى والشعب الايطالى ، ويسرنى بهذه المناسبة أن أهنىء الجالية المسلمة فى ايطاليـا بإقامة هذا المركز وافتتاحه راجيا أن يكون ملتقى للجميع يجتمعون فيــه على كلمة الحق وعلى تعـــاليم الاسلام السمحة التى تجمع ولا تفرق كما أرجو أن يكونوا جميعا عونا له وللقائمين عليه فى أداء رسالته السامية ليحقق رعاية المسلمين فكرا وسلوكا بحيث يكونون عاملا ايجابيا مخلصاً فى تقـــدم البلد الذى يعيشون على أرضـه وفى معالجة مشكلات الانسان كانسان فى هذا الجزء من العالم .

ختاما . لكم يا فخامة الرئيس والمشاركين فى هذا الحفل ولحكومة ايطاليا والمسؤولين فيها وشعبها الصديق وبلدية روما وعمدتها ولكل من أسهم بالمال والجهـــد والفكر فى انجاز هذا المشروع العظيم و لرئيس مجلس ادارة المركز وأعضاء المجلس والاخوة الـذين سبقوهم ، الجميع الشكر والتقدير من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـد العزيز آل سعود الذى سيكون وحكومته الرشيدة عونا لهـــذا المركز لأداء مهمته . ولا أجدنى فى حاجة إلى شكر سفير خادم الحرمين الشريفين الأستاذ خالد التركى الذى قام بما يجب وفقا لتوجيهات

خادم الحرمين الشريفين ولكم فخامة الرئيس شكرى وتقديرى الخاص على رعايتكم هذا الاحتفال .

ثم ألقى الرئيس الايطالى اوسكار لويجى سكالفارو كلمة قال فيها ان هذا المركز مركز صلاة ومركز دراسات وبصفته مركز صلاة فهو دعوة موجهة للجميع للتجرد من الذاتية والاعتقاد بوجود قوة كبيرة وهذه القوة هى الله .

وبعد الافتتاح قام سمو الأمير سلمان والرئيس الايطالى بجولة فى منشآت المركز الاسلامى ومعرض المخطوطات الاسلامية الموجودة فى المركز .

وقد حضر حفل الافتتاح كل من معالى وزير الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى وصاحب السمو الملكى الأمير منصور بن سعود بن عبد العزيز وصاحبو السمو الملكى الأمير محمد بن نواف بن عبد العزيز السفير بوزارة الخارجية وصاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن سلمان بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكى الأمير منصور بن محمد بن نواف بن عبد العزيز وسفير خادم الحرمين الشريفين بايطاليا الأستاذ خالد الناصر التركى ومعالى نائب رئيس مجلس الشورى الدكتور عبد الله عمر نصيف والأمين العام لرابطة العالم الاسلامى الدكتور أحمد محمد على .

كما حضر الحفل سفيرا خادم الحرمين الشريفين فى أسبانيا و ألمانيا محمد نورى إبراهيم وعباس غزاوى و وكيل وزارة الاعلام للاعلام الخارجى الدكتور شهاب جمجوم و وكيل وزارة الاعلام المساعد لشؤون التلفزيون الدكتور على النجمى وأمين عام منظمة الاسيسكو عبد العزيز التويجرى ومديرو المراكز الاسلامية فى أوروبا وعدد من المسؤولين فى رابطة العالم الاسلامى .

وقد أقيم المركز الثقافى الاسلامى فى روما على مساحة واسعة من الأرض

تبلغ ٣٠ ألف متر مربع / ليكون بذلك أضخم مركز اسلامى فى أوروبا حيث يتسع لحوالى أربعة آلاف مصل ، وقد تكلف بناء المركز واعداده مبالغ طائلة وقد تبرعت المملكة العربية السعودية بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله بمعظم التكلفة حيث قدمت مبلغا وقدرة ٥٠ مليون دولار من أجل انشاء هذا المركز حتى يصبح منارة اسلامية تعبر عن سماحة دين الاسلام العظيم .

وقد بدأت فكرة مشروع المركز الاسلامى بروما عقب المساعى الحميدة التى قام بها الملك فيصل يرحمه الله والتى أثمرت عن موافقة الحكومة الايطالية فى عام ١٩٧٣م على مشروع المركز الاسلامى بروما و ذلك خلال زيارتـه يرحمه الله التاريخية لايطاليا فى العام نفسه .

وفى عام ١٩٧٥م وافقت الحكومة الايطالية على تخصيص قطعة أرض مساحتها ٣٠ ألف متر مربع لاقامة المركز عليها و ذلك بناء على جهود سفارة المملكة العربية السعودية فى ايطاليا حيث تم تجهيز التصاميم الخاصة وتم التصديق عليها من بلدية روما ١٩٨٣م .

وقد تم وضع حجر الأساس للمركز فى احتفال رسمى شهده نائبا لخادم الحرمين الشريفين معالى الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع وكان حينئذ وزيرا للحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية .

وشهد وضع حجر الأساس كذلك رئيس جمهورية ايطاليا وممثلو دول الفاتيكان ومصر ومعالى الدكتور عبد الله عمر نصيف نائب رئيس مجلس الشورى وأمين عام رابطة العالم الاسلامى فى ذلك الوقت .

كما حضر حفل وضع حجر الأساس أعضاء البعثات الدبلوماسية فى ايطاليا وشخصيات دينية كبيرة .

وقد أسند الاشراف على المركز لرابطة العالم الاسلامي التي اعتمدت دفع مبلغ سنوي قدره ١٢٠ ألف ريال كمساعدة سنوية للمركز للمساهمة في تسيير أعماله ولا زالت هذه المساهمة مستمرة الى الآن، ويعتبر المركز الثقافي الاسلامي في روما من أكبر وأوسع المراكز الاسلامية ويشتمل على مسجد يتسع لألفي مصل كما يتسع صحنه الخارجي المغطى لألفي مصل كذلك والى جانب هذا يوجد في المركز مسجد خاص للصلوات الخمس وهو يتسع لحوالي مائة مصل. ويشتمل المركز على مكتبة واسعة من طابقين تضم أكثر من ٣٠ ألف مجلد في مختلف العلوم وهناك قاعة كبرى للمحاضرات تتسع لخمسمائة شخص، كما يشتمل المركز على متحف اسلامي ومدرسة اسلامية من عشرة فصول دراسية اضافة الى المكاتب الادارية ومرافق أخرى تشمل مساكن لايواء الضيوف عند اللزوم الى جانب المرافق الصحية والحدائق ومواقف السيارات وللمركز الثقافي الاسلامي في روما مجلس ادارة مكون من خمسة عشر عضوا من بينهم ثلاثة عشر سفيرا أو من ينوب عنهم لدول عربية واسلامية معتمدة لدى ايطاليا والفاتيكان ويجرى انتخاب أعضاء هذا المجلس سنويا بحسب النظام الاساسي للمركز.

وتوجد اتفاقية بين الرابطة ومجلس اداره المركز عهد فيها الى الرابطة بتسيير أعماله بعد انتهاء عمارته على أن يتولى المجلس مهمة الحصول على اعتراف الرابطة ونشاطاتها داخل ايطاليا وذلك من قبل الحكومة الايطالية.

وهناك اتفاقية للعمل المشترك بين رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة ومجلس ادارة المركز الثقافي الاسلامي في روما تقوم الرابطة بموجبها بادارة وتسيير جميع شؤون المراكز المالية والادارية والثقافية وفق أسس تحدد اختصاصات وصلاحيات الجهتين.

ويهدف انشاء المركز الاسلامي في ايطاليا الى التعريف بالاسلام ونشر

الدعوة الاسلامية والتصدى لما يواجه الاسلام والمسلمون من هجمات وتحديات وأفكار هدامة .

ردود فعـــل

وصاحب افتتاح المركز الاسلامى بروما ردود فعـــل متباينة بين بعض الطوائف الرئيسية فى روما حيث باركت الجمعيات الدينية الكاثوليكية والخيرية الرسمية فى ايطـــاليـا افتتاح المركز باعتبـاره النواة الأولى لتجمع المسلمين فى ايطاليا فيما أشارت بعض الطوائف المتطرفة إلى خطورة تواجد مركز اسلامى فى قلب ايطاليا خاصة بعد تزايد اعداد الكاثوليكيين الايطاليين الذين أشهروا اسلامهم فى الأعوام السابقـــة والذى يبلغ وفق الاحصائيات الرسمية ٧٠ مسلما جديدا ايطاليا كل عام .

ومن جهة أخرى أكدت التوجهات الشعبيـــة والحزبيـــة والسياسية عبر تواجد ممثليها فى مراسم الاحتفال على أهمية تواجد المركز حيث أوضح ميكيلى ماندو من حزب اليسار الـديمقراطى أن المركز ليس مسجدا ومركزا ثقـــافيـا فحسب ولكنه نقطة التقاء بين الأديان فى ايطاليا ومنطلق للحوار بين الاسلام والمسيحية ومساهمة عملية فى تأصيل السلام بين دول الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط .

المركز تحفة فنية

ومن الناحية الجمالية والسياحيـة أكد الناقد التشكيلى المعروف فيكتوريو سجاربى عضو مجلس النواب الايطالى أن التشكيل الجمالى للمركز يعد تحفة فنية رائعة تليق بالمناخ الفنى والجمالى الرومانى وتنضم لثروة ايطاليا التاريخية والفنية ؟

(مع الشكر لجريدة العالم الاسلامى بالرياض)

العالم الاسلامى :

متابعة مجلة الدعوة بالرياض
لافتتاح المركز الإسلامى فى روما

فى إطار حرص واهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وتجسيدا لذلك الدور الاسلامى الفاعل الذى تقوم به هذه البلاد لخدمة الاسلام والمسلمين ونشر الدعوة الاسلامية، قام صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض يوم الثلاثاء الماضى بافتتاح المركز الاسلامى والثقافى بروما والذى أقيم على مساحة تقدر بنحو ٣٠ ألف متر مربع وبتكاليف إجمالية بلغت نحو ٥٠ مليون دولار حيث تحملت المملكة ٨٠٪ من هذه التكلفة.

هذا وقد عبر عدد من الفقهاء والعلماء والدعاة ومسؤولى المراكز الاسلامية فى الخارج عن شكرهم وتقديرهم لخادم الحرمين الشريفين على تلك الخطوات الاسلامية الرائدة والتى تهدف إلى نشر الدعوة الاسلامية وقالوا إن هذا العمل الجليل يعكس بحق حرص حكومة خادم الحرمين الشريفين على تقديم كل ما فى وسعها لخدمة المسلمين. وأكد هؤلاء ان المملكة لا يجاريها أى دولة فى العالم فى انشاء ودعم ومساندة المراكز الاسلامية والمشاريع الاسلامية عموما.

وأوضح مديرو المراكز الاسلامية فى أوروبا ان اهتمام المملكة بالمراكز

الاسلامية وبالمنظمات والهيئات الاسلامية أمر معهود وسياسة ثابتة لها انطلاقا من رسالتها الاسلامية حيث تهتم بأوضاع المسلمين عامة والأقليات والجاليات المسلمة التى هى فى أمس الحاجة إلى إقامة هذه المراكز .

وقالوا ان افتتاح صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بنفسه لهذا المركز لهو دليل على حرص خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على إقامة هذا المركز فى عاصمة أوروبية كبيرة ومهمة . والمسلمون فيها بحاجة ماسة إلى مثل هذا المركز الذى لن يقتصر عمله ونشاطه على ايطاليا فقط بل سيمتد إلى مناطق جديدة خاصة الدول المحيطة بايطاليا . ولاشك ان لهذه المراكز فائدة كبيرة كونها تنقل صورة من الحضارة الاسلامية إلى تلك الشعوب والأمم وتلك الدول وفى الوقت نفسه تتيح الفرصة لأى شخص يرغب فى التعرف على الإسلام وعلى حضارته وعلى شريعته وعلى رسالته وكون هذا المركز يقام فى روما فإنه يكتسب أهمية خاصة ذلك ان روما مدينة تاريخية وحضارية مهمة .

متابعة قضايا المسلمين

وأكدوا ان اهتمام المملكة باقامة هذا المركز وافتتاح سمو الأمير سلمان له دليل على متابعة المملكة لقضايا المسلمين وشئونهم وهذا أمر درجت عليه منذ ان تأسست على يد الملك عبد العزيز — طيب الله ثراه — وبلغت قمة الاهتمام بذلك الشان فى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز — أيده الله — ولا نكاد نرى عاصمة أوروبية أو غير أوروبية إلا وفيها معلم بارز اما مركز اسلامى أو مسجد كبير للمملكة دور كبير فى إقامته وفى امداده بما يحتاج إليه من المصاحف والدعاة وذلك محل تقدير واكبار من المسلمين

أينما كانوا بل حتى ومن قبل العالم إذ أن شعوبه ترى وتلمس اهتمام المملكة بالمشاريع الاسلامية والرسالة الاسلامية رسالة الخير والرحمة للبشرية جمعاء ولذلك فإن تلك الأعمال موضع تقدير للملكة إذ ينظر لها على أنها صاحبة رسالة تؤديها بطريقة لا مشاكل فيها أو تدخل فى شئون الآخرين أو الأوضاع الداخلية للدول التى تقام بها تلك المؤسسات والصروح الاسلامية .

من ناحية أخرى أعرب معالى وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد عن فخره واعتزازه بمشاركته فى هذه المناسبة وافتتاح هذا المركز تحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض .

وأكد معاليه ان اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وسمو ولى عهده الأمين — يحفظهما الله — بالمراكز الاسلامية وبالمنظمات والهيئات والمجالس الاسلامية أمر ليس بمستغرب وهو أمر معهود ونهج ثابت نابع من رسالتها الاسلامية التى تحض على الاهتمام بأوضاع المسلمين بعامة والأقليات والجاليات المسلمة المنتشرة فى كافة أرجاء المعمورة بخاصة .

ووصف معاليه افتتاح سمو أمير منطقة الرياض لهذا المركز بأنه عمل جليل يدخل فى إطار الأعمال التى يقوم بها سموه لدعم ومساندة الدعوة الاسلامية ونشر الدين الاسلامى فى كل مكان من العالم وأكبر دليل على ذلك حرص خادم الحرمين الشريفين على إقامة هذا المركز فى عاصمة أوروبية كبيرة ومهمة .

وقال معالى وزير الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد ان رعاية

سمو أمير منطقة الرياض لهذا العمل الاسلامى ليست غريبة على سموه الكريم الذى يضطلع بعمل رائد فى دفع العمل الدعوى الاسلامى داخل المملكة وخارجها .

وأثنى معالى الوزير الدكتور عبد الله التركى على هذا الانجاز الاسلامى الكبير الذى يترجم حرص خادم الحرمين الشريفين على خدمة الاسلام والمسلمين فى كل مكان مشيرا معاليه إلى أن هذا المركز سيسهم بإذن الله تعالى فى إيضاح حقيقة رسالة الاسلام لدى العالم الغربى وإعطاء الانطباع الحسن والصحيح عن صورة الاسلام العظيمة .

هذا وقد أعرب معالى الدكتور أحمد محمد على أمين عام رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة عن شكره لخادم الحرمين الشريفين على رعايته المتميزة لشؤون المسلمين ومصالحهم فى العالم، وأثنى معاليه على ما تقدمه حكومة المملكة العربيـــة السعودية — بتوجيهه يحفظه الله — من خدمات للمسلمين والأقليات والجاليات المسلمة فى العالم .

وأوضح معاليه أن المركز قام بفضل الله أولا ثم بفضل الدعم والتأييـد والمساندة المتواصلة لخـــادم الحرمين الشريفين حفظه الله مشيرا إلى أن الدعم السعودى لأعمال الدعوة الاسلاميـة يسهم فى تأصيل منهج الوسطية الاسلامى فى حياة المسلمين .

وعبر معاليه عن سعادته باسناد الاشراف على هذا المركز العام لرابطـة العالم الاسلامى التى تشرف على عدد من المراكز الاسلامية فى العالم ومنها المركز الثقافى فى مدريد .

من جهة أخرى قال المتحدث باسم رابطة العـالم الاسلامى فى روما هو اكبر صرح اسلامى ثقافى فى أوروبا حيث أقيم على أرض مساحتها ٣٠ ألف

متر مربع كانت الحكومة الايطالية قد وافقت على تخصيصها للمركز عام ١٩٧٥م .

وبين ان رابطة العالم الاسلامى التى أسند إليها الاشراف على المركز تقوم بتسيير أعماله و أوضح المتحدث أن المركز سيقدم خدمات للجاليات الاسلامية فى ايطاليا من خلال ادارته ومرافقه المتعددة مشيرا إلى أن المركز يشتمل على مسجد يتسع لألفى مصل داخله بينما يتسع صحنـــه الخارجى المغطى لألفى مصل كذلك بينما يوجد مسجد خاص للصلوات الخمس يتسع لحوالى مـائة مصل وإلى جانب هذا يشتمل المركز على مدرسة مكونة من عشرة فصول وقاعة للمحاضرات تتسع لخمسمائة شخص ومتحف اسلامى ومكاتب ادارية ومرافق سكنية لضيوف المركز ومواقف للسيارات وحدائق عامة .

وبالنظر للمكانة الخاصة لايطاليا حيث يوجد الفاتيكان وكبلد سياحى يرتاده سنويا عشرات الملايين من السياح من جميع أنحـاء العـالم سيكون هذا المركز كنقطة اشعاع اسلامية لجميع أنحاء العالم .

كما عبر سعادة سفير المملكة فى روما الأستاذ خالد ناصر التركى عن سعادته بافتتاح المركز الثقـافى الاسلامى فى روما الذى يفتتحه رئيس الجمهورية الايطالية وصاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض .

وقد صرح سعـــادته قائلا : إن المركز يهدف أساسا إلى تقديم صورة الاسلام الطبيعية البعيـدة عما يعرض عن الاسلام من اقترانه بالعنف ، كما انه يعتبر نقطة تلاق بين الجاليات المسلمة فى ايطاليا ، وحتى بين الايطاليين أنفسهم لأن الشعب الايطالى شعب مولع بالثقافة والتعرف على الحضارات الأخرى .

ويعتبر المركز من أكبر و أوسع المراكز الاسلامية ، ويشتمل على مسجد يتسع مصلاه الداخلى والخارجى لـ « ٤٠٠٠ » مصل . اضافة إلى مسجد خاص

للصلوات الخمس وهو يتسع لحوالى ١٠٠ مصل كما يشتمل المركز على مكتبة واسعة من طابقين تتسع لأكثر من ٣٠ ألف مجلد من مختلف العلوم اضافة إلى قاعة للمحاضرات تتسع لـ ٥٠٠ شخص ومتحف اسلامى اضافة إلى مرافق خدمات مختلفة ومكاتب ادارية ومساكن للضيف عند الحاجة ومرافق صحية .

وسيكون للمركز مجلس ادارة مكون من خمسة عشر عضوا من بينهم ثلاثة عشر سفيرا أو من ينوب عنهم لدول عربية واسلامية متعمدة لدى ايطاليا والفاتيكان ، وسيجرى انتخاب أعضاء هذا المجلس سنويا بحسب النظام الاساسى للمركز .

كما ان هناك اتفاقية بين الرابطة ومجلس ادارة المركز عهد فيها إلى الرابطة بتسيير أعماله بعد انتهاء عمارته على أن يتولى المجلس مهمة الحصول على اعتراف للرابطة ونشاطاتها داخل ايطاليا وذلك من قبل الحكومية الايطاليا .

وتقدر وسائل الاعلام الايطالية عدد المسلمين فى ايطاليا بما يزيد على ٣٠٠ ألف مسلم بما فيهم ٥٠ ألفا فى روما وحدها ، ويقدر ارتفاع مئذنة المسجد ٤٠ مترا والمسجد الذى يتوسط المركز يعد أول مسجد فى ايطاليا مقابل ١٠٠٠ كنيسة داخل ايطاليا .

(مع الشكر لجريدة الدعوة بالرياض)
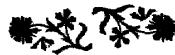
المحجة البيضاء فى حماية السنة الغراء

من زلات أهل الأخطاء و زيغ أهل الأهواء

(١)

بقلم : الدكتور ربيع بن هادى عمير المدخلى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

الرد على أهل البدع مجاهـــد

قال بعض العلماء :

القـدح ليس بغيبة فى ستـة　　　متظلم و معرف ومحـــذر

ومجاهر فسقا و مستفت و من　　　طلب الإعانة فى إزالة منكر

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

ثم أما بعد:

فما دهى به المسلمون هذه البدع المحدثات، التى حذر منها رسول الله ﷺ، ووصفها بأنها شر الأمور، وبأنها ضلالة، وبأنها فى النار، فالمؤمن الصادق يخاف على نفسه من الوقوع فيها، ويرتجف منها فؤاده، ويضرع إلى ربه:

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ (آل عمران: ٨).

ويضرع إلى ربه:

«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

ويضع نصب عينيه:

﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ (الاعراف: ٩٩).

ويخاف أشد الخوف من الفتن التى أخبر عنها رسول الله ﷺ، تلك الفتن التى تزلزل القلوب، وتفتك بالعقول، أعاذنا الله والمسلمين منها.

ثم إن من أوجب الواجبات على من رزقه الله فهماً، وعلماً، وبصيرة، أن ينصح للمسلمين إلى أقصى وأبعد ما يستطيعه من النصح، وينكر هذه المنكرات، ولا يخشى فى الله لومة لائم.

قال الإمام أحمد: ثنا عبد الصمد، ثنا المستمر، ثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يمنعن أحداً منكم مخافة الناس أو بشر، أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه، أو رآه أو سمعه»[1].

---

(١) المسند (٣/٤٢—٤٧).

وفى سنن ابن ماجـه من طريق على بن زيد بن جدعان، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد الخـدرى رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قام خطيبا، فكان فيما قال: «ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه»[١].

وفى لفظ: «أو شهده أو سمعه»[٢].

وقال ابن ماجـه: حدثنا على بن محمد، ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبى إسحـاق، عن عبيد الله بن جرير، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعـاصى، هم أعز منهم وأمنع لا يغيرون إلا عمهم الله بعقاب»[٣].

وعلى المسلم الذى رزقه الله بصيرة وفهما، وسلمه من البدع والضلالات، أن يبادر بالأعمال الصالحـة، ومنها: الدعوة إلى الله، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و التحذير من البدع و الفتن، قبل أن يفوت الأوان، وتضيع الفرص.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنـاً و يمسى كافراً، أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

والظاهر أن البدع من أخطر هذه الفتن التى حذر منها رسول الله ﷺ، ولقد شاهدنا من كثير من الناس العجائب.

---

(١) كتاب الفتن، حديث: (٤٠٠٧).

(٢) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للالبانى، حديث (١٦٨)، وعزاه الألبانى لأحمد، وابن ماجه، والحاكم، والترمذى، وأبى يعلى، وصححه.

(٣) كتاب الفتن، حديث (٤٠٠٩).

فنعوذ بالله من هذه الفتن ، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ومن الضلال بعد الهدى .

ولقد شاهدنا من الواقع ومن التاريخ العبرة ولا معتبر ، ولا متعظ إلا من رحم ربك .

و منها : أن كل صاحب فتنة ، وكل داع إلى ضلالة ، يرفع بقوة شعار العدل ، و العدالة ، و الإنصاف :

فالثورة على الخليفة الراشد ، بل على الإسلام ، كانت باسم العدالة .

وثورة المختار بن أبي عبيد الزنديق ، كانت باسم العدالة والإنصاف .

وثورة أبي مسلم الخراساني كانت تحت شعار العدالة و إزالة الظلم .

و الحركات الماسونية ، كانت تحمل شعار العدالة ، والمساواة ، والحرية .

والثورات الشيوعية كانت تحمل هذه الشعارات .

وكلها خدع ، وشعارات كاذبة ، يفضح الله أصحابها ، ويكشف أستارهم ، و يخزيهم في الدنيا قبل الآخرة .

ومن هذه الخدع : الدعوة الخبيثة إلى تحرير المرأة ، ومساواتها بالرجل في كل شيء ، لأنها — في نظر الدعاة إلى تحريرها و تحليلها و تفسخها — مظلومة ، مهضومة من نواح عديدة ، فلابد — في نظرهم — من إنصافها باسم الإسلام ، وباسم العدالة و المساواة شرعوا يحرفون نصوص القرآن والسنة ليتم تحريرها في بلاد الإسلام باسم الإسلام .

ومن هذه الخدع : الدعوة إلى إنصاف أهل البدع والضلال ، بل إلى إنصاف الكفار والشياطين ، تحت ستار وشعار العدالة ، والإنصاف ، بالموازنة بين الحسنات والسيئات ، و ذهبوا كما ذهب كل مبطل و مخادع من أمثال دعاة

لاشتراكية ، ودعاة تحرير المرأة و إنصافها ، إلى تحريف بعض النصوص القرآنية الأحاديث النبويــة ، وإلى التعلق بكلام ابن تيمية المجاهد المناضل عن السنة أهلها ، ومن أعظم المكافحين للبـــدع وأهلها إن لم يكن أعظمهم ، و يسدلون ستار على جهاده العظيم الذى امتلأت به حياته ، وكتبه الزاخرة بنصرة السنة ، إهانة البدع وأهلها ، و يتعلقون مكرا و خداعا ببعض عباراته التى لا يعرفون مقصـــده منها ، ولا نسبـــه بكل الاعتبارات بين من قيلت فيـــه و بين من افعون عنه .

وإن من يستخرج مـــذهب الموازنات من بعض نصوص شيخ الإسلام ن تيمية ، فإن مكتبتـــه المليئة بالزحوف و الغارات على أهل البدع ، سواء قربوا من أهل السنة أو ابتعدوا عنهم ، من كل فرق الزيغ أفرادا وجماعات ، ضع برهان على زيف مذهب وجوب الموازنات .

فما جواب أهل هذا المنهج عن كل ماورد فى كتب هذا الإمام المجاهـــد ى يقول : الرد على أهل البدع جهاد ؟

وكانت حياته جهادا وكفاحا ضد أهل البدع والضلال .

فما جوابهم عن كل ما ورد من نقد ، وكشف ، وهتك لأستار البـــدع هلها فى :

١ ــ كتاب : « الرد على البكرى » .

٢ ــ وكتاب : « الرد على الأخنائى » .

٣ ــ وكتاب : « تلبيس الجهمية » ، وقد ركز فيه على الرازى ، والآمدى ، غيرهما من أئمة الأشعرية .

٤ ــ و « منهاج السنة » ، الذى أصله رد على أهل الرفض والاعتزال ،

ومع ذلك فهو مشحون بالردود على كثير من فرق وأفراد أهل البدع الأخرى.

فما هو جوابهم العلمى المعقول؟. إنا لمنتظرون[1].

وإذا كانت الأمور قد تدهورت إلى هـذا الحد، فلا بد من بيان معنى «العدل» ومعنى «الظلم» عند علماء اللغة وعلماء الشريعة، حتى تزول الغشاوة واللبس، ويكون الطالب للحق على بصيرة من أمره، وبينة من دينه.

معنى: «العدل» ومعنى: «الظلم»

قال ابن فارس فى كتابه: «مجمل اللغة» فى مادة «عدل»:

العدل: خلاف الجور.

قال الأزهرى فى مادة: عدل:

والعدل هو: الحكم بالحق، يقال: هو يقضى بالحق ويعدل، وهو حكم عادل، ومعدلة فى حكمه.

فالعدل — كما ترى — خلاف الجور، وهو الحكم بالحق.

فإذا جرح العالم الناقـد من يستحق الجرح ببدعة، وحذر من بدعته، فهذا من أهل العـدل والنصح للإسلام والمسلمين، وليس بظالم، بل هو مؤد لواجب.

فإن سكت عمن يستحق الجرح والتحـذير منه فإنه يكون خائناً، غاشاً لدين الله والمسلمين.

فإنْ ذهب ذاهب إلى أبعد عن السكوت، من الذب والمحاماة عن البدع

---

(١) وكذلك يتعلقون ببعض عبارات الحافظ الذهبى، فما هو جوابهم عن مؤلفاته التى خصصها للمجروحين كـ «الميزان» و«المغنى» و«ديوان الضعفاء» و«الذيل على الديوان»؟.

وأهلها تقصد أهلك نفسه ، وجر من يتسمع له إلى هوة سحيقة ، وأمعن بهم في نصر الباطل ورد الحق .

وهـذه من خصائص وأخـلاق اليهود ، الذين يصدون عن سبيل الله وهم يضلون .

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه : « معجم مقاييس اللغة »[1] :

« ظلم » الظاء واللام والميم أصلان صحيحان :

١ ـ أحدهما : خلاف الضياء والنور .

٢ ـ والآخر : وضع الشيء غير موضعه تعدياً .

فالأول « الظلمة » ، والجمع : ظلمات ، والظلام : اسم الظلمة . . .

والأصل الآخر : ظلمـه يظلمـه ظلماً . و الأصل : وضع الشيء في غير موضعه ، ألا تراهم يقولون : « من أشبـه أباه فما ظلم » أي : ما وضع الشبه غير موضعه .

و قال الجوهري في صحاحه ، في مادة : « ظلم » : ظلم يظلمه ظلماً و مظلمة ، وأصله : وضع الشيء في غير موضعه ، ويقال : « من أشبه أباه فما ظلم » وفي المثل : « من استرعى الذئب ظلم » .

وقال الأزهري في مادة : « ظلم » ، نقلا عن ابن السكيت :

يقال : ظلمت الحوض إذا عملته في موضع لا تعمل فيـه الحياض ، قال : وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، ومنـه قوله : « واليوم ظلم » أي : واليوم وضع الشيء في غير موضعه .

فقد تبين لك أن الظلم هو : وضع الشيء في غير موضعه .

(١) (٤٦٨/٣)

فمن انتقد مبتدعاً، أو كتاباً فيــه بدع، أو جرح من يستحق الجرح، وقدح فيمن يستحق القــدح، من راو، وشاهد زور، وظالم، وفاسق معلن فسقه، فليس بظالم، لأنه وضع الأمور في نصابها ومواضعها.

والظالم المعتدى من يتصدى للطعن فيه، والتأليب عليه، وهو في الواقع الذى يضع الشيء في غير موضعــه، حيث يزكي المجروحين الدعاة إلى أبواب الجحيم، ويطعن في النــاصحين للسلمين، الداعين إلى سلوك الصراط المستقيم، وأتباع السلف الصالحين، ومنه:

النقد والتحذير من المبدعين.

بل من يدافع عنهم، ويجــادل بالباطل عنهم، من أحق الناس بقول الله تعالى:

﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً. يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا. ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامــة أم من يكون عليهم وكيلا﴾. (النساء: ١٠٧-١٠٨).

منهج العلماء في نقد وجرح المجروحين من المبتدعين والمنحرفين

الأبواب التي تجوز فيها الغيبة والجرح عند علماء الإسلام.

قال النووي رحمه الله تعالى[1]:

باب ما يباح من الغيبة:

إعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إليه إلا بها،

(١) انظر رياض الصالحين ص (٥١٩) وصحيح الأذكار وضعيفه (٨٣٤/٢).

وهو ستة أبواب، أذكر خلاصة قوله، ويأتى تفصيله فى محله من كلام العلماء:

الأول: التظلم...

الثانى: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصى إلى الصواب..

الثالث: الاستفتاء...

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم...

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه وبدعته...

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج، والأصم، جاز تعريفهم بذلك...

ثم قال:

فهذه ستة أبواب ذكرها العلماء، وأكثرها مجمع عليها دلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة.

أقول: وقد نظم بعض العلماء هذه الأبواب فى قوله:

القدح ليس بغيبة فى ستة	متظلم ومعرف ومحذر
ومجاهر فسقا ومستفت ومن	طلب الإعانة فى إزالة منكر

معنى القيام بالعدل عند المفسرين

١ — تفسير الإمام ابن كثير

قال الإمام ابن كثير — رحمه الله تعالى — فى تفسير قول الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ (النساء: ١٣٥).

يأمر تعالى عبـاده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ، أى : العدل ، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين، متساعدين ، متعاضدين ، متناصرين فيه .

وقوله : ﴿ شهداء لله ﴾ كما قال : ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ أى : أدوها ابتغاء وجـه الله ، فحينئذ تكون صحيحـة عادلة حقا ، خالية من التحريف ، والتبديل ، والكتمان ، ولهذا قال :

﴿ ولو على أنفسكم ﴾ أى : اشهـد بالحق ولو عاد ضررها عليك ، وإذ سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك ، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه .

وقوله : ﴿ أو الوالدين والأقربين ﴾ أى : ولو كانت الشهادة على والديك وقرابتك ، فلا تراعهم فيها ، بل اشهـد بالحق وإن عاد ضررها عليهم ، فإن الحق حاكم على كل أحد .

وقوله : ﴿ إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما ﴾ أى : لا ترعه لغناه ، ولا تشفق عليـه لفقره ، الله يتولاهمـا ، بل هو أولى بهما منك ، وأعلم بما فيه صلاحهما .

وقوله : ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعـدلوا ﴾ أى : فـلا يحملنكم الهوى والعصبية ، وبغض الناس إليكم على ترك العدل فى أموركم وشئونكم ، بل الزموا العدل على أى حال كان ، كما قال تعالى :

﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ . (المائدة : ٨) .

ومن هذا قول عبـد الله بن رواحـة رضى الله عنه لما بعثه النبى ﷺ

يخرص على أهل خيبر ثمارهم و زروعهم ، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، قال : « والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلى ، ولأنتم أبغض إلى من عدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه و بغضي لكم على أن لا أعدل فيكم . فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض » .

و سيأتي الحديث مسندا في سورة المائدة — إن شاء الله تعالى — .

و قوله : ﴿ و إن تلوا أو تعرضوا ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف : تلووا : أي : تحرفوا الشهادة و تغيروها .

و اللي هو : التحريف ، و تعمد الكذب ، قال تعالى :

﴿ وإن منهم لفريقا يلون ألسنتهم بالكتاب ﴾ الآية (آل عمران : ٧٨) .

و الإعراض هو : كتمان الشهادة وتركها ، قال تعالى :

﴿ و من يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ (البقرة :٢٨٣) .

وقال النبي ﷺ : « خير الشهداء الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسألها » .

و لهذا توعدهم الله بقوله :

﴿ فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ أي : وسيجازيكم بذلك[1] انتهى .

٢ — تفسير الإمام ابن القيم

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ (النساء : ١٣٥) .

فأمر سبحانه بالقيام بالقسط ، و هو العدل في هذه الآية ، و هذا أمر

(١) تفسير القرآن العظيم : (٥٦٥/١) .

بالقيام به فى حق كل أحد ، عدوا كان أو وليا .

وأحق ما قام له العبد بقصد الأقوال والآراء والمذاهب ، إذ هى متعلقة بأمر الله وخبره .

فالقيام فيها بالهوى والمعصية مضاد لأمر الله ، مناف لما بعث به رسوله .

والقيام فيها بالقسط وظيفة خلفاء الرسول ﷺ فى أمته ، وأمنائه بين أتباعه .

ولا يستحق اسم « الأمانة » إلا من قام فيها بالعدل المحض نصيحة لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولعباده ، وأولئك هم الوارثون حقا .

لا من يجعل أصحابه ، ونحلته ، ومذهبه ، معيارا على الحق ، وميزانا له ، يعادى من خالفه ، ويوالى من وافقه بمجرد موافقته ومخالفته .

فأين هذا من القيام بالقسط الذى فرضه الله على كل أحد ؟ .

وهو فى هذا الباب أعظم فرضا وأكبر وجوبا .

ثم قال :

﴿ شهداء لله ﴾ الشاهد هو : المخبر ، فإن أخبر بحق فهو شاهد عدل مقبول ، وان أخبر بباطل فهو شاهد زور .

وأمر تعالى أن يكون شهيدا له مع القيام بالقسط .

وهذا يتضمن أن تكون الشهادة بالقسط ، وأن تكون لله لا لغيره .

وقال فى الآية الأخرى :

﴿ كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ (المائدة : ٨) فتضمنت الآيتان أمورا أربعة :

أحدها : القيام بالقسط .

الثانى : أن يكون لله .

الثالث : الشهادة بالقسط .

الرابع : أن تكون لله .

واختصت آية « النساء » بالقسط والشهادة لله ، وآية « المائدة » بالقيام لله وللشهادة بالقسط ، لسر عجيب من أسرار القرآن ، ليس هذا موضع ذكره .

ثم قال تعالى : ﴿ ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ فأمر سبحانه أن يقام بالقسط ، ويشهد على كل أحد ، ولو كان أحب الناس إلى العبد ، فيقوم بالقسط على نفسه ، ووالديه اللذين هما أصله وأقاربه الذين هم أخص به ، والصديق من سائر الناس .

فإن كان ما فى العبد من محبة لنفسه ، ووالديه ، وأقاربه ، يمنعه من القيام عليهم بالحق ، ولا سيما إذا كان الحق لمن يبغضه ويعاديه قبلهم ، فإنه لا يقوم به فى هذه الحال إلا من كان الله ورسوله أحب إليه من كل ما سواهما ، وهذا يمتحن به العبد إيمانه ، فيعرف منزلة الإيمان من قلبه ومحله منه .

وعكس هذا عدل العبد فى أعدائه ، ومن يجفوه ، فإنه لا ينبغى أن يحمله بغضه لهم أن يحيف عليهم ، كما لا ينبغى أن يحمله حبه لنفسه ، ووالديه ، وأقاربه على أن يترك القيام عليهم بالقسط ، فلا يدخله ذلك البغض فى باطل ، ولا يقصر به هذا الحب عن الحق كما قال بعض السلف : « العادل هو الذى إذا غضب لم يدخله غضبه فى باطل ، وإذا رضى لم يخرجه رضاه عن الحق » .

ثم قال تعالى : ﴿ إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ﴾ منكم ، وهو ربهما ومولاهما ، وهما عبيده ، فلا تحابوا غنيا لغناه ، ولا فقيرا لفقره ، فإن الله أولى بهما منكم ...

ثم قال: ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ نهاهم عن اتباع الهوى الحامل على ترك العدل .

و قوله تعالى: ﴿ أن تعدلوا ﴾ منصوب الموضع ، لأنه مفعول لأجله ، و تقديره عند البصريين : كراهيـــة أن تعدلوا ، أو حذر أن تعدلوا ، فيكون اتباعكم للهوى كراهية العدل أو فرارا منه .

وعلى قول الكوفيين : التقدير : أن لا تعدلوا .

وقول البصريين أحسن و أظهر .

ثم قال تعالى: ﴿ وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ ذكر سبحانه السببين الموجبين لكتمان الحق محذرا منهما ، ومتوعدا عليهما :

١ ــ أحدهما : اللي .   ٢ ــ والآخر : الإعراض .

فإن الحق إذا ظهرت حجته ، ولم يجد من يروم دفعها طريقا إلى دفعها أعرض عنها وأمسك عن ذكرها ، فكان شيطانا أخرس ، وتارة يلويها ويحرفها .

ولما كان الشاهد مطالبا بأداء الشهادة على وجهها فلا يكتمها ولا يغيرها ، كان الإعراض نظير الكتمان ، واللي نظير تغييرها و تبديلها .

فتأمل ما تحت هذه الآية من كنوز العلم .

والمقصود : أن الواجب الذى لا يتم الإيمان ، بل لا يحصل مسمى الإيمان إلا به ، مقابلة النصوص بالتلقى والقبول ، والإظهار لها ، و دعوة الخلق إليها ، ولا يقابل بالاعتراض تارة وباللى أخرى[١] انتهى .

أقول :

ولعلك ازددت بصيرة وعلما بمعانى العـــدل و الظلم ، وأن الموازنات بين

---

(١) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم : (٢/٨١-٨٥) .

لحسنـــات و السيئات فى الشهادة ، و القيـام بالقسط على النفس ، و الوالدين ، الأقربين ، والناس أجمعين ، إذا كانت عليهم حقوق ، أو تورطوا فى ظلم غيرهم ، ير واردة ، ولا هى من معانى الآية وما شابهها ، من قريب ولا من بعيد .

وإذن فأهل البدع والأهواء — ولا سيما دعاتهم — ، وأهل الشر بأصنافهم ، لذين يشكلون على الناس فى دينهم و عقائدهم أعظم الأخطار ، أبعد و أبعد عن جوب الموازنات فى مقام النصيحة و التحذير من شرورهم و بدعهم .

وهذا ما عليه الكتاب والسنة ، وما عليه أئمة الأمة وأعلامها وهداتها .

وستری فی هـــذا السفر ما يحملك على مثل الثلج من اليقين ببطلان منهج لموازنات ، وأن الحق الذى لا غبار عليـــه عند دعاة الحق و السنـة ، المنابذين بدع وأهلها ، المحذرين منها ، على هدى من ربهم ، وأنهم سائرون على طريق لمؤمنين ، الذين قال الله متوعدا من يخالفهم ويشاقهم :

﴿ ومن يشاقق الرسول من بعـــد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل لمؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا ﴾ (النساء : ١١٥) .

ثبتنا الله على سبيلهم الحق ، إنه لسميع الدعاء .

(للبحث صلة)

تقويم اللسان

مر رجل بأبى بكر رضى الله عنه ومعه ثوب فقـــال له أبو بكر رضى الله عنه : أتبيعه ؟ فقال الرجل : لا رحمك الله . فقال أبو بكر رضى الله عنه : لو تستقيمون لقومت ألسنتكم ، هلا قلت لا ورحمك الله .

التوجيه الاسلامى :

العسل ومنافعه في ضوء القرآن الكريم وتجارب الأطباء الاخصائيين

(٢)

بقلم : الشيخ لطف الحق الشمسى
المدرس فى المدرسة الحميدية دار الحديث ، بيهار ، الهند

كيف تعد النحل العسل ؟

يقول الطبيب سورش پرساد شرما : ان العسل شيء عجيب فى خلق الله تعالى ، كيف تعد النحل العسل ، و على الإنسان أن يعرف كيف تعد النحل هذا الشراب ؟ وإن الخلية التى تتخذها النحل لجمع العسل وادخاره فيها أيضا لشيء غريب ، تحير العقول والبصائر برؤية هذا البناء الرائع العجيب ، تدخر النحل العسل و تجمعه فى أعلى الخلية ، و يكون العسل محفوظا سالما بالشمع من كل آفات سماوية أو أرضية ، يجتمع العسل فى حجرات الخلية الصغيرة و يكون مغطى بالشمع ، و لذلك لا يضره شيء من آثار الريح و المطر و غيرهما . يجتمع العسل فى أعلى الخلية ، وفى أسفلها تكون فراخ النحل (الرصع) وبيضاتها . و يكون فى الأزهار صنف من العصير الحلو ، تأكل النحل ذلك العصير من مختلف الأزهار والأثمار ، فتجمعه في وعاء لها قريب من بطنها ،

ثم تنقله إلى الخليـــة ، وتضعه فى حجراتها الصغيرة المتخذة ، فاذا جمعت النحل العصير وحصلت عليه يكون ذلك العصير حينئذ رقيقا جدا مثل الماء ، ثم يصير هذا العصير فى أيام قليلة حامضا ، وهذا العصير اذا وضعته النحل فى حجرات الخلية أخذ يغلظ ويسخن شيئا فشيئا ، وتأتى فيه الحلاوة .

ومن الناس من يظن أن النحل تجمع العسل من الأثمار وتجنيه منهـــا ، وهـــذا الظن باطل لا أصل له ، بل انها تجمع من الأزهار العصير ، ثم تغلظه وتسخنه ، ثم تنضجه وتهيئه بعد ذلك فيتبدل ذلك عسلا ، وتمص النحل العصير بفمه فلون العصير يتغير بعد المص على الفور ، فتحملـه الى الخلية ثم تفرغه فى فم النحل التى تكون فيها تحرسها ثم تذهب لنقل العصير الى البساتين والحدائق دون تأن ، والنحل التى تكون فيهـــا تشتغل بجمع العصير ووضعه فى حجرات مختلفة ، ولا يزال لعابها يشوب بالعصير ، وكذلك يستمر عملهـــا . وفى العصير يكون نوع من السكر ، وتحقق بعد التتبع والاستقراء أن هذا السكر مثل سكر قصب السكر .

ويكون فى لعاب النحل ما يتبدل به سكر قصب السكر فى سكر العنب تدريجيا ، وهكذا يستمر عمل اعداد العسل وتهيئه بنضج العصير واصلاحه ، ولا يزال هذا العمل يجرى ما لم ينضج العصير تمـــاما ومـا لم يتغير عسلا ، ولا ينضج العسل ولا يصلح بسهولة . ولا تزال النحل تجفف أجزاء العصير المائية بالهواء الخارج بتحريك جناحيهـــا ، وبذلك يأخـــذ العصير يغلظ قليلا قليلا ويتكون عسلا . ولا يبلغ العسل الى حالة الصلاح والنضج تماما الا بعد عمل النحل المستمر .

وبذلك يتضح أن أعمال النحل فى نضج العسل واصلاحه دليل واضح على

قدرة البارى سبحانه تعالى الواضح[1].

ويقول الأستاذ محمد نور الاسلام عن نظام النحل الاجتماعى وعن طريق حياتها ما ترجمته بالعربية : «فى حياة النحل ونظامها الاجتماعى نماذج ذات عبر وشواهد واضحة ، فالعسل الذى تجمعه وتقطفه النحل من مختلف الأزهار والرياحين بعد الجولان طول النهار ليس هو لها بل لنا ، انها لا تأكل منه الا ما يحفظ لها حياتها ، ولا أدرى ما تنفع النحل وكم من منافع لها ، ولكن أعلم أن هذا الحيوان انما خلق لوقايتنا وحفظنا من أدواء مستعصية ، ولذا أعظم غاية التعظيم الآية الكريمة : ﴿وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلا﴾[2].

لنا عينان فقط ، نستطيع أن نرى بهما ما بين أيدينا فقط ، ولا نستطيع أن نرى ما خلفنا وبجنبنا أو فوقنا ، ولكن النحل ترى فى كل جهة لأن لها خمس أعين ، فوق الرأس ثلاث ، وفى اليمين واليسار اثنتان ، فخمسة أعين هذه تساوى ثلاثة آلاف وخمسمائة (٣٥٠٠) عينا ، ولاجل ذلك انها تستطيع أن ترى فى كل جهة ، وتقدر على أن تجمع العسل من الامكنة البعيدة والبلاد النائية . ولها أربعة أجنحة أيضا تسهل لها الطيران . ولو كانت لها عينان فقط لتعذر بقائها بل قلما نعيش ، وقل العسل جدا لا يقضى حاجاتنا ، وتسهيلا للحصول على العسل وجمعه تكون شفتها السفلى طويلة حيث تستطيع أن تدخلها فى الأزهار بكل سهولة ويسر ، فتجمع العسل فى وعاء بعد نزعها من الأزهار ثم تجمعه فى الخلية .

---

(١) انظر : طريق العلاج ، بالعسل للطبيب سورش پرساد شرما ص ٢١-٢٢-٢٣ (باللغة الهندية) .

(٢) سورة ص : ٢٧

واني لا أدرى هل يعلم حيوان من الحيوانات الاخرى أن يتخذ بيتا رائعا مثل هذا البناء المحكم أم لا؟ انى أتعجب كثيرا من رؤية الخلية، وأهنىء النحل على براعتها. ان الخالق الذى علم النحل طريق بناء البيت الرائع هو الخلاق العليم، وكل من رأى الخلية من المفكرين مرة. وفتش نظام حياة النحل الاجتماعى، يتعجب شديدا دون شك.

النظام الاجتماعى:

فى كل خلية تكون ملكة من النحل تحكم عليها، وتشتغل غيرها فى خدمتها كالاماء والارقاء كل حين، يتخذ للملكة بيت خاص شامخ، يمتاز عن البيوت بجماله وطوله، وحينما يتم بناء الخلية تخرج الملكة مع عساكرها لتختبر كل غرفة وتعاين كل حجرة، وتأوى الى خليتها اذا علمت أن عمل البناء قد تم بنظام وتدبير، وأخذت تبيض هناك، والبيضات تكون على ثلاثة أصناف، نوع تتولد منه جماعة الملك، ونوع تتولد منه جماعة الملكة، ونوع تتولد منه جماعة الخدم، والبيضة التى تتولد منها جماعة الخدم عددها هائل، لأن حاجة المجتمع اليهم أشد، فما أحكم صنع الخالق!

وتحزن النحل حزنا شديدا على موت الملكة، فتظل تبكى جميعا لأجل ذلك بكاءاً شديداً، ثم بعد ذلك تستخلف النحل ملكة من نسلها، فان لم يكن من ورثتها أحد تنتخب ملكة من جماعة الخدم، وهذا النظام يشبه نظام الملوكية فى الدول النامية. فاذا اقترب ولادة الملكة يفرح له كل نحل فرحا كبيراً، وتتهيأ كل منها لتعينها، وجماعة الخدم تحرس بيت الملكة فى كل جهة، وتق الملكة وأفراخها من جميع الآفات والمصائب، وتربى أفراخها بعد ولادتها باعتناء شديد. وفى الخدم صنفان من النحل، ذكر وأنثى. فأما جماعة الذكور فتخرج تبتغى العسل،

وأما جماعة الاناث فتحرس الخلية ، وهكذا نرى أن حياة النحل العملية ونظام اجتماعها وتوادها وتآلفها تكمن فيها عبر ونصائح[١].

ويقول الطبيب الكبير خالد الغزنوى عن النحل وأعمالها وعن جمع العسل ما ترجمته بالعربية :

« لقد اعتنى القرآن الكريم بالنحل اعتناء شديدا حيث أنزلت سورة باسمها وأثنى عليها وعلى عسلها ، وبهذا يظهر جليا أن فى النحل وفيما يخرج من بطونها من شراب منافع للناس » .

فى كل خلية تكون ملكة ، تبيض كل يوم نحو ألف بيضة ، ويشتغل باخراج الأفراخ من هذه البيضات واعداد الأغذية لها واتخاذ الغرفات لاقامتها الخدم من النحل كل حين ، والنحل العاملة تتتبع من الأزهار « ماء الحياة » (NECTAR) أثناء طيرانها طول النهار ، وتكتسب القطرة الحلوة التى تكون تحت كل زهرة ، فأينما وجدتها وضعتها فى فمها ثم رجعت الى خليتها ، أخبرت أيضا أخواتها عن كثرة وجود ماء الحياة أو عدم وجودها فى تلك الأماكن ، وماء الحياة يحتوى على نسبة من ٥٠ — ٨٠ فى المائة من الماء ، وهو يغلظ بعد الذهاب به الى الخلية ، فاذا تكون منه العسل بقى فيه الماء بنسبة من ١٦—١٨ فى المائة[٢].

ولاهمية العسل وأشد احتياج الناس اليه أصبح العسل تزرعه العديد من الدول بنطاق واسع وباعتناء كبير ، وأكبر الدول التى تعتنى بزراعته فى العالم

---

(١) انظر : Science or the Quran? Page 115, 16, 17, by : Md. Nurul Islam, B. Sc, B C.S. (Engg. Telecom)

(٢) انظر : طب نبوى اور جديد سائنس (بالاردية) ص ١٤٦—١٤٧

اليوم هي الصين ، و الولايات المتحدة ، و روسيا ، و ألمانيا ، و أستراليا ، وكندا ، والمكسيك .

يقول الطبيب المذكور : يحصل العسل بالزرع في بلاد الصين ، وقد شاهدت العسل الحاصل من شجر (نيم) في هذه البلاد في الأيام السالفة ، ولون هذا العسل وإن كان يميل الى السواد ، لكن يجعله القليل من المرارة لذيذاً في الأكل . والصينيون يستعملون العسل مشروباً عاما ، ولذا يكونون أصحاء أقوياء . ويقدر أن العسل ينتج ويتولد ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو جراما سنوياً في العالم ، وتقوم أمريكا وروسيا بتصدير ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو جراما سنوياً .

وفي بلاد أوربا يتخذ من العسل الحلوى والبسكويت ، وكذلك يتخذ منه العديد من المشروبات النافعة في السعال بعد الاستشارة من مصلحة الأدوية البريطانية[1] .

(البحث موصول)

(١) انظر : طب نبوى اور جديد سائنس (بالأردية) ص ١٤٨–١٤٩

◇❋◇

المهذب

الرجل المهذب هو من يرى الأشياء بوضوح ، ويكون صادقاً في حديثه ، مجداً في عمله ، يسأل إذا ساوره الشك . فإذا غضب فكر في المتاعب ، وإذا لاح له الكسب فكر في الشرف .

مفهوم الاتباع والتقليد فى الشريعة الإسلامية

(٩)

الشيخ / سهيل أحمد فضل الرحمن الأعظمى
مكتب الدعوة بدبى

(حكم التقليد ، وبعض أدلة القائلين به والرد عليهم)

إن ما أوردناه سابقا يدل على بطلان التقليـــد وحرمته على العموم من القرآن والسنة وأقوال العلمـاء من الصحابة والتابعين وغيرهم من العلمـــاء إلى يومنا الحاضر ، والذى نقصده هنا هو بيـان حكم التقليد من الحرمة والوجوب والجواز فى بعض المسائل دون بعض وكذلك لبعض أفراد الأمـة دون بعض كما تكلم عليـه علماء الأصول . فنحب ايراده بالايجاز لنلق بعض الأضواء على مسائل التقليد بالإجمال ثم نذكر بعد ذلك بعض أدلـة القـــائلين بوجوبه على الاطلاق لنرى قوة هذه الأدلة وضعفها ومدى صحة الاحتجاج بها .

وقد اختلف العلماء فى التقليد على موضعين :

أما الموضع الأول : فاختلفوا فيما يجوز فيـــه التقليد من الأحكام وفيما لا يجوز . وأما الثانى ففيمن يجوز له التقليد وفيمن لا يجوز ؟

أما الأحكام التى اختلفوا فيها فى جواز التقليد وعدمه فهى على نوعين :

الأولى : العقليات أى الأحكام التى تتعلق بالعقائد والأصول مثل علم وجود البارى وصفاته ومعرفة صدق رسالة محمد ﷺ وغيرها من مسائل التوحيد.

والثانى : الشرعيات أى الأحكام التى تتعلق بفروع الشريعة ومسائل الاجتهاد.

أما العقليات : فقد اختلف العلماء فيها على أقوال :

١ ـ فقالت طائفة : إن التقليد فى العقليات حرام ويجب البحث والنظر[1] فيها للجميع لتساوى الناس فى طريقهما وعموم الدعوة فى القرآن إلى التدبر والتفكر ولأدلة أخرى من السنة والإجماع والمعقول ، هذا مذهب الجمهور كما قال ابن قدامة والغزالى والآمدى والشوكانى والبهارى ، وقاله الخطيب أيضا وهو الراجح كما ذكره الآمدى بعدة وجوه[2].

٢ ـ وقالت طائفة وهم الحشوية والتعليمية وعبد الله بن حسن العنبرى وغيره إلى جوازه[3] وقد حكم الخطيب على هذا القول بالخطأ[4].

٣ ـ وفيه مذهب ثالث : وهو وجوب التقليد وتحريم النظر والبحث فيه[5].

---

(١) المراد بالنظر: هو ما يفيد الطمأنينة لحصول التصديق ، وليس المراد به ترتيب المقدمات وغيرها على قواعد المنطق والفلسفة ؛ مسلم الثبوت على ذيل المستصفى ٢ / ٤٠٢

(٢) روضة الناظر ص ٢٠٥ ، المستصفى ٢/٣٨٧ ، مسلم الثبوت على ذيل المستصفى ٢ / ٤٠١ ، الاحكام للآمدى ٣ / ٢٤٦ ؛ ارشاد الفحول ص ٢٦٦ ، كتاب الفقيه والمتفقه ٢ / ٦٦

(٣) المستصفى ٢ / ٣٨٧ ، الاحكام للآمدى ٣ / ٣٤٦ ، ارشاد الفحول ص ٢٦٦

(٤) كتاب الفقيه والمتفقه ٢ / ٦٦

(٥) جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين لابن الآلوسى ص ١٨٤

وأما التقليد فى الشرعيات ففيه ثلاثة مذاهب :

(١) الأول : أنه لا يجوز التقليد فى الفروع مطلقا ويجب النظر فى أخذ الأحكام ذهب إليه جماعة من أهل العلم وقد ادعى ابن حزم الاجماع على نهي التقليد وقال الشوكاني :

أن المنع من التقليد إن لم يكن اجماعا فهو مذهب الجمهور[١]، وقد علم ذلك سابقا من خلال أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم .

(٢) والثانى : أن التقليد فى الفروع يجب مطلقا ويحرم النظر فى الأدلة وهو مذهب بعض الحشوية ، وقال الشوكانى رحمه الله :

هؤلاء لم يقنعوا بما هم فيه من الجهل حتى أوجبوه على أنفسهم وعلى غيرهم، فإن التقليد جهل ليس بعلم[٢].

(٣) والثالث : وهو القول التفصيل أى أنه يجب على العامى ويحرم على المجتهد ، قاله أتباع الأئمة الأربعة كما ذكر الشوكانى[٣] وقال الآمدى :

العامى ومن ليس له أهلية الاجتهاد و إن كان محصلا لبعض العلوم المعتبرة فى الاجتهاد يلزمه اتباع قول المجتهدين والأخذ بفتواهم عند المحققين من الأصوليين[٤].

---

(١) ارشاد الفحول ص ٢٦٧
(٢) " " "
(٣) " " "
(٤) الاحكام فى أصول الاحكام ٣ / ٢٤٩

الأدلة :

إن الأدلة التي استدل بها الفريق الأول على حرمته هي كل ما سبق إيراده من النصوص أثناء بيان موقف القرآن والسنة وموقف الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين، ولكن العامي كيف ينظر في الأدلة مع عدم علمه بها، فقال ابن حزم في كيفية نظر العامي واجتهاده ما ملخصه :

إن العامي يسأل العالم عن حكم الله تعالى وحكم رسول الله ﷺ من القرآن والسنة والاجماع فلو أجاب بما فهم أنه رأيه الشخصي يسأل غيره من العلماء حتى يعمل إلى حكم الشرع عن دليله[1].

أما أدلة الفريق الثاني : فسوف اذكرها بشيء من التفصيل مع الرد عليهم لأنه هو الذي بواديه ضلت الأفهام و زلت الأقدام وطغت الأقلام.

أما أدلة الفريق الثالث : الذين يحرمون التقليد على المجتهد ويوجبونه للعامي يستدلون أيضا بالنص والاجماع والمعقول كما ذكره الآمدي وابن قدامة وصاحب شرح الكوكب المنير[2].

أما النص : فقوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[3]. وهو عام لكل المخاطبين وعلة السؤال هو الجهل، فوجب على العامي الجاهل عن الحكم أن يسأل العلماء ويعرفه.

(١) الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم ٦ / ٨٦٢

(٢) الاحكام في أصول الاحكام للآمدي ٣ / ٢٥٠، روضة ص ٢٠٦، شرح الكوكب المنير ص ٦١٩

(٣) سورة الأنبياء : ٧

أما الاجماع: لم تزل العامة فى زمن الصحابة والتابعين يستفتون المجتهدين ويتبعونهم فى الأحكام الشرعية، والعلماء منهم يبادرون إلى إجابة سؤالهم من غير اشارة إلى ذكر الدليل، ولا ينهونهم عن ذلك من غير نكير فكان ذلك اجماعا على جواز اتباع العامى للمجتهد مطلقا(١).

أما المعقول: فإن العامى تكليفه رتبة الاجتهاد والنظر فى الأدلة يؤدى إلى انقطاع الحرث والنسل وتعطيل الحرف والصنائع وخراب الدنيا فلا يجوز له إلا التقليد(٢).

أما المجتهد الذى بلغ رتبة الاجتهاد فيقولون: إنه لايجوز له السؤال بل يحرم عليه تقليد غيره بالاتفاق. أما العالم الذى لم يبلغ رتبة الاجتهاد فقال الآمدى: فقد تردد فيه والصحيح أن حكمه حكم العامى(٣).

والراجح: كما يظهر — والله أعلم — أن العامى ومن فى حكمه ليس لهم التقليد بل عليهم الاتباع وهو ما ثبت عليه الحجة وأدنى الحجة لهم هو سؤالهم العالم عن المسئلة كما أمر الله سبحانه وتعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾، وليس التكليف فى الشريعة إلا حسب المستطاع كما قال تعالى ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾(٤)

(١) الاحكام للآمدى ٣ / ٢٥٠، المستصفى ٢ / ٣٨٩، روضة الناظر ص ٢٠٦، الكوكب المنير ص ٦١٩

(٢) روضة الناظر ص ٢٠٦، الاحكام للآمدى ٣ / ٢٥٠، المستصفى ٢ / ٣٨٩، الكوكب المنير ٦١٩

(٣) الاحكام للآمدى ٣/٤٥، ٢/ ٢٤٦

(٤) البقرة ٢٨٦

ويدل عليه أيضا قوله سبحانه ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾[١] وقوله عليه السلام : « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام »[٢].

ولو سمى هذا الاتباع تقليدا فهذا التقليـــد جائز من الكتاب والسنة والاجماع . أما التقليد الذى شاع فى القرى والأمصار بعد القرون المشهود لها بالخير . وهو نصب رجل بعينه ميزانا على كتاب الله ورسوله فى كل الأمور حتى لا يخرج عن قولـه وإن ظهر النص على خلافه فهـذا لا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الاجماع ، وهذا التقليد حرام قد صرح بذلك الشاه ولى الله الدهلوى فى كتابه أذكر نصه مع طوله لما فيه من فائدة :

اعلم أن تقليد المجتهد على وجهين : واجب وحرام : فأحدهما : أن يكون من اتباع الرواية دلالة . تفصيله : أن الجاهل بالكتاب والسنة لايستطيع بنفسه التتبع ولا الاستنباط ، فكان وظيفته أن يسأل فقيها : ما حكم رسول الله ﷺ فى مسألة كذا وكذا ؟ فإذا أخبر تبعه سواء كان مأخوذا من صريح نص أو مستنبطا منه أو مقيسا على المنصوص . فكل ذلك راجع إلى الرواية عنه ﷺ ولو دلالة ، وهذا قد اتفقت الأئمة على صحته قرنا بعد قرن ، بل الأمم كلها اتفقت على مثله فى شرائعهم وأمارة هذا التقليـد أن يكون عمله بقول المجتهد كالمشروط بكونه موافقـــا للسنة . فلا يزال متفحصا عن السنة بقدر الإمكان . فمتى ظهر حديث يخالفه قوله هذا أخذ بالحديث ، وإليه أشار الأئمة ، قال الشافعى رحمه الله : « إذا صح الحـــديث فهو مذهبي » وقال مالك : « ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ » وقال أبوحنيفة : «لاينبغى

---

(١) الحج : ٧٨

(٢) رواه ابن ماجه ، باب من بنى فى حقه ما يضر بجاره رقم الحديث ٢٣٤٠ .

لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي » وقال أحمد : « لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا غيره ، وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة » .

الوجه الثاني : أن يظن بفقيه أنه بلغ الغاية القصوى فلا يمكن أن يخطيء ، فمهما بلغه حديث صحيح صريح يخالف مقالته لم يتركه أو ظن أنه لما قلده كلفه الله بمقالته وكان كالسفيه المحجور عليه ، فإن بلغه حديث واستيقن بصحته لم يقبله لكون ذمته مشغولة بالتقليد فهذا اعتقاد فاسد وقول كاسد ليس له شاهد من النقل والعقل ، وما كان أحد من القرون السابقة يفعل ذلك وقد كذب في ظنه من ليس بمعصوم من الخطأ معصوما حقيقة أو معصوما في حق العمل بقوله وفي ظنه أن الله كلفه بقوله وأن ذمته مشغولة بتقليده وفي مثله نزل قوله تعالى : ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ وهل كان تحريفات الملل إلا من هذا الوجه انتهى كلامه[1].

وقد أورد العلامة الشوكاني رحمه الله مثل هذا الكلام ، ومال إلى أن سؤال العامي ليس من التقليد وهو يقول : كان المقصر منهم (الصحابة) يسأل العالم عن المسألة التي تعرض له فيفتيه بالنصوص التي يعرفها من الكتاب والسنة وهذا ليس من التقليد في شيء بل هو من باب طلب حكم الله في المسألة والسؤال عن الحجة الشرعية . وإن التقليد إنما هو العمل بالرأي لا بالرواية وليس المراد بما احتج به الموجبون التقليد والمجوزون له من قوله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ إلا السؤال عن حكم الله في المسألة لا عن آراء الرجال[2].

(١) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد ص ٤٢—٤٣

(٢) ارشاد الفحول ص ٢٦٨

وذكر الغزالي في مسئلة (العامي يجب عليه الاستفتاء واتباع العلماء) واستدل عليه بالاجماع ثم أورد الاشكال، وقال :

فإن قيل : فقد أبطلتم التقليد وهذا (أي سؤال العامي عن العلماء) عين التقليد ؟

قلنا : التقليد قبول قول بلا حجة ، وهؤلاء وجب عليهم ما أفتى به المفتي بدليل الاجماع كما وجب على الحاكم قبول قول الشهود و وجب علينا قبول خبر الواحد و ذلك عند ظن الصدق والظن معلوم و وجوب الحكم عند الظن معلوم بدليل سمعي قاطع والتقليد جهل .

فإن قيل : فقد رفعتم التقليد من الدين وقد قال الشافعي رحمه الله : ولا يحل تقليد أحد سوى النبي ﷺ فقد أثبت تقليدا .

قلنا : قد صرح بابطال التقليد رأسا إلا ما استثنى فظهر أنه لم يجعل الاستفتاء وقبول خبر الواحد وشهادة العدول تقليدا[١].

ويلمح من كلام الغزالي هذا أنه لا يعتبر سؤال العامي تقليدا بل يقول هو الاتباع لأنه قام عليه الدليل ، ولا داعي للإصرار على القول بأن العامي يجب عليه التقليد مع أنه جهل ، والعلم قوام الدين ولا الجهل ، هذا ما عندي والله أعلم بالصواب .

أما ما قال ابن عبد البر وغيره من العلماء رحمهم الله جميعا :

إنه لم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها وأنهم المرادون بقول الله عز وجل : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ .

(١) المستصفى للغزالي ٢ / ٣٨٩—٣٩٠

فقد أرادوا بقولهم تقليد العامي العالم بسؤاله والرجوع إليه لا بمجرد محاكاته كالطفل لما يراه من العالم والعمل بما يجيبه لأنه كلف بالسؤال فى قوله تعالى.

فإذا سأل فقد ثبت له الحجة على العمل به، فليس عمله من قبيل قبول قول الغير بغير دليل فلا يكون تقليدا بل هو أيضا أدنى درجة من الاتباع.

وأيضا ما أراد أولئك العلماء بقولهم فى تقليد العامى تخصيصه بعالم دون غيره فى جميع المسائل كما هو داب المقلدين اليوم.

وعلى الفرض بأن التقليد واجب على العامى ولكن من المستغرب أنه لم يرد ذكر لهذا الوجوب لا — على حد معرفتى — فى القرآن ولا فى الحديث ولا فى آثار السلف الممدوحين بحيث يقال لمن لا يعلم حكم المسئلة «قلد» أو «عليك بالتقليد» أو «قلدنى» بل الأمر على عكس ذلك ولذلك قال أبوعبد الله خويز منداد البصرى المالكى، الاتباع فى الدين مسوغ والتقليد ممنوع[1].

وقال الله تعالى «فاسألوا..» ولم يقل قلدوا.. وقال النبى ﷺ: «فإنما شفاء العى السؤال» لم يقل التقليد وقد روى عن معاذ بن جبل: «وما شككتم فكلوه إلى عالمه»[2] ولم يقل: فعليك بتقليد عالمه، إننا أمرنا بقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾[3].

والمراد بأولى الأمر كما علم سابقا الأمراء والعلماء، والمراد بطاعتهم هو اتباعهم فيما لا يكون فيه معصية الخالق فالذى يميل إليه (والله أعلم بالصواب) أنه ليس فى الدين إلا الاتباع على درجاته العالم والعامي. ولا يجوز التقليد إلا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١٤٣

(٢) „ „ ٢ / ١٣٦

(٣) النساء: ٥٩

بالاضطرار كما ذهب إليه بعض العلماء ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾[1].

أما تقليد العامي للعامي فلا يجوز وفاقا[2].

وقد اختلفوا في تقليد العالم للعالم[3].

فقيل: ينظر في اتساع الوقت عليه للاجتهاد، فإن أمكنه فلايجوز له التقليد.

ومنهم من قال: يجوز له التقليد، حكى ذلك عن سفيان الثوري.

وقال محمد بن حسن الشيباني: يجوز للعالم تقليد من هو أعلم منه، ولا يجوز له تقليد مثله.

أما إذا كان الوقت قد ضاق وخشى فوات العبادة إن اشتغل بالاجتهاد، ففي ذلك وجهان:

الوجه الأول: يجوز له أن يقلده.

الوجه الثاني: لا يجوز لأن معه آلة الاجتهاد.

(بعض أدلة القائلين بالتقليد والرد عليهم)

الأدلة التي يستدل بها القائلون بالتقليد ذكرها ابن قيم الجوزية مفصلا في كتابه و رد على المقلدة من واحد وثمانين وجها وتكلم عليها ابن حزم الظاهري والأمير الصنعاني والعلامة الشوكاني والشيخ محمد أمين الشنقيطي رحمهم الله جميعا و ذكروا بطلان أدلتهم من عدة أوجه أذكر هنا بعضها

---

(١) البقرة: ١٧٣

(٢) المستصفى ٢ / ٣٩٠

(٣) كتاب الفقيه والمتفقه ٢ / ٦٩

مقتبسا من كتبهم لأن المقام لا يسع بذكرها جميعا ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتبهم[١] وأرجو فيما أقدمه هنا الكفاية فى بيان المقصود إن شاء الله تعالى .

١ — يستدلون بقوله تعالى:

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٢].

ويقولون : إن الله تعالى أمر من لا يعلم أن يسأل من هو أعلم منه ، والأمر للوجوب فدل على وجوب التقليد.

والجواب : أن الله تعالى أمر فى الآية من لايعلم أن يسأل أهل الذكر . والذكر هو القرآن والسنة . فعلى الجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث عنهما ليخبروه فإذا أخبروه وجب عليه اتباع ما أخبروه به وهذا يؤيده ما كان عليه أهل العلم من الصحابة والتابعين . يسأل الجاهل العالم أى العالم بالآيات والأحاديث وليس لهم مقلد معين يتبعونه فى جميع أقواله[٣].

٢ — ويستدلون أيضا بقوله تعالى :

﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾[٤]. قالوا :

---

(١) إعلام الموقعين ٢ / ١٦٨ إلى ٢٦٠ ، الإحكام فى أصول الأحكام ص ٧٩٣ إلى ٨٦٦ ، مجموعة الرسائل المنيرية (الارشاد إلى تيسير الاجتهاد) ١ / ٤٠ إلى ٤٧ ، القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ص ١٨ إلى ٤٠ ، أضواء البيان ٧ / ٥٠٠ إلى ٥٣٢

(٢) الأنبياء : ٧

(٣) اعلام الموقعين ٢ / ٢١٥ ، مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ٤٠—٤١ ، القول المفيد ص ١٨—١٩ ، أضواء البيان ٧ / ٥١٠

(٤) النساء : ٥٩

أولو الأمر هم العلماء . وطاعتهم تقليدهم فيما يفتون به .

والجواب : للمفسرين فى تفسير ﴿أولى الأمر﴾ قولان ، أحدهما : أنهم الأمراء . والثانى : أنهم العلماء . ولا تمتنع ارادة الطائفتين من الآية الكريمة ولكن أين هذا من الدلالة على مراد المقلدين . فإنه لا طاعة للعلماء ولا للأمراء إلا إذا أمروا بطاعة الله على وفق شريعته وإلا فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» . وأيضا العلماء إنما أرشدوا غيرهم إلى ترك تقليدهم ونهوا عن ذلك[1].

٣ — ويستدلون من السنة بالحديث المشهور :

«أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم»[2] .

والجواب : إن الحديث قد روى عن عمر من طرق لا يصح منها شىء ، قال البزار : وأما ما يروى عن النبى ﷺ «أصحابى كالنجوم» فهذا الكلام لا يصح عن النبى ﷺ وإن صح ، فالاقتداء غير التقليد ، فإن الاقتداء فعلك مثل فعل الغير على الوجه الذى فعله بالدليل كما قال الشاعر :

وشتان ما بين المقلد فى الهدى ومن يقتدى فالضد يعرف بالضد

فمقتديا فى الحق كن لا مقلدا وخل أخا التقليد فى الأسر بالقد[3]

---

(١) إعلام الموقعين ٢ / ٢٢٠ — ٢٢١ ، القول المفيد ص ٣٤ ، أضواء البيان ٧ / ٥١٧

(٢) قال ابن عبد البر فى إسناده هذا : إسناد لا يصح ولا تقوم به حجة جامع بيان العلم ٢ / ١١١

(٣) مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ٤٣ ، إعلام الموقعين ٢ / ٢٢٣ ، القول المفيد ص ٢٩ - ٣٠ ، أضواء البيان ٧ / ٢٥٠

٤ — ومن أدلتهم على جواز التقليد أنه ﷺ قال في قصة صاحب الشجة. «ألا تسألوا إذا لم تعلموا إنما شفاء العي السؤال»[1]. فأرشدهم إلى السؤال وهو التقليد.

والجواب: أنه ﷺ إنما أرشد المفتين لصاحب الشجة إلى السؤال عن حكمته ﷺ وسنته فقال: قتلوه. قتلهم الله، يدعو عليهم لما أفتوا بغير علم، وفي هذا تحريم الإفتاء بغير علم، فإن الإفتاء بغير علم ليس علما باتفاق الأمة. وما دعا رسول الله ﷺ على فاعله فهو حرام وهو أحد أدلة التحريم، فالحديث حجة على تحريم التقليد لا على جوازه[2].

٥ — وهم يستدلون أيضا بأن الصحابة كانوا يفتون في عصره ﷺ باطلاعه وهذا تقليد للمفتين.

والجواب: إن فتواهم كان تبليغا عن الله وعن رسوله ﷺ ولم يكن إفتاء بآرائهم ولذلك لما أفتوا بخلاف سنته قال قتلهم الله[3].

٦ — ومن أدلتهم أيضا أنهم قالوا: قد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له.

نقول في الجواب أن هذا من أبطل الأدلة فانا ما قبلنا قولهم إلا بنص ربنا وقول نبينا واجماع الأمة فلم يقبل قول الشاهد بمجرد كونه شهد به بل

---

(١) رواه أبو داود في كتاب التيمم: باب إذا خاف الجنب البرد التيمم.

(٢) مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ٤١—٤٢، إعلام الموقعين ٢ / ٢١٥، القول المفيد ص ٢٠، أضواء البيان ٧ / ٥١١

(٣) مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ٤٥، القول المفيد ص ٣٦، إعلام الموقعين ٣ / ٢٣٢، أضواء البيان ٧ / ٥٢٥

قبلناه لأن الله تعالى أمرنا بقبول شهادته كما أمرنا باتباع رسوله ﷺ فإن سميتم ذلك تقليدا فلا يضرنا[1].

٧ - ومن استدلالهم العقلى على جواز التقليد و وجوبه قولهم: إنه لو كان التقليد غير جائز لكان الاجتهاد واجبا على كل فرد من أفراد العباد وهو تكليف ما لا يطاق ، وأيضا على فرض الاجتهاد على كل فرد يؤدى إلى تبطيل المعاش التى لا يتم بقاء النوع بدونها وفيها من الضرر ومخالفة مقصود الشارع ما لا يخفى على أحد .

والجواب : أنه ليس المطلوب من كل فرد من أفراد العباد أن يبلغ رتبة الاجتهاد بل المطلوب هو أمر دون التقليد ، و ذلك بأن يكون القائمون بهذه المعائش والقاصرون إدراكا وفهما كما كان عليه أمثالهم فى أيام الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وقد علم كل شخص بأنهم لم يكونوا مقلدين ولا منتسبين إلى فرد من أفراد العلماء ، بل كان الجاهل يسأل العالم عن الحكم الشرعى الثابت فى كتاب الله وسنة رسوله فيفتيه به ويرويه له لفظا أو معنى فيعمل بذلك من باب العمل بالرواية لا بالرأى وهذا أسهل من التقليد[2].

هكذا كل ما استدلوا به على مقصودهم مردود عليهم ، لأنه لا تقوم به حجة من بعيد ولا من قريب .

(أسباب انتشار التقليد وآثاره على الأمة الاسلامية)

إن التقليد كما أثبتنا سابقا من خلال أقوال العلماء أنه بدأ بعد المائة الرابعة

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ٤٥ ، إعلام الموقعين ٢ / ٢٣٤ ، أضواء البيان ٧ / ٥٢٧

(٢) القول المفيد ص ٣٨ ، إعلام الموقعين ٢ / ٢٣٧ ، أضواء البيان ٧ / ٥٣١

من الهجرة و مع وجوده قد وجد المجتهدون فى كل عصر من العصور ، لكن روح الاستقلال بعد الأئمة الأربعة إلى سقوط الدولة العباسية ، لاسيما بعد سقوط بغداد قد ضعفت وسرت فيهم روح التقليد سريانا عاما ، و اشترك فيها العلماء وغيرهم من الجمهور ، و بعد أن كان اشتغالهم بدراسة الكتاب والسنة اللذين هما أساس الاستنباط ، مالوا إلى دراسة كتب إمام معين و مذهب معين واقتصروا عليها فى الفتيا واستخراج الأحكام كما قال الشاه ولى الله الدهلوى :

فمهدوا الفقه على قاعدة التخريج ، وذلك أن يحفظ كل أحد كتاب من هو لسان أصحابه وأعرفهم بأقوال القوم وأصحهم نظراً فى الترجيح[1].

ثم توغلوا حتى لا يستجيز واحد منهم لنفسه أن يقول فى مسألة من المسائل قولا يخالف ما أفتى به إمامه كأن الحق كله نزل على لسان إمامه ، كما سبق قول أبى الحسن عبيد الله الكرخى الحنفى .

وهكذا قال الصاوى أحمد :

ولا يجوز التقليد ماعدا المذاهب الأربعة ، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية ، فالخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل[2].

ومثل هذه الأقوال نقل ابن القيم عن أتباع الأئمة الأربعة جميعا[3].

وفى انتشار هذه الروح أسباب ودوافع قد بينهما العلماء فى كتبهم أود أن أذكر منها بالايجاز من كتاب الشاه ولى الله الدهلوى والشيخ محمد خضرى بك ، والشيخ محمد على السايس والسيد موسى توانا .

(١) الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف ص ٥٨
(٢) انظر أضواء البيان ٤٣٧/٧
(٣) إعلام الموقعين ٢٥٦/٢—٢٥٧

فمن أسبابه:

أولا: التلاميذ النجباء لهؤلاء الأئمة الأربعة الذين كانت لهم العزة والمكانة لدى الخلفاء والوزراء وفي نفوس عامة الناس، وهم يفتون في المسائل على طريقة إمامهم، والخلفاء يساهمون في نشر تلك المذاهب بشتى الوسائل بإنشاء المدارس وغيرها، فتقبلها العامة من الناس. هكذا شاعت وذاعت طريقة كل امام وفشى التقليد في القرى والأمصار[١].

ثانياً: ضعف ثقة الناس بالقضاة لسوء حالهم من أخذ الرشاء والهوى والطمع وغيرها فمالوا إلى أن يكون القضاة مقيدين بأحكام معروفة. وأحب أهل كل قطر أن يكون قاضيهم من أهل المذهب الذي يتقيدون به[٢].

ثالثاً: تدوين المذاهب تسبب في انتشار التقليد فأخذ الجمهور بها واستغنوا عن تكلف البحث والتنقيب من جديد[٣].

رابعاً: تحاسد العلماء وتزاحمهم في الفتوى صار سببا للتقاعد عن الاجتهاد والاقتصار على التقليد[٤].

خامساً: الإفراط في اختصار الكتب وفساد نظم التعليم وكثرة المؤلفات عاقت عن تحصيل الاجتهاد[٥].

(١) تاريخ التشريع الإسلامي لخضري بك ص ٢٨٠، و تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد السايس ص ١٢٠

(٢) نفس المراجع ص ٢٨٢، ص ١٢٠، ١٢١، الاجتهاد ٩٣

(٣) تاريخ التشريع ص ٢٨٣، تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٢١، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ص ٦١

(٤) تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٢١، الاجتهاد ص ٩٣

(٥) نفس المراجع ص ٩٣

سادساً: فقدان الثقة بالناس وفتور الهمم وشغف الناس بالمادة وانصراف الرغبات إلى جمع المال كلها ساعدت لانتشار التقليد لمذهب معين لإمام معين من الأئمة الاربعة[١].

آثاره على الأمة الإسلامية:

إن للتقليد آثارا سيئة وأضرارا وخيمة وأخطارا عظيمة وكثيرة على الأمة الإسلامية لا يمكن حصرها جميعا فى هذه العجالة فإليكم بعضها:

١ — فمن آثاره القبيحة افتراق الأمة على فرق وجماعات لأنها بعد أن كانت هذه الأمة أمة واحدة فى ظلال القرآن والحديث تشعبت وافترقت لأجل التقليد على عدة أحزاب، كما قال الله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون، فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا، كل حزب بما لديهم فرحون﴾[٢].

وأيضا قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء﴾[٣].

قال ابن القيم فى ذلك:

فكل طائفة تدعوا إلى متبوعها وتنأى عن غيره وتنهى عنه وذلك مفض إلى التفريق بين الأمة وجعل دين الله تابعا للتشهى والأغراض وعرضة للاضطراب والاختلاف[٤].

---

(١) الاجتهاد ص ٩٣

(٢) المؤمنون: ٥٢—٥٣

(٣) الأنعام: ١٥٩

(٤) إعلام الموقعين ٢/٢٥٦، ٢٥٧

وقال السيد رشيد رضا فى تفسيره:

ولو سلك الخلف فى الدين مسلك السلف باتباع الكتاب والسنة والاستعانة على فهمهما بكل عالم ثقة من غير تعصب لعالم معين لما وقعوا فى هذا الخلاف والتفرق والبغضاء والجهل بها وبحجرهما وما يختلف باختلاف الزمان من الاحكام القضائية السياسية يزيله حكم الحاكم فلا يوجب تفرقا[1].

وقال الشوكانى رحمه الله:

انظر إلى هذه البدعة الشيطانية التى فرقت بين هذه الملة الشريفة وصيرتهم على ما يراه من التباين والتقاطع والتخالف وكان النبي ﷺ ينهى عن الفرقـــة ويرشد إلى الاجتماع وقد ذم الله التفرق والاختلاف فى مواضع من كتاب الله العزيز[2].

٢ ـ سدوا باب الاجتهاد وانقطع السبل إلى معرفـــة الكتاب والسنة بقولهم واخلاء الأرض من القائمين لله بحجة مع أن الرسول ﷺ قال:

إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[3].

(يتبع)

---

(١) تفسير المنار ٢١٨/٨

(٢) القول المفيد ص ٣٩، ٤٠

(٣) أبو داود ـ كتاب الملاحم ـ باب ما يذكر فى قرن المائة.

تأملات فى العقيدة

ما زال القرآن الكريم يبدئ ويعيد ويكرر ليقرر حقيقة ينبغى أن تستقر فى الأذهان وتعيها القلوب قبل الآذان ، تلك هى « ان الشرك ظلم عظيم واثم مبين » وان الناس إذا لم يكونوا موحدين فقط حبطت أعمالهم وإن صلحت نياتهم حتى وإن كانت أعمالهم على مستوى أعمال الصالحين ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبل لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ ثم ألم يفتتح بها نوحا عليه السلام إلى قومه ﴿إنى لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا إلى الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ (هود : ٢٥ ، ٢٦) ثم ذكرهم بآثار اتباعها ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ وكانت وصية يعقوب لأبنائه قصها علينا القرآن الكريم خالدة فى فم الزمان ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذا قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ (البقرة : ١٣٣) وكانت مفتتح الوحى إلى موسى عليه السلام ﴿إنى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾ (طه : ١٤) وإنك لتجدها واحدة فى فم كل نبى ورسول قص القرآن سيرته مع قومه وبين المؤمنين معالم دعوته ومحور رسالته ﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ واجمل القرآن القول عنهم مبيناً أس رسالتهم جميعاً ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل : ٣٦) ولذا كان خطر

الشرك على المجتمعات خطراً داهماً إذا حل بساحة قوم حتى المؤمنون لدحره بألسنتهم وسواعدهم وقلوبهم ، فهو انكر المنكر على الإطلاق فالتوحيد لا ينبغي إلا أن يكون أول نقاط الالتقاء التي يجب أن يلتقي عليها من يريدون أن ينتصروا بدين الله وأن ينصروه لا ينبغي إلا أن يكون أول مفاهيم التربية وأول دروس العلم وأول خاصية من خصائص التصور ، عليه يبنى الفرد وترتكز الأمة ومنه تنطلق الدعوة وتحدد الأهداف ويتفيأ ظلاله على عتبات الحياة وذلك مما لا يختلف عليه مؤمنان ولا يتمارى فيه مخلصان ، وإن كان من خلاف فهو بين طائفة الحق وأهل الضلال ، ثم الوسيلة الى تحقيق ذلك الهدف السامى دعـــوة مخلصة على بصيرة ترتكز على دعائم ثلاث لا تهتز ولا تمور : (العلم) علم يحيط بالمسائل . ويسبر أعماقها ، و يفصل قضاياها ويحيط بدقائقها ، (العدل) عدل مع المخالف يزن فيه القول بميزان الحق ، لا بهوى النفس ، (الرحمة) رحمة بالخلق ، وحرص وصبر على هدايتهم و إنقاذهم ، لا تربص بهم للحكم عليهم . صبر جميل ، وصفح جميل ، وهجر جميل ، و إذا كانت الدعوة إلى التوحيـــد هي دأب الرسل ـــ وهم المعصومون ـــ وهي الطريق الموصلة إلى رضى الله ودرء غضبه و النجاة من عذابه فإن إلصاق تهمة الكفر والشرك بالمسلم جزافاً ومن غير روية وبدون تحقق علم واستظهار أدلة . واستهداء بمن سلف ، جريمة تلون صاحبها بلون كالح ، وتصبغــه بغير صبغــة أهل السنة والجماعــة ، وتقطع وشائجه بهم وإن ادعى الانتساب إليهم ، ودوام وصلهم ؟

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧) ربيع الآخر ١٤١٦ هـ

العدد التاسع سبتمبر ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١/١٨ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٣٦ دولارا (بالبريد الجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥٠/٥ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، بعيداً عن التحيز الفكري، والتعصب المذهبي، وتبليغ رسالة الاسلام، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية.
- مقاومة الأفكار الدخيلة، والتيارات المنحرفة، والمبادىء الهدامة، وضلال الزيغ والالحاد، وسائر المنكرات، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم.
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر، وشرح تعاليم الاسلام السمحة، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه، في تعمق ووعي وجرأة ودأب، وعن إيمان وإخلاص.
- إيقاظ الروح الدينية، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة، وإعدادهم للاسهام في معركة اللسان والقلم، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة.
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- *التوجيه الديني السليم للسلمين في القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة.*

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد؟

الافتتاحية :

هزة أخرى تصيب المسلمين

خاض المسلمون حرب التحرير فى الهند ضد الاستعمار الانجليزى مع غيرهم من الهنادك وأتباع الديانات الهندية الأخرى ، وقبل ذلك حكم المسلمون بلاد الهنـــد قرونا عديدة . وطوال هذه المدة كانوا موضع ثقة واحترام لدى المواطنين جميعا ، وقـــد ظهرت بحوث ومؤلفات عديدة تثنى على الحكم الاسلامى فى الهند ، وتبرز العلاقات الطيبة بين الراعى والرعية ، وتشيد بالأعمال البنائية والمواقف المشرفة التى ظهرت من المسلمين وهم حكام على البلاد .

ولكن لم يعجب هذا الوضع أعداء الانسانيـة والحضارة ، فزرعوا بذور الخلاف والشقاق بين مواطنى الهنـــد ، وحرضوا بعضهم ضد البعض ، وقاوموا جميع الجهود التى استهـــدفت الوحدة بين الشعب الهنـــدى ، وحاولوا طمس المعالم الحضارية التى تأسست نتيجة الاتحاد والتعاون بين المواطنين ، ونشطوا فى ازالـــة جميع العوامل والأسباب التى قـــد تؤدى إلى الوحـــدة والوئام . أثمرت هذه المحاولة قبل استقلال الهنـد ، فبرزت خلافات عديدة بين المسلمين والهنادك ، ولكن تفاقم الامر بعد الاستقلال إذ نشطت أحزاب دينية وسياسية متطرفة لابراز عوامل الفرقـــة والتقسيم بين المواطنين ، و ذلك بهدف تحقيق المصالح السياسية والأغراض المادية ، والحق أن هذه العنـاصر كانت قد لعبت

دورا ملموسا فى تقسيم البلاد كى يخلو لها الجو فى احراز السلطة وحكم البلاد. تحققت هذه الأمنية، ولكن بقيت عقبات عديدة فى طريق تحويل البلاد إلى دولة هندوكية متطرفة، منها دستور الهند الذى ينص على العلمانية والديمقراطية، ومنها تواجد الديانات المختلفة التى تعتنقها الشعوب الهندية، ومنها تاريخ الحكم الاسلامى الذى يمتاز بالعدالة والمساواة والتسامح والمراعاة. والعناصر المتطرفة تحاول بخبث ودهاء ازالة هذه العقبات، واقامة دولة طائفية فى البلاد لا تفكر إلا فى تحقيق مصالح الأغلبية. والمؤامرات التى يحيكها المتطرفون لتحقيق أهدافهم الخبيثة تتمثل فى حرمان المسلمين الوظائف الحكومية، وتفويت فرص التعليم عليهم، والفشل فى القضاء على الاضطرابات الطائفية التى يستهدف فيها المسلمون، ومحاولة التدخل فى الأحوال الشخصية للمسلمين، والتهديد بهدم المساجد وازالة الآثار الاسلامية من أرض الهند، وقد تم هدم المسجد البابرى بمرأى من السلطة الهندية والمحكمة العليا، ولا يزال مسجد بنارس مهددا بالهدم، والمحاولة مستجدة وقت كتابة هذه السطور، وقبل أيام تجددت المطالبة بفرض قانون موحد للأحوال المدنية على جميع سكان الهند، وقد جاءت هذه المطالبة على لسان اثنين من قضاة المحكمة العليا، وحجتهما أن البند ٤٤ من دستور الهند ينص على أن الحكومة تبذل جهدها لوضع قانون موحد للأحوال المدنية يطبق على جميع السكان. وقد أحدثت هذه المطالبة قلقا بالغا واستياء شديدا فى أوساط المسلمين، والجرائد والمجلات الاسلامية واصلت الكتابة فى الموضوع ولا تزال، وذلك لادراك المسلمين أن المطالبة المذكورة إنما ترمى إلى الغاء تطبيق الشريعة الاسلامية وإلى اذابة كيان المسلمين فى خضم الأغلبية، وإلى تجريدهم من الحقوق الأساسية.

والاستناد إلى البند ٤٤ من دستور الهند لفرض القانون المدنى الموحد على جميع السكان فيه نوع من الخداع والتمويه والحكم بمقياسين مختلفين فى قضية واحدة، وذلك لأن الدستور نفسه ينص على حرية الضمير وحرية الدين لكل مواطن، أى انه يختار أى دين يشاء، ويعمل بأحكامه ويلتزم بشرائعه، وكذلك له الحق فى نشر هذا الدين وتبليغه الآخرين. وهذا من الحقوق الأساسية التى لا تلغى فى حال من الأحوال، فكيف يحق لأحد أن يطالب الحكومة بتنفيذ البند ٤٤ الذى يذهب إلى فرض قانون موحد على جميع السكان؟ ان فرض مثل هذا القانون يعنى صريحا التدخل فى شئون الناس الدينية والزامهم بنوع معين من التشريع، ويؤدى إلى الغاء البند ١٣ (٢) من الدستور الذى يصرح بأن المملكة لا تضع قانونا يسلب ما منحه الدستور، والقانون الذى يوضع معارضا لهذه الفقرة يعتبر باطلا ويعد جريمة تستوجب العقوبة.

والطائفيون فى الهند يزعمون أن المسلمين وحدهم يعارضون فرض القانون المدنى الموحد، ولكن الواقع أن هناك قبائل وأقليات غير مسلمة أخرى تعارض هذا القانون، وتطالب بالحفاظ على حق الحرية الدينية الذى نص عليه دستور الهند، وقد جاء ذلك فى المذكرة التى قدمها رئيس جبهة القبائل والأقليات (ايم. ايس. نيغى) إلى رئيس وزراء الهند. والمذكرة طالبت الحكومة باجراء تعديل فى البند ٤٤ من دستور الهند، و ذلك باستثناء الأقليات والقبائل من تطبيقه عليها. وقد أبدى رئيس الجبهة المذكورة قلقه البالغ نحو قضاء المحكمة العليا الخاص بالقانون المدنى الموحد، و صرح بأن القضاء المذكور يورث فى الأقليات والقبائل المختلفة شعورا بالخلل فى النظام الأمنى وبعدم توفر الحماية الكافية لها، فإنها تتمسك بعادات وتقاليد خاصة فى شئون الزواج والطلاق

والمهوات ، وقد استطرد المستر نيغى قائلا :

ان فرض القانون المدنى الموحد على مواطنى الهند ، وسلب الحرية التى يمنحها الدستور كل مواطن ، والغاء الأحوال الشخصية الخاصة بالاقليات والقبائل ، سوف يؤدى كل ذلك إلى المنازعة والمشاجرة بين المواطنين ، ويقوى بينهم نزعات التنافر والتباعد ، ويقضى على التفاهم بين أفراد المجتمع ، وليس كما يزعم البعض أن القانون الموحد يوحد بين صفوف الناس ، ويدعم روح المودة والمصافاة بينهم .

◎ ◎ والذين يطالبون بفرض القانون المدنى الموحد مستندين إلى بند واحد من بنود الدستور لماذا يغمضون عيونهم عن البنود الأخرى فى الدستور حينما يدوسها أصحاب الأهواء والأغراض تحت أرجلهم ؟ انهم لايحرصون على التزام الدستور ، بل يودون مضايقة الأقليات ، ويهدفون إلى الطعن فى الشريعة الاسلامية والانتقاص منها ، ولو كانوا مخلصين فى التمسك بدستور البلاد لأسرعوا فى تطبيق البنود الخاصة بمصالح الفقراء والبائسين والضعفاء والمنبوذين الذين تسوء أحوالهم يوما بعد يوم ، ولايجدون من يمسح عنهم دموعهم ويزيل عنهم كرباتهم ، ويوفر لهم لقمة العيش بعد الكد والتعب ، مع أن الجميع يتظاهرون لهم بالنصح والمواساة ، ويحصلون على المنافع الكثيرة بالاحالة اليهم .

وينبغى أن نشير هنا إلى بعض البنود الخاصة بالمذكورين حتى ندرك مدى اهمالها من قبل المسئولين وما يترتب من المفاسد والأضرار على هذا الاهمال .

ينص البند ١٦ (٢) على « أن أحدا من المواطنين لا يعتبر غير مؤهل لوظيفة من وظائف المملكة أو منصب من مناصبها لمجرد دين أو عرق أو نسب أو طبقة ، وكذلك لا يعامل بتفرقة » .

ومع ذلك نرى أن الوظائف والمناصب الحكوميـــة لا يتم توزيعها على المواطنين بعدالة ومساواة ، ولا يتكلم أحد ضد هذه التفرقة . ولما أثير موضوع تخصيص الوظائف الحكومية ببعض الطبقات بنسبة معينة أفادت بعض الاحصاءات أن الطبقة العليا من الأغلبية تحتكر نحو ٨٥ فى المائة من الوظائف الحكومية مع أنها لا تشكل إلا نسبة خمس فى المائة من عدد السكان .

وينص البند ١٧ على ضرورة القضاء على التفرقة العنصرية والطبقية ، وعلى أن من يعامل أحدا على هذا الأساس يتعرض للعقاب من الحكومة .

ومع ذلك نرى أن الأغلبية لا تزال تؤمن بالطبقية ، والمجتمع الهندوسى ينقسم إلى طبقات بعضها أعلى من بعض ، وأن المنبوذين يعاملون معاملة قاسية ، ومكانتهم فى المجتمع لا تكون مساوية لمكانة غير المنبوذين ، ولأجل ذلك يتعرض المنبوذون لاضطهاد الطبقات العليا ، وحرماتهم تنتهك على أيدى هذه الطبقات حينا بعد آخر .

وينص البنـــد ٢٣ (١) على الحظر على الاتجار بالانسان واستخدامه بالاكراه ، ومخالفة هذا البند تعرض للعقاب الصارم .

ولكن الجرائد والمجلات تنشر حينا بعد آخر أن الأعضاء الانسانية تباع وتشترى ، ويتم استخدام الأطفال الصغار الذين يكونون أقل من ١٤ سنة فى الأعمال المهنية . والجدير بالذكر أن جريدة «آواز ملك» اليومية الصادرة من بنارس قد نشرت فى عددها الصادر يوم ٩٥/٨/٣م مقالا عن تجارة أعضاء جسم الانسان ، وقـــد كشف المقـال عن نفاق هذه السوق فى العاصمة الهندية دلهى ، وعن مساهمة الأطباء فى هذه التجارة . وكذلك يضطر ألوف من الصغار العمل فى المصانع والمتاجر للحصول على الأقوات .

وقد نشرت نفس الجريدة فى عددها الصادر يوم ٤/٨/٩٥م خبرا عن انفجار وقع فى مصنع «الألاعيب المتفجرة» فى مدينة رومتك ذهب ضحيته ٣٤ شخصا من الأطفال والنساء ممن يعملون فى المصنع. وقد كشف الحادث عن استمرار استخدام الأطفال الصغار فى المصانع، وعن اضطرارهم للعمل فى الصغر نتيجة البؤس والفقر. وقد ورد فى الخبر أن صاحب المصنع كان يقفل المصنع من الخارج ويحبس العمال فى المصنع حتى لايخرجوا منه ويستمروا فى العمل. فهل تحمل هذه القساوة فى استخدام الأطفال الصغار والنساء، المسئولين عن الحكم والنظام والذين يطالبون بفرض القانون الموحد على المواطنين، على التفكير فى هذه الناحية، وعلى العمل لتحسين حالة الفقراء والمساكين، بدل أن يشتغلوا بالمطالب التافهة؟ وكذلك كشف هذا الخبر عن مدى اخلاص الحكومة فى العناية بشئون الطبقات المتخلفة من الناحية الاقتصادية!

وتقع مثل هذه المخالفة يوميا أمام الجميع، ولكن لا يقوم أحد لحماية الدستور ولمنع تجارة الأعضاء الانسانية واستخدام الصغار فى الأعمال المرهقة. وهذا يدل صريحا على أن الحفاظ على الدستور ليس الغاية، وإنما الغاية هى مضايقة المسلمين وتحقيق المصالح السياسية والمادية. والغريب أن الحكام والقضاة أيضا يقفون هذه المواقف المخزية، ويصدرون الأوامر والأقضية دون تعمق فى الأمور ودون تبصر بالعواقب. إن الظلم لا يأتى بالخير، والظالمة لا يعجزون الله.

إن قضاة المحكمة العليا فى اقتراحهم للقانون المدنى الموحد قد استندوا إلى البند ٤٤ من الدستور، ولكن فى نفس الجزء (الأصول الارشادية لاستراتيجية المملكة) يوجد البند ٣٩ (ألف) وهو ينص على أن المملكة تؤمن العمل

بالقانون بحيث تتوفر الفرص المتكافئة وتسود العدالة .

والحق أن شيئا فى الهند لم يتعرض للظلم مثلما تعرض القانون، والمثل القائل: « حبر على ورق » لايصدق على شئ مثلما يصدق على القانون . ومما يجدر بالذكر أن كتابة هذه السطور تأتى فى الوقت الذى ينظر فيه البرلمان الهندى فى قتل المرأة المدعوة (نينا ساهنى) بيد زوجها ثم احراق جثتها فى تنور أحد المطاعم فى دلهى! وهذا الحادث، مع وحشيته ليس وحيدا فى البلد الذى توجد فيه مئات المنظمات والمؤسسات للحفاظ على حقوق المرأة وكرامتها ، فإن الجرائد تنشر يوميا أخبار قتل أو احراق النساء المتزوجات بأيدى الأزواج وأقربائهم بسبب فشلهن فى الوفاء بالمطالب المالية التى يقدمها أهل الزوج إلى أهل الزوجة . وهذه الحوادث ليست قليلة حتى تصرف عنها الأنظار ، بل وقوعها يفوق العد والحصر، وبالأساليب والطرق التى تخجل الانسانية ويندى لها الجبين . والمؤسف أن أحدا من القضاة والحكام لايحاول منع هذه الفضائح ، ولا يقترح على أحد لانصاف المظلومين وخاصة النساء ، ولا يقلق بالوضع المشين الذى ابتلى به المجتمع الهندى .

ولكن الغريب المضحك أنهم يشيرون على الحكومة ببذل الجهود لوضع قانون موحد للأحوال المدنية ، كأنهم نجحوا فى حل جميع القضايا والمشكلات فى البلاد ، ولم تبق أمامهم إلا هذه المشكلة ! ان العصبية أعمت العيون ، والانتهازية طمست البصائر، وعداء المسلمين خرف العقول ، والتدنى فى الأخلاق أذهب بالحياء ، وحب الجاه والمادة سيطر على الطبائع والنفوس فانحرف بها عن جادة الانسانية ، وحول الكائن البشرى إلى السباع والوحوش !

والبند ٥١ من الدستور يوجب على كل مواطن عدة أمور:

منها نشر ودعم اتجاه الوحدة والأخوة بين شعوب الهند مع صرف النظر عن الفوارق الدينية واللسانية والاقليمية.

ومنها احترام وتقدير الثقافة المشتركة، والعمل للحفاظ عليها.

ومنها تعميم عواطف حب الانسانية والتحقيق والاصلاح.

ومنها الحفاظ على الثروة الوطنية، والابتعاد عن العنف.

وبعد هذه النصوص الصريحة نرى العديد من الشخصيات والمنظمات المتطرفة أنها تحرض طبقة دون أخرى، وتنتقص من أتباع بعض الديانات، وتحاول اذابة كيان الأقليات فى خضم الأغلبية، فكيف يتحقق فى مثل هذا الجو دعم اتجاه الوحدة والأخوة الوطنية؟

والعلاقة بين الوحدة الوطنية وبين القانون المدنى الموحد ليست قوية ومنطقية كما يزعم المعارضون لأحوال المسلمين الشخصية، ويتضح ذلك بواقع الهند الحالى، وهو أن أتباع الديانات المختلفة لا يختلفون فيما بينهم على أساس الأمور الخاصة بحياة الأفراد الشخصية، فلا نرى بين الهندوس والمسلمين والسيخ والنصارى وكذلك أتباع الديانات الأخرى خلافا ناشئا على أساس النكاح والطلاق والوراثة والهبة وغير ذلك، فإن هذه الأمور لا تقع بين الفرقتين، بل تقع بين فردين أو أكثر من فرقة واحدة، وبالعكس من ذلك حينما يقع الزواج بين أفراد فرقتين بناء على القانون المدنى الموحد فإن ذلك يؤدى إلى خلاف رهيب لا يمكن أن تتصور شناعته الآن، وقد حدث توتر شديد بين الفرق بعضها مع بعض بسبب الزواج القائم بين أفراد فرقتين.

ان التلعب بالألفاظ والعبارات سهل ، و زخرفـة القول وتنميق الكلام معروف، ولكن أصحاب العقول والبصائر فى هذا العصر لاينظرون إلى القول، ولايقتنعون بالوعود ، بل يريدون شيئا ثابتا وأمرا واقعيا ، ويطلبون بعد القول ما يصدقه من العمل ، فهل يدلنا القضاة والحكام أين يوجد مبتغاهم ؟

◎ ◎ كان القاضيان من قضاة المحكمة العليا قد أصدرا القضاء فى القضية المقـدمة إلى المحكمة ، وكانت القضية تتلخص فى أن عدة أشخاص من أتبـاع الديانة الهندوكيـة دخلوا فى الاسلام ، و تزوجوا بعد اسلامهم . وحسب نص الشريعـة الاسلامية انقطعت العلاقـة الزوجيـة بين هؤلاء وأزواجهم . ولـكن القاضيين قـد نصا فى قضاءهما على أن العلاقة الزوجية لا تنقطع بين الزوجين ولو أسلم أحدهما . وهذا القضاء معارض صريحا للقانون الاسلامى . وبعد هذه المعارضة الصريحة لأحوال المسلمين الشخصية قد نص القاضيان على أمر لا يليق بمنزلتهما ، وهو أنهما طالبـا الحكومة بالقضاء على الأحوال الشخصية للمسلمين ، وباحلال القانون المدنى الموحد مكانها !

وقـد جاء فى قضائهما أن الدين والأحوال الشخصية شيئان منفصلان لا تربطهما علاقة . وقد أوضح القاضيـان فى قضائهما الـذى استغرق نحو ٢٥ صفحة ضرورة القـانون المدنى الموحد فقالا : إن نظام البلد لا يسمح بنظرية ذات أمتين أو أكثر، بل توجد فى الهند أمة واحدة فقط ، ولا يمنح هنا أحد منزلة متميزة على أساس الـدين . وحيث ان أغلبية الثمانين فى المائة من سكان الهند يلتزمون بقانون البلد المدون ، فإن التردد فى تنفيذ هذا القانون على بقية السكان ليس من العدالة فى شيء . والقانون المدنى الموحد لابد منه لحماية المظلومين

ولتحقيق الوحدة الوطنيـــة والقومية !! ولا ندرى ما الذى منع القاضيين من اقتراح الديانة الواحدة للبلد الواحد والأمة الواحدة ؟

وفى مثل هذه المواقف يبرز سؤال مهم ، وهو أن الاطار القانونى للبلاد لمـــاذا يتعرض حينا بعد آخر للهزة التى تزلزله ، مع أن المفروض أن يتمتع القانون بثقة الجميع ، ويطمئن إليه كل فرد وجماعة ؟

والجواب أن المسئولين صاغوا دستور البلاد و وضعوا القوانين فى ضوء العلمانية والديمقراطية التى اختارتها الهند نظاما ومنهجا لها ، ولم يكن هذا الاختيار حبا وتفضيلا لطبقة دون أخرى ، ولكن وضع الهند وتواجد الأديان والثقافات المختلفة قد فرضا عليهم مراعاة جميع المواطنين ومعاملتهم بالعدل والمساواة ، ولم يكن سبيل لتحقيق هذا الغرض إلا بدستور عام وقانون موسع ، ثم تطور الوضع السياسى فى البلاد ، ونشطت فيها أحزاب ومنظمات متطرفـــة وخاصة بعد الاستقلال ، وقـــد لمست هذه الأحزاب أن مصالحها السياسية وأغراضها المـــادية لن تتحقق فى ظل الدستور العلمـــانى المذكور ، فلجأت إلى الخـــداع والتحريف ، وقامت تفسر العلمانية و الديمقراطية بالمعانى والمطالب التى تخجـــل كبار الدكتاتوريين والجبابرة ، وتدعى أن الكتاب المقدس « الفيـدا » قد نص على أحسن من هذا النظام السياسى ، وهو الذى يصلح لهذه البلاد . ولعل هذه النزعة (نزعة الطائفية والعصبية) سرت إلى القاضيين المذكورين وغيرهما من الذين لا يرون مساسا بالعلمانيـــة والديمقراطية وانتهاكا لمعانيهما بعـــد الغاء الأحوال الشخصية للأقليـات التى تعيش فى الهنـد . إن المشكلة تعقدت بسبب التصور الخاطىء عن الدين وعن الأحوال الشخصية وعن العلمانيـة . إن الدين — حسب تقرير الاسلام — هو النظام العام الذى يحيط بجميع جوانب الحياة ،

ويقوم بتوجيه الفرد والجماعة فى جميع الشئون دينية كانت أو دنيوية .

والأحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية جزء مهم يتكامل به النظام الاسلامى العام ، فلا يمكن التصور ببقاء الانسان مسلما إلا بعد الايمان بالأحوال الشخصية للاسلام والعمل بها ، ولكن بعض الناس يظن أن الدين الاسلامى يبقى دينا بدون الأحوال الشخصية ، والمسلم حر فى التدين بها أو بغيرها . وهكذا يزعمون أن العلمانية يمكن تفسيرها بما يضادها بل بما يضاد القوانين والأعراف الدولية والقيم الانسانية ! ومن هنا تأتى المحاولات الفاشلة والخطوات الجائرة من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لالغاء أحوال المسلمين الشخصية أو لاجراء التغيير فيها . وهذه المؤسسات لا تدرك أو لا تريد أن تدرك أن المسلم ليس له خيار فى ترك جزئية صغيرة من جزئيات الاسلام مهما كانت الظروف ومهما كانت المطالبة ، ان شرائع الاسلام منزلة من الله العزيز الحكيم ، وليس لأحد حاكما كان أو قاضيا أو رجلا عاديا حق فى الغاء أو تغيير حكم من أحكام الاسلام ، بل لايسمح الاسلام أن يحدث به أحد نفسه مهما كانت منزلته أو نيته : ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم﴾ [الانعام : ١١٥] .

أما الزعم بأن فرض القانون المدنى الموحد على شعوب الهند يؤدى إلى التوافق بين الثقافات والديانات ، وإلى الاتحاد والتفاهم ، وإلى حماية المظلومين ، فإنه زعم يكذبه الواقع ويعوزه الدليل ، وذلك لأن الأغلبية الهندوكية مع التزامها وتمسكها بقانون موحد للأحوال المدنية تعرض أقبح وأفضح نموذج للانقسام والتفرق والتضارب والتطاحن . والفشل الذى منى به النظام الشيوعى فى مختلف دول العالم يعتبر هو الآخر دليلا صارخا على أن

فكرة توحيد النظم والقوانين الوضعية لا ترجع إلا بالفشل والخيبة، والاكراه في الأمور التي منح الله الانسان فيها الحرية لا يأتي إلا بالفساد والخسران.
ومثال آخر نقدمه لابطال الوهم القائل بأن القانون الموحد يؤدي إلى الاتحاد، وهو أن الهنادك والسيخ يعيشون تحت قانون مدني واحد، ويتمسكون بتقاليد وعادات متماثلة في شئون الزواج، ومع ذلك لم تتحقق الوحدة بين أتباع الديانتين، بل بلغ التباعد بينهم ذروته في السنوات الماضية القريبة حتى وقع القتل والنهب وهتك الاعراض في ولاية بنجاب بصورة مذهلة. ولا يقال إن الخلاف بين أتباع الديانتين كان سياسيا، لأن الجذور الدينية للخلاف هي التي جعلت الأوضاع متدهورة في هذه الولاية.

◎ ◎ سبق أن البند ٤٤ الذي يستند إليه حماة القانون المدني الموحد من الأمور الارشادية في الدستور، أي يستنير بها خبراء القانون عند وضع القوانين، وليس معناه أن الحكومة ملزمة بصوغ القانون في ضوء هذه الأصول، وهناك أمور أخرى تدخل ضمن هذه الأمور الارشادية، ولكن لا يطالب أحد بوضع قانون خاص بهذه الأمور، ومثال ذلك منع الخمر والمسكرات، فإن الأصول الارشادية في الدستور تشير إلى ضرورة هذا المنع، وقد تم وضع قانون بهذا الخصوص، ولكن أوضاع الناس اضطرت إلى السماح بتناول الخمر، ويدل هذا على أن الأصول الارشادية في الدستور ليست ملزمة، وليس لأحد حق الاصرار على تطبيق هذه الأصول أو وضع القانون في ضوئها، ولو كان كذلك لوجب تنفيذ قانون منع الخمر بحسم وصرامة فإن مصلحة الشعب تقتضي ذلك، أما القانون المدني الموحد فليست هناك مصلحة تقتضيه، لا الشعب ولا البلاد.

◎ ◎ والمتحمسون لفرض القانون المدنى الموحد لايملكون رصيداً من الأنظمـــة والقوانين التى يختارون منها الشعب الهنـــدى، بل اعتمادهم فى هذا البـاب على القوانين العائلية الغربيـــة، وهم عالة على الغرب فى هذا المضمار، كما رأيناهم عند وضع القـانون المدنى للأغلبية الهندوسية، فإن هذا القانون مؤسس على القانون المدنى الغربى، دون مراعاة الفروق والتبـاين بين الشعوب الغربية والشعوب الشرقية. فلو فرض على شعب الهنـــد القانون المدنى الموحد الذى تم صوغه و وضعه بالاستشارة إلى القانون الغربى، فإن ذلك إنما يورث نفس النتـــائج والثمرات التى نراها بارزة فى المجتمع الغربى. ان ذلك المجتمع لا يعرف شيئا من الحقوق والواجبـــات الأسرية التى تتمسك بها الشعوب فى الهند، ولا يعطى وزنا للأخلاق الفاضلة والسلوك النبيل الطاهر ولأعمال العفة والطهارة والنسب والوراثة. فأى فائدة يجنيها شعب الهند بالقانون المؤسس على القانون الغربى؟

(بقلم: د. مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

◇⁑◇●◇⁑◇

قال الله عز وجل:

﴿والله أعـــلم بأعـــدائكم، وكفى بالله وليـا وكفى بالله نصيرا — النساء: ٤٥﴾.

المحجة البيضاء فى حماية السنة الغراء
من زلات أهل الأخطاء و زيغ أهل الأهواء

(٢)

بقلم : الدكتور ربيع بن هادى عمير المدخلى

مفاسد القول بـ : منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات

إن القول بوجوب الموازنات فى نقد أهل الباطل يؤدى إلى مفاسد كبيرة وخطيرة جدا ، أهمها :

١ — تجهيل السلف .
٢ — رميهم بالظلم والجور .
٣ — تعظيم البدع و أهلها ، وتحقير أئمة السلف و ما هم عليه من السنة والحق .

١ — أما رميهم بالجهل :

فإن هذا المنهج لو كان له هذه المنزلة فى الاسلام ، لرأيت السلف الصالح أشد الناس له التزاما ، وأشد الناس له تطبيقا ، فى كل أقوالهم ، فى القريب والبعيد ، والصديق والعدو ، ولأقاموا كتبهم وأقوالهم على هذا الميزان فى حق الأفراد والجماعات ، وفى الصحائف والمؤلفات .

كيف لا يكونون أقوم الناس به وهم سادة هذه الأمة ، وأبرها ، وأصدقها ، وأتقاها ، وأورعها ، وأقومها بالعدل والقسط ؟

يشهد بذلك واقعهم ، وتأريخهم ، وأعمالهم ، وجهادهم ، ونصحهم لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وقد شهد للصحابة الكرام سادة سادات هذه الأمة ، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وجهادهم فى نصرة دين الله ، وإقامة العدل فى الدنيا التى فتحها الله على أيديهم .

ويشهد لمن بعدهم رسول الهدى ﷺ فى قوله : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يأتى بعدهم أقوام يشهدون ولايستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويكثر فيهم السمن » .

ويشهد لورائهم « أهل الحديث » و « أئمة الجرح والتعديل » الذين لايقبل إلا جرحهم وتعديلهم من بين سائر فرق الأمة ، وهم شهداء الله فى الأرض .

فيشهد لهؤلاء قول رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى » .

فهم أهل الحق والصدق والعدل ، وهم ظاهرون على أهل الكفر ، وعلى أهل الزيغ والضلال ، بالحجة والبرهان والحق دائما ، وهم ظاهرون بالسيف والسنان — أحيانا — ، فلا تستطيع فرق الكفر أن تقارعهم بالحجة والبرهان ، ولا تستطيع فرق الضلال كلها أن تقف فى وجوههم بالحجة والبرهان ، اللهم إلا بالشغب ، والافتراءات ، والطعون الكاذبة ، والشائمات الفاجرة .

٢ ـ وأما رميهم بالظلم والجور :

فإن أقوالهم وكتبهم لتزخر بالجرح الخالص المجرد من الموازنات ، فماذا يقال فيهم ، وفي أقوالهم ، ومؤلفاتهم التي هذا واقعها ، والتي تضاد هذا المنهج ؟

فلا مناص من واحد من أمرين

إما أن نقول : إن نقدهم وجرحهم المجرد من ذكر الحسنات قائم على الحق ، والعدل ، والنصح ، والعلم ، والورع ، والخشية لله رب العالمين ، وحماية دين الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وهم أهل عدل ، وإنصاف ، ومنهجهم قائم على الحق ، وعلى الكتاب والسنة ، وقواعد الاسلام ، وعقائده الصحيحة .

وبهذا القول والتقرير يسقط المذهب المبتدع المخترع : « مذهب وجوب الموازنات بين الحسنات والسيئات » .

وإما أن يقال : إن نقدهم المجرد من ذكر الحسنات ، والمقتصر على ذكر الجرح والسيئات ، قائم على الجور والظلم ، ومنهجهم قائم على الغش ، والجهل ، وعدم الورع ، والخشية لرب العالمين . بعيد عن منهج الكتاب والسنة ، بعيد عن شريعة الله العادلة ، بعيد عن أصول الاسلام وقواعده الأصيلة ، فيكونون بهذا أظلم الخلق ، وأبعدهم عن العدل .

ولكن ذلك لم يكن ، ويأبى الله ذلك والمؤمنون .

فسقط الباطل ، وتهاوت الدعاوى الفارغة ، وبطل ما يقولون من « وجوب الموازنات بين الحسنات والسيئات عند نقد أهل البدع والضلالات » .

أما أهل السنة والجماعة فلا يدينون الله إلا بالقول الأول ، ويتولون السلف ومنهجهم في النقد القائم على الحق ، والعدل ، والانصاف ، والنصح ... إلخ .

وأما أهل المنهج المخترع ، المناهض للسلف ومنهجهم ، والمؤدى إلى الطعن فيهم وفى منهجهم ، والمؤدى إلى القدح فى شهادتهم وتجريحهم وتعديلهم ، فإنهم مع شديد الأسف يتشبثون بهذا القول المبتدع ، المؤدى إلى الكوارث التى ذكرناها .

وهم الآن لايطبقونه على أهل السنة المعاصرين ، السائرين على منهج السلف الكرام ، بل يقذفونهم بالبوائق والدواهى ، ظلما وبغيا ، ويذيعونها فى أرجاء الأرض ، يفعلون كل ذلك انتصارا لأهل البدع ، ومحاماة عنهم ، فيقع المساكين فى حمأة الصد عن سبيل الله ، والصد عن منهج السلف من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، ويقعون فى حمأة الدعوة إلى الباطل والبدع من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

٣ — وأما الأمر الثالث : وهو تعظيم أهل البدع :

فهذا أمر واضح على من اعتنق مذهب الموازنات بين الحسنات والسيئات ، كيف لا وما أنشىء هذا المنهج إلا لهذا الغرض .

ولاشك أن من ينظر إلى عمل السلف من خلال منهج إيجاب الموازنات ، ويحكم على الناس من خلاله ، وهو جاد فى ذلك ، فلابد أن يحتقر السلف ومنهجهم ، ويقدح فيهم ، وفى أحكامهم ، ومؤلفاتهم .

هذا ما يقضى به الشرع الحكيم ، والمنطق الصحيح ، والعقل الرجيح ، ولا محيص لهم من هذا الذى قررناه .

وبعد :

فأرى أن المسألة عظيمة ، وكبيرة ، وخطيرة ، والذى أدين الله به : أنه يجب على العلماء الانتباه لهذا الخطر المدمر ، الذى يهدم كل ما شاده

علماء الإسلام فى ميدان الجرح والتعديل ، وفى ميدان نصرة السنة ، والدعوة بهـا ، وإهانة البـدعة والتحذير منها ومن أهلها فى مؤلفاتهم فى العقائد ، نصرة السنة .

لمحة عن أهل الحديث الطائفة المنصورة والناجية وجهودهم فى حراسة الدين ، وذبهم عن عقائد الاسلام والمسلمين ومنهجهم فى نقد الرواة والمبتدعين

أهل الحديث هم الطائفة الناجية المنصورة

قال النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك » .

رواه الأئمة فى صحاحهم وسننهم ومسانيدهم ، عن عدد من الصحابة ، منهم : عمر بن الخطاب ، والمغيرة بن شعبة ، وثوبان ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبـد الله ، وعمران بن حصين ، وعقبـة بن عامر ، رضى الله عنهم أجمعين .

وقد حمل أئمة الاسلام هذه الأحاديث على «أهل الحديث» لا ينازعهم فى ذلك إلا الروافض ، وبعض أهل البدع .

وقال رسول الله ﷺ : « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانيـة لكان من أمتى من يصنع ذلك ، وإن بنى إسرائيـل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى عـلى ثلاث وسبعين ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة. قالوا : من هى يا رسول الله ؟ . قال : ما أنا عليه وأصحابى » .

وفى رواية : « هى الجماعة ».

وهذا الحديث وما فى معناه قد روى عن عدد من الصحابة ، وهم :

سعد بن أبي وقاص ، وعلى بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وأبو الدرداء ، ومعاوية ابن أبي سفيان ، وأنس بن مالك ، وأبو أمامة ، و واثلة بن الأسقع ، وأبوموسى الأشعرى ، وعمرو بن عوف المزنى رضى الله عنهم أجمعين .

و رواه أئمة السنة فى سننهم ومعاجمهم ومسانيدهم ، وكتب عقائدهم ، وحملوه مع أحاديث « الطائفة المنصورة » على « أهل الحديث » لا يخالفهم إلا بعض أهل البدع ، فيدعون باطلا و زورا أنهم هم « الطائفة الناجية المنصورة » وهم على ضلالهم و ادعائهم الباطل لم يفرقوا بين الناجية والمنصورة ، لأن معنى الأحاديث متحد ، فقوله فى أحاديث الطائفة المنصورة : « على الحق ظاهرين » أو « يقاتلون » هو المعنى نفسه فى قول رسول الله ﷺ : « ما أنا عليه وأصحابى » إذ هو وأصحابه على الحق ظاهرين ، وهم سادة المقاتلين المجاهدين .

وقول رسول ﷺ : « الجماعة » معناه : الاجتماع على الحق .

وهذه المعانى كلها لا توجد فى فرقة من فرق الضلال ، إنما توجد ظاهرة جلية واضحة فى الصحابة ، ومن اتبعهم بإحسان فى القرون الثلاثة المفضلة .

وتوجد ظاهرة جلية واضحة فى « أهل الحديث » ، « أهل السنة المحضة » ، و « الجماعة المجتمعة على الحق ، الملتزمة به ، المناضلة عنه » ، لا ينكر ذلك إلا جاهل مستكبر معاند .

ومن هنا حمل أئمة الهدى ، وعلى رأسهم :

ابن المبارك ، والامام أحمد ، والبخارى ، وعلى بن المديني ، وغيرهم ،

وغيرهم من أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى فى العهود الاسلامية كلها إلى يومنا هذا ، هذه الاحاديث على : أهل الحديث ومن سار على نهجهم لا يخالفهم إلا مبطل معاند مكابر ينكر الشمس ساطعة واضحة ليس دونها سحاب ، والقمر فى ليلة البدر ليس دونه سحاب :

الحق شمس والعيون نواظر   لكنهـا تخفى على العميان

فـ « أهل الحديث » هم وراث الأنبياء والصحابة وخيار القرون المفضلة ، حقا وصدقا ، وجهادهم وجهودهم فى خدمة الإسلام والسنة لا يقـدر قدرها إلا الله ، ولا يعرفها ويعترف بمكانتهـا إلا المنصفون ، حتى أن خصومهم من أهل التجهم والبدع لا ينكرون هذا الجهاد والنتاج العظيم والتراث الهائل الذى خلفوه للاسلام والمسلمين ، ولا يكون لأحدهم أى مكانة عند المسلمين إلا إذا عاش متطفلا على مائدتهم متظاهرا باحترامهم واحترام منهجهم.

ومن جهود أهل الحديث العظيمة الباهرة : علم النقد ، والجرح والتعديل لرواة الأحاديث والآثار ، ولأهل العقائد والنحل والبدع والضلال ، بل نقدهم لأهل البدع وجرحهم وطعنهم فيهم أشد وأقوى وأسد .

فهذا نقدهم وجرحهم وتعديلهم للرواة ولأهل البدع تزخر به المكتبات من كتب الجرح والتعديل أو الجرح الخاص ، ومن كتب العقائد التى تذم أهل البدع ، وتجرحهم وتطعنهم طعنا ، مركزة على إخوانهم وفضحهم والتنكيل بهم ، دون هوادة ، ودون موازنة .

ويعتبرون ذلك من أفضل الجهاد ، ومن أقرب القربات عند الله ، لا سيما إذا كان الأمر متعلقا بالدعاة منهم ، فإنهم لا تأخذهم فى الله لومة لائم ،

ولا تأخذهم بهم رأفة فى دين الله ، إذ البدع عندهم أكبر من كبار المعـــاصى والذنوب ، وأهلها أخطر على دين الله من العصاة والفجار، لأن العاصى والفاجر يعترف بأنه مخالف لأمر الله ، مرتكب لمناهيه .

أما المبتدع فيمارس بدعه الشريرة المسخطة لله تقربا إلى الله ، وإذا دعا الناس إليها فيقول لهم بلسان حاله ومقاله : « هذا دين الله » وينكر ما يقابلها من الحق الذى شرعه الله فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، ويرى ذلك الحق وأهله بالضلال .

فأى خطر على الاسلام أشد من هذا؟ .

ومن هنا رأى كثير من أئمة الإسلام أن خطر أهل البدع على الاسلام أشد من خطر الكفار .

(للبحث صلة)

◇⁑◇●◇⁑◇

الحركات الإصلاحية

والتاريخ يشهد أنه كانت هناك حركات إصلاحية ، وكان العلمـــاء فى كل عصر يبـذلون قصارى الجهود ليتفادوا من هذا المرض ، فقد منوا بالجمود إذا تجنبوا الفوضى ، وأخذتهم الفوضى إذا تجنبوا الجمود . ونذكر هنا من العلمـــاء الأعلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن القيم ، ومحمد الشاطبى ، وعبـد الرحمن بن إسماعيل ، وأبا شامة المقدسى ، الـذين بذلوا جهودا قيمة مشكورة فى مجال الإصلاح والتجديد .

(حركة الانطلاق الفكرى ص ٥٤)

العسل ومنافعه فى ضوء القرآن الكريم وتجارب الأطباء الاخصائيين

(٣)

بقلم : الشيخ اطف الحق الشمسى
المدرس فى المدرسة الحميدية دار الحديث ، ببهار، الهند

أهمية العسل فى نظر طبيب الامة ﷺ :

لقد ظهر جليا للقارىء الكريم اهتمام القرآن بالعسل، وأود أن أذكر هنا اعتناء الرسول الأكرم ﷺ الشديد بالعسل ومواظبته على شربه بنفسه وأمره الناس بشربه دواء وعلاجا .

إن محمد بن عبد الله ﷺ لقد بعث إلى العالم كافة أكبر معلم وأعظم مرب ، وهو أول معلم علم الناس الكتاب والحكمة والايمان والعرفان و زكاهم أحسن تزكية ، وهو أول مثقف ثقف عقولهم وهذب نفوسهم وقوم أخلاقهم وهو أول من أسس الحكومة والسياسة ونظم الجماعة وعرف الناس بحقوق الجيران وعلمهم طريق المعاملة والمخالطة والمجالسة ، وأول من درس العالم العدل والمساواة والمواخاة والمواساة ، وأول من أعطى النساء حقوقهن وحدد واجباتهن على وجه أتم ، وقد كن قبل ذلك مقهورات مضطهدات ، وأول من أعطى اليتامى والمحتاجين والعالة حقوقهم الاوفى ، وأول من دوج تزويج الارامل والإماء وأعطاهن فى المجتمع عزة وكرامة ، وأول من أعطا الارقاء والمماليك

والموالى حقا وافرا ومنزلة سامية ، وأول من اخترع طريق التدبر والتفكر فى المعرفة بخــالق السماوات و الأرض و الوقوف عــلى ما بينهما من الحيوانات والنباتات والجمادات ، وأول من عرف بحقائق الأشياء وماهياتها وخواصها ، وهو أول من اختبر العسل بشربه كل يوم والمواظبة عليــه ، وهو أول من اعتنى به أشد الاعتناء ، وأول من دل على فوائده العجيبة ومنافعه العظيمة ، وهو أول طبيب فى تاريخ الانسان كلــه سقى العسل مستطلق البطن فى داء المبطون ولم يسبقه أحد ، وأول طبيب فى العالم كله عالج بالماء المحرق والعسل فى أمراض الخاصرة علاجا ناجحا لم يتيسر لأحد من أطباء العالم ومعالجيه كما فى حديث ترويه السيـدة عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال : « إن الخاصرة عرق الكلية اذا تحرك آذى صاحبها ، فداووها بالماء المحرق والعسل »[1].

وهو أول من عظم منـافعه وفوائده وسقاه ألوفا من المرضى والضعاف والمنهوكين والمسنين ، واستعمله دواء فى عشرات الأمراض والأدواء والأوجاع ، ولا أرى أحدا اهتم به وأثنى على مصالحـه واستعمله دواء بكل اعتماد وجزم مثلـا اهتم به طبيب الأمة محمـد ﷺ ، ولأجل شربه ﷺ باستمرار وعلاجه به فى عشرات الأدواء والآلام شرع الـكيمياويون يحققون ويفتشون عن حقائق العسل وماهياته وخواصه ومنافعه ومصالحه فى مختبراتهم ، واستمر فيها البحث والتنقيب عن العسل ، فظهرت لهم فيه منافع عظيمة وفوائد كبيرة ، فاتخذوا منه أقراصا نافعة ومشروبات جيدة وحقنا ثمينة نفيسة ، وكذلك صنعوا منه الآلاف من الأدوية . وبدأ الأطبـاء المسلمون خاصة وغير المسلمين عامة يعتمدون على العسل فى معظم الأدواء والعلل ، وظلوا يثنون عليه .

(١) مستدرك الحاكم ٤ / ٤٠٥

واذا درسنا حياة الرسول المصطفى الأكرم ﷺ الطيبة الزكية وجدنا أنه ما أصابه داء ولا مرض ولا تعب ولا وجع فى حياته الا قليلا نادرا، وما ذلك الا لكثرة شربه العسل باستمرار، وقد ورد فى الأحاديث الصحيحة أن الرسول الأكرم ﷺ كان يشرب العسل ممزوجا بالماء كل يوم على الريق صباحا، وكذلك كان يشربه بعد صلاة العصر كل يوم عند أزواجه كما أورد هذه القصة الشريفة الامام البخارى رحمه الله فى صحيحه.

وأود أن أذكر هنا عدة أحاديث مشتملة على علاج النبى ﷺ بالعسل وحثه الناس على الاستشفاء به والمواظبة على شربه وشدة اهتمامه به. فمن هذه الأحاديث ما أورده الامام البخارى رحمه الله فى صحيحه فقال: «عن أبى سعيد أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: أخى يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا، ثم أتاه الثانية فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه الثالثة فقال: اسقه عسلا، ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال صدق الله، وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ»[1].

هذه القصة تدل على أن صاحب الاسهال المذكور فيها انما لم يحصل له الشفاء لشرب العسل فى أول مرة لعدم كون كمية الدواء حسب كمية الداء، وانما تكررت لهذا المريض الشربات لأجل اجتماع الفضول الرديئة والمواد الفاسدة الناشئة من الأخلاط اللزجة فى نواحى المعدة والأمعاء كثيرا، فعالج طبيب الأمة ﷺ صاحب الاسهال المذكور بالعسل علاجا شافيا وان خالف أصول الأطباء المعاصرين، لأن طب النبى ﷺ لا يمكن أن يسرى إليه الخطأ لصدوره عن الوحى، وأما طب غيره لحدس وتجربة يمكن فيه الخطأ، قال الحافظ فى الفتح: أهل الحجاز يطلقون الكذب فى موضع الخطأ، يقال كذب سمعك أى زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له، فمعنى كذب بطنه أى لم يصلح

(١) صحيح البخارى ٢ / ٨٤٨

لقبول الشفاء بل زل عنه . وقد اعترض بعض الملاحدة فقال : العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال ؟ والجواب أن ذلك جهل من قائله ، بل هو كقوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ .

فقد اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة ، وعلى أن الاسهال يحدث من أنواع ، منها الهيضة التى تنشأ عن تخمة ، واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعلها ، فإن احتاجت الى مسهل معين أعينت مادام بالعليل قوة ، والرجل المذكور كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته ، فوصف له النبي ﷺ العسل لدفع الفضول المجتمعة فى نواحى المعدة والأمعاء ودفع الفضول التى تصيب المعدة من أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها ، وللمعدة خمل كخمل المنشفة ، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء الواصل اليها ، فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط ، ولا شىء فى ذلك مثل العسل لاسيا إن مزج بالماء الحار ، وانما لم يفد فى أول مرة لأن الدواء يجب أن يكون مقداره بحسب الداء ، فان قصر عنه لم يدفعه بالكلية ، وإن جاوزه أوهى القوة أو أحدث ضررا آخر ، فكأنه شرب أولا مقدارا لا يفى بمقاومة الداء ، فأمره بمعاودة سقيه ، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله تعالى . وفى قوله ﷺ « كذب بطن أخيك » إشارة الى أن هذا الدواء نافع ، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء فى نفسه ، ولكن لكثرة المادة الفاسدة .

قال الخطابى : الطب نوعان ، طب اليونان وهى قياسى ، وطب العرب والهند وهو تجاربى ، وكان أكثر ما يصفه النبي ﷺ لمن يكون عليلا على طريقة طب العرب ، ومنه ما يكون مما اطلع عليه بالوحى ، وقد قال صاحب « كتاب المائة فى الطب » : إن العسل تارة يجرى سريعا الى العروق وينفذ منه جل

الغذاء ، ويدر البول فيكون قابضا ، وتارة يبق فى المعدة فيهيجها بلوغها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا، فإنكار وصفه للسهل مطلقا قصور من المنكر . وقال غيره : طب النبي ﷺ متيقن البرء لصدوره عن الوحى ، وطب غيره أكثره حدس أو تجربة ، وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة ، وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به ، وتلقيه بالقبول، وأظهر الأمثلة فى ذلك القرآن الذى هو شفاء لما فى الصدور(١).

ويقول الطبيب خالد الغزنوى فى كتابه : هذا الحديث النبوى الشريف فى مجال علم العلاج وماهية الأمراض طريق واضح ومنهاج قويم ، لأن من أسباب حدوث استطلاق البطن هو التهاب المعدة والأمعاء ، الذى يتولد من الجراثيم أو من سمومها (Toxins) أو من الفيروس (Virus) فإن منعت حركات الأمعاء فى مثل هذا المريض على الفور يبق الالتهاب فيها كما كان ، أو تستقر السموم هناك ، ولهذا أفضل طرق العلاج لمثل هذا المريض هو أن يظهر المعى أولا ، ثم تقتل الجراثيم ، وقد كانت فى العسل كلتا القوتان على وجه أتم ، قوة تطهير الأمعاء وقوة قتل الجراثيم(٢).

وقال المؤلف المذكور فى موضع آخر : قول النبى ﷺ فى هذا الحديث المذكور « كذب بطن أخيك » يدل على أن سق العسل مرة أو مرتين لا يكفى لإزالة المرض واستيصاله ، بل كانت الحاجة ماسة إلى أن يشرب العسل مرارا وتكرارا لتموت من أجله الجراثيم المولدة للأمراض ، وإنما مست الحاجة الى مقدار مزيد من العسل بعد ذلك ليخرج تلك الجراثيم الميتة وسمومها من البطن ، لحصل بهذه الطريقة للمريض الشفاء التام الكامل من الناحية

(١) انظر : فتح البارى شرح البخارى ٥ / ٤٠٥ (الطبعة الهندية) .
(٢) انظر : طب نبوى ﷺ اور جديد سائنس (بالاردية) ص ١٥٧

العابية ، لأن منع كثرة استطلاق البطن لم يكن علاجا . وهذه الظاهرة تدل على حقيقة هامة هي أن العسل يقتل جراثيم الأمراض المختلفة الموجودة في البطن ، ويصلح قروح الأمعاء ، ويعيد الصحة[١].

وقد أورد الحافظ رحمه الله في « الفتح » أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنهما الذي تظهر به أهمية العسل قال : إذا اشتكى أحدكم فليستوهب من امرأته من صداقها فليشتر به عسلا ، ثم يأخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا شفاء مباركا » أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير بسند حسن[٢].

ونقل صاحب «كنز العمال» حديثا رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ نقلا عن « مسند فردوس » قال : « درهم حلال يشترى به العسل ويشرب بماء المطر فيه شفاء من كل داء »[٣].

وقد بشر طبيب الأمة محمد ﷺ لاعقي العسل على الريق بالنجاة والسلامة من كل داء حيث قال : من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء[٤].

يقول الطبيب خالد الغزنوي : « ان من تجربتي الشخصية أن من يشرب العسل بنظام لم يصبه داء القلب والكلى والبطن »[٥]. (البحث موصول)

---

(١) طب نبوى اورجديد سائنس ص ١٦٤

(٢) فتح الباري ٥ / ٤٠٥ (الطبعة الهندية) .

(٣) طب نبوى اور جديد سائنس ص ١٦٠

(٤) سنن ابن ماجه ص ٢٤٦

(٥) طب نبوى اور جديد سائنس ص ١٥٨

مفهوم الاتباع والتقليد في الشريعة الاسلامية

(١٠-١٠)

الشيخ / سهيل أحمد فضل الرحمن الأعظمي
مكتب الدعوة بدبي

٣ – أعرض العلماء عن فهم القرآن والتدبر فيه مباشر قال الرازي رحمه الله :

التقليد منع من الاستدلال ، و الاستدلال واجب . التقليد منع من تدبر القرآن للاهتداء به ، وتدبره واجب ، إن الله هو الذي أمرنا بتدبر كتابه وبالاستدلال به[1].

٤ – ابتعد الناس عن نور القرآن والحديث لأن التقليد جهل باتفاق العلماء ودعوة القرآن إلى العلم والبصيرة.

٥ – اتبعوا الهوى لأن التقليد وعصبية المذاهب من مسبباته[2].

٦ – وقعوا في التأويلات الفاسدة و العداوة و البغضاء و الحسد بأن حاول كل واحد من المقلدين نصرة مذهبه بالتاويلات ، فإذا خالفهم أحد بالنصوص الثابتة من القرآن والسنة أو القياس الصحيح أبغضوه وعادوه

---

(١) انظر تفسير المنار للسيد رشيد رضا ٢٩٦/٥

(٢) انظر تفسير المنار ٢١/٨

وحسدوه واستحلوا منه كل ما لا يحل لمسلم من أخيه.

٧ — وبالتقليد صاروا إلى اعتقاد عصمة الإمام الذى يقلده. ولا عصمة لغير الأنبياء. فذلك فعل شنيع قد يؤدى الى الشرك كما قال بعض العلماء، لأنه لا طاعة لأحد فى كل الأمور إلا لله ولرسوله.

٨ — التقليد سبب الحرمان عن الخير لأن الرسول ﷺ يقول:

«من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»(١).

دل الحديث على أن الفقه خير و المقلد لا يكون فقيها لتقليد غيره جهلا، فثبت أن المقلد يحرم من هذا الخير.

٩ — وقعت الأمة فى فتنة الدنيا بسبب التقليد، ونراه فى صورة الخلاف بين المسلمين وضعفهم فى العالم ولهم عذاب فى الآخرة لتقديم قول الرجال على أمر الرسول ﷺ كما قال الله:

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(٢).

١٠ — و من آثاره السيئة أنه أدى إلى ترك العمل بالأحاديث الكثيرة الصحيحة كما ضرب ابن القيم على ذلك بعض الأمثلة فقال:

فإن الأمـــة ولله الحمد، لم تجمع على ترك العمل بسنة واحدة إلا سنة ظاهرة النسخ معلوم للأمة ناسخها، وحينئذ يتعين العمل بالناسخ دون المنسوخ، وأما أن تترك بقول أحد من الناس فلا، كائنا من كان(٣).

وذكر الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى بعض الأصول الفقهية، التى تركت

(١) رواه البخارى فى العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين.

(٢) النور: ٦٣

(٣) إعلام الموقعين ٢/٢٠٨

السنة لأجلها، وقال: يمكن حصرها فى الأمور الآتية:

الأول: قول بعض علماء الكلام وبعض دعاة الإسلام: «إن حـــديث الآحاد لا تثبت به عقيدة».

الثانى: بعض القواعــد التى تبنتها بعض المذاهب المتبعة فى أصولها مثل تقديم القياس على خبر الآحاد وغيره.

الثالث: التقليد واتخاذه مذهبا ودينا.

ثم استشهد عليها بثمانية وستين حديثا من الأحاديث الصحيحة التى خولفت بتلك القواعد وقال:

من الأحاديث التى خالفوا فيهـا أوامره ﷺ لو تتبع المتتبع لربما بلغت الألوف كما قال ابن حزم رحمه الله[١].

وتركت ذكر هذه الأحاديث خوفا من الإطالة، فمن أحب معرفتها فعليه بالرجوع إلى كتابه[٢].

وذكر الفلانى فى الإيقاظ:

إن العلامـة المحقق ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى قد جمع المسائل التى خالف فيهـا مذهب كل واحد مـن الأئمة الاربعة الحديث الصحيح انفرادا واجتماعا فى مجلد ضخم وذكر فى أوله:

وإن نسبة هذه المسائل إلى الأئمة المجتهدين حرام، وأنه يجب على الفقهاء المقلدين لهم معرفتها، لئلا يعزوها إليهم فيكذبوا عليهم[٣].

---

(١) الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام ص ٣٣—٣٤

(٢) نفس المرجع ص ٣٩، ٤٤

(٣) إيقاظ الهمم ص ٩٩

ولا شك أن بالتقليد تسبب لرد كثير من الأحاديث الكثيرة الصحيحة وإحلال آراء رجال غير معصومين محلها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويشهد على ذلك ما ذكره الشاه ولى الله الدهلوى نقلا عن كتاب الأم للشافعى:

إن بعض الأحاديث الصحيحة لم تبلغ علماء التابعين ممن وسد إليهم الفتوى، فاجتهدوا بآرائهم .... ثم ظهرت بعد ذلك فلم يعملوا بها .... وكثير من الأحاديث لا يرويه من الصحابة إلا رجل أو رجلان ... فخفى على أهل الفقه ... وكثير من الأحاديث رواه أهل البصرة وسائر الأقطار فى غفلة عنه... فلم يظهر الحديث (حديث القلتين) فى عصر سعيد بن المسيب ولا فى عصر الزهرى ولم يمش عليها المالكية ولا الحنفية فلم يعملوا به، وعمل به الشافعى وحديث خيار المجلس ... لم يظهر على الفقهاء السبعة ومعاصريهم فلم يكونوا يقولون به، فرأى مالك وأبو حنيفة أن هذه علة قادحة فى الحديث وعمل به الشافعى ... وأقوال الصحابة جمعت فى عصر الشافعى ورأى كثيرا منها يخالف الحديث الصحيح حيث لم يبلغهم ... فترك التمسك بأقوالهم وقال: هم رجال ونحن رجال[1].

وقال الشاه ولى الله رحمه الله:

ولا ينبغى أن يرد حديثا أو أثرا تطابق عليه كلام القوم لقاعدة استخرجها هو أو أصحابه، كرد حديث المصراة، وكإسقاط سهم ذوى القربى، بأن رعاية الحديث أوجب من رعاية تلك القاعدة المخرجة، وإلى هذا أشار الشافعى حيث قال: مهما قلت من قول أو أصلت من أصل فبلغكم عن

(١) انظر الإنصاف فى بيان أسباب الاختلاف ص ٤١ — ٤٤

رسول الله ﷺ خلاف ما قلت . فالقول ما قاله ﷺ .

وقال سيد محمد موسى توانا :

والتعصب لمذهب من المذاهب فى العصور الأخيرة أضر بالمنتسبين إليه فلم يستفيدوا كثيرا بما بلغهم من أحاديث الرسول ﷺ التى عمت الدنيا وانتشرت فى الآفاق ، ولم يستفيدوا كذلك بآراء غير إمامهم مما يفتح أمام الباحث الآفاق الأخرى[١] .

التنبيه : نرى من الضرورى أن نوضح هنا أننا لا نعنى عندما نختار عدم تقليد الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، تنقيصهم والإنكار عن مكانتهم العلمية وعدم الاعتراف بجهودهم الطيبة ونياتهم الطاهرة فى سبيل تطبيق الشريعة الإسلامية حاشا وكلا ! ولا نريد بمنع تقليدهم تحريم الاستفادة والاستعانة من كتبهم واجتهاداتهم واستنباطاتهم وكيفية الوصول إلى معرفة الحق ، بل نقصد أن لا نقدم آراءهم على النصوص الصحيحة الثابتة ، ويكون همنا التتبع والوصول إليها ، لأن الوحى قطعى والآراء ظنية ، والرسول معصوم وغيره أيا كان غير معصوم . فوقفنا نحو الأئمة الأربعة وغيرهم كما قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطى :

موالاتهم ومحبتهم و تعظيمهم وإجلالهم و الثناء عليهم بماهم عليه من العلم والتقوى و اتباعهم فى العمل بالكتاب و السنة و تقديمهما على آرائهم ، وتعلم أقوالهم للاستعانة بها على الحق وترك ما خالف الكتاب والسنة منها[٢] .

---

(١) الاجتهاد ص ٩٤

(٢) أضواء البيان ٧/٥٥٥

الخاتمة

وهى تشتمل على موضعين :

الموضوع الأول : خلاصة ما فى البحث :

الأمور التى توصلنا إليها فى هذا البحث يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

أولا : أنه ليس مقصود الشريعة إلا الاتباع ، أى اتباع الكتاب والسنة.

ثانيا : أن البدعة كلها مذمومة ، وهى لا تنقسم إلى الحسنة و السيئة ، و أما ما ورد فى الأثر : « نعمت البدعة » فالمراد به البدعة اللغوية .

ثالثا : إن الابتداع لا مجال لها فى الشريعة ، لأن أضراره وخيمة فى الدنيا والآخرة كما قال عليه الصلاة والسلام : «كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

رابعا : أن الرأى عند السلف أطلق على القياس والاجتهاد وغيرهما فى معناه الواسع ومن الرأى ما هو ممدوح وما هو مذموم ، فالممدوح منه ما لايعلم مخالفته للكتاب والسنة ، أو ما يسوغ العمل به عند الحاجة من غير الزام ولا إنكار على من خالفه ، و المذموم منه ما يخالف النص من الكتاب والسنة الصريحة فلا يحل العمل به كما لا يجوز الإفتاء والقضاء به .

خامسا : أن الاجتهاد ثابت من النبى ﷺ ومن أصحابه فى حضرته وغيبته على المذهب المختار ، وأما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فقد اتفقوا على صحته وجوازه لكل من وهبه الله آلة الاجتهاد وشروطه .

سادسا : أن الشريعة الإسلامية شريعة خالدة ، فلا بد فيها من الاجتهاد كلما تحتاج الأمة إليه فى حل مسائلهم المستحدثة فى كل عصر و مصر ، فالقول بسد بابه غير معقول ، وأنه أسهل اليوم مما هو فى الأزمنة السابقة وأن الحاجة تدعو إلى إعمال الفكر والعودة للقرآن والحديث فيما جد من مشكلات اليوم ،

وقد اعترف كثير من الغربيين بمكانة الشريعة الإسلامية لكونها صالحة لكل زمان ومكان لسوغ الاجتهاد فيها.

سابعا: أن هناك فرقا بين التقليد والاتباع، لأن الاتباع هو الاقتداء بالحجة والتقليد هو قبول قول الغير بدون حجة له.

ثامنا: أن التقليد لا حجة على التكليف به فى الكتاب والسنة ولا فى آثار السلف ولا فى أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله جميعا.

تاسعا: أن التقليد لا يجوز للعامى كما لا يجوز للعالم، لأنه مكلف بالسؤال عن العلماء وهو حجة له بأمر الله تعالى، ولا خلاف بين العلماء أن فى امتثال أمره اتباعا لا تقليداً.

عاشرا: أن من أسباب انتشاره تدوين المذاهب الأربعة، وعناية الجمهور بها أكثر منها بالكتاب والسنة، ومن أعظم آثاره السيئة على الأمة المرحومة هو تشتت شمل المسلمين وتفرقهم فى فرق وجماعات مما أوى الى الضعف فى صفوف المسلمين عامة وفى رجال الدين الإسلامى خاصة.

ومن أسوء آثار التقليد ترك العمل بكثير من الأحاديث.

والموضع الثانى: فى النتيجة، وهى أن الرد إلى قول الله والرسول من موجبات الإيمان.

إن حاصل ما قدمنا فى البحث من المسائل، يطالبنا بتحكيم قول الله ورسوله عليه الصلاة والسلام حسب المستطاع فى كل الأمور سواء فى العبادات والمعاملات والقضاء والفتيا وغير ذلك من أشياء كثيرة لتطبيق الاتباع الحقيق الذى تدعو إليه الشريعة الغراء، لأن الله سبحانه وتعالى أمر به فى قوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله﴾[1].

---

(١) الحشر: ٧

قال الرازى فى تفسيره الكبير عند تفسيره لهذه الآية : يعنى ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه فهو لكم وما نهاكم عن أخذه فانتهوا واتقوا الله فى أمر الفيء ، إن الله شديد العقاب على ما نهاكم عنه الرسول .

والاجود أن تكون هذه الآية عامة فى كل ما أعطى الرسول ﷺ ونهى عنه وأمر الفيء داخل فى عمومه . انتهى .

قال الشيخ عبد الرحمن المباركفورى : بل الحق أن الآية عامة فى كل شيء يأتى به الرسول ﷺ من أمر أو نهى أو قول أو فعل ، وإن كان سببا خاصا[١] .

لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل شيء .

فهذه الآية الكريمة نص صريح فى أن كل ما أتانا به رسول الله ﷺ وبلغه إيانا من الأوامر وغيرها سواء كانت مذكورة فى الكتاب أى القرآن المجيد أو السنة يعنى الأحاديث النبوية الثابتة المحكمة فواجب علينا امتثاله والعمل به ، وكذا ما نهانا عنه من المنكرات واجب علينا اجتنابه والابتعاد عنه .

وهناك أيضا من الأحاديث النبوية ما يدل على توقف الايمان على تحكيم قول الرسول ﷺ فى كل الأمور فمنها على سبيل المثال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[٢] .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعها وأرنا الباطل باطلا ، وارزقنا اجتنابها ، وصل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته وسلم .

● ● ●

---

(١) مقدمة تحفة الأحوذى ص ٢١

(٢) البخارى ومسلم فى كتاب الايمان .

النقوش الإسلامية فى العصر السلطانى

بقلم: الأستاذ د/ محمد يوسف صديق

(١) نقش غير مؤرخ من سلطانغنج

المكان الأصلي للنقش: عثر على هذا النقش عند أحد الأضرحـــة فى قرية سلطانغنج بمخفر شرطة غوداغارى بمقاطعة راجشاهى فى بنغلاديش.

مكان وجوده الحالي: متحف أبحاث وريندره فى راجشاهى برقم ٢٦٦٠.

نوع المـــادة و المقـــاس: البازلت الأسود، ١٠٦×٢١ بالسنتميترات (٤٢×٤ بالبوصة).

نوع الخط و عدد الأسطر: شبيه بالتوقيع، و عدد الأسطر ثلاثة.

الفترة: الأغلب أن هـــذا النقش يرجع إلى عهد علاء الدين على مردان خلجى (١٢١٠–١٢١٣م) وهو الحـاكم الثـالث فى الفترة الاسلاميـــة المبكرة فى البنغال.

اللغة و الوزن الشعرى: اللغة الفارسية، و الوزن الشعرى مفعول فاعلات مفاعيل فاعلن (بحر مضارع مثمن).

موضوع النقش: نقش تذكارى يسجل إنشاء جسر.

المراجع الثانوية :

(1) **Ahmad Hasan Dani, *Bibliography of the Muslim Inscriptions of Bengal*, Published as an Appendix to the Journal of Asiatic Society of Pakistan. Vol. II (Dhaka; Asiatic Society of Pakistan, 1957): 65–66 & 124.**

النص :

س ١ — أول ثنـا و حمـد بگويم خـدايرا
كار است بحكمت خود اين سرايرا

مردم يكى درايد [و] ديگر برون رود
كس را مجال نيست كه اين جاسكون شود

س ٢ — انكس كه باشد اگه ازين چرخ نشه سير
داند كه زاد راه نباشد دگر چو خير

سلطان علاء دين ودنيا شه جهان
كه زعدل او زگرگ نگشته بره نهان

س ٣ — إسلام را فزايش هـردم جهـد او
از فضل حق تمام شد اين پل بعهد او

اين خير را مخـير آنست كومـدام
شب روز خير كرده در حق خاص عام

الترجمة :

س ١ — أولا نحمد الله ونثنى عليه
الذى نظم هذا الخان (الدنيا) بحكمته
فى كل لحظة يدخل واحد ويخرج آخر
ليس فى مقدور أحد أن يقيم هنا للأبد

س ٢ — من يتأمل على دورة هذه الأفلاك
سيدرك أنه لا زاد آخر أفضل من الحسنات

السلطان علاء الدين و الدنيا شاه جهان
ولأجل عدله لا تختنق الشاة من الذئب

س ٣ — و بفضل جهوده ازدهر الإسلام روما
وبفضل الحق (الله) تم بناء هذا الجسر فى عهده

حتى يكون بهذا العمل الصالح صاحب الخير بالاستمرار الذى يقوم بأعمال الخير ليلا و نهارا للخاصة و العامة.

الملاحظات :

الأسلوب الخطى فى هـذا النقش لا يتبع فى سماته الخطوط المستخدمة فى العصر المغولى وما قبله ، فهو لا يشبه الأساليب الخطية المغولية المعتادة كالنستعليق ، كذلك لم يظهر فى الأسلوب الخطى لهـذا النقش عناصر الأساليب المنتشرة فى العصر السلطانى فى البنغال كالطغرا مثلا ، و المتأمل فى هـذا النقش يلاحظ فى بعض حروفه عناصر من خط الثلث و البهارى و التوقيع ، و النقش بصفة عامة مكتوب بأسلوب جميل تظهر فيـه براعة الخطاط و مهارتـه ، ومن الخصائص الخطية لهذا النقش كتابة شاكلـة حرف الكاف ، وهى فى معظم الأحيان تبدأ بشكل الخطاف ثم فى النهايـة تقطع رأس قوائم حروف الكاف لدرجة بسيطة إلى أن تنتهى على شكل إنحناء قليل إلى الأعلى ، ونلاحظ أيضـا أن شاكلـة حرف الـكاف فى كلمـة « بحكمت » فى السطر الأول قـدمت قليلا فوضعت فوق حرف السين فى كلمة « كاراست » .

أما من الناحية الأدبية فنص هذا النقش يمثل نموذجا رائعا للشعر الفارسى ،

و من الجدير بالملاحظة أن الجانب الآخر لهذه اللوحة يحتوى أيضا على نقش كتابي تذكارى مؤرخ فى ٨٣٥هـ/١٤٣١م و يرجع إلى فترة مبكرة للعصر السلطانى فى عهد السلطان جلال الدنيا و الدين محمد الأمر الذى يدل على استخدام اللوحة مرتين فى عصرين مختلفين ، و يسجل هذا النقش إنشاء جسر فى عهد السلطان علاء الدين و الدنيا شه جهان ، غير أن عدم وجود أى تاريخ فى هذا النقش قد أدى إلى صعوبة تحديد فترة بنائه . اما الذى اشتهر بلقب شاه جهان فى تاريخ الهند هو الامبراطور المغولى الخامس خرم .

و يلاحظ فى نقوش هذا العصر أن معظمها قد كتب بأسلوب شعرى باللغة الفارسية الأمر الذى قد يؤدى القارى إلى الاعتقاد بأن هذا النقش يرجع إلى العصر المغولى ، غير أن اللقب الآخر فى هذا النقش وهو علاء دين ودنيا لم يرد قط فى أى نقش للامبراطور المغولى شاه جهان ولم يكن من ألقابه المعروفة ، وهذا اللقب كان معروفا فى الهند قبل العصر المغولى حيث تلقب به العديد من سلاطين دلهى و البنغال و حكامهما ، أما أشهر من لقب بهذا اللقب فقد كان حسين شاه الذى يعد من أعظم سلاطين البنغال قبل العصر المغولى .

و المتأمل فى النقوش العربية فى البنغال يلاحظ أن النقاش أحيانا قد ينسبون للسلاطين و الحكام ألقابا من عند أنفسهم دونما تحقق من ألقابهم الرسمية ، وهذا يزيد فى صعوبة تحديد السلطان الوارد ذكره فى النقش وخصوصا إذا كان النقش غير مؤرخ . لعل الأرجح أن هذا النقش يرجع إلى عهد علاء دين على مردان خلجى (١٢١٠ — ١٢١٣ م) و هو الحاكم الثالث فى الفترة الاسلامية المبكرة فى البنغال و ذلك لورود لقب « علاء دين و دنيا » فى النقش .

(٢) نقش سيان المؤرخ ٦١٨هـ-١٢٢١م

المراجع الثانوية :

Zieuddin Ahmad Desai, *Epigraphia Indica – Arabic and Persian Supplement (ELAPS)*. 1957 (Published in 1983): 6-12.

النص :

س ١ – بسم الله الرحمن الرحيم [في بيوت أذن الله أن ترفع ويذ]كر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال .

س ٢ – رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر [الله وإقام الصلاة] و[إ]يتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه .

س ٣ – القلوب والأبصار عن رسول الله صلى الله [عليه وسلم في] الصحيح الناس في مساجدهم والله في حوايجهم .

س ٤ – وقف هذه الخانقاه الفقير الخاطي الذي يرجو [إلى رحمة ربه . .] بن محمد المراغي لأهل الصفة الذين يلزمون لحضرة .

س ٥ – الله تعالى ويشغلون بذكر الله تعالى في أ[يام الدولت غياث الإ]سلام والمسلمين صدر الملوك والسلاطين المخصوص .

س ٦ – بولاية العهد في العالمين على شير بن عوض برهان أمير المؤ[منين في يوم السا]بع من جمادى الآخر سنة ثمان عشر وستمائة .

(٣) نقش غير مؤرخ من متحف أبحاث وزندره

المكان الأصلي للنقش : عثر على هذا النقش في مسجد غير معروف في قرية بمقاطعة راجشاهي في بنغلاديش .

مكان وجوده الحالي : متحف أبحاث وزندره في راجشاهي برقم ٢٨٥٥

نوع المادة والمقـــاس: البـــازلت الأسود ، ٣٠×٢١ بالسنتميترات (١٢×٨،٥ بالبوصة) .

نوع الخط وعـــدد الأسطر : خط الثلث ويشبه فى بعض المواضع خط النستعليق إلى حد ما ، وأسطره ثلاثة .

الفترة : خلال الفترة القصيرة ٦٢٦—٦٢٨ هـ / ١٢٢٩—١٢٣١م التى حكم فيها بلكا خلجى .

اللغة الوزن الشعرى : الفارسية ، والوزن الشعرى مفاعيل مفاعيلن فعولن .

موضوع النقش: نقش تذكارى يسجل إنشـــاء مسجـــد والذى اتخـــذ مدرسة أيضا .

النص :

س ١ — [سلا]مت بادشـاه اهل ايمـــان سپاس خان بلكا خان سرايم
كه از اخلاص بركت كرد بنيـان

س ٣ — [كه هست او] ذات لطف واحسان بگـاه حل مشكلهـاه على
زطبع پاک باشـد موشكافان

س ٣ — [سلا]مت مسجد از الطاف پنهان بود تا در جهان نام مساجد
بقـــاء ذات خان بادا بليهان

الترجمة :

س ١ — فى عهد خلافة ملك المؤمنين ، نردد نغمة الشكر لخان بلكاخان
الذى شيده على أساس الإخلاص

س ٢ — ذات لطف وإحسان ، موطن حل المشاكل العلمية
من القرائح الطيبة للباحثين

س ٣ — بنى هذا المسجد بالطاف غير ظاهرة (خليفة) ، طالما يبق اسم المساجد فى العالم دام بقاء شخصية خان فى العالم

الملاحظات :

هذا النقش هو أحد النقوش التى كتبت بخط غير عادى ، ولوجود الميل فى بعض حروفه مثل حرف الدال والألف واللام فإن كتابته قد تشبه فى بعض الأحيان خط الثلث . ونلاحظ أن شاكلة حرف الكاف لم توضع فوق رأس قائمة حرف الكاف ولكنها وضعت قليلا إلى الأسفل ، وتشبه شاكلات الكاف فى هذا النقش شكل الكاف المعكوفة (الكاف الشعبانية) . ويلاحظ فى بعض الحروف عناصر الخط البهارى .

وأرضية الكتابة منقسمة إلى وحدات عديدة مستطيلة الأضلاع كتبت الكلمات بداخلها ، ولم يذكر فى هذا النقش اسم السلطان المعاصر أو تاريخ النقش الأمر الذى يجعل تحديد تاريخ كتابته صعبا للغاية ، ولكن أغلب الظن أنه يعود إلى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وذلك لمواصفات الكتابة المتشابكة فيه والتى ظهرت فى هذا العصر .

وورد فى هذا النقش اسم خان بلكاخان وهو الذى أعلن الاستقلال عن حكم سلطان دهلى فى الفترة ٦٢٦—٦٢٨ هـ / ١٢٢٩—١٢٣١ م ، ولعله كان مشيد العمارة ، وللأسف فإن جزءا من هذا النقش قد تعرض للكسر من الجانب الأيمن مما أدى إلى ضياع جزء هام من الكتابة فى بدايتها ، ويبدو أن المسجد الذى ذكر فى هذا النقش كان يستخدم أيضا كمدرسة لطلاب العلم والباحثين فى تلك المنطقة .

(٤) نقش باری درغاه المؤرخ فی محرم ٦٤٠هـ/ يوليو ١٢٤٢م

المكان الأصلى للنقش: باری درغاه بولاية بهار الحالية.

مكان وجوده الحالى: الضريح العظيم فى باری درغاه.

نوع المادة ولونها: لوحة حجرية من البازلت الأسود.

نوع الخط: خط الثلث على أرضية نباتية.

المقاس: ٥٠×٢٦ بوصة.

عدد الأسطر: ثلاثة أسطر.

موضوع النقش: إنشاء العمارة فى عهد أبى الفتح طغرل خان.

المراجع الثانوية:

(1) H. Blochmann, JASB XLII (1873): 245-46 pl. 1; JASB XL (1871) part 1, pl. VII.

(2) G. Yazdani, EIM (1913-14): 17-17, pl. V.

(3) S. Ahmad, *Inscriptions of Bengal*, pp. 1-3.

(4) Q. Ahmad, *Inscriptions of Bihar*. pp. 2-6.

(5) M. Rahman, *Monumental Islamic Calligraphy*, p. 33.

(6) M. Y. Siddiq, *Muslim Educational Quarterly*, Vol. 2, No. 3 (1985): 77-88.

النص:

س ١ — أمر ببنا[ء] هذه العمارة فى أيام مملكة المجلس العالى خان الاعظم خاقان [المعظم].

س ٢ — عز الحق والدين غياث الاسلام والمسلمين مغيث الملوك و السلاطين أبى الفتح طغرل.

س ٣ — السلطانى خلد الله ملكه العبد مبارك الخازن تقبل الله منه فى المحرم سنة أربعين وستمائة.

القيمة التاريخية :

عثر على هذا النقش السيد برودلى Mr. Broadley وقد وجده منصوبا بين الطوب على مدخل مقبرة فى بارى درگاه وحصل على نسخة له على الورق ثم أرسلها إلى الجمعية الآسيوية للبنغال، والنص يشير إلى أن هذا النقش كان عبارة عن لوحة تأسيسية لعمارة مدنية شيدت فى عهد طغرل وليس له علاقة بالمقبرة التى كان منصوبا عليها، حيث أن هذه المقبرة كانت قد بنيت فى عصر متأخر، ولما كان هذا النقش من الفترة الأولى للحكم الإسلامى فى البنغال دل ذلك على أن الحكام المسلمين فى تلك الفترة كانوا يعتنون بالإنشاءات المعمارية اعتناء كبيرا، وقد ورد الاسمان عز الدين طغرل ومهتر مبارك فى الكتب التاريخية القديمة، من ذلك ما كتبه منهاج الدين سراج فى طبقات ناصرى عن عز الدين طغرل خان حيث يقول فيه أنه كان رجلا أنيقا من أصل تركى وكان يتحلى بالصفات الكريمة، واشتراه السلطان إيلتمش ليكون عبدا له ولكن سرعان ما أعطاه منصب ساقى خاص ثم أخذ يرتقى إلى مناصب أعلى حتى إنه عين حاكما على إقطاع بدايون، وكان حاكما على بهار فى سنة ٦٣٠هـ، ولما توفى سيف الدين أيبك حاكم لكهنوتى سنة ٦٣١هـ ظهرت بعض الاضطرابات فى لكهنوتى وتقدم طغرل خان نحو البنغال مع جيوشه وهزم جميع المناوئين له وأصبح بذلك حاكما على البنغال، ثم ضم منطقة أوده إلى حكومته فى سنة ٦٤٠هـ، وفى هذه السنة نفسها نقشت هذه اللوحة التى نحن بصدد التعليق عليها، والجدير بالذكر أن طغرل خان كان يتمتع بسيادة كاملة على إقليم حكومته إلا أنه لم يعلن استقلاله عن دلهى بل كان يستخدم لقب السلطانى أى الخادم الملكى، وتوفى طغرل خان سنة ٦٤٤هـ فى أوده، أما الاسم الآخر

مبارك و الذى ورد أيضا فى هـذا النقش فإنه لا يوجـد لدينا دليل على أنه الرجل نفسه الذى ورد اسمه فى طبقات ناصرى بالصيغة : ملك هندوخان مؤيد الدين مهتر مبارك الخازن السلطانى .

الخصائص :

تمثل الكتابة فى هـذا النقش أقـدم نماذج الكتابات العربية فى البنغال والتى عثر عليها حتى يومنا هـذا ، والخط المستخدم فى كتابة هـذا النقش يعتبر مثالا رائعا للخط النسخى المعروف فى الكتابات الحجرية بالبنغال فى العصور المبكرة للحكم الإسلامى حيث تدل ليونـة الحروف واستدارتهـا ومداتهـا وبروزها على المستوى الرائع الذى وصل إليه الفنان فى نقش هـذه اللوحة ، غير أن من المؤسف أن جزءا من الركن الجنوبى العلوى من هـذا النقش قد كسر .

وكتابة هذا النقش واضحـة جدا لا تشكل على القارىء ، و يلاحظ أن بعض الحروف يوجد فيها ميل يشبه خط الثلث ، مثال ذلك ما تراه فى السطر الثانى من مد لحرف النون فى كلمة الدين وحرف الثاء فى كلمة غياث ، ويلاحظ أيضا أن منتصبات بعض الحروف مثل الألفات وأصابع اللامات قـد طولت إلى الأعلى حتى وصل بعضها إلى حـدود الإطارات العلويـة ، كما أن رؤوس هذه المنتصبات قد اتسعت مقارنة بما كانت عليه فى الأسفل من نقطة بدايتها ، أو بعبـارة أخرى يزداد عرض هـذه المنتصبات تدريجيا بصعودها إلى الأعلى حتى تنتهى إلى الإطارات العلوية ، و تملأ أرضيـة الكتابة فى هـذا النقش الزخـارف النباتيـة و هى تحتوى على الزهور و الأوراق التى تمر على بطون الحروف وإطاراتها .

(٥) نقش غنغارامبور المؤرخ ٦٤٧هـ—١٢٤٩م

المكان الأصلي للنقش: قرية بجلى غتل بجوار غنغارامبور فى مقاطعة مالدهة .

نوع الخط : الثلث .

المقاس : ٩١×١٤ بوصة .

عدد الأسطر : سطران .

موضوع النقش : إنشاء البقعة المباركة (مسجد) .

المراجع الثانوية :

(1) Cunningham, ASR XV, p. 45 & p. 171, pl. XXI.

(2) A. A. Khan, *Memoirs of Gaur*, pp. 163–164.

(3) G. Yazdani, EIM (1913–14) : 19–22, pl. VIII (a).

(4) A. H. Dani, *Bibliography of Muslim Inscriptions*, p. 2.

(5) S. Ahmad, *Inscriptions of Bengal*, pp. 4–8.

(6) W. Begley, *Monumental Islamic Calligraphy*, pp. 34–35.

النص :

س ١ — أمر بينا[ء] هـذه البقعة المباركة السلطان المعظم شمس الدنيا والدين أبي (أبو) المظفر ايلتمش السلطان يمين خليفة الله ناصر أمير المؤمنين أنار الله برهانه وثقل بالحسنى جزاءه وجدد (جددت) العمارة فى أيام دولت السلطان الأعظم .

س ٢ — ناصر الدنيا والدين أبو المظفر محمود شاه بن السلطان ناصر أمير المؤمنين خلد الله ملكه وسلطانه فى نوبة ايالت المعظم جلال الحق والدين ملك ملوك الشرق مسعود شاه جانى برهان أمير المؤمنين خلد الله دولتـه فى غرة محرم سنة سبع وأربعين وستمائة .

القيمة التاريخية :

اكتشف هذا النقش لأول مرة الجنرال كننجهام General Cunningham وقد عثر عليه منصوبا فى مسجد قديم فى قرية بجلى غتا بجوار هنغارامبور خلال رحلته إلى البنغال و بهار فى الفترة ما بين ١٨٧٩ و ١٨٨٠م ، وكذلك شاهده H. E. Stapleton سنة ١٩٣١م فى خرائب العمائر فى المكان نفسه ، ويسجل هذا النقش إنشاء البقعة المباركة بأمر السلطان ايلتمش سلطان الهند للفترة ٦٠٧—٦٧٣هـ وتجديد بنائها فى سنة ٦٤٧هـ فى عهد ناصر الدين محمود شاه سلطان الهند للفترة ٦٤٤—٦٦٤هـ وأمر بتجديدها مسعود شاه جانى سنة ٦٤٧هـ وكان حاكما على البنغال فى تلك الفترة .

ويحمل هذا النقش حقائق تاريخية هامة تصحح ما كان يعتقده بعض المؤرخين الأوائل أمثال Stewart و Blochmann وغيرهما من أن جلال الدنيا والدين كان قد عين حاكما على البنغال لأول مرة سنة ٦٥٦هـ ، غير أن تاريخ هذا النقش يثبت أنه كان حاكما على البنغال فى سنة ٦٤٧هـ ، و لعل سبب الاختلاف فى التواريخ يرجع إلى أن المؤرخ المعاصر لتلك الفترة منهاج الدين سراج يخبرنا بأن قمر الدين تيمور خان حاكم لكهنوتى توفى سنة ٦٤٤هـ ، و أن الملك اختيار الدين أزبك تغرل أعلن نفسه حاكما على البنغال بعده لكنه مات خلال مهمته فى كامروب و بعد ذلك سلمت الحكومة إلى مسعود شاه جانى فى سنة ٦٥٦هـ ، ويرى كننجهام أن منهاج الدين سراج أخطأ فى كتابة التاريخ حيث كتب تولية مسعود شاه جانى على حكومة البنغال فى سنة ٦٥٦هـ ، بدلا من أن ٦٤٦هـ ، وكذلك يرى أن مسعود شاه جانى أعلن قيام حكومته فى البنغال فى سنة ٦٤٦هـ و ذلك استنادا على ما ورد فى هذا النقش ، غير أن مسعودا هذا سرعان ما

طرد من لكهنوتى ولم يسترد سلطته على البنغال إلى فى عام ٦٥٦هـ و ذلك عند ما اعترفت به حكومة دلهى، أما الدكتور يزدانى فهو يميل إلى تصديق التاريخ الذى ذكره منهاج الدين حيث يقول: «إن منهاج كان شاهدا على الوقائع التى حدثت فى تلك الأزمنة، و من المرجح أن نصدق ما كتبه من التاريخ»، وهو يستدل أيضا من بعض الوثائق الأخرى أن الملك اختيار الدين أزبك تغرل كان يشغل بعض المناصب خارج البنغال فى أوقات مختلفة و ذلك فى الفترة ما بين ٦٤٤هـ و هى السنة التى توفى فيها قمر الدين تيمور خان و بين ٦٥١هـ، وفى هذه الفترة نفسها كان مسعود شاه جانى يحكم البنغال وكارا.

الخصائص:

هذا النقش يعتبر من أقدم الكتابات العربية فى البنغال و الذى كتب بخط الثلث، و لكنه لا يختلف كثيرا عن الخط النسخى حيث أن الميل فى الحروف لم يكن واضحا فى بعض الأحيان، و الخط فى هذا النقش أكثر تشابكا منه فى نقش بارى درغاه إذ تتداخل الحروف بعضها فى بعض مما يجعل قراءة بعض أجزاء النص أمرا صعبا.

و يلاحظ أن تاريخ النقش كان قد كتب فى مساحة ضيقة فى نهاية النص و لعل ذلك يرجع إلى الناسخ لم يجد له مكانا كافيا، ولذلك نجد ذلك الجزء من النص أكثر تشابكا من غيره و نجد بعض الحروف مكتوبة بحجم صغير وكثيرا ما نجد هذه الظاهرة فى اللوحات الكتابية العربية فى البنغال و خارجها حيث كان التاريخ يكتب دائما فى النهاية، ولضيق المكان بعد الانتهاء من كتابة النص كان الناسخ يضطر أحيانا إلى أن يصغر أحجام الحروف الأخيرة و لذا تداخلت الحروف فى بعضها البعض

وقـــد أخطأ الناسخ فى السطر الأول فى تذكير كلمة «جدد» و التى كان ينبغى أن تأخذ صيغة التأنيث، و هذا الخطأ لا يعد شيئا إذا ما قورن بالنقوش الأخرى فى البنغال، فنى بعض النقوش ينسى الناسخون بعض الأحرف أو يقعون فى أخطاء نحوية، و قد أسقط بعضهم حروفا أو كلمات فى بعض الأحيان لضيق المكان، و كثيرا ما تجد الحروف أو الكلمات الأخيرة فى النص مكتوبة فى مكان جانبي قلما يسترعى انتباه القارئ.

(٦) نقش سيتال مات المؤرخ ٦٥٢هـ — ١٢٥٤م

المكان الأصلى للنقش: سيتال مات بمقاطعة راجشاهى.

مكان وجوده الحالى: متحف دهاكا برقم ٦٨٠٨٩

نوع المادة ولونها: لوحة حجرية من نوع البازلت الأسود.

نوع الخط: نسخى.

المقاس: ٥٤ × ١٤ بوصة.

عدد الأسطر: أربعة أسطر.

موضوع النقش: إنشاء العمارة المباركة (خلوة العبـــادة)، أمر ببنائهـــا خان الأعظم أبو الفتح يوزبك السلطانى.

المراجع الثانوية:

(1) A. B. M. Habibullah, "An Unpublished Inscription from Sitalmat", *Bangladesh Lalit Kata,* Vol. 1, No. 2 (1975) : 90-94.

النص:

س ١ — [بسم الله الرحمن] الرحيم أمر ببناء هذه العمارة المباركة للتقين المحبين القرآن . . . . . و الصالحين و الأبرار و الذاكرين بالليل و النهار.

. . [المتطهرين] . .

س ٢ — خان العـــادل [جليل القـدر] باذل الكامل فى [سبيل الله] مغيث الإسلام والمسلمين أبى الفتح يوزبك السلطانى ناصر أمير المومنين خلد الله سلطانه .

س ٣ — . . . [المخير] أحمد بن مسعود [الموائق] الحسين الملة [لله] وصى عنه و عن و الديه و شرط النظر فيها لنفسه . مدة كيلا . ولمن رضى عليه فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه

س ٤ — على الذين يبدّلونه إن الله سميع عليم اين نصيحات . . نقشه [كنده] بادر نصب شده اند لعنت برانكس بادكه اين قاعده را متغير گرداند و خلل كند تاريخ شهر رمضان سنة اثنتين و خمسين و ستماية .

(٧) نقش باره درى المؤرخ ٦٦٣هـ — ١٢٦٧م

المكان الأصلى للنقش : باره درى فى بهار الحالية .

مكان وجوده الحالى : المكان نفسه .

نوع المادة : لوحة حجرية .

نوع الخط : نسخى يميل بعض الشيء إلى الثلث .

المقاس : ٥٩ × ١٠ بوصة .

عدد الأسطر : سطران .

موضوع النقش : شاهد قبر .

المراجع الثانوية :

(1) H. Blochmann, JASB XLII (1873) : 247.
(2) G. Yazdani, EIM (1913–14) : 23–25.
(3) A. H. Dani, *Bibliography of Muslim Inscriptions*. p. 3.
(4) S. Ahmad, *Inscriptions of Bengal*, pp. 9–10.
(5) Q. Ahmad, *Inscriptions of Bihar*, pp. 6–9.

النص :

س ١ — . . ملك العالمين . . معظم الخلافة صاحب العدل و الرأفة المخصوص بعناية الرحمن أبي المكارم تاتار خان خليفة المسلمين [خلد الله] ملكه و إمارته و أبقى فى ديار الممالك عمارته [أمر] ببناء هذه المقبرة فى شهور سنة خمس و ستين و ستماية .

س ٢ — سلطانشاه نور اللهم تربته و بيض غرته و اجعل قبره [روضة] من رياض الجنان ولا [تجعله حفرة] من حفر النيران فى ليلة الأحد الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث و ستين و تسعماية و المعمار عبدهما الممنون بإنعامهما مجد الكابلى .

ملاحظات :

هذا النص المذكور فى هذا النقش افتراضى بحت إذ ان الكتابة مطموسة فى أكثر مواضع النص الأمر الذى يجعل قراءته عسيرة جدا ، و الكلمات الواردة فى النقش لا تشكل عبارات مستقيمة المعنى ، و يلاحظ أن الكتابة فيه لم تصل إلى درجة الإتقان ، كما لم تظهر فى النقش مهارات فنية من حيث حسن الكتابة أو جودة الخط ، و حروفه تفقد الاطراد فى الرسم و كذلك الانسجام فيما بينها ، و بعض الحروف مكتوب بحجم كبير و بعضها بحجم صغير ، و الخط المستخدم فى هذا النقش هو الخط النسخى و لكن بعض حروفه تشابه خط الثلث ، و من الجدير بالذكر أن هذا النقش لم يرد له ذكر فى أى مصدر من المصادر القديمة مثل مخطوطة شيام برساد أو كتاب Creighton .

القيمة التاريخية :

يسجل هذا النقش تاريخ إنشاء مقبرة فى عهد تاتار خان الذى كان حاكما للبنغال فى أواخر عهد السلطان نصير الدين محمود شاه فى دلهى ، والاسم الكامل

لهذا الحاكم هو محمد أرسلان تاتار خان بن أرسلان خان سنجر ، وقد حكم تاتار خان البنغال حتى وفاته و ذلك بسنة ٦٧٦هـ ، و على الرغم من أنه لم يعلن استقلاله عن دلهى إلا أنه كان يتمتع بنوع من الحكم الذاتى فلم يكن سلاطين دلهى يتدخلون فى شؤون بلاده ، و تشير المصادر المعاصرة أن تاتار خان كان حاكما عادلا ذا صفات حميدة وكان رجلا حكيما فى علاقاته مع سلاطين دلهى وغيرهم ، فقد كان مثلا يرسل الهدايا الثمينة لسلاطين دلهى ليكسب رضاهم و تأييدهم ، و يبدو من اسم تاتار خان أنه كان من المسلمين الأتراك الذين جاءوا من وسط آسيا ، أما الاسم الثانى وهو سلطان شاه نور فلم تشر إليه أى من المصادر أو المراجع القديمة ، ومن المحتمل كما هو ظاهر من الاسم أنه كان من رجال الصوفية الذين عاشوا فى البنغال فى تلك الفترة ، ويحتمل أيضا أنه كان من سلالة ملكية فاسما سلطان وشاه يتعلقان بأسماء الملوك والأمراء ، أما اسم المعمار محمد الكابلى فكنيته توحى بأنه كان من كابل عاصمة أفغانستان الحالية وقد يكون هذا المعمار أيضا من سلالة أسرة كابلية كان جدهم الأعلى قد استقر فى البنغال

(٨) نقش مهيسوارا بمقاطعة مونغير من عهد كيكاؤس
المؤرخ محرم ٦٩٢هـ — ١٢٩٢م

المكان الأصلى للنقش : مهيسوارا بمقاطعة مونغير فى ولاية بهار الحالية

نوع المادة ولونها : بازلت أسود .

نوع الخط : خط الثلث .

المقاس : ٧٥×١٦ بوصة .

عدد الأسطر : سطران .

موضوع النقش: إنشاء حصن.

المراجع الثانوية:

(1) S. Ahmad, *Inscriptions of Bengal*, pp. 11-12.
(2) Radhakrishna Chowdhury, *Annals of the Bhandarkar Oriental Research Instritute*, Vol. XXXVI (1955) : 163-66.
(3) A. H. Dani, *Bibliography of Muslim Inscriptions*, p. 4.

النص:

س ١ — أمر ببناء هذا الحصن الحصين فى عهد السلطان ركن الدنيا والدين أبو (أبى) المظفر كيكاوس شاه السلطان بن السلطان بن السلطان يمين خليفة الله ناصر أمير المؤمنين.

س ٢ — الخان الكبير العالم العادل اختيار الحق والدين المخاطب بخان خانان أبو المعالى فيروز ايتكين السلطانى ضاعف الله قدره فى السلخ من المحرم سنة اثنى (اثنتين) وتسعين وستمائة.

القيمة التاريخية:

عثر على هذا النقش أحد صيادى السمك بالقرب من شاطىء نهر غندك فى مياه ضحلة خلال رحلة من رحلات الصيد، وأغلب الظن أن هذا النقش كان مثبتا على أحد الحصون التى تطل على شاطىء النهر. وقد تأثر الحصن بالسيل حتى تصدع بنيانه وجرفه النهر ولم يبق منه شىء إلا هذا النقش.

ويشير هذا النقش إلى أن تاريخ إنشاء هذا الحصن يعود إلى عهد كيكاوس شاه، وتم بناؤه بأمر من فيروز إيتكين والذى يعتقد بأنه كان حاكما على هذا الإقطاع من جانب السلطان كيكاوس شاه ويدل ذلك على اتساع حدود إمارة لكهنوتى فى عهد كيكاوس شاه، كما يؤكد النقش أن البنغال كانت تضم بعض أجزاء من ولاية البهار الحالية مثل مقاطعة مونتهر والتى وجد فيها

هذا النقش.

و من الملاحظ أن المورخ Sir Charles Stewart لم يذكر فى كتابه اسم السلطان كيكاؤس شاه على الرغم من أن كتابه يعتبر من المصادر الأساسية فى تاريخ البنغال، و لعل ذلك يرجع إلى أن المصادر و الوثائق الفارسية التى اعتمد عليهـا المولف Stewart لم تذكر شيئا عن هـذا السلطان، وكل ما وصلنا من معلومات عن هذا السلطان إنما كان من النقوش والنقود التى ترجع بتاريخها إلى عهده، و يرجع تاريخ تلك النقود إلى الفترة ما بين ٦٩١—٧٠٢هـ.

الخصائص:

يعتبر هـذا النقش واحدا من أقدم كتابات خط الثلث وقد كتب فى عهـد حاكم لكهنوتى، والكتابة فيه قد بلغت درجة عالية من الإتقان، لجميع حروف النقش واضحة من غير تشابك أو تعقيد، وأرضية الكتابة خالية من الزخارف إلا من بعض علامات من الزخارف النباتية فى الإطارات.

و من الملاحظ أن ميل الحروف فى هذه الكتابة الثلثية واضح جدا و متميز عن الخط النسخى، وهذا يقل وجوده فى النقوش البنغالية حيث يصعب التمييز فيها بين الخط النسخى وخط الثلث.

(٩) نقش لكهى سراى المؤرخ محرم ٦٩٧هـ

المكان الأصلى للنقش: لكهى سراى بمقاطعة مونغير فى بهار الحالية.

مكان وجوده الحالى: متحف بانكى بور بالهند.

نوع الخط: نسخى مع عناصر الثلث فى بعض حروفه.

المقاس: ٧٥×٩ بوصة.

عدد الأسطر: سطران.

موضوع النقش: إنشاء مسجد جامع.

المراجع الثانوية :

(1) H. Blochmann, JASB XLII (1873) : 247–48, pl. V.
(2) G. Yazdani, EIM (1917–18) : 10–11, pl. XV (a).
(3) A. H. Dani, *Bibliography of Muslim Inscriptions,* p. 4–5.
(4) S. Ahmad, *Inscriptions of Bengal*, pp. 12–15.

النص :

س ١ — وفق ببناء هذا المسجد الجامع في عهد الدولات (الدولة) السلطان المعظم مالك رقاب الأمم مولى ملوك الترك و العجم صاحب التاج و الخاتم ركن الدنيا [والدين أبي المظفر كيكاؤ]س شاه السلطان بن السلطان بن السلطان يمين خليفة الله ناصر أمير المؤمنين .

س ٢ — في نوبة الخان الأعظم خاقان الاعظم اختيار الحق والدين خان خاقان الشرق والصين سكندر الثاني فيروز ايتكين السلطاني خلد الله دولته وقلسوته . . . . . . المظفر المنصور الغازي ضياء الدولة والدين الغ خان ادم الله دولته وزاد خيره في الغرة من المحرم سنة سبع وتسعين وستمائة .

ملاحظات :

هذا النقش مكسور في الوسط وللأسف فإن بعض الكلمات قد سقطت بسبب ذلك ، والخط المستخدم في الكتابة هو خط النسخ ذو الدرجة المتوسطة ، ويلاحظ في بعض حروفه ميل يشبه في رسمه خط الثلث ، وكتابة هذا النقش متشابكة وحروفه متصلة بعضها مع بعض .

(١٠) نقش ديوبيكوت المؤرخ ٦٩٧هـ—١٢٩٧م

المكان الأصلي للنقش : مقبرة مولانا شاه عطا في ديكوت بمقاطعة دیناجبور .

مكان وجوده الحالي : المكان الأصلي للنقش .

نوع الخط : الثلث .

المقاس : ١٣ × ٤١ بوصة .

عدد الأسطر : ثلاثة أسطر .

موضوع النقش : إنشاء مسجد .

المراجع الثانوية :

(1) H. Blochmann, JASB XLI (1972) : 102–104.
(2) G. Yazdani, EIM (1917–18) : 11–13.
(3) S. Ahmad *Inscriptions of Bengal,* pp. 15–18.
(4) Francis Buchanan, Dinajpur, pp. 51.
(5) E. Thomas, Pathan Kings, pp. 149.
(6) A. H. Dani, *Bibliography of Muslim Inscriptions*, p. 5.

النص :

س ١ — بنى هـــذا العمارة (عمارة هذا) المسجد فى عهد [ال]سلطان السلاطين ركن الدنيا و الدين ظل الله فى الأرضين كيكاؤس شاه بن محمود السلطان يمين .

س ٢ — خليفة الله ناصر أمير المؤمنين خلد الله ملكه وسلطانه بفرمان خسرو زمان شهاب الحق والدين سكندر ثانى الغ أعظم همايون ظفر خان .

س ٣ — بهرام ايتكين سلطانى خلد الله ملكه وسلطانـه ومد الله عمره بتوليت صلاح جيوند ملتانى فى الغرة من المحرم شهور سنة سبع وتسعين وستمائة .

القيمة التاريخية :

يسجل هذا النقش إنشاء أحد المساجد فى عهد كيكاؤس شاه تحت رعاية ظفر خان بهرام إيتكين ، ويلاحظ أن الناسخ قد ذكر فى هـــذا النقش اسم أبي كيكاؤس شاه وهو محمود من غير أن ينعته بألقاب سلطانيـــة كما هو الحال فى النقوش الأخرى التي ورد فيها ذكر هذا السلطان .

و اسم كيكاؤس من أصل فارسى وقد يعنى هذا أن البلاد آنذاك كانت متأثرة بالثقافة الفارسية و خاصة البلاط الملكى ، أما الاسم الآخر و الوارد فى هـــذا النقش فهو ظفر خان بهرامر إيتكين وكان حاكما على القطاع الـــذى وجد فيه هذا النقش ، وكلمة إيتكين أصلها من اللغة التركية القديمـــة و تعنى القمر الجميل ، وقـــد يدل هـذا على أن ظفر خان كان تركى الأصل ، و يحتمل أيضا أن إيتكين هو اسم العائلة أو القبيلـــة فقد ورد هـــذا الاسم أيضا مع فيروز فى نقش لكهى سرائى .

الخصائص :

خط هذا النقش ثلثى وكتابته واضحـــة جدا ، وهى خالية من الزخاف ، و لغة هذا النقش هى اللغة العربية ولكن تتخلل النص بعض الكلمات الفارسية مثل فرمان و تعنى مرسوم ، و استخدمت فيه حروف فارسية مثل حرف گـ فى كتابـــة كلمـــة إيتكين و هذا الحرف قريب فى نطقه من حرف العين فى اللغة العربية .

ويتضح من اسم الذى قام فى البناء وكنيته ملتانى أنه كان من مدينة ملتان و التى تقع الآن فى منطقة بنجاب بالباكستان وهى مدينة قديمة لا تزال تشتهر حتى الآن بكثرة المشتغلين بأعمال البناء فيها ، أما الاسم جيوند فلم أهتد إلى معناه غير أن هناك كلمة قريبة للفظه فى اللغة السنسكريتيـــة وهى جيون و تعنى الحياة ، و لعل الناسخ أخطأ فى كتابة الكلمـــة . و تجدر الإشارة هنا إلى أنه قد وردت فى هذا النقش بعض الأخطاء النحوية منها تذكير فعل « بنى » واسم الإشارة « هـــذا » و الصحيح تأنيثهما فيقول بنيت و هـذه ، و ورود مثل هذه الأخطاء قد يعنى أن الناسخ كان من غير العرب ولا يجيد العربية .

تعريف ونقد :

تعريف بدراسة جامعية عن الأدب العربي

استهوى الأدب العربي بحيويته وجماله علماء الهند كما استهوى أمثالهم في البلدان الأخرى ، ولذا أقبلوا عليـــه بجد وشغف ، وبذلوا في النهوض به جهودا مشكورة . واقبال العلماء على هذا الادب كان بدافع ديني وأدبي معا. وكان الغالب على علماء الهند هو الدافع الديني فإنهم تعلموا اللغة العربية وأتقنوها لأنها لغـــة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكذلك درسوا الأدب العربي كي تتسنى لهم خدمة هذين المصدرين الأساسيين للشريعة الاسلامية ، وفي نفس الوقت اعتنت طبقة منهم بهذا الأدب بدافع أدبي بحت ، فإنها خلال دراستها له اطلعت على النماذج الرائعة والتعبير الفني الذي يجذب القلوب ويمتع الأبصار، فمكرت فيه من الناحية الأدبية أيضا ، وجعلته موضع عنايتها ، وحاولت ابراز محاسنه لعامة الناس واستجلاء دقائقه للمثقفين . ومساهمة العلماء هذه كانت عبر القرون الماضية ، وقد نوه بها علماء العرب الأفاضل ، وأبدوا اعجابهم وتقديرهم لانتاج العلماء الهنود في فنون الأدب المتنوعة ، ومثل هذه الشهادة لا يستهان بها أبدا ، لأنها صادرة من الناطقين بالضاد لغير الناطقين بها .

والمساهمة المذكورة متمثلة في أعمال الشخصيات العلمية البارزة ، وخدمات المؤسسات التعليمية من المدارس الاسلامية والجامعات العصرية ، ومراكز البحوث ودوائر المعارف التي نراها منتشرة في أرجاء الهنـــد الواسعة . وهذه الأعمال والخـــدمات متنوعة كثيرة لا يمكن أن يعرف بها ويسلط الضوء على جوانبها

واحد أو اثنان من الكتاب والباحثين ، بل الموضوع فى حاجة إلى جهود جماعية وهمم عالية وتخطيط محكم . ونحن ننوه هنا بالدراسات التى اتجهت إلى التعريف بالخدمات المذكورة على سبيل الاجمال ، فإنهـا تعتبر رائدة فى هذا المجال ، ولكن نبدى شعورنا فى نفس الوقت إلى الدراسات التفصيلية التى يلتزم فيها الباحث بتسليط الضوء على ناحية معينة من نواحى المساهمـة المشار إليها بأن يختار شخصية علمية أو مؤسسة تعليمية ، ثم يتكلم بتفصيل عن الدور الذى قامت به ، ويدل على الآثار التى ترتبت على الجهود التى بذلتها .

ومما تجدر الاشارة إليه أن الباحثين المعاصرين قد اتجهوا إلى سد الفراغ الذى أشرنا إليه ، وبدأوا يعدون الدراسات التفصيلية حول خدمة علماء المسلمين الهنود للغة العربية وآدابها بحيث تركزت هذه الدراسات حول موضوع معين ، واتجهت اتجاه التفصيل فى التعريف وليس اتجاه الاجمال . ونذكر على سبيل المثال الدراسة التى قدمها الدكتور زبير أحمد الفاروقى رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليـة الإسلامية بدلهى عن « مساهمة دار العلوم بديوبند فى الأدب العربى حتى عام ١٤٠٠هـ » .

وكتابه المذكور يحتوى على خمسة أبواب سوى المقدمة والخاتمة ، والترتيب الذى اختاره الدكتور الفاروقى لكتابه يمتاز باستقصاء جميع الآثار العلمية التى أنتجها علماء دار العلوم تحت أبواب وفصول مختلفة . فالباب الأول يحتوى على فصول خمسة تلقى الضوء على المؤلفات ، والمقدمات والتقـاريظ ، والمحاضرات والرسائل ، والمقالات ، والتراجم .

والبـاب الثانى مخصص للكلام على القصائد والمراثى . والقصائد تتنـاول موضوعات الحمد والمناجاة ، والمديح النبوى ، والمدح ، والوصف ، والترحيب

والتهنئة ، والمواعظ والحكم وهكذا .

والباب الثالث تعرف بكتب اللغة والنحو والصرف .

والباب الرابع يلقى الضوء على الشروح والتعليقات .

والباب الخامس يتناول بالتعريف الآثار العلمية التى تركها علماء دار العلوم فى علوم التفسير والحديث والفقه والعقائد والكلام والسلوك والتصوف باللغة العربية .

وبعد الخاتمة أورد المؤلف تراجم الأعلام البارزة وفهرس مؤلفات علماء دار العلوم باللغة العربية .

ومقدمة الكتاب استغرقت نحو ١٨ صفحة ، وقد ألقى فيها الدكتور الفاروقى الضوء على علاقة الهند مع العالم العربى ، وعلى مساهمة العلماء الهنود فى الأدب العربى ، ثم أشار إلى من لهم سبق وأولية فى هذه المساهمة ، وكذلك إلى الأعمال العلمية التى خلفوها للأجيال التالية ، وخلدت بها أسماؤهم فى تاريخ العلم والأدب .

ويجدر بالتنويه أن المؤلف قد أشار فى السرد التاريخى الى الفرق الملموس بين الحركة العلمية فى العهد الاسلامى وفى العهد الانكليزى ، وبيّن أن غزو الانكليز للهند لم يكن سياسيا فقط ، وانّما كان ثقافيا أيضا ، وبذلك كان يهدف الى القضاء على الثقافة الدينية الاسلامية بوجه خاص ، ثم الى اضعاف الروح الدينية فى نفوس المسلمين .

وبعد استعراض الأحوال السياسية للهند زمن الحكم الانكليزى نوه المؤلف بتأسيس دار العلوم وذكر أهدافها ومنهجها الدراسى وأجمل الكلام عن

المجالات التى ترك فيها علماء دار العلوم آثارهم العلمية والأدبية .

وفى بداية الباب الأول الخاص بالنثر أورد الدكتور الفاروقى تعليلا لقلة آثار علماء الدار فى مجال النثر الأدبى الانشائى ، فقال :

« الواقع أن السبب الرئيسى لهذا الأمر هو أن هؤلاء العلماء رأوا أن المواضيع الرئيسية للنثر العربى الأدبى أى القصة والرواية والتمثيلية لا تليق وشأنهم ، ولذلك فإنهم ركزوا جل عنايتهم فى النثر على المواضيع الدينية والعلمية الخ . »

وعسى أن يحمل هذا التوجيه فى طيه اجابة على الذين يأخذون على المدارس الاسلامية فى الهند قبل النهضة العلمية المعاصرة بأن خريجيها لايجيدون التكلم باللغة العربية ، ولا يحسنون الكتابة فيها ، ولا يعتنون بتذوق الأدب العربى . فلا شك أن هذا النقص موجود فى طلاب هذه المدارس الاسلامية ، ولكنه لا يضر بأهدافها كثيرا ، ومما يبشر بالخير أن هذه المدارس بذلت عنايتها فى نهضتها المعاصرة بسد الفراغ القائم فى مجال التكلم والكتابة باللغة العربية .

وكما ان المؤلف توخى الدقة والاستيعاب فى التعريف بآثار العلماء ، فكذلك انه التزم بايراد أمثلة ونماذج من هذه الآثار حتى تحصل للقارىء فكرة واضحة عنها فيتذوقها ويقومها ويحاكيها إذا استطاع ، فهذا هو فائدة الاطلاع على الآثار العلمية ودراستها .

وفى ختام هذه السطور أقدم إلى الدكتور الفاروقى تهنئة مخلصة على دراسته القيمة عن دار العلوم التى تخرج فيها ، انه رد الجميل بالجميل ، وأفاد القراء العرب بمعلومات نافعة ، وعرف بكثير من الأبحاث والمؤلفات التى قد

تطوى فى ثنايا التاريخ. والأمل أن هذه الدراسة تكون حافزة لأصحاب المدارس الاسلامية الأخرى فينشطون فى تسجيل تاريخها والتعريف بآثارها والتنويه بعلمائها وبخدماتهم التى قاموا بها فى مجال التدريس والتأليف والدعوة وما إلى ذلك، والله الموفق.

والكتاب يقع فى ٢٧٦ صفحة بالقطع المتوسط، وقد ظهرت طبعته الأولى فى عام ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م، والتزمت بطبعه ونشره دار الفاروقى للطباعة والنشر فى دلهى الجديدة؟

حركة الانطلاق الفكرى

تأليف : العلامة محمد اسماعيل السلفى (١٣١٤—١٣٨٧هـ)

ترجمة : الدكتور مقتدى حسن الأزهرى

كتاب قيم قلما يطلع مثله. حاول المؤلف فى هذا السفر أن يوضح السلفية عبر العصور ويتتبع السلفيين فيها بايجاز، ثم تطرق إلى الهند فأبان عما كان فيها من الجمود والحزبية قبل الشاه ولى الله، وكشف الآثار التى ترتبت على جهوده المتواصلة من انطلاق فكرى وعودة إلى الكتاب والسنة وقد استدل على بيانه بمقتطفات من وصاياه المديدة.

ورد على أولئك الذين يدعون أن السلفية لم تكن موجودة قبل هذا العصر وأتى بدلائل تأريخية من كتب الحنفية الفقهية التى اختارت اتجاه السلفية فى أمور عديدة لم توفق المذاهب الفقهية الأخرى لتوضيحها.

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧)
العدد العاشر

جمادى الأولى ١٤١٦ ھ
أكتوبر ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة
بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,
B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi - 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA
B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٣٦ دولارا (بالبريد الجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٢١١٦/٣٢٠٩٥٨ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبى ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحيـــة :

هل تتكرر مأساة المسجد البابری ؟

◎ خبر فی جريدة محلية يفيـــد بأن أعضاء منظمة « وشو هندو پریشد » والمنظمات المواليـــة لها تجمعوا قرب مسجـــد گیان واپی فی بنـــارس ، وقاموا بأداء طقوس دينية من قراءة الأناشيد و تقـديم ماء الغنغ الى تمثال الاله « وشو » وذلك فی يوم الاثنين ١٧/٧/٩٥م وفق برنامجهم المحـــدد . ويتكرر هذا التجمع وأداء الطقوس الدينية كل يوم الاثنين من الشهر السادس فی التقويم الهندوسی وهو يصادف شهر يوليو .

وهذه المناسبة معروفة فی الديانة الهندوسية ، ولكن التجمع عند مسجد معين و القيـام بالأعمال التعبدية التی لم تـكن تمارس من قبل فی هذا المكان وبهذه الصورة الاستفزازية يثير القلق ، و يحمل علی التساؤل . ومما يدل علی كون التجمع غير معهود هو أن السلطة المحلية عينت مجموعة من البوليس والجيش للحفاظ علی المسجد الذی تجمع حوله الهنـــدوس فی المناسبـة المذكورة ، ومن المؤسف أن السلطـة منعت المسلمين من أداء صلاة الفجر صبيحـــة الاثنين ١٧/٧/٩٥م ، حينما سمحت للهندوس بالقيام بما يريدون فی ذلك المكان المتنازع فيـــه . والغريب أن المسلمين فی مدينة بنارس لم يعرفوا شيئا مما جری فی اليوم المذكور عند المسجد ، وكذلك لم تعرف اللجنة المتكونة من الأعضاء المسلمين والمكلفة ببذل الجهد للحفاظ علی المسجد ، شيئا مما وقع فی ذلك اليوم من منع صلاة الفجر والسماح للهندوس بأداء طقوسهم الدينية !

ومثل هـذه الأحداث قد لا تكون مثار قلق وريبة فى عامة الأحوال، ولكن تصريحات زعماء وشو هندو پريشد الاستفزازية، وتهديدهم المستمر بتحويل المسجد الى المعبد، و أعمالهم العدوانية فى أيودهيا، وهدمهم المسجد البابرى هناك، ثم نشوب الاضطرابات الطائفية، ضد المسلمين فى عديد من مدن الهند، كل ذلك يثير القلق، ويخيف من تكرر مأساة المسجد البابرى، وخاصة اذا لاحظنا أن التظاهر بالاستعداد التام للحفاظ على المسجد كان موجودا فى ذلك الوقت أيضا كما نراه الآن، و المحكمة كانت قد أصدرت قضائها بخصوص الحفاظ على المسجد، وكذلك كانت الحكومة المركزية قد تعهدت بذلك وأكدت الوعد، ولكن المسجد قد هدم فى وضح النهار، والى الآن لم يتم بناؤه من جديد وحيث ان الأوضاع والخطوات السابقة تتكرر من جديد فى مدينة بنارس فان تزايد الخوف والقلق فى المسلمين ليس فى غير محله.

وقد كتبت جريدة آواز ملك المحلية فى افتتاحيتها يوم ١٨/٧/٩٥م أن أداء الطقوس الدينية فى معبد وشوناتهم فى بنارس (الواقع بجوار مسجد گيان واپى) ليس شيئا جديدا يتخوف منه، ولكن محاولة أعضاء وشو هندو پريشد و شيو سينا لممارسة هـذه الطقوس خارج المعبد المذكور وفى فناء المسجد فى تجمع كبير وبصورة استفزازية تحمل على القلق. ومثل هذه الممارسة لم تكن معهودة فى السابق، فقد منعتها السلطة بشدة، ولكنها فى نفس الوقت منعت المسلمين أيضا من أداء صلاة الفجر، وهذا الموقف فيه نوع من التشجيع المتطرفين الذين يحدثون مثل هـذه المشاغبات حتى يتطرقوا خلالها إلى هدم المسجد، لا قدر الله.

و نظرا الى اعلان وشو هندو پريشد عن القيـــام بأداء الطقوس الدينية قرب المسجـــد وفى فنائه كل يوم الاثنين من شهر يوليو ، والى سماح سلطة المديرية بذلك مع الاعتراف بأن مثل هذه الممارسات لم تكن معهودة فى السابق أبدت لجنة ادارة المساجد قلقها نحو ما يجرى قرب المسجد على أيدى المتطرفين ، وانها قـــد صرحت بأن وشو هندو پريشد تعتزم على هدم المسجد ، ومن هنا قدمت اللجنـــة مذكرة إلى محافظ الولاية قالت فيها ان الممارسات غير المعهودة قرب المسجـــد تثير قلق المسلمين ، والهتافات الاستفزازيـــة التى أطلقتها جموع المتطرفين تكشف عن نواياهم السيئـــة ، وحضور المستر أشوك سنغل ، الأمين العام لوشو هندو پريشد الذى يعرف بموقفه العدائى للمسلمين ، فى هذه الممارسات يزيد المسلمين قلقا ، ومن هنا نطالب الحكومة الاقليمية باتخاذ الاجراءات الجدية التى تضمن حماية المسجد وطمأنة المسلمين .

محاولة المتطرفين انتهاك حرمة مسجد آخر

نشرت جريدة آواز ملك الصادرة من بنارس فى عدد ١٤/ أغسطس ١٩٩٥م خبرا ورد فيـه : أن المدعو (گرى راج كشور) الأمين العام المساعد لوشو هندو پريشد أعلن فى حديث صحفى أدلاه فى ١٢/٨/٩٥م أن منظمته تعقد اجتماعا تعبديا فى فناء كلية فى مدينـــة متهرا التى تقع فى ولاية يوپى الغربية ، وذلك لتحرير مولد الاله (المزعوم) كرشن . وانها لا تخضع فى ذلك لاقتراح حزب بهارتيـــه جنتا الذى يطلب عدم عقد الاجتماع المذكور ، وانها لا تبالى بالحكومة الاقليمية التى تألفت بمساعدة الحزب المذكور .

وأضاف كشور : أن المسجد البابرى فى أيودهيا انما هدم بسبب تصرف الحكومـــة الخاطئ ومواقفها الماكرة . وقال : ان الحكومـــة الاقليمية فتقد

التجمع المذكور بإشارة من الحكومة المركزية ، وبعد زيارة محافظ الولاية موتى لال لمدينة متهرا . وقال ان منظمات : وشو هندو پریشد ، و بجرنگ دل ، ودرگا واهنى اعتبرت حظر الحكومتين الاقليمية والمركزية التجمع تحديا ، وقررت قبول هذا التحدى .

ومن ناحية أخرى اتهم الناسك (سوامى پرم سروپ) المسئول عن ملحا (سجى رام) فى مرى دوار ، التجمع المذكور بأنه حيلة انتخابية . وأضاف : ان التجمع التعبدى ينعقد بنية سليمة ، والتجمع الذى يعقد بأفكار مشتتة ليس الا احراق الحطب .

تصريح رئيس وزراء الهند السابق المستر چندر شيكهر

حذر اليوم (١٣/٨/٩٥م) المستر چندر شيكهر بأن القوى الطائفية تسعى بمساعدة حكومة يو پى الاقليمية و نتيجة اغماض الحكومة المركزية ، أن تدفع البلاد الى الوضع القائم فى ١٩٩٢/١٢/٦م ، وطالب الحكومة المركزية ببذل الجهد كى لا تتدهور الأوضاع ولا يتكرر الخطأ السابق .

وقد جاء هذا التصريح فى الوقت الذى تستعد فيه وشو هندو پریشد لعقد اجتماع تعبدى فى مدينة متهرا من ١٥/٨/٩٥م لتحرير مولد الاله كرشن ، ولكن الحكومة الاقليمية تظاهرت بالحظر على هذا التجمع .

وقد وجه المستر چندر شيكهر فى تصريحه المعنون بـ « خطر السلام الطائفى » نقدا لاذعا الى (وشو هندو پریشد) ومنظماتها الاخرى فقال : إن هذه المنظمات تسعى الى افساد جو التفاهم بين الطوائف والفرق على أساس مسجد گيان واپى فى بنارس ، و مسجد المصلى الملكى فى متهرا . وقد أهاب المستر شيكهر بجميع الطبقات الواعية فى المجتمع لرفع الصوت ضد جهود التفريق بين المواطنين ،

ولالجاء الحكومة الى اتخاذ خطوات جادة لايجاد حل سليم للشكلة القائمة .

وقد أشار رئيس الوزراء السابق بتفصيل الى أخطاء الحكومة المركزية التى ارتكبتها وقت هدم المسجد البابرى ، ثم أبدى ثقته بأن الأطراف المعنية تحاول حل المشكلة فى جو المودة والتفاهم ، و تتجنب الطرق المؤدية الى الصدام .

وقد صرح المستر شيكهر بأن المسجد البابرى انما تم هدمه فى عام ١٩٩٢م لمؤامرات حكومة حزب بهارتيه جنتا الاقليمية وبسبب سكوت الحكومة المركزية .

وقال : ان الحكومة الاقليمية لولاية يو بى كانت لها مساهمة قوية فى هدم المسجد مع أنها كانت قد تعهدت أمام المحكمة العليا بأنها تحافظ على المسجد ، ولكن الغريب أنها ساعدت فى هدم المسجد ، و قبلت علنا مسئولية هذا الهدم ، و استغلت هذه الفعلة الشنيعة الوحشية للأغراض السياسية !

أما الحكومـــة المركزية فانها أغمضت عيونها عن هذه المشكلة فى ذلك الوقت ، و التزمت الصمت الكامل نحو ٤٨ ساعـــة . ثم أعلن رئيس الوزراء المستر نرسمها راؤ فى خطابه من على القلعـــة الحمراء أنه يعيد بناء المسجد فى مكانه السابق ! ولكن المؤلم أن المستر راؤ لم يتخذ خطوة للوفاء بالوعد المذكور . و أضاف : أن التزام الصمت فى مثل هذه الأوضاع لا يؤدي الا الى تشجيع القوى المتطرفة ، و لذلك نرى أن هذه القوى تحاول اعادة تلك المأساة فى متهرا و بنارس .

(آواز ملك ، بنارس ، عدد ١٩٩٥/٨/١٤ م)

تهديد واستفزاز

فى ولاية مهاراشترا وفى عاصمتها بومباى توجـــد منظمـــة للمتطرفين باسم (شيو سينا) أى جيش الاله « شيو » . وللمنظمة جريدة تسمى « سامنا » . وتمتاز

هـــذه الجريدة بالعداء السافر ضد الاسلام و المسلمين ، حتى ان المطلع على منشوراتها لا يصدق أن الجريدة تصدر فى دولة تدعى العلمانيـة و الديمقراطية ، و تعيش فيها أقليات دينية عديدة . و ليست الجريدة فى موقفها العدائى المذكور خارجة على سياسة المنظمة ، بل انها تتبع فى ذلك الخطة التى رسمتها لها المنظمة ، فان تأسيس المنظمة لا يهدف الا الى بذل الجهود لتحويل الهند « العلمانية » الى دولة هندوسية متطرفة لا يكون فيها مكان لغير الهندوسيين ، والى معاداة الاسلام والمسلمين معاداة لا يعرف لها نظير ، ولا يوجـــد لها تبرير فى تاريخ الخلاف والمشاجرة فى العالم . والمنظمـة بدأت تنفذ خطتها المذكورة على مستوى الولاية أولا ، ثم انها تتمنى توسيعها على مستوى الهنـــد كلها ، وقد نفذت فعلا بعض أجزاء سياستها فى ولايـة مهاراشتر بالنسبة للسلمين ، وذلك باثارة الاضطرابات الطائفية و الاشتباكات فى مدينـــة بومباى ضد المسلمين ، و حاولت طردهم منها بحجـــة أنهم جاؤا من مدن الهنـــد الأخرى ، وسيطروا على تجارة المدينـــة ، وحرموا بذلك سكان العاصمة الاقليمية كثيرا من الفرص فى التجارة والصناعة ، وضيقوا عليهم سبل الحياة الكريمة و الحصول على لقمـــة العيش . وحيث ان المنظمة نجحت فى تنفيذ سياستها فى مدينـــة بومباى ، فانها تحلم بعد ذلك نجاح هذه السياسة على مستوى الهند !

ويرأس المنظمة المذكورة متطرف يدعى (بال ٹهاكرے) ويكفى لمعرفـــة اتجاهاته ضد الاسلام والمسلمين أنه قد صرح بعـــد مأساة المسجد البابرى بأنه لو ثبت أن المسجد قد تم هدمه على أيدى أعضاء منظمته فانه يفتخر بذلك دون تأسف واعتذار !

(البقية على الصفحة ٣٥)

الحجة البيضاء فى حماية السنة الغراء
من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء

(٣)

بقلم : الدكتور ربيع بن هادى عمير المدخلى

أهل البدع أولى بالنقد والتحذير من الرواة لأن خطرهم وضررهم أشد من أى ضرر وخطر ولذا أجمع العلماء على مشروعية نقدهم ، بل وجوبه

١ — قول ابن الجوزى

قال ابن الجوزى : (قال أبو الوفاء على بن عقيل الفقيه : قال شيخنا أبو الفضل الهمدانى : مبتدعة الإسلام ، والوضاعون للأحاديث أشد من الملحدين ، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج ، وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل ، فهم كأهل بلد سعوا فى إفساد أحواله ، والملحدون كالحاصرين من الخارج ، فالدخلاء يفتحون الحصن ، فهم شر على الاسلام من غير الملابسين له)[1].

(١) الموضوعات ١ / ٥١

٢ – قول الحافظ المقدسى

وقال الحافظ تقى الدين أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى رحمه الله فى أهل البدع :

(واعلم رحمك الله أن الاسلام وأهله أتوا من طوائف ثلاثة :

١ – فطائفة ردت أحاديث الصفات ، وكذبوا رواتها ، فهؤلاء أشد ضررا على الاسلام وأهله من الكفار .

٢ – وطائفة قالوا : بصحتها وقبولها ثم تأولوها ، فهؤلاء أعظم ضررا من الطائفة الأولى .

٣ – والثالثة : جانبوا القولين الأولين ، وكانوا أعظم ضررا من الطائفتين الأولين)[1].

٣ – قول شيخ الاسلام ابن تيمية

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ذاكرا من يجوز ذمه من الأنواع، وليس ذلك من الغيبة ، كالكافر، والفاجر، والفاسق ، والظالم، والغوى ، والضال ، والحاسد . . .

إلى أن قال :

(وأما الشخص فيذكر ما فيه من الشر فى مواضع) .

و ذكر منها : المظلوم يذكر ظالمه بما فيه ، وساق الأدلة على ذلك ، ثم قال :

(ومنها : أن يكون على سبيل النصيحة للسلمين فى دينهم و دنياهم ، كما فى الحديث الصحيح عن فاطمة بنت قيس لما استشارت النبى ﷺ من تنكح ؟ . قالت : إنه خطبنى معاوية وأبوجهم ، فقال : « أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبوجهم فرجل ضراب للنساء » .

(١) عقيدة الحافظ عبد الغنى (ص ١٢١)

فكان هذا نصحاً لها وإن تضمن ذكر عيب الخاطب.

وفى معنى هذا نصح الرجل فيمن يعامله، ومن يوكله، ومن يوصى إليه، ومن يستشهده، بل ومن يتحاكم إليه، وأمثال ذلك.

وإذا كان هذا فى مصلحة خاصة فكيف بالنصح فيما يتعلق به حقوق عموم المسلمين من الأمراء، و الحكام، و الشهود، و العمال أهل الديوان وغيرها، فلا ريب أن النصح فى ذلك أعظم، كما قال النبى ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟. قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

ثم تحدث عن وجوب الكلام فى نقلة الحديث، الذين يغلطون، أو يكذبون، و أنه من باب المصالح الدينية العامة و الخاصة.

ثم ثنى بالكلام على أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب و السنة، فقال:

(فإن بيان حالهم، و تحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم و يصلى و يعتكف أحب إليك، أو يتكلم فى أهل البدع؟. فقال: «إذا صام و صلى و اعتكف فإنما هو لنفسه، و إذا تكلم فى أهل البدع فإنما هو للمسلمين».

فتبين أن نفع هذا عام للمسلمين فى دينهم، من جنس الجهاد فى سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله، ودينه، و منهاجه، وشرعته، ودفع بغى هؤلاء وعدوانهم على ذلك، واجب على الكفاية باتفاق المسلمين.

ولو لا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا

القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء.

وأعداء الدين نوعان : الكفار والمنافقون.

وقد أمر الله بجهاد الطائفتين فى قوله :

﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ فى آيتين من القرآن.

فإذا كان أقوام منافقون ، يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب ، ويلبسونها على الناس ، ولم تبين للناس ، فسد أمر الكتاب ، وبدل الدين ، كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذى لم ينكر على أهله)[١].

٤ — قول الحافظ ابن رجب الحنبلى

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله :

(إعلم أن ذكر الإنسان بما يكره محرم ، إذا كان المقصود منه مجرد الذم ، والعيب ، والنقص.

فأما إذا كان فيه مصلحة لعامة المسلمين ، أو خاصة لبعضهم ، وكان المقصود به تحصيل تلك المصلحة ، فليس بمحرم ، بل مندوب إليه.

وقد قرر علماء الحديث هذا فى كتبهم فى الجرح والتعديل ، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة ، وردوا على من سوى بينهما من المتعبدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه.

ولا فرق بين الطعن فى رواة ألفاظ الحديث ، ولا التمييز بين ما تقبل روايته منهم ومن لا تقبل ، وبين تبيين خطأ من أخطأ فى فهم معانى الكتاب والسنة ، وتأول شيئاً منها على غير تأويله ، وتمسك بما لا يتمسك به ، ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل : (٥/١٠٩—١١٠).

وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضاً .

ولهذا تجد فى كتبهم المصنفة فى أنواع العلوم الشرعية من : التفسير ، وشروح الحديث ، والفقه ، واختلاف العلماء ، وغير ذلك ، ممتلئة من المناظرات ، وردّوا أقوال من تضعف أقواله من أئمة السلف والخلف ، من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، ولم يترك ذلك أحد من أهل العلم ، ولا ادعى فيه طعناً على من رد عليه قوله ، ولا ذماً ، ولا نقصاً . . . اللهم إلا أن يكون المصنّف ممن يفحش فى الكلام ، ويسىء الأدب فى العبارة ، فينكر عليه فحاشته وإساءته ، دون أصل رده ومخالفته ، إقامة بالحجج الشرعية ، والأدلة المعتبرة .

وسبب ذلك : أن علماء الدين كلهم مجمعون على قصد إظهار الحق ، الذى بعث الله به رسوله ﷺ ، وأن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمته هى العليا .

وكلهم معترفون بأن الإحاطة بالعلم كله من غير شذوذ شىء منه ليس هو مرتبة أحد منهم ، ولا ادعاه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين .

فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم ، يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيراً ، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر فى غير قولهم ، كما قال عمر رضى الله عنه فى مهور النساء ، وردت المرأة بقوله تعالى :

﴿ وآتيتم إحداهن قنطارا ﴾(١) .

فرجع عن قوله ، وقال : «أصابت امرأة ورجل أخطأ» .

وروى عنه أنه قال : «كل أحد أفقه من عمر» .

---

(١) النساء : ٢٠

وكان بعض المشهورين إذا قال فى رأيه بشيء يقول : « هذا رأينا ، فمن جاءنا برأى أحسن منه قبلناه » .

وكان الشافعى (١٥٠–٢٠٤ هـ) يبالغ فى هذا المعنى ، و يوصى أصحابه باتباع الحق ، و قبول السنة إذا ظهرت لهم على خلاف قوله ، و أن يضرب بقوله حينئذ الحائط ، وكان يقول فى كتبه : لابد أن يوجد فيها ما يخالف الكتاب أو السنة ، لأن الله تعالى يقول :

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ . . .

فحينئذ فردّ المقالات الضعيفة ، وتبيين الحق فى خلافها بالأدلة الشرعية ، ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء ، بل مما يحبونه و يمدحون فاعله ، ويثنون عليه فلا يكون داخلا فى باب الغيبة بالكلية .

فلو فرض أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق ، فلا عبرة بكراهته لذلك ، فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفاً لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة .

بل الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق و معرفة المسلمين له ، سواء كان فى موافقته أو مخالفته .

و هذا من النصيحة لله ، و لكتابه ، و رسوله ، و دينه ، و أئمة المسلمين ، و عامتهم ، و ذلك هو الدين ، كما أخبر به النبى ﷺ .

وأما بيان خطأ من أخطأ من العلماء قبله ، إذا تأدب فى الخطاب ، وأحسن الرد و الجواب ، فلا حرج عليه ، ولا لوم يتوجه إليه ، وإن صدر منه من الاغترار[1] بمقالته فلا حرج عليه .

---

(١) كذا .

وقد كان بعض السلف إذا بلغه قول ينكره على قائله يقول: «كذب فلان».

ومن هذا قول النبي ﷺ «كذب أبو السنابل» لما بلغه أنه أفتى: أن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا لا تحل بوضع الحمل، حتى تأتى عليها أربعة أشهر وعشراً.

وقد بالغ الأئمة الورعون فى إنكار مقالات ضعيفة لبعض العلماء، وردها أبلغ الرد، كما كان الإمام أحمد ينكر على أبى ثور وغيره مقالات ضعيفة تفردوا بها، ويبالغ فى ردها عليهم.

هذا كله حكم الظاهر.

أما فى باطن الأمر، فإن كان مقصوده فى ذلك مجرد تبيين الحق، ولئلا يغتر الناس بمقالات من أخطأ فى مقالاته، فلا ريب أنه مثاب على قصده، ودخل بفعله هذا بهذه النية فى النصح لله، ورسوله، وأئمة المسلمين، وعامتهم.

وسواء كان الذى بين الخطأ صغيراً أم كبيراً، وله أسوة بمن رد من العلماء مقالات «ابن عباس» التى يشذ بها[1] وأنكرت عليه من العلماء، مثل: المتعة، والصرف، والعمرتين، وغير ذلك.

ثم ذكر:

أن العلماء ردوا مقالات لمثل: سعيد بن المسيب، والحسن، وعطاء، وطاووس، وعلى غيرهم، ممن أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم، ومحبتهم، والثناء عليهم.

---

(١) كذا.

ولم يعد أحـد منهم مخالفوه[1] فى هـذه المسائل طعناً فى هؤلاء الأئمة، ولا عيباً لهم.

وقد امتلأت كتب أئمة المسلمين من السلف والخلف بتبيين هذه المقالات وما أشبهها، مثل: كتب الشافعى، و إسحـاق، وأبى عبيد، وأبى ثور، و من بعدهم من أئمة الفقه و الحديث.

و إما مراد[2] المراد بذلك: إظهـار العيب على من ردّ عليه وتنقصه، و تبيين جهله، و قصوره فى العلم، سواء كان رده لذلك فى وجه من ردّ عليه أو فى غيبته، و سواء كان فى حياته أو بعد موته، وهذا داخل فيما ذمه الله فى كتابه، و توعد عليه، فى الهمز و اللمز، و دخل — أيضاً — فى قول النبي ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تؤذوا المسلمين، لا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته»[3].

وهذا كله فى حق العلماء المقتدى بهم فى الدين.

فأما أهل البدع و الضلالة، و من تشبه بالعلماء و ليس منهم، فيجوز بيان جهلهم، و إظهار عيوبهم، تحذيراً من الاقتداء بهم.

و ليس كلامنا الآن فى هذا القبيل، والله أعلم

(١) كذا.

(٢) كذا.

(٣) أخرجه أحمد: (٤٢٠/٤)، وأبو داود فى الأدب رقم: (٤٨٨٠)، والترمذى، و أبى يعلى فى مسنده بإسناد حسن.
انظر التعليق عليه ص (٣٣) من «الفرق بين النصيحة و التعيير».

ومن عرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله، فإنه يجب أن يعامل بالإكرام، والاحترام، والتعظيم، كسائر علماء المسلمين الذين سبق ذكرهم، وأمثالهم، ومن تبعهم بإحسان.

ومن عرف أنه أراد برده عليهم التنقيص، والذم، وإظهار العيب، فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة، ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة)[١].

أقول:

رحم الله الإمام ابن رجب، وجزاه خيراً على هذا البيان الشافي الوافي، الذي يثلج صدور أهل الحق والسنة، ولا سيما في تفريقه بين العلماء من أئمة الهدى، وبين أهل البدع والضلال والجهل.

ما أحوج طلاب العلم إلى معرفة هذه الأمور، فإننا نعيش اليوم ظروفاً صعبة، لا يفرق فيها بين علماء الحق والسنة، وبين أهل البدع والجهل والضلال.

وبسبب هذا الغبش والخلط بين علماء الدين والحق، وبين دعاة البدع والضلال، وقع الكثير من الشباب المخدوع في هوة الغلو في أهل البدع والضلال، والدفاع عنهم بالباطل، والطعن في أهل السنة، الذين يردون على أهل البدع والضلال، نصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، وتحذيراً للمغرورين والمخدوعين بزخارف أهل البدع، وتمويههم بجعل الحق باطلا، والباطل حقاً.

وإني لأنصح الشباب الذين يريدون وجه الله والدار الآخرة، أن يقرؤا هذا الكتاب: «الفرق بين النصيحة والتعيير»، وما شابهه من كلام

---

(١) انظر ما نقلناه من ص: (٢٥—٣٣).

السلف – رضوان الله عليهم –، ولا سيما كتابات ابن تيمية، وابن القيم، و قراءة جهادهم و نضالهم لنصرة السنة و الحق، و دحض الباطل و البدع و الترهات، التى يدعو إليها أهل البدع و من تولاهم، سواء فى مؤلفات، أو فى مقالات، أو محاضرات، فإن بلاءهم قد عم و طم.

نسأل الله أن يفك أسر المأسورين، و المكبلين بأغلال وقيود أهل الكيد من أهل البدع.

والله يعلم أننا لا نرد على أهل البدع إلا لإنقاذ المخدوعين و المغرورين بأهل البدع و الباطل، فنقابل منهم إما بالنفور و الإعراض عما نكتب، أو بالاتهام الباطل، و إشاعة هذا الاتهام فى صفوف الشباب، لصدهم عن إدراك الحق، حتى يعيشوا فى عماية تامة عن معرفة واقعهم المرير، الذى ساقهم إليه أهل الأهواء.

٥ – قول النووى

الأبواب التى تجوز فيها الغيبة

قال النووى رحمه الله فى: رياض الصالحين[1]:

(باب ما يباح من الغيبة:

إعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعى، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أبواب:

١ – الأول: التظلم

فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان و القاضى و غيرهما، ممن له ولاية

(١) ص: (٥١٩)، وانظر «صحيح الأذكار وضعيفه» للنووى: (٢/٨٣٤).

و قدرة على إنصافه من ظالمه ، فيقول : ظلمني فلان كذا .

٢ ـ الثاني : الاستعانـــة على تغيير المنكر ، ورد العاصي إلى الصواب : فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر : فلان يعمل كذا فازجره عنه ، ونحو ذلك ، و يكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر ، فإن لم يقصـــد ذلك كان حراماً .

٣ ـ الثالث : الاستفتاء

فيقول للمفتي : ظلمني أبي ، أو أخي ، أو زوجي ، أو فلان بكذا ، فهل له ذلك ؟ . وما طريقي في الخلاص منـــه ، و تحصيل حقي ، و دفع الظلم ؟ . و نحو ذلك ، فهذا جائز للحاجة ، و لكن الأحوط و الأفضل أن يقول : ما تقول في رجل ، أو شخص ، أو زوج كان من أمره كذا ؟ . فإنـــه يحصل به الغرض من غير تعيين ، و مع ذلك فالتعيين جائز . كما سنذكره في حديث هند ـ إن شاء الله ـ .

٤ ـ الرابع : تحذير المسلمين من الشر و نصيحتهم

و ذلك من وجوه :

منها : جرح المجروحين من الرواة والشهود ، وذلك جائز بإجماع المسلمين ، بل واجب للحاجة .

ومنها : المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته ، أو إيداعه ، أو معاملته ، أو غير ذلك ، أو مجاورته .

و يجب على المشاور أنـــه لا يخفي حاله ، بل يذكر المساوىء التي فيـــه بنية النصيحة .

ومنها : إذا رأى متفقهاً يتردد إلى مبتـــدع أو فاسق يأخذ عنه العلم ،

و يخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، و هـذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، و يلبس الشيطان عليه ذلك و يخيل إليه أنه نصيحة، فليتفطن لذلك.

و منها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجههـا، إما أن لا يكون صالحاً لها، وإما أن يكون فاسقا ومغفلا، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامـة، ليزيل و يولى من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى فى أن يحثه على الاستقامة، أو يستبدل به.

٥ ـ الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته

كالمجاهر بشرب الخمر، و مصادرة الناس و أخذ المكس، و جباية الأموال ظلماً، و تولى الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، و يحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

٦ ـ السادس: التعريف

فإن كان الإنســان معروفاً بلقب، كالأعمش، و الأعرج، و الأصم، و الأعمى، و الأحول، و غيرهم، جاز تعريفهم بذلك، و يحرم إطلاقه على وجه التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء، و أكثرها مجمع عليهـا، دلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة).

٦ ـ قول الشاطبي

وقال الشاطبي رحمه الله:

(فإن فرقة النجاة ـ وهم أهل السنة ـ مأمورون بعداوة أهل البدع،

و التشريد بهم ، و التنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه .

و قد حذر العلماء من مصاحبتهم و مجالستهم ، و ذلك مظنة إلقاء العداوة و البغضاء .

لكن الدرك فيها على من تسبب في الخروج عن الجماعة بما أحدثه من اتباع غير سبيل المؤمنين ، لا على التمادى مطلقاً ، فكيف و نحن مأمورون بمعاداتهم ، وهم مأمورون بموالاتنا و الرجوع إلى الجماعة)[١] .

وقال أيضاً :

(حين تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها ، و تزينها في قلوب العوام ، ومن لا علم عنده ، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس ، وهم من شياطين الإنس ، فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدع و الضلالة ، و نسبتهم إلى الفرق إذا قامت الشهود على أنهم منهم .

فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم ، و التشريد بهم ، لأن ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم و التنفير منهم ، إذا كان سبب ترك التعيين و الخوف من التفرق و العداوة .

ولا شك أن التفرق بين المسلمين ، و بين الداعين إلى البدعة وحدهم — إذا أقيم عليهم — أسهل من التفرق بين المسلمين و بين الداعين ، و من شايعهم و اتبعهم .

و إذا تعارض الضرران فالمرتكب أخفهما و أسهلهما ، و بعض الشر أهون من جميعه ، كقطع اليد المتآكلة ، إتلافها أسهل من إتلاف النفس .

---

(١) الاعتصام : (١٢٠/١) .

و هذا حكم الشرع أبداً: يطرح حكم الأخف و قاية من الأثقل)[١].

٧ — قول العلامة الشوكانى

و قال العلامة محمد بن على الشوكانى — رحمه الله —، فى تفسير قول الله تعالى:

﴿ و لئن اتبعت أهوآءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾[٢].

(فيه من التهديد العظيم، و الزجر البليغ، ما تقشعر له الجلود، و ترجف له الأفئدة.

وإذا كان الميل إلى أهوية المخالفين لهذه الشريعة الغراء، والملة الشريفة، من رسول الله — ﷺ — الذى هو سيد ولد آدم، يوجب عليه أن يكون — و حاشاه — من الظالمين، فما ظنك بغيره من أمته؟. وقد صان الله هذه الفرقة الإسلامية بعد ثبوت قدم الإسلام، و ارتفاع مناره، أن يميلوا إلى شيء من أهل الكتاب، ولم تبق إلا دسيسة شيطانية، ووسيلة طاغوتية، وهى:

ميل بعض من تحمل حجج الله إلى هوى بعض طوائف المبتدعة، لما يرجوه من الحطام العاجل من أيديهم، أو الجاه لديهم، إن كان لهم فى الناس دولة، أو كانوا من ذوى الصولة.

و هذا الميل ليس بدون ذلك الميل، بل اتباع أهوية المبتدعة تشبه اتباع أهوية أهل الكتاب، كما يشبه الماء الماء، و البيضة البيضة، و التمرة التمرة.

---

(١) الاعتصام: (٢/٢٢٨–٢٢٩).

(٢) البقرة: ١٤٥

وقد تكون مفسدة اتباع أهوية المبتدعة أشد على هذه الملــة من مفسدة اتباع أهوية أهل الملل، لأن المبتدعــة ينتمون إلى الإسلام، و يظهرون للناس أنهم ينصرون الدين، و يتبعون أحسنه، وهم على العكس من ذلك، و الضد لما هنالك، فلا يزالون ينقلون من يميل إلى أهويتهم من بدعة إلى بدعة، ويدفعونه من شنعة إلى شنعــة، حتى يسلخوه من الدين، و يخرجوه منــه، وهو يظن أنه منه فى الصميم، و أن الصراط الذى عليه هو الصراط المستقيم.

هذا إن كان فى عداد المقصرين، و من جملة الجاهلين.

وإن كان من أهل العلم و الفهم المميزين بين الحق و الباطل، كان فى اتباعه لأهويتهم ممن أضله الله على علم، و ختم على قلبه، وصار نقمة على عباد الله، و مصيبة صبها الله على المقصرين، لأنهم يعتقدون أنه فى علمــه و فهمه لا يميل إلا إلى الحق، ولا يتبع إلى الصواب، فيضلون بضلاله، فيكون عليــه إثمه، و إثم من اقتدى به إلى يوم القيامة.

نسأل الله اللطف و السلامة و الهداية)[١].

فانظر أخى كيف اتفقت كلمــة هؤلاء العلمــاء، الذين تعمقوا فى معرفة البدع، و دراستها، و معرفــة أضرارها، و أخطارها، فأدركوا بثاقب بصرهم و ذكائهم:

أن أهل البدع أشد ضررا على المسلمين فى دينهم من أعداء الله الكفار الصرحاء، و من الملاحدة.

و أشد ضررا من إبليس.

---

(١) فتح القدير: (١٢٣/١).

وأنهم من شياطين الإنس ، كما يقول الشاطبي رحمه الله .

و السر فى خطورتهم أنهم يلبسون لباس الإسلام ، فيسهل عليهم اصطياد المسلمين ، و مخادعتهم ، و إيقاعهم فى هوة البدع ، و تقليب الأمور و الحقائق عليهم ، بجعل الحق باطلا ، و الباطل حقاً ، و البدعة سنة ، و السنة بدعة .

وقد يتسببون فى إدخال أناس فى الكفر والنفاق و الزندقة ، كما هو واقع كثير من أصناف المبتدعة ، لا سيما الروافض وغلاة الصوفية . بخلاف الكفار ، فإن نفوس المسلمين تنفر منهم ، ولا تنخدع بحيلهم ودعاياتهم ، اللهم إلا أهل البدع ، فإنهم بحكم انحرافهم و زيغهم تميل نفوسهم إلى الكفار ، ولا سيما الروافض ، و غلاة الصوفية ، و التأريخ و الواقع يشهدان بذلك .

اللهم احفظ المسلمين من مكايد الكفار والزنادقة والملاحدة ، ومن مكايد المبتدعة ، و اكلأهم برعايتك و حفظك ، إنك لسميع الدعاء .

(للبحث صلة)

شيء من شيء

إذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق ، وأبغضهم وجفاهم ، وهنا يصير شيطانا .

● ● ●

الأمة الإسلامية مطالبة بتصحيح عقيدتها
والإعلام يتحمل مسئولية ذلك

عن أثر العقيدة الإسلاميــة فى حيـاة الأمة وعن أكبر التحديات التى تواجهها وعن الصحوة الاسلاميـة و ترشيدها وعن فكر العلمـانيين واتهامه للإسلام وتشكيكه فى مصداقيتـه وعن الاسلام والغرب مصالحة أم صدام وعن الإعلام وأثره فى تعبئـة العقول وعن السبيل لأسلمــة الأوضـاع المختلفــة وعن الخلافات الموجودة بين الفصائل العاملة فى حقل الدعوة الاسلامية وعن رؤية إسلامية لوضع أرضية مشتركة للؤسسات الدعوية وعن عدة الداعية والفقـه اللازم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، عن هـذه القضايا التى تمس واقع الأمة الاسلاميـة كان « للعالم الاسلامى » بمكة المكرمة هذا الحوار مع فضيلة الشيخ « محمد صفوت نور الدين » الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر . وتعميما للفائدة تنشر « صوت الأمة » الحوار المذكور مع الشكر للعالم الاسلامى .

◎ درجت جماعة أنصار السنة المحمدية على العمل على تصحيح العقيدة فى نفوس المسلمين . فما هو أثر العقيدة الاسلامية فى حياة المسلمين ؟

العقيدة جملة هى الدافع الذى يسير سلوك كل انسان فمثلا صاحب العقيدة المنحرفة ينحرف سلوكه تبعا لعقيدته وصاحب العقيدة الصحيحة يصح سلوكه

تبعا لعقيدته. ولو علم المسلم أن الله سميع بصير عليم محيط. فإنه لا يقترف خطأ وان وجد خاليا لأن الله أقدر عليه من الخلق ولو علم الصانع أن الله مطلع عليه لأتقن صنعته ولو لم يراقبه أحد من الناس فلو صح الاعتقاد لراقب كل عبد ربه وحرص على محاسبة نفسه قبل أن يحاسبه أحد من الناس وكأنى أستطيع أن أتصور أن العالم لو صح اعتقاده فإن الظالم ينصف من نفسه قبل أن ينصف القاضى منه وان الجائر يرجع فى جوره قبل أن يحتاج إلى القوة التى تردعه وإنما تبقى القوى المراقبة لمتابعة الفئة القليلة المنحرفة لذلك ينبغى أن تتضافر كل الجهود - من دعاة ومربين و وسائل اعلام - من أجل تصحيح الاعتقاد فإنه إن صح الاعتقاد صح سلوك الأمة وان فسد فسدت.

◎ تأثر الناس بعقيدة الإسلام مشروط بحسن عرضها فى قوالب تحرك الوجدان وتهذب الضمائر. فما قول فضيلتكم فى ذلك؟

عرض العقيدة الاسلامية من المسائل التربوية التى يحتل الوحى فيها المرتبة العليا فلقد جاء الوحى بأفضل الأمثلة التى قد تحتاج إلى التقريب للناس لبيان الأمر لهم فالوحى ضرب الأمثلة وقاس بالأقيسة و ذكر لنا قصص الأمم السابقة وقصص النبيين و ربط ذلك بمسائل الاعتقاد من صدق اللجوء إلى الله ونصر الله لأنبيائه فنوح عليه السلام لما قال: ﴿إنى مغلوب فانتصر﴾ قال الله تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ فيجب أن نستخدم كافة الأساليب المختلفة التى تعين على تثبيت الاعتقاد وأن يكون هذا نابعا من القرآن الكريم والسنة المطهرة. وأن نجعل حتى الكلمات الدارجة على ألسنة الناس — وفيها رد لمسائل الاعتقاد — كلمات اعتقاد صحيحة تجرى على الألسنة وتنبع من القلب كما كان حال السلف الصالح وهذا من المسائل الأصلية.

◎ هناك أزمات كثيرة تكتنف العقيدة الاسلامية وتحديات صعبة تواجهها فى الواقع المعاصر فما هى أقصى هذه التحديات فى اعتقادكم؟

أكبر التحديات القائمة التى تواجه العقيدة منذ بعثة النبى ﷺ إلى اليوم هو حب الدنيا والانغماس فى شهواتها والتكالب على حطامها الزائل والنبى ﷺ يحذرنا من ذلك فيقول: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» فحب الدنيا أصل كل خطيئة وانحراف عن العقيدة الاسلامية ولا يأتى هذا الخطر إلا ممن يظن أن الدنيا تأتيه بكسبه وليس بتقدير الله تعالى له فيتعلق بالدنيا ويربط نفسه بها فينسى ربه وينسى نفسه وتفسد عليه حياته كلها. وهذه الآفة هى التى أخذت أمم الغرب أخذا كاملا حتى صاروا يحيون فى أرق وضيق نفس وينتحرون بسبب فقدان السعادة الحقيقية. والمؤمن يعتقد أن الدنيا والآخرة لله وأنه من صحة اعتقاده أن الدنيا معبر الآخرة وأنهما معا على طريق النجاة.

◎ لاشك ان الصيحات الباطلة والدعوات الضالة تنطلق من أصحاب عقيدة يعتقدون فى استحقاقها وجدارتها. فما مرجع تلك الصيحات فى اعتقادكم؟

مرجع ذلك هو اختلاف الثقافات والمشارب وأن مادة العلم التى يستمدها هؤلاء ويتعارفون عليها بعيدة عن الكتاب والسنة وعن فهم سلف الأمة لذلك صار التباين الشديد بين هؤلاء من شعارات حرية المرأة و الدعوة إلى السفور أو الثقافة الجنسية أو المناداة بالتحرر من القيم والتخلى عن الدين بالمنطق المادى وكل ينطلق من أمر دعوته وهى فراغ فقد وجدنا من صفق للشيوعية زمنا طويلا فلما انهارت لم نجد فى غلافها أمرا ذا بال. ولو علم هؤلاء أن الله تعالى قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ فالله خلق كونه وأمر بالقراءة والتزام

المنهج الذى وضعه اصلاح كونه وصلاح خلقــه ولـكن هؤلاء لاينتهبون أن الـكون خالقا يدبره ويعلم شؤونه ودقائق سيره .

◎ الصحوة الاسلامية أمر واقع فى حياة الأمة الاسلامية نلمس آثاره فى المراحل العمرية المختلفة وفى شتى المجالات الحيوية فى حركة الحياة . فما قولكم فى ذلك ؟

الرجوع إلى دين الله ملموس فى كل المجــالات ومن مظــاهره البنوك الاسلامية والتمسك بالحجاب والالتفاف حول العلماء وانتشار الـكتاب الاسلامى فوضوح أمر الصحوة وضوح شديد وهى وجدت لأن الدين دين الله فأوجدها رب العــالمين ببذور غرسها فى قلوب الناس ولا تستطيع جماعة من جماعات الدعوة أن تدعى لنفسها أنها هى التى أوجدت الصحوة لأن هذا يتنافى مع الجماهير الغفيرة المقبلة على الدين فى مقابل امكانات محدودة وتجارب تخطىء وتصيب .

◎ كمعايش للصحوة ومتابع لحركتها بزواياها المختلفة وابعادها المتنوعة . ما هو تقييمكم لها ؟

الصحوة القائمة ترشد وتكون على الطريق الصحيح بالعلم الصحيح والسلوك الجيــد وأن تكون منضبطة بالشرع أمــا أن تسير على طريق التجربة والخطأ وكأن الله لم يكمل دينه فهذا ما لا نرضى عنه ويجب تصحيح المسيرة وإلا نضع قدما إلا بعلم صحيح فلانقيم ضجة إلا على مسألة حسمها الشرع لاننا كثيرا ما نقيم آمالا على رمال فيجب تقديم العــلم الصحيح حتى لو تأخر ردة الفعل فليس المفلح من يقوم برد الفعل بلا علم . فتأخير السلوك المبنى على التأثير مدعاة للفعل وإلى أن ندخل العلم فيــه فالنبى ﷺ يمتدح القاعدين فيقول : « ستكون

فثن القاعد فيها خير من القائم ، فليس كل قاعد أقل درجة من القائم ولكن هذا يكون بتعلم فقه الدعوة الذى كان عليه سلف الأمة .

◎ كثيرا ما يتهم العلمانيون الاسلام بأنه عاجز عن استيعاب مجريات الحياة وحوادث العصر وأن كل شيء لا يمكن أن تتم أسلمته . فما قولك فى هؤلاء العلمانيين ؟

العلمانية ذيل للشيوعية فلما ماتت الشيوعية ما وجد هؤلاء إلا العلمانية للتعلق بها . والكل يعلم أن هؤلاء العلمانيين أبواق ومعاول هدامة وهم مأجورون من أجل عرض من الدنيا . وكثير من العلماء حللوا بعض أقوالهم فوجدوها تناقض بعضها بعضا لأن هؤلاء لايتكلمون بالعقل ولا بالعلم ولا حتى بالعاطفة ولكنهم يتحركون كالدمى المسيرة وليست المخيرة فالعلمانيون كما قال ربنا عن منهجهم وأعمالهم ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ وإنى لأتصور أن فكر هؤلاء لايتعداهم إلى غيرهم بل إنى أكاد اجزم أن زوجة هذا العلمانى وأبناءه لايوافقونه على قوله بل لا أبالغ أن قلت إنه لا يسلك ما يقول .

◎ وما ردك على هذه الفرية التى أثاروها ؟

إن الاسلام دين الفطرة ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

والله عز وجل أنزل القرآن وبعث خير الأنام فكان النور المنبعث من القرآن ورسالته أصفى وأهدى من ضوء الشمس فى رابعة النهار والاسلام خير للخلق من الماء والهواء والغذاء والدواء به تدخل السعادة على القلوب وعلى البيوت وعلى الأسواق والأعمال وعلى الأمم والشعوب فإذا دخل الاسلام

إلى أمة أسعدها وإلى بيت أسعده ولا سعادة إلا بالاسلام وشريعة الله وقدره كحلقة واحدة . القدر يمثل معظم محيطها والشرع يكمل ما بقى منها فهما مكملان . لذا كان لابد من الاسلام عقيدة وعبادة وعملا وسلوكا وأن نرجع كل أمر وقع الخلاف فيه لله وللرسول ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ .

◎ فى حين اتهام العلمانيين بأن الاسلام يكبل الفكر ويحجر على العقل ويمنع حرية الرأى نجدهم لا يعترفون إلا بفكرهم و يحتقرون غيرهم . فما وجه نظر فضيلتك على ذلك ؟

عندما يصبح التسويق للأفكار متساويا لاشك أن الفكر الاسلامى هو الذى سينجح ـ وهو ناجح رغم العراقيل ـ لكن عندما يطبع العلمانيون كتبهم بأسعار زهيدة مدعمة من جهات عديدة وعندما تمتلىء الصحف بالافكار العلمانية المهاجمة للاسلام وحينما يرد أحد العلماء على ذلك لا تجد له مكانا من الصحيفة ولا يسمح له بحق الرد . وعندما تشن الحملات المغرضة على الدعاة الصادقين وعندما يوصف كل ملتزم معتدل فى اعتقاده بأنه متشدد وعندما تؤخذ الأحاديث من الدعاة فتوضع لها عناوين براقة على خلاف ما أورد الرجل فالعلمانيون يحدون القنوات التى تنشر أفكارهم ولا تسمح بالنشر للغير أو حتى حق الرد و رغم ذلك فإنه لو لم تتح لهم هذه القنوات ما كان لهم وجود ولا أثر يذكر .

◎ الاسلام والغرب مصالحة أم صدام .. قضية أثيرت وتنوعت فيها الاتجاهات ماذا تقولون ؟

إن الغرب يتخلص من الحياة بالانتحار و ذلك للنظام المادي السائد هناك

الذى لا مجال فيه للروح والاخلاق . ولقد حذر بعض العلماء من اقامة المسلمين فى بلاد الغرب والكفر فلا يجوز أن يبقى مسلم هناك إلا داعيا إلى الله أنهم يغتنمون فرصة وجود المسلمين هنـاك فيقومون بتغريبهم و اقصائهم عن دينهم ولكن رغم ذلك فالغرب جاهز لاستيعاب كل شيء وهو يحتاج إلى الاسلام لينقذه من مشكلاته وازماتـه ولو أحسن عرض الاسلام على الغربيين لدخلوا فيه سريعا ولقد رأيت بنفسى فى أمريكا حرصا على الاسلام وسننه فقد رأيت شبابا يحافظ على السواك ويسعد عندما يلبس الازار فهناك التزام حتى بالسنن. فالتربة هناك صالحة وفى أمس الحاجة إلى دعاة مؤهلين متجردين .

◎ الاعلام بقنواته المختلفـة المقروءة والمسموعة والمرئية أداة فعالة فى توجيه الطاقات وتعبئة العقول وتعميم الفكرة التى يراد سيادتها . فما هى نصائحكم للقائمين على أمر الاعلام ؟

الاعلام هو المادة التى ان أحسن استغلالهـا فإنه يؤدى إلى خير عميم وهو ضمير الأمة النابض وصورتها فى الداخل والخارج لذلك انصح كل المتصدين لوسائل الاعلام بأن يتقوا الله فى أقلامهم وقرائهم وأن يوقنوا أننـا سوف نقف غدا بين يدى الله ليس معنا نصير فلنحـذر من تلبيس الحق على الناس وإلقاء التهم على الأبرياء وليكن القلم واللسان منضبطا بضوابط الشريعة وما كان عليه أهل السنة والجماعة من أهل القرون الفاضلة وأنصح أيضا بالتوعية العامة بين المسلمين حتى لا تصبح أصول الإسلام غافية سواء كانت عقيدة وعبادة أو معـاملة وسلوكا و أيضا أنصح بحماية الشوارع والطرقات من كل الرذائل فى الملصقات والاعلانات فضلا عن المسالك الفاضحات ولتعلم أجهزة الاعلام ان سعادة المجتمع واستقراره لا تكون إلا بتربيـة نظيفة أى على القرآن والسنة

بفهم سلف الأمة مسايرة لكل تطور مسابقة لكل جديد لأن الشريعة الغراء كافية لذلك .

◎ المجتمعات التى بلغ فيها التفسخ الخلق مداه وتمكنت منها معاول التغريب وتسربت إليها الافكار الهدامة . ما هو السبيل لأسلمة أوضاعها ؟

الله الذى أنزل الشرع وخلق الكون وهو سبحانه وتعالى يعلم بدقائق ما يحدث فى كونه فما امرة به — تعالى — فعلناه فنحن نتدرج بالدعوة حتى يسود الخير . و رب الاسلام أنزل الاسلام فى مجتمع كان مليئا بالرذائل فأصلحه — سبحانه — بالاسلام . وليس معنى اقامة مجتمع اسلامى أننا سنقيم مجتمعا خاليا من المعاصى لأن النبى ﷺ أقام الحدود على الزانى والسارق وشاربه الخمر وليس معنى وقوع هذه الاخطاء فى الأمة أن التربية ليست فيها صالحة ولكن الشيطان يوسوس والنفس امارة بالسوء والعبد يقع فى الذنب وهناك الحدود التى تردع و رحمة الله واسعة . فبالاسلام يصلح فساد كل زمان ومكان لأن تطبيق غيره ينتج الفساد حتما ولا يزول الفساد إلا بالاسلام فقط ومن ظن غير ذلك فهو واهم ولقد تهاوت كل المذاهج الفكرية البشرية ولا بقاء إلا للاسلام .

◎ كيف تنظرون إلى الخلافات القائمة بين الفصائل العاملة فى حقل الدعوة الاسلامية ؟

هناك من الخلافات ما يتسع صدر الاسلام لها . فالاختلاف فى الفروع الفقهية العملية أمر جائز الوقوع بين أهل السنة وهو لايمنع وحدتهم ولن كانوا يسعون جاهدين بالدليل من القرآن والسنة والاجماع والاجتهاد لبيان الصحيح و الراجح من الضعيف والمرجوح فهذا اختلاف تنوع وهناك اختلاف خطأ وصواب فإن الامام الشافعى كان يصلى خلف الامام مالك وقد يخالفه فى بعض

المسائل . فهذه خلافات يتسع للأمة أن تقع فيها . لكن لايسع الامة خلاف فى أركان الاسلام وأركان الايمان فالخلاف حول تقديم العقل على النقل أو اعتقاد العصمة للائمة فهذه خلافات ضلال ويجب الرجوع إلى عقيدة أهل السنة والجاعة .

◎ وما هو المحك فى الشطط فى المناهج والغلو فى الدين . فى اعتقـــاد فضيلتكم ؟

العلم المغشوش و الانفعال لبعض المواقف هو أصل تكون فرق الضلال فقـــد استباح الخوارج دماء معصومة تحت اسم ان هؤلاء كفار والمعتزلة بجدوا العقل والمرجئة قالوا بأن الايمان أثقل ما يكون فى الميزان فتحت هذه الأسماء البراقة ضلت هذه الفرق بسبب العلم المغشوش والانفعال المنفلت من الركائز العاصمة له وكان أهل الوعى والعلم من سلف الأمة يعالجون هذا الشطط فى الافكار .

◎ لقد ناديتم فى الندوة التى عقدت فى جماعة (دعوة الحق) التى يرأسها د . السيد الطويل وحضرها الشيخ محمد الغزالى بالتلاقى بين المؤسسات والفصائل المختلفة فى حقل الدعوة الآن ؟

من الضرورى أن تقوم الدعوة إلى الله وان تتوحد الطاقـــات وتتألف الفئات وتزال الخصومات ولا يكون ذلك إلا بوضع أرضيـة صحيحة مشتركة إذا تحرك عليها الدعاة يكونون كأنهم أمة واحدة وان اختلفت مشاربهم وهذه الأرضية المشتركة هى القرآن والسنة بفهم سلف الأمة لأن الله حفظ الاسلام فى كل شيء فالقرآن والسنة محفوظان والفهم الصحيح متناقل والتطبيق العمـــلى موجود جيلا بعد جيل وكيـان الأمة الإسلاميـة يمنعها من الذوبان فى غيرها وعلينا أن نعرف وسائل الحفظ لنحرص عليها والله سبحانه يحض الأمة ضد

عوامل الزوال فمن ثم فهـذه الأرضية المشتركة يجب أن نجتمع عليها وإلا نحيد عنها وان ندعو الناس إليهـا حتى يزول الخلاف ويتحقق الوفاق ونبقى عباد الله اخوانا.

◎ ما هى العدة اللازمة للداعية المعاصر؟

كمـا قال الله عز وجل : ﴿قل هذه سبيلى ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ فالبصيرة علم بما يدعو إليـه وعلم بحال الناس وعلم بوسائل الدعوة التى يدعو بها والاخلاص يقتضى الصبر على مشاق الطريق ويقتضى أن تـكون دعوته بالمثـال قبل المقال . والله سبحانه جعل لدعوته انفتاحا فى القلوب يزيد على الوسائل المستحدثة العصرية فالداعيـة على منبره يملك دفة زمام القلوب لأنها أوعيـة لحفظ الايمان الـقوي يبقى الناس ويعصمهم من كل صور الفساد.

◎ ما هو الفقه اللازم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

هذه القضية من أكثر القضايا التى يغفل الدعاة عن زواياها المختلفة فالعلماء اجمعوا على أن النهى عن المنكر إذا ترتب عليه منكر أشد أجمعوا على النهى عنه فمثلا الأحاديث الصحيحة تأمر بتسوية القبور المشرفة لـكن إذا ترتب على هدم القبر اعادة بنائه بأحسن صورة وأكمل مما كان فليس هذا من النهى عن المنـكر.

ففقه الأمر بالمعروف زيادته أو وجوده وفقـه النهى عن المنكر تخفيفه أو ازالته إذا لم يترتب عليه منـكر أكبر منه ؟

(أجرى الحوار المرسى محمود شولح)

◇⁝◇●◇⁝◇

(بقية ص ٨)

وقبل أيام أعلن الثائرون فى كشمير أنهم يعرقلون فى سبيل المسيرة الدينية التى يقوم بها الهنادك فى جبل من جبال كشمير يعرف بـ «أمرناتهر». وبعد هـذا الاعلان هدد رئيس شيو سينا بأن الحكومة المركزية او لم تؤمن للهنادك مسيرتهم المذكورة فان الحجاج المسلمين لا يتمكنون من مغادرة بومباى فى طريقهم الى الحجاز!

وأضاف أن الحكومة المركزية ان فشلت فى تأمين الطريق للهنـادك فان ذلك يتطلب منهم أن يقوموا هم بشىء.

(آواز ملك، بنارس، عدد ٩٥/٧/٢٩م)

والذى يحمل على الاستغراب فى هذا التهديد هو أن رئيس شيو سينا يربط بين سفر المسلمين للحج وبين سفر الهنادك، ويحمل المسلمين فى أرجاء الهند مسئولية ما يقوم به الثائرون فى كشمير! لا ندرى أى منطق يقتضى مثل هـذا الربط؟ وردود الفعل إذا وقعت هكذا فاذا يكون مصير البـلاد؟ وماذا يكون مصير الحرية والديمقراطية؟ وكيف يعم العدل وتنتشر السعادة والرخاء؟ وإلى أى مدى يلتزم المظلومون الصمت ويحرمون حقوقهم الأساسية؟

رد فعل ضد تصريح بال تهاكرے

نشرت الجرائد يوم ٢/ أغسطس ٩٥م أن أعضاء البرلمان الهندى (مجلس الشيوخ) طالبوا اليوم الحكومية باتخاذ اجراء ضد زعيم شيو سينا بال تهاكرے على ادلائه بتصريحات استفزازية طائفية وقـد أثار هذا الموضوع فى المجلس عضو حزب المؤتمر السيد ك. رحمان فقال: من سوء الحظ أن المستر بال تهاكرے هدد بمنع الحجاج فى بومباى ردا على منع مسيرة أمرناتهر!

وأضاف : أن بال ثهاكرے زعيم طائفـــة سياسية فلا يليق به أن يصدر
نا ينزله الى صفوف الارهابيين . وطالب السيد رحمن الحكومة باتخاذ اجراء
ـ الزعيم المذكور .

وقال السيد عبد الصمد زعيم الرابطة الاسلامية : ان نظام البلاد الديمقراطى
ظريتها العلمانية قد تقرحت ببيان المستر ثهاكرے فلذا ينبغى أن تتخذ الحكومة
راء سريعا لمنعه من مثل هذا البيان .

و صرح وى نراثان سوامى عضو حزب المؤتمر بـأن حكومـة مهاراشترا
'قليمية تبغض المسلمين و تعاديهم .

وفى يوم ٣ / أغسطس قال وزير الداخليـة المستر شنكر راو چوهان ردا
ى سؤال : ان الاجراءات الرادعة تتخذ ضد من يعرقل سفر الحجاج .

زعيم بجرنگ دل

عقد رئيس بجرنگ دل المستر جى مان سنغ پويا مؤتمرا صحفيا فى لكنؤ
م ٣ / أغسطس قـــد أتى فيه بتصريحات استفزازية و تهديدات سافرات ضد
سلمين . قال المذكور : لم يبق الآن أمام المجتمع الهنـــدوسى الاخيارين ، فاما
خلوا فى الاسلام ، أو يستعدوا للرد بالمثل . والهندوسى لا يتحمل الآن الضرب ،
، ينتقم ويرد بالمضاعفة .

و قال : ان الحفاظ على مسجد كاشى و متهرا لن يتيسر بتصريحات زعماء
منة المسجد البابرى .

وقال مؤيدا لا علان المستر بال ثهاكرے : لو تضرر الذاهبون الى أمرناتهم
استطاع المسلمين الاحتفال بأعيادهم بأمن و سلام .

وقال: على رئيس وزراء الهند أن يفكر لماذا عطل الجيش من مقاومة الارهابيين.

وأضاف: أن الإمام عبد الله البخارى يزعم أن الارهابيين فى كشمير شباب ضالون! وعليه أن يقدر ماذا تكون الحال لو ضل مئات الألوف من شباب الهندوس!

هذه هى نوايا و تصريحات الزعماء السياسيين الذين يزعمون أنهم يمثلون الأغلبية، ويخلصون للبلاد و الشعب، و يودون كل خير وسعادة للبشرية، ومن هنا يستحقون أن يتفردوا بتملك زمام الحكم فى البلاد. و الرد على مثل هذه الغطرسة وهذا التجبر و هذا التعالى لا يتيسر ولا يؤثر الا اذا كان باخلاص من الحكومة وبوعى من المثقفين المحبين للعدل و السلام. ولو حصل فى ذلك تقصير من هنا أو هناك فان ذلك لا يضر بفرقة دون أخرى، بل يؤدى الى أقبح و أعم أنواع الهلاك و الدمار فى تاريخ البشرية، و لذلك نأمل أن الأطراف المعنية تفكر فى مصلحة البلاد والشعب، ولا تتعامى عن الحقائق و الواجبات؟

(د/ مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

قال الله عز وجل

﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ (البقرة ١١٤).

العسل ومنافعه فى ضوء القرآن الكريم وتجارب الأطباء الاخصائيين

(٤)

بقلم : الشيخ لطف الحق الشمسي
المدرس فى المدرسة الحميدية دار الحديث ، بيهار ، الهند

نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ حينما حرم العسل على نفسه لقول بعض أزواجه :

ان القرآن الكريم لقد أعطى للعسل أهمية كبرى حيث سمى سورة من السور بالنحل ، وقد بين فيها بصراحة أن فى ما يخرج من بطون النحل من شراب مختلف ألوانه شفاء للناس من سائر الأمراض و الأدواء التي تصيبهم ، ومما يدل على مكانة العسل أن الله تعالى وجه سؤال عتاب الى النبي ﷺ على تحريمه فقال : ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الخ﴾[1] .

وقد أراد سبحانه تعالى بإنزال هذه السورة الشريفة ابطال ما أراد به الرسول الأكرم ﷺ من تحريم العسل على نفسه والحلف بعدم العودة اليه حينما قالت له بعض أزواجه « أكلت مغافير » و إبقاء حلته كما كان حلالا من قبل ، واحتياج الناس إليه كثيرا ، وانتفاع العالم كله به ، لأن الناس اذا تركوا

---

(١) التحريم : ١—٣

استعماله ورغبوا عنه بترك الرسول الأعظم ﷺ فات عنهم خير كثير ، وحرموا نعمة جليلة كبيرة ولذة ظريفة ، ودواء نادرا فاقد المثال ، وغذاء نافعا وأصابهم مرض خطير و داء مزمن لا يرجى شفائه الا بشرب العسل .

كان من عادة الرسول الأكرم ﷺ الشريفة أنه يشرب العسل دائما مستمرا ، فكان ﷺ اذا انصرف من صلوة العصر يذهب الى أزواجه فيمكث عندها مليا و يشرب عسلا . دخل الرسول ﷺ يوما على حفصة بنت عمر ، فمكث عندها أكثر ما كان يمكث ، فسقته عسلا من عكة كانت امرأة من قومها قد أهدت لها ، فاخبرت بذلك عائشة رضى الله عنها فاحتالت احتيالا فى ذلك ليمتنع الرسول ﷺ من الدخول عليها والمكث عندها . وقالت لسودة بنت زمعة : أنه اذا دنا منك فقولى : أكلت مغافير ، وقالت لصفية إنه اذا دنا منك فقولى : أكلت مغافير ، وأنا ايضا سأقول هذا ، فلما دنا الرسول ﷺ من سودة بنت زمعة قالت له أكلت مغافير قال لا ، قالت فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال سقتنى حفصة شربة عسل ، فلما دار الى قلت له نحو ذلك ، فلما دار الى صفية قالت له مثل ذلك ، فحرم العسل على نفسه لأجل ذلك وحلف ألا يعود اليه . و القصة معروفة رواها البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها ، وأود أن أنقلها هنا كى يطلع عليها القراء الكرام : « عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب العسل و الحلوى وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فيدنو من احداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل ، فسقت النبى ﷺ منه شربة ، فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة انه سيدنو منك ، فاذا دنا منك فقولى أكلت مغافير ، فانه سيقول

لك لا ، فقولى له ما هذه الريح التى أجد منك ، فانه سيقول الك ، سقتنى حفصة شربة عسل ، فقولى له جرست نحلــه العرفط ، و سأقول ذلك ، و قولى أنت يا صفية ذلك ، قالت تقول سودة فواقله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتنى به فرقاً منك ، فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا ، قالت فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال سقتنى حفصة شربة عسل ، فقالت جرست نحله العرفط ، فلما دار الى قلت له نحو ذلك ، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار الى حفصة قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه ، قال لا حاجة لى فيه ، قالت تقول سودة والله لقد حرمناه ، قلت لها اسكتى »[1] .

وفى رواية جاءت هذه القصة مختصرة . وقد أنزل الله تعالى سورة التحريم على الفور على النبى ﷺ بعد ما وقعت هــذه القصة المعروفة و بعد ما حرم الرسول ﷺ العسل على نفسه و بعد ما حلف ألا يعود له ، فقال الله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿يا أيها النبى لم تحــرم ما أحل الله لك ، تبتغى مرضات أزواجك الخ﴾ .

وقد فرض الله تعالى على رسوله الكفارة فى هذه السورة الشريفة لما أنه جعل الحلال حراماً ، وقصة شرب العسل مختلفة ، « فى رواية من طريق هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة فيه أن شرب العسل كان عند حفصة ، وفى رواية من طريق عبيد بن عمير عن عائشة أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ، وأخرج ابن مردويه عن طريق ابن أبى مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة .

---

(١) انظر : صحيح البخارى ٧٩٣/٢

و طريق الجمع بين هـذا الاختلاف هو الحمل على التعدد ، و أما القول الراجح فرواية عبيد بن عمير أثبت لموافقة ابن عباس لهما على أن المتظاهرتين حفصة و عائشة »[١] .

وان انزال سورة التحريم على الرسول ﷺ حينما حرم العسل على نفسه يدل دلالة واضحة على اعتناء القرآن الكريم بالعسل ، وعلى أنه أنفع دواء و أجدى غذاء و أرجى شرابا و أصلح شفاء عنده ، ولو أن القرآن الكريم لم تنزل فيه هذه السورة حينما حرم الرسول ﷺ وصار العسل حراما لتحريمه للحق بالناس ضرر كبير ، ووقعوا فى آلام متنوعة بترك استعماله كما أسلفنا آنفاً ، يقول الطبيب خالد الغزنوى : هذه القصة تدل على أن الله تعالى قد اهتم بالعسل اهتماماً بالغا ، و أعطى له مكانة سامية ، فإن لم يصلح الله تعالى رسوله ﷺ بانزال سورة التحريم ، وان اجتنب الرسول الأكرم ﷺ من العسل ولم يلتفت اليه أحد من أمته ﷺ لحرم الناس من غذاء صالح ودواء نافع كل الحرمان[٢] .

وقد أمر طبيب الأمة ﷺ فى أمراض الخاصرة بالماء المحرق و العسل فقد روى أبو داود ، و الحاكم ، و أبو نعيم . و الحارث عن السيدة عائشة رضى الله عنها تقول ، قال النبي ﷺ : « إن الخاصرة عرق الكلية اذا تحرك آذى صاحبها فداووها بالماء المحرق والعسل »[٣] .

ان توجيه الرسول ﷺ هذا أسمى تحف لأطباء يأتون من بعده الى يوم الدين فى مجال العلاج والمداوة ، فلا أرى أحدا من الأطباء استطاع أن يداوى

---

(١) انظر : حاشية البخارى ٢/٧٣٩

(٢) انظر : طب نبوى اور جديد سائنس — بالأردية — ص ١٥٤

(٣) مستدرك للحاكم ٤/٤٠٥

مثلما داوى الرسول ﷺ قبله، وإنى أومن أنه لن يستطيع ذلك أحد من الأطباء بعده. وهـذا الارشاد النبوى العالى حول المعالجة يدل جليا على أن الرسول الأكرم ﷺ كانت له معرفـة تامة ودراية وافرة واطلاع واسع فى مجال علم الأبدان و العلاج.

يقول الطبيب الأستاذ خالد الغزنوى: ان قضايا أمراض الكلى أصبحت سبب قلق و اضطراب لأطبائنا فى الوقت الحاضر، و إن جميع الجهود فى ذلك قد ضاعت و ذهبت سدى الى الآن[1].

يقول خشرم بن حسان بن عامر بن مالك: بعثت إلى النبى ﷺ من وعك بى و ألتمس منه دواء و شفاء، فبعث إلى بعكة من عسل[2].

يقول الطبيب خالد الغزنوى حول هذا الحديث النبوى:

طلب المريض دواء فأعطى له عسل، فالمعنى واضح جلى أى اشرب العسل تعد اليك صحتك[3].

و نقل حميد بن زنجويه و السيوطى و رزين رحمهم الله تعالى عملا طريفا لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن غلامه نافع رضى الله عنه يقول: «كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليـه عسلا، حتى الدمل اذا كان به طلاه عسلا، فقلنا له: تداوى الدمل بالعسل؟ فقال أليس يقول الله: ﴿ فيـه شفاء للناس ﴾[4].

---

(١) انظر: طب نبوى اور جديد سائنس — الأردية — ص ١٩

(٢) انظر: طب نبوى اور جديد سائنس — بالأردية — ص ١٦٠ نقلا من مسند عامر ابن مالك وابن عساكر و ابن أبي شيبة وابن مندة.

(٣) انظر: طب نبوى اور جديد سائنس ص ١٦٠

(٤) انظر: طب نبوى اور جديد سائنس ص ١٦١

ملاحظات الأطباء القدامى حول العسل :

يسرني جدا أن أقدم إلى القراء الكرام انطباعات الحكماء القدامى حول خصائص العسل و مزاياه لتتجلى أمامهم منافعه المتنوعة ، و يتبين صدق ما أخبر عنه القرآن الكريم بقوله ﴿ فيه شفآء للناس ﴾.

كان حكماء مصر مطلعين على العسل ، وكان العسل يستعمل لحفظ الجثث ، وكان يوجد فى المائدة الملكية دائما ، وكان الملك اذا مات تدفن معه سائر مستلزمات و مرافق حياته فى قبره ، و خرجت عكك من العسل من كل قبر حينما حفرت المقابر ، والغريب جداً أنه قد مضت على هذا العسل مدد من ثمانية آلاف سنة ومع ذلك بقى صالحا لاستعمال الانسان ، لكن تغير لونه قليلا إلى السواد فقط ، و شربه الناس فوجدوا طعمه جيدا صالحا .

و ورد ذكر العسل فى كتاب « سشرت » — وهو كتاب فى طب العقاقير المعروف ب « آيور ويدك » مقدس لدى الهنادك —

وهو قسمه الى الاقسام الثمانية الآتية :

أولا — مكشيكا ، وهو ما تجمعه النحل عامة .

ثانيا — بهرامارا ، وهو ما تجمعه النحل السودآء ، و يقال لهذه النحل « بهرامارا » ايضا ، و هذا النوع من العسل أنفع فى البلاغم و السعال و الحمى و الرعاف من أقسام العسل الاخرى .

ثالثا — كشودهارا ، وهو ما تجمعه نحلة صغيرة جسما تشابه خصائصها خصائص مكشيكا ، ولكنه فى أمراض العيون ترياق .

رابعا — پوتيكا ، وهو ما تجمعه النحلة القصيرة السوداء قامة التى تشابه فى الحجم [illegible]

خامسا — چهاترا ، وهو ما تجمعه النحلة الزرقاء تشابه الزنبور ، خليتها مثل القلة ، وهذا القسم من العسل نافع جدا فى القيء الدموى (HAEMOPTYSIS) و البرص (LEUCODERMA) و دود الأمعاء و التعقيبة (GONORRHOEA) و الهستريا (HYSTERIA) و القيء وفى علاج السموم .

سادسا — اركيا ، وهو ما تجمعه النحل من قسم « بهراماراً » وهذا العسل صحراوى ينفع فى أمراض العيون و البواسير و الكوليرا (CHOLERA) والسعال و الدق اليرقان وفى علاج القروح .

سابعا — اودلاكا ، ليس هـذا القسم بعسل فى الحقيقة بل انه رطوبة غليظة متعفنة توجد فى جحور النملة البيضاء .

ثامنا — دالا ، هذا هو العسل الذى يكون فى الأزهار دون تنقية ، وهذا القسم يولد الخلط (الصفرآء) و المـاء الكاوى (تيزاب) فى البطن ، و يخرج البلاغم ، و يشفى من القيء التعقيبة (GONORRHOEA) .

و هذه الأقسام الثمانيـة من العسل التى ورد ذكرها فى الكتاب المذكور ليست بحقيقية ولا قطعية ، فالقسمان منها ليس بالعسل على الأقل ووجود الاثنين منهـا مشتبه ، و الأطباء الآيورويديكيون يستعملون العسل فى أمراض التعقيبة (GONORRHOEA) و أمراض البطن و أمراض الأعصاب و العيون و أمراض الكوليرا (CHOLERA) وفى عشرات الأمراض الأخرى بكل وثوق و جزم .

والعسل الذى يتقاطر من الخلية بنفسـه هو أفضل العسل و أجوده لدى الأطباء القدامى ، و الذى يستقطر من الخليـة يختلط فيه الشمع ، والعسل الذى لا يكون فيه شمع و يكون لونه أحمر و طعمـه طيبا لذيذا معطرا هو أجود العسل و أجداه .

وعسل موسم الربيع أفضل من موسم الصيف ، و العسل الذى قدم وبلى هو ضار ، و أقر بعض الأطباء بكون العسل الذى مضت عليه سنتان ساما .

و العسل يخرج البلاغم اللزجة و يفلق السدود و يخرج الرطوبات الرديئة من الجسم ، وهو ينفع فى أمراض الاستسقاء و اليرقان (JAUNDICE) وعسر البول و ورم الطحال و الشلل (PARALYSIS) وفى ازالة آثار السموم و أمراض الرؤس و الصدور إن شرب بكثرة ، و إنه يذهب بالظمأ و يخرج الحصوة البولية (RENAL STONE) من جوف الانسان ويقوى المعدة و البصر والباءة . و شرب العسل يزيد فى البول و اللبن و الحيض ، و يقوى الكبد و يشده ، و يخرج حصوة الكلية و المثانة البولية ، و شربه بماء الكمون ينفع فى عضة الكلب و السموم .

وهو فى أمراض انتفاخ البطن و تورمه وأمراض الاستسقاء دواء بديع نادر لا تساويه أدوية العالم .

و إن العسل دواء نافع للأسنان ، ويشد الأسنان ويصلبها ذلك العسل المطول المشوب بالخل و يزيل التهاب اللثات ويلمع الأسنان ، و للغرغرة بالعسل المشوب بالماء الحار و الخل و الملح يذهب بالتهاب الحلوق و اللثات .

و ينفع فى القروح و الدمامل و الالتهابات شرب العسل بدقيق القمح بطريق التضميد عليها ، و خلط العسل بالخل والملح ثم التضميد على سواد الخدود يزيل هذا السواد ، و أن التضميد بالعسل المخلوط بزيت الورد على القروح المتنتة يذهب بعفونتها و يصلحها اصلاحا جيدا ومسح الشعور بالعسل المشوب بزيت الورد على يقضى على القمل ويلألأ الشعور و تنعم و تلين[1] .

(البحث موصول)

●●●

(١) انظر : طب نبوی ﷺ اور جدید سائنس ص ١٦٨ — ٦٩ — ٧٠ — ٧١ — ٧٢ — ٧٣ بالادوية للطبيب خالد الغزنوى .

المؤتمر العالمي :

المؤامرة القـــادمة

تتوالى الضربات على جدار هذا الدين وتتواصل حملات التشهير والتى تهدف إلى جعل هذا الدين «كابوسا مخيفـا» وذلك بإطلاق نعوت التزمت ، والإرهاب عليه ، فى كل يوم يمر يتنادى الغربيون وأذنابهم ومنظماتهم العالمية والإقليمية إلى إقامة المؤتمرات والندوات والتجمعات بغرض إصدار أحكامهم الجائرة والخبيثة على هذا الدين ، ونعلم ويعلم كل ذو بصيرة أن هذه الأحكام ليست بجديدة فهى أحكام مسبقة صيغت وأعددت قبل قيام تلك المؤتمرات .

وأكبر دليل على صدق ما ذكرناه أننا تابعنا مؤتمر السكان الذى عقد فى القاهرة تحت رعاية الأمم المتحدة ورأينا كيف أنهم أصدروا أحكاما دبروها بليل ، والذى يحمد له أن الدول الإسلامية بأجمعها رفضت نتائج هذا المؤتمر الآثيم والذى حاول أن يمهد الطريق أمام العهر والرذيلة فى المجتمعات البشرية وإحلال الإباحية والشذوذ والعلاقات المشبوهة بين الجنسين !!! ولا شك أن هذا المؤتمر لن يكون الأخير ، لأن الصراع بين الحق والباطل قديم وسيبقى إلى أن يرث الله الكون ومن عليه .

ولكن تبق نقطة جوهرية وهى كيفية الإعداد المبكر لصد ودحض فلول الشر والتى تتسربل برداء العلم والمعرفة ومصلحة البشرية ، فإننا نعلم يقينا أنه

لما خرجت جيوش الاستعمار تجرجر ذيول الخيبة والانكسار رأت أن الطريق لضرب أمتنا المسلمة ينبغي أن يكون أشد فتكا وضراوة ، لهذا أعلوا في أمتنا غزوا فكريا خبيثا استصحبوا فيه كل الآلات الاعلامية والحيل والدهاء وإحلال أمتنا دار البوار .

أخي القارئ الكريم !

ولنترك « عوامل المواجهة للغزو الفكري » في مقال آخر إن شاء الكريم ، ولنعرج سويا إلى المؤامرة القادمة المتمثلة في « مؤتمر بكين حول المرأة » والذي انعقد في الصين في شهر سبتمبر من نفس هذه السنة ، و ذلك لأن سلاح المرأة رفعه دعاة الاباحية والمستعمرون قائلين « كأس وغانية يفعلان في الأمة ما لايفعله ألف مدفع » فالمرأة عند الغرب مجمع الرذائل والمتع والشهوات ، بل بشهادة خبيرات ومتخصصات أن المرأة في الغرب مهيضة الجناح لا تكاد تقوى أن تشارك في عجلة التنمية الاجتماعية والبشرية بالقدر المطلوب .

نعم الغرب حلق في السماء ، وخاض حتى حقويه في «التكنولوجيا» والتطور العلمي ، ولكنه في نفس الوقت غرق في بحور الجنس والتفحش ! لقد طاروا إلى الفضاء ولكنهم تركوا خلفهم دمارا ويباسا في الأخلاق والمثل . فإنهم لما أعلنوا الحرب على الله بإظهار الفواحش والرذائل بل وأقاموا لها الجمعيات والمنظمات نزلت عليهم وعلينا — بسببهم — الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا ، والايدز والهربز خير دليل على ذلك .

إن شعار مؤتمر بكين سيكون « الحرية والانعتاق من القيود الاجتماعية والموروثات البالية » وهم يخشون غضبة الجماهير المسلمة ولهذا لايقولون « القيود

العجيبة وذلك حتى يوهموا الدهماء والسذج أنهم ليسو ضد الدين!!!

وهذا الشعار لم يكن وليد خيالى وإنما هو لسان حال هؤلاء « الموتورين » والذين ما فتئوا يعملون أظافرهم نهشا فى كرامة المرأة ، حتى أصبحت تباع عندهم فى أسواق النخاسة ، وهل يرتجى من القصاب غير الذبح والسلخ؟!

أقول ظلت الدعوات «المحمومة» لاقصاء المرأة الشرقية - بصفة خاصة - أملا يراوه دعاة الاباحية منذ أن خابت آمالهم فى تدمير مجتمعاتنا ، لعلمهم أن المجتمع الذى تنشأ نساؤه بعيدا عن جو الطهر والعفة يكون من السهل تدميره ، ولله در من قال:

إذا النساء نشأن فى أميـــة رضع الرجال جهالة وخمولا

وفى سعيهم المدمر هذا أقـــاموا بعض المنظمـات التى ظلت تدثر برداء « الانسانية والخدمة الاجتماعية والعلمية والأسرية » إلى أن بان للناس عوارها وانكشفت سوءتها فطفقوا يغطونها بأوراق دعواتهم الزائفـــة ، ولـكن يأبى الرحمن الرحيم إلا كشف أقنعتهم وسلب أرديـــة الصـالحين والمصلحين التى تدثروا بها زمنا ، وخدعوا بهـــا من ضل سعيه وتاه فى بحار المناهج البشرية والغمس فى دعوات وهميـــة زينوها لهم بشعارات « الحرية والديمقراطيـــة والاشتراكية ... الخ ».

نقول قبل أن تهب عواصف الشر استعدوا أيها الدعاة الفضلاء لمواجهة هذه المؤامرة على المرأة وهم - طبعـــا - لا يقصدون بالمرأة « تلك السافرة » التى خلعت رداء الحياة واستبدلته بزى أقل ما يقال عنه أنه « العرى » بذاته ، إنهم يعنون المرأة المسلمة التى أغاظت قلوبهم وأحرقت جهودهم بنيران صبرها على دينها وتمسكها بحجابها .

إن الاسلام وبشهادة الغرب «والفضل ما شهدت به الأعداء» له الفضل فى تقويم وضعها وانتشالها من براثن الجاهليات السابقة عربية كانت أو غيرها، ففى كثير من الفلسفات القديمة تعد المرأة رجسا من عمل الشيطان، بل فى بعض العادات مع الأسف كانت تدفن مع زوجها ولا تورث ولا تنكح زوجا آخر وحقوقها مهضومة ولا تعطى من الحقوق إلا بمقدار ما يجعلها تحيا لمزيد الذل والهوان، وفى مجتمعات العرب القديمة كما حكى القرآن كانت توأد وتدفن حية وهى لا تعى من أمر الحياة شيئا ﴿وإذا الموءودة سئلت. بأى ذنب قتلت﴾ (التكوير: ٨، ٩) إلى أن جاء الاسلام وجعل لها دورا رساليا وحطم كل تلك القيود وأطلقت يدها لتكون المربية والداعية والمصلحة، بل جعلها الله سكنا لبعلها ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ (الروم: ٢١) لقد كانت سببا للألم والحزن حينما تولد ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب، الا ساء ما يحكمون﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩)، ولكن جاء الاسلام مرشدا يقول: ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (الشورى: ٤٩)، فأصبح ميلادها زهوا وحبورا بعد أن كان ترحا وغما، وما ذلك إلا لأن الإسلام رفع مكانتها. وجعلها صاحبة الدور الكبير فى قيام المجتمع المسلم، وهذا ما أغاظ أصحاب القلوب المريضة من يهود ونصارى يتبعهم الأذناب من بنى جلدتنا وتنادوا كما قلنا اقتل هذا الجسد الهام، وبتر هذا العضو الفعال واقصاء هذا القلب الرحيم عن أداء دوره.

إن المرأة فى الاسلام هى نصف المجتمع تعدادا ولكنها كل المجتمع ، فهى النصف عددا ولكنها « الكل » اعدادا وتربية ، غفر الله لمن قال :

الام مدرسة إذا أعددتهـــا أعددت شعبا طيب الأعراق

أخى الكريم ! ليكن شعار المسلمين فى مؤتمر بكين « ممثـــلا فى الوفود المسلمة » أيتها المرأة إياك و دعاة الاباحية والمروق من الدين ، أيتها المرأة معاً على درب العفاف والعفة ، أيتها المرأة لا تنخدعى بشعارات من يلبسون مسوح الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب .

إن الاسلام لم يجعل قيودا تعوق المرأة فى سيرها إلى الله ، بل جعلهـــا مساوية للرجل فى الأجر والثواب والتكاليف الشرعية ، وأمرها بما أمر به الرجل إلا ما يخالف جبلتهـا وطبيعتهـــا ، بل أمر الرجل باكرامهـا والاحسان إليها وما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم ، وهن شقائق الرجال . قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (التوبة : ٧١) .

ولكننا حينما انحرفنا عن حضارتنا الاسلاميـــة الأصيلة وسمحنا بدخول « حطاب الليل » إلى أمتنا أدخلوا إلينا ما أساء إلى المرأة ، وتغلغلوا فى بيوتنا وأصبحت الكلمة لهم وكذا التعليم والتربية .

وعلى صعيد آخر ما يزال الغرب جادا فى « مشاغبة » الحجاب أو ما يمت إلى الاسلام بصلة ، وكلكم قد تابع « مأساة الحجاب » فى فرنسا العلمانية وكيف أن الحكومـــة التى ترفع شعارات الحرية والديمقراطية تحاول أن ترغم المرأة المسلمة على لباس « الشورت والجينز » !!!

فالغرب مازال جادا فى محاربة المرأة المسلمة . ولهذا نحن نطالب وبجدية حكوماتنا الاسلامية أن تقف أمام مؤتمر بكين المشبوه والذى تكاد تكون أوراق مناقشته واضحة ظاهرة لذى عينين ، وعليها أن تفضح دعوات القوم لخروج المرأة من بيت عفتها وكرامتها وإلا فلن نجنى إلا الشوك ولات حين مندم !! ولات حين مناص حينها لا تفيد الندامة والحسرات ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . وعلى الله قصد السبيل ؟

قاله وكتبه الراجى عفوه

ابوعبيدة حامد الجبراوى

كان موضع هذا المقال فى العدد الماضى ، ولكنه وصل بعد طبعه ، ولذا ننشره فى هذا العدد لما يحتويه من توجيهات نافعة فى كل وقت ، ان شاء الله (المجلة) .

دراسات فى الجرح والتعديل

تأليف : الدكتور ضياء الرحمن الأعظمى

كتاب يبحث عن الجرح والتعديل ويشمل على تراجم أئمة هذا الفن ويبرز أهمية الاسناد ويبين اهتمام المحدثين وجهودهم لها ، ومهارتهم فيها ومعرفتهم عن دقائقها والرحلات لاجلها .

ومصطلحات الجرح والتعديل فيها تفصيل و توضيح حاول جامعها أن يجمع فى هذا السفر من أمهات الكتب ما يهم المشتغلين بهذا العلم .

ردود الفعل بدأت مبكراً ضد مؤتمر بكين للمرأة

الرابطة تطالب بمراعاة القيم الدينية والأخلاقية
والأزهر يشن حملة عنيفة على وثيقة المؤتمر

فى وقت تجرى فيه الاستعدادات فى العاصمة الصينيـة (بكين) لعقد المؤتمر العالمى للمرأة الذى تنظمـه هيئة الأمم المتحدة فى الفترة ما بين ٤ الى ١٥ سبتمبر القادم و يحضره أكثر من خمسين ألف مشارك من كل دول العـالم، تراوحت ردود الفعل على الوثيقة المقدمـة للمؤتمر بين التحفظ و الرفض خاصة فى أوساط هيئات ومنظمات دينية رفضت بشده اقرار بعض البنود الواردة فى الوثيقة والتى أقرتها لجنة نسائية عليا كلفت بذلك من قبل المنظمة الدولية .

فى مكة المكرمة أوضح معالى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى أن مجموعة الحقوق التى يكفلها الاسلام للمراة تستجيب لمطالب النسـاء حيث يتمتعن بكافة الحقوق التى يتمتع بها الرجال كأفراد ضمن الجنس البشرى بالاضافـة الى امتيازات أخرى بوصفهن أمهات و زوجات وأخوات و نساء .

ومضى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى قائلا :

ان حقوق المرأة فى الاسلام تعترف باحتيـاجات المرأة الخاصة و تكريم دورها المتميز داخل الأسرة والمجتمع بهدف تحقيق الانسجام والسلام الاجتماعى .

و طالب معاليه فى رسالة موجهة للسيدة جير ترود مونجيلا الأمين العام لمؤتمر بكين بضرورة الاهتمام بوضعية المرأة فى المجتمع و تقويمها بحيث ينصب

نحو العائلة والقيم الدينية والروحية بالاضافة الى الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية.

وقال الدكتور على فى رسالته: اننا نأمل أن ينتهى المؤتمر الى نتائج ايجابية تقدم الحلول للمشاكل و القضايا المتعلقة بالحقوق الطبيعية لنساء العالم مراعيا الحقوق المقدسة لكل دولة والقوانين الوطنية والأولويات التنموية مع الاحترام الكامل للقيم الدينية والاخلاقية المختلفة.

ومن جانبه فقد شن الأزهر هجوما شديدا على وثيقة المؤتمر واصفا اياه بأنه (حلقة من سلسلة حلقات متصلة ترمى الى ابتداع نمط جديد من الحياة يتعارض مع القيم الدينية).

وقال الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى بيان صدر باسم الأزهر أن واضعى برنامج مؤتمر بكين هدفوا الى تدارك ما فاتهم اقراره فى مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية الذى عقد فى سبتمبر الماضى.. وألحوا على القضايا التى خذلهم فيها المجتمع الدولى والتى كانت تدور فى شق منها حول مفهوم الأسرة و بنائها و تربية النشء و العلاقات الجنسية و الاجهاض.

و أضاف الشيخ جاد الحق ان المؤتمر يحطم الحواجز الاخلاقية و التقاليد الراسخة من التفات الى ان هذه القيم و الحواجز و التقاليد هى التى حمت شعوبا و دولا كثيرة من التردى فى هوة الفساد الجنسى و السقوط فى معمعة الاضطراب النفسى و مستنقع الانحلال الخلقى.

وطالب البيان الدول والشعوب الاسلامية الى اعلان التحفظ على ما ورد فى وثيقة اعلان مؤتمر بكين عما يخالف الشريعة الاسلامية وسائر الأديان السماوية أو يتناقض مع القيم الاجتماعية و الثقافية الراسخة، لا سيما ما يتعلق بشكل

الأسرة و نظامها فى هذه الأديان، و اطلاق الحرية الجنسية على خلاف ما تأمر به أو اباحة الاجهاض الا فى حالة الحفاظ على حياة الأم.

ونبه البيان مجددا الى خطورة الدعوة التى ينطوى عليها برنامج عمل مؤتمر بكين، و مناقضتـــه الاسلام و لسائر الأديان السماوية و استهـدافه تحطيم القيم الدينية و الاجتماعية و الخلقية التى عصمت البلاد و العباد.

وفى روما أصدر الفاتيكان بيانا باسم البابا أعلنه نيابة عنه المونسينور جان لويس توران أعلن فيه قلق الفاتيكان الشديد ازاء الضغط والاصرار على تطبيق الأفكار الغربية فيما يتعلق بحماية المرأة فى المجتمعات المختلفة فى العالم.

وأعلنت الكنيسة تمسكها بموقفها المعلن فى مؤتمر السكان بالقاهرة بالنسبة الى موضوع الاجهاض وأنه لا يوجد أى سبب مهما كانت وجاهته يبرر سلب و حرمان النفس البريئة من حقها فى الحياة.

كما أبـــدى البيان تحفظه على ما ورد فى الوثيقـة بخصوص التعليم الجنسى للأولاد و البنات باعتبار ذلك حرية شخصية يجب رعايتها و منع التدخل فيها.

وانتقدت الكنيسة بشدة محاولة الوثيقة تغييب درر الدين وتجاهلها لدوره الفعال فى حيـــاة الملايين من الرجال و النساء. و قالت انه و اذا ما رغبت الامم المتحـدة فى أن تكون ممثلـة لكل شعوب العالم، فعليها الا تتناسى الحقيقة الروحانية الدينية التى هى محور الانسانية فى العالم.

(مع الشكر لجريدة العالم الإسلامى)

موجز عن شخصية العلامة محب الدين الخطيب وجهوده المثمرة

بقلم : الدكتور طارق جميل الفلاحي
الباحث المشارك فى القسم العربي بجامعة عليجره ، الهند

شخصية محب الدين الخطيب شخصية علمية فذة ذات أنشطة عظيمة متنوعة متواصلة ، فقد برز الشيخ الخطيب فى مجال العلم والبحث والكتابة وامتاز باتجاهاته البناءة وآرائه الجريئة فى مجال العقيدة والعمل والأدب والفن والدعوة والاصلاح ، ومن هنا لا يستطيع باحث واحد أن يستوعب جميع نواحي العظمة فى هذه الشخصية الجبارة ولكن الذى يسرنا أن الباحثين فى الهند وكذا فى بعض الدول العربية بدأوا يشعرون بضرورة دراسة هذه الشخصية وأمثالها وكلما كثرت الدراسات والبحوث تجلت نواحي الشخصيات العلمية وتكاملت حلقات إنتاجه وعطائه . وكنموذج صغير للجهد المذكور ننشر هذا المقال الذى أعده باحث ناشىء يشتغل بالتدريس والبحث فى جامعة عليجره الاسلامية ، ونرجو أنه يوفق من الله تعالى للاستمرار فى إبراز آثار الشيخ الخطيب وأعماله المثمرة .

والله وراء القصد .

كان للشايخ والأدباء والشعراء منزلة رفيعة وحكم نافـذ فى مجتمعهم ، ثم كانوا يسجلون امجاد امتهم بروائع القول السلس البليغ ويرفعون قوميا

ويخفضون آخرين وكانوا ألسنتهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم . ومنهم الكاتب الأديب الاسلامى ، العالم المحقق المعروف ، المسلم الغيور على عقيـدته وتراثه وأمته ، الشيخ العلامة محب الدين الخطيب فى العصر الحديث .

ولد محب الدين الخطيب فى دمشق (١٣٠٣هـ/١٨٨٦م) واستقر فى مصر فى بقعة من أجمل بقاع القـاهرة ، فى جزيرة الروضة السابحة فى النيل الهادى . وهذه الفترة كانت مصر فى حال مذهلة من القلق والاضطراب ، تتنازعها التيارات والآراء المتباينة فى السياسة والاجتماع والفكر الأدب .

كان الخطيب المصرى من كبـار الإسلاميين ومفكرى العرب فى القرن العشرين . وامتـاز بأفكاره العلمية والفكرية فى عالم السياسية والأدب والدعوة الاسلامية . ومنذ ذلك اليوم عرف المجاهد الكبير فى أرض الكنـانة واشتهر أمره وخاصة حينما بدأ صفحة جديدة من الجهاد فى مجال الفكر والثقافة العربية عن طريق القلم والصحيفة والمطبعة . فأسس المطبعة السلفية ومكتبتهـا والتحق بتحرير المؤيد وعمل مع الشيخ على يوسف أستاذه الأول فى الصحافة المصرية .

وفى هذه المرحلة توضحت معالم شخصيته حينما اقترح فكر العلم العربى أمام أعضاء المنتدى الأدبى بشكل واضح ، واستمر يدعو لاتخاذ العلم العربى للعرب واحدا ، وهو مؤسس جمعية الشبان المسلمين ، وصاحب مجلتى «الفتح ، والزهراء » ورئيس تحرير مجلة الأزهر . . . وكان مثل أقرانه من أعلام النهضة منصرفا إلى احياء العلوم القديمة وتحرير الأدب من قيـده ، وعمل على خطى الرعيل الذى سبقه . وكان الشيخ الخطيب فى بيئتـه شخصا بارزا فى العلم والصحافة ، ورائدا فى الثورة العربية الاسلاميـة والاصلاح الدينى من بين معاصريه بعصر فى العصر الحديث .

كان محب الدين من أسرة سورية عريقة علمية، فنشأ منــذ صباه وتربى تربية علمية أخذ فيها تاريخ الاسلام وامجاد العرب. وكان أبوه وجده عالمين جليلين، وعنهما أخذ معلوماته الأولى. أما شيخه الأستاذ الجليل طاهر الجزائرى الذى كان يجله كثيرا ويذكره بالخير دائما. فقد تعلم منه اسلامه واخلاصه فى الدعوة واستنار بآرائه وهو الذى شجعه على كتــابة المقالات الأدبيــة والاصلاحية وعلى المساهمة فى الحركات الاسلامية واتصاله بالشيوخ والأساتذة البارزين وتوجيههم جاء بفائدة كبيرة فى حيــاته حتى صار كالكوكب اللامع الذى أضاء العلم والأدب بنوره وأعطاهما عطاء ضخما. وحصل الخطيب على مكان مرموق بعبقريته ونجح نجاحا بارزا و وصل إلى قمة المجد.

ولقد أعانته وثقافته وذكاؤه ونشاطه، واخلاصه على أن يقوم برسالاته فيما ندب له نفسه، فقد ثقف ثقافة مدنية أولا، فتعلم فى المدارس الثانوية ببيروت ثم بجامعة استامبول، حيث درس الحقوق والآداب، ثم أقبل على الدراسات الاسلامية الحرة، واستطاع بتلك الدراسات أن يكون باحثا اسلاميــا واسع الثقافــة و التحصيل على غرار البــاحثين الاسلاميين المعــاصرين. وقد تأثر بالشخصيات البارزة المعاصرة من أمثال عارف الشهيد والدكتور صالح قنباز، والدكتور صلاح الدين القاسمى و زكى الخطيب. عاش الرجل الكبير اعوامه التسعين بالطول والعرض. . . يخطب و يتحدث، يثور ويفور. . . يتنقل من بلد إلى بلد أثناء دراستــه التعليميــة . . . لم يعرف الاستقرار حتى فى أيام طفولته وصباه.

نشأ الأستــاذ الخطيب فى ظل الصراع بين الحرية والاستعمار فى الوطن العربى كله، وفى الشام خاصة، الذى قاسى من عسف الاستعمار الفرنسى شيئا كثيرا، وفتح عينيه على الدنيا أيام الحرب العالمية الأولى، والاستعمار الفرنسى

، كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى العالم
ي لغرض اذلاله وتحقيره . وفى الحقيقة ان البلاد العربية كلها تحت سلطنة
نيين وكان الاجانب يرتكزون على الشرق العربي منذ مدة طويلة . فقد بدأ
ستعمار فى سبيل السيطرة على العالم الاسلامى بتحطيم السلطنة العثمانية واقطاعها
ءا جزءا بادئا بالجزائر لفرنسا ومصر لبريطانيا .

ولعل ظروف حياته غير المستقرة ، كان لها أثر فى تكوين شخصيته العلمية
جتماعية والدينية ، وقد شاهد بنظراته العميقة استبداد العثمانيين ، ومؤامرة
ستعمار فى الشرق الأوسط كله . وبعد اتمام دراسته الجامعية هناك عاد إلى مصر،
تخذها دار المقام ، والتقى بأحمد تيمور باشا والشيخ على يوسف والشيخ طاهر
ـ اثرى . فاستهل حياته الصحفية بحيث اشتغل محررا بجريدة «المؤيد» عام ١٩٠٩م ،
فع صوته بالحرية والاستقلال ضد الانجليز والحكم الخديوى كليهما وبعدئذ
م رئاسة تحرير جريدة « القبلة » عام ١٩١٦م التى كانت لسان حال الدعاة
ـلحين إلى الحرية والعروبة . وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى دخل دمشق ،
ل مع الجمعية العربية الفتاة ، وأشرف على صحيفتها « العاصمة » عام ١٩١٨م
ـد حوادث الاستعمار الفرنسى فى ميسلون عاد إلى مصر وعين فى جريدة
ـهرام » وظل بها خمس سنوات إلى ١٩٢٥م ، حيث عاد إلى انشاء المكتبة
فية ومطبعتها ، واصدار « الزهراء » مجلته الأولى الادبيـة عام ١٩٢٤م ،
أسس « الفتح » الاسبوعية عام ١٩٢٦م ، ثم تولى رئاسة تحرير « الأزهر »
سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٨م .

كان محب الدين الخطيب عربى الصفات يتمثل فيه الكرم والجرأة والحزم
مضى أكثر سنوات عمره مجاهدا بقلمه فى العمل الدائب لنشر الاسلام عن
ـريق الدعوة الصادقة المخلصة وعن طريق الكتابة مدافعـا عن اللغة العربيـة

ذخائر الأدب العربي . وعمـــل عملا ضخما ضد تيار الغرب و دعوات
'ت الهدامة ، و دعوات تفتيت وحدة اللغة العربية ، وانه كان متفرسا
ر وأخص مزاياه الشمم والاباء واعتـــداده بنفسه . وكانت لـه أفكار
ه الأسرة الحاكمة . وقــد صرح بها فى مواطن كثيرة من كتبه ، فكان
إلى العدالة الاجتماعية وإلا يستبد ملك من الملوك مالك الأرض الحقيق .
ب آخر انه كان يكره الترخص فى المبادىء الاسلامية ، وبرغم حبه لآل
كان يكره الافراط فى مشايعتهم ، وله مع بعض الطوائف جولات قلمية
، وظل مجافيا لها طوال حياته .

أما من ناحية النقد فإنه كان ناقدا سلفيا متشددا للبيئة المصرية ، والأزهر،
رس ، وناصحا لها ، وكل ما كان يدور حوله من أقوال وأفعال و دعوات
طات من العلماء والشيوخ والأدباء والشعراء ، والعدو الغاصب الاستعمار
على كونه مصلحا اجتماعيـا رفع صوته ضد الاستبداد والاحتلال الأجنبي
ـــائد الباطلة ، والفرق الضالة بكتاباته . وقام بالتمييز بين الحق والباطل .
ئ مذكراته وتجاربه الشخصيـة التى انجلت فى معاملته مع الناس والمجتمع
الجيل الناشىء القادم ، وهذه كلهـــا محاولة لابراز الحق فى الحياة وهذا
له قيمة من هذا الـكون .

ومازال يقوم الشيخ الخطيب فى تلك الفترة فى البلاد العربيـة بجمعيات
كات كثيرة ، بحيث خاض فى الأعمال الحركية لرفع صوت الحق والحرية
وبة . فلا شك أن تأريخ الخطيب حافل بأعمال جليلة منـذ نعومة اظفاره
خلال اقامته فى دمشق واستانبول ، قادر على أن يؤثر فى تثقيف جيل وانشاء
مؤمنة بالقيم الدينيـة والأصول الأدبيـة . وكانت مطالعات الشباب هى

ـس الأول فى تكوين شخصيته ، فقد قرأ مؤلفات « ابن تيمية » وتعمق فى ـه فى الدعوة إلى معرفة الاسلام من ينابيعه الصافية .

فالخلاصة هنالك أعمال متفرقة كانت لبعضها تأثير عام شامل ، ولبعضها ـ محدود فى ايقاظ القومية والنهضة العربيـــة وكانت جميعا عوامل فعالة فى اظ العرب من رقادهم ، وتذكيرهم بماضيهم المجيد وبكيانهم القوى الحاضر ، ثهم على التضامن والمطالبة بما لهم من حقوق مضاعة فى الدولة . وفى جميع احل برزت ذاته بوصف مجاهد الرعيل والمؤسس لأمثال حلقة دمشق وجمعية ضة العربية ، والمنتدى الأدبى ، وجمعية العربية الفتـاة ، وحزب اللا مركزية ، معية الشبان المسلمين ، والمكتبة السلفية ومطبعتها .

وفى الحقيقة كان العلامة الخطيب سريع الخاطر ، منطلق الذهن فى الكتابة تحرير ، وعالما ضليعا باللغة والنقد ، وكاتبا بليغا ، ومؤرخا ، ومفسرا ومحدثا آن والسنة . مساهما فى رحاب العلم والأدب ، والصحافة ، والتحقيق ، يعد الشخصيات البارزة الغالية التى لا تزال الافتخار والثروة للعلماء والأدباء ، باحثين ، ولا تزال تبقى مصدرا هاما ، ومرجعا عظيما للأجيـال القادمة عن ـم الحقبة التى عاشهـــا وهى حقبة طويلة من هذا القرن ، وقد طوى خلال واحد أعمار أجيال سابقته وأجيال رافقته ، وأجيـال لاحقته . ولقد عالج ياسة الاسلامية قبل انهيار الدولة العثمانيـــة ، وكان من أشد المتحمسين من ـارها ، واضطلع بعد ذلك بالقضايا العربية . وكانت مؤلفـاته المتعددة ثروة ـمة ، فما ترك ناحية منها إلا تناولها تفصيلا واجمالا .

وأحب أن أقف وقفـة يسيرة لدى مؤلفـاته الكثيرة العدد مستفيـدا من التى التى قدمتها للدكتوراة ثم أقوم بتعريف وجيز لأهم مؤلفاته تربو عن ـثين كتابا من بينها ما ألفه باللغة الفرنسية والتركية .

فإنـه خلف ثروة فكرية كبيرة تتمثل فى مجموعة الكتب والرسائل والتعليقات والتحقيقات التى كتبها فى مراحل عمره المختلفة وجميع كتاباته تتميز بالأسلوب الأدبى الرفيع والبيان البديع والحرارة الصادقـة فى العاطفة والفكرة العلمية المحققة.

نعم ! كان لمحب الدين الخطيب أدب جيد، له مقالات وكتب، وتعليقات رائعـة وشروح قيمة فى الكتب الأدبية والتاريخية. وإنه ألف فى أعوامه التسعين على رغم المعوقات ٢٠ كتـابا معروفا فى اتجاهات عديدة فى الأدب والتاريخ والمذاهب الاسلامية، والتراث العلمى، أمثال: كتاب «الحديقـة» ١٤ جزءا و«ما أعرف طه حسين» مع الرعيـل الأول، تاغور، اتجاهاه الموجات فى جزيرة العرب، الأزهر ماضيه وحاضره، تاريخ مدينة الزهراء، الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعـة الاثنى عشرية الامامية وشروحه القيمة، أمثال: «أدب الكاتب» لابن قتيبة، و«العواصم والقواصم» لابن العربى المالكى، و«كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال» للعلامة الذهبى، و«كتـاب الاكليل فى تاريخ اليمن وأنساب الحمير» لمحمد الحسن بن أحمد الهمدانى. وكذلك تعليقاته الرائعة، أمثال: كتاب «توضيح الصحيح» وهو شرح لصحيح البخارى فى ثمان مجلدات كبار، و«فتح البارى» لشرح ابن حجر العسقلانى وهكذا تعريباته وترجماته حوالى ١٠ كتب باللغة الفرنسية والتركيـة، أمثال: «أسرار القرآن» و«قميص من النار» و«الغارة على العالم الاسلامى» و«مذكرات غليوم الثانى» وما نشر كتابا فى المطبعة السلفية إلا كتب مقدمة علمية أدبيـة عن المؤلف والكتاب. ثم هناك مئات من المقالات التى كتبها فى موضوعات شتى. وبالجملة نجد هذا الكاتب الاديب، وهو أول من دعا إلى إحياء لغـة العرب وتاريخها وأمجادها، وأول من دعا إلى تنظيم العمل الاسلامى فى مصر،

وأول من دعا إلى تأسيس الجمعية العربية السرية ، وأول من دعا إلى تصميم العلم العربي ، وهكذا هو أول من دعا إلى إنشاء الجريدة الأدبية « الأزهر » والصحيفة الاسلامية « الفتح » ولكن عزلته وابتعاده عن مجتمعات الأدباء وأصحاب الأقلام ، وأرباب السلطان ، جعلت الناس يقارنونه بمن هم أقل منه شأنا وأضعف أثرا ، وينسونه ولكن يعزيه هو وأمثاله ، أن الله لا يضيع عمل عامل وما عند الله خير وأبقى .

تلك المؤلفات والكتب تدل على سعة علمه وعمق دراسته ، وطول باعه فى البحث والترتيب والعرض ، وكان — رحمه الله — نشيطا دائم الحركة ، يشترك فى الندوات والحركات والجمعيات . . . و إذا نظرنا نظرة واسعة إلى أعماله وآثاره وخدماته حق لنا أن نقول : إنه كان أستاذ الجيل الجديد فى التحقيق والكتابة والصحافة والتربية والتعليم . ومؤلفاته تكوّن أداة صالحة لدراسة المقارنة بين المذاهب والموسوعة الاسلامية التى تهتم المجامع العلمية والثقافية لوضعها فى هذه الأيام .

هذا ما ذكرته بايجاز ليطلع القارى على سرعة كتابته وبذل أوقاته فى التأليف والتحقيق وبذلك يتضح ما برهنت عليه بالشواهد البينة على أن الخطيب من كبار علماء العرب ومن أعظمهم تأليفا وانتاجا ونفعا فله يد كريمة بيضاء فى ميادين العلم والفكر والثقافة والحضارة لا تنسى ملدامت الأرض والسماء .

لاشك أن الخطيب رائد الفكرة الاسلامية فى أدبنا الحديث وهو صاحب نكتة و دعابة فى أحاديثه وتحريره وأسلوبه وفكره . وهو بمنزلة الرافعى ، والعقاد ، وكرد على ، وأحمد تيمور باشا ، والمغربى ، والجواثرى ، و أرسلان . ويشعر من يقرأه بأنه أديب صحفى حتى فى بحوثه اللغوية والطبية .

ولقد عاش محب الدين حياته يدعو الشباب العربى إلى التخصص فى دراسة

الفكر الاسلامى وتلخيصه فى الكتب القديمة وعرضه على النحو العصرى الحديث الذى يتيح للمثقفين الانتفاع به، ويرد عنه دعاية خصومه حين يتهمونه بالضعف أو الاضطراب. وهو يدعو النشء الجديد إلى العمل الايجابى من أجل اللحاق بركب النهضة حتى لا يتخلفوا عنه، داعيا إلى اعداد رجال يقتبسون الصناعات ويتخصصون فى العلوم اللازمة لها، والاكثار من أهل المعرفة فى فنون القوة. وكذا إلى الأخذ بأسباب القوة وبكل نافع من نتاج الحضارة الحديثة مع المحافظة على المثل والقيم والأخلاق القديمة لأن الخير كله قديم. وكان يركز على إصلاح المدارس، ومناهج التعليم و وسائل الإعلام.

ولم يكن جهاد محب الدين بلسانه وأعماله فحسب، ولكنه جاهد بقلمه وخاض فى غمار الصحافة والنشر لمقاومة الحرية، والعروبة، والشئون الاسلامية فى أقطاب العالم كله. إن الشيخ الخطيب قد استهل حياته الصحفية الأدبية من عهد مبكر كما نراه أنه اشتغل محررا فى الجرائد المختلفة والصحف الشهيرة فيما يقلم المطبوعات ونرى أنه برز فى الصحافة رائدا مصلحا مفكرا وأديبا بعلمه وقلمه. لاشك انه نفث الصور بنشرات ومقالات متنوعة فى العالم العربى ضد الأستعمار والدعوات الهدامة والفرق الضالة. ودافع عن اللغة العربية عند المستعمرين ويحدث فيها من توافر مقومات الوحدة من نواحى الجنس، والتاريخ والسياسة والروح والدين والتشريع والاجتماع والثقافة. وكانت صحافته صحافة لقية متداولة وانه أنشأ صحافة جديدة على خطوط الاسلام بعد العروة الوثقى، والمنار. وبذل جهوده على المنهج، وروج الصحافة الاسلامية، وبالأخص انه عالج مشاكل العلم، والأدب، والنقد، واللغة، والفن بدون تخصص مدافعا عن الصحافة الأدبية الخالصة. وإنه لم يلجأ إلى أى منصب، ولم يزل بعيدا عن التملق. ولقد عانى بأصعب الفترات التى واجه فيها عقبات كثيرة، ومعوقات

جمة ، ولكن لم يبال بالموانع والحواجز والصعوبات مهما عظمت ، ولم يخف من حملة الاستعمار والتبشير أو انذار الحكومة مهما كانت قاسية ، وأدى واجباته من حيث الصحفي بكل عناية و اهتمام متمسكا بالأمانة والصدق كما هي من أوصاف الصحفي الممتاز .

الدعوة من طريق الصحف والمجلات والمباحث كما فعل الأستاذ الخطيب وهو أبو الحركة الاسلامية الجديدة ، ونقيب الصحافة الاسلامية في مصر . كان قلمه أول قلم دعا إليها وكانت المطبعة السلفية أول مطبعة ، وكانت هي مركزا الدعوة والنشر والتوزيع . ولاشك أن صحيفة « الفتح » مدرسة كبرى تفتح آفاقا جديدة امام المسلمين من الوعي الاسلامي الصحيح والفكر السياسي النير ، والأدب النقي ، والمعالجة السليمة لمشاكل العالم الاسلامي على ضوء الدين الحنيف . هذه الصحيفة استقطبت وتصدت للدفاع عن حقائق الاسلام وحقوق المسلمين والأدب العربي أيضا ، إلى خمسة وعشرين عاما . انه لم يحترف الصحافة ليملأ جيبه بالأموال ، وإنما ركز اهتمامه على ابراز طريق الحق والتقدم طيل حياته . فيجدر بنا أن نقول بأنه أعطى الصحافة اتجاها جديدا وغير مجرى تيارى الصحافة والصحفيين والقادمين بعده . هذه قبسات من أفكاره ولمحات من حياته ، حاولت فيها قدر الامكان ان أقدم خلاصة عن جميع النواحي . ان أفكاره وأعماله انتشرت في جميع البلاد العربية وخارجها ، وصارت معروفة مقروءة الأدبية الصحفية والفكرية مجهولة في الكتب والمقالات في العصر الحديث ، وقد لعبت محاولاته العظيمة دورها المنشود وآتت أكلها كل حين ؟

عدد صفحات الجزء ٦٤

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

المجلد (٢٧)	جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ
العدد الحادى عشر	نوفمبر ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بى ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٣٦ دولارا (بالبريد الجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥/٠٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

◎ المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

- إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكرى ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
- مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحية :

مؤتمر الدعوة الإسلامية فى آسيا والباسفيك

انعقد بعون الله وتوفيقه « مؤتمر الدعوة الاسلامية فى آسيا والباسفيك : الواقع والمستقبـــل » فى جاكرتا ، اندونيسيا فى ٢٢ — ٢٤ / سبتمبر ١٩٩٥ م ، بالتعاون بين وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد فى المملكة العربية السعودية ، و وزارة الشئون الدينية بجمهورية اندونيسيا . وقد كان لكاتب هذه السطور شرف تمثيل الجامعة السلفية فى المؤتمر .

وحيث ان اندونيسيا تمتاز بكونها أكبر دولة من ناحية عدد المسلمين ، ويمتاز الشعب الاندونيسى بحب التدين وسماحة الخلق ، وتمتاز جاكرتا بالملامح الحضارية الحديثة وبالنشاط التجارى الواسع ، فإنى قـــد سجلت فى سفرى هذا انطبـــاعات عن تلك البلاد ، وسوف أنشرها فى المجلة ان شاء الله فى وقت مناسب ، ولكن الآن أود أن أعطى نبذة عن المؤتمر والمشاركين والبحوث التى تمت مناقشتها .

والحفل الافتتاحى للمؤتمر انعقد فى القصر الجمهورى بجاكرتا ، افتتحه الرئيس الاندونيسى سوهارتو ، وقد تحدث فى هذا الحفل معالى الدكتور ترمذى طاهر وزير الشئون الدينية باندونيسيا ، ومعالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى وزير الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية. والكلمة التى ألقاها الرئيس سوهارتو فى هذا الحفل قـــد وزعت على الحضور مطبوعة باللغة الانجليزية ، وهى كلمة قصيرة تدور حول المسائل الخاصة بالدعوة

والارشاد فى العصر الحاضر فى آسيا والباسفيك أو فى العالم كله ، فأشار إلى موقف بلاده من الأديان ، وحالة الدعوة الاسلامية فيها ، ثم تطرق إلى التطور الاعلامى الذى يشهده العصر الراهن ، وإلى المشكلات المتنوعة التى تواجه البشرية فى هذا العصر ، وإلى الحلول التى يقدمها الاسلام لهذه المشكلات ، ويقود بها العالم البشرى إلى السعادة والرفاهية .

والجلسة الأولى للمؤتمر ابتدأت يوم الجمعة فى الساعة الثانية ظهرا ، واستمرت إلى السابعة والنصف . وقد ألقيت فيها ثمانية بحوث وكلمات أصحابها وعناوينها كما يلى :

١ — مجالات التعاون الدعوى بين المنظمات والمؤسسات الاسلامية فى آسيا والباسفيك للدكتور أشرف ياسوى (اليابان) .

٢ — تعريف بدولة نيبال : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للشيخ عبد الله عبد التواب المدنى (نيبال) .

٣ — تعريف بدولة استراليا : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ عبد الخالق قاضى (استراليا) .

٤ — وسائل الدعوة الاسلامية للدكتور جعفر شيخ ادريس .

٥ — تعريف بدولة الفلبين : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للدكتور أمير الدين سيرانجانى (الفلبين) .

٦ — مستقبل الدعوة الاسلامية فى آسيا والباسفيك للدكتور قريش شهاب (اندونيسيا) .

٧ — أهمية اللغة العربية فى مجال الدعوة الاسلامية والعمل الاسلامى للدكتور صالح العائد (السعودية) .

٨ — تعريف بدولة بنغلاديش : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للشيخ أبو الكلام محمد يوسف (بنغلاديش) .

والجلسة الثانية بدأت يوم الخميس فى الساعة الثامنة صباحا ، واستمرت إلى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، وقد ألقيت فيها تسعة بحوث وكلمات التعريف . وفيما يلى عناوين البحوث والكلمات وأسماء الباحثين :

١ — الثوابت الاسلامية الاساسية فى الاسلام وموقف المذاهب الهدامة منها لفضيلة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق (الكويت) .

٢ — تعريف بدولة نيوزيلاند : تأريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ امام على (نيوزيلاند) .

٣ — تعريف بدولة تايوان : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ يونس عبد الله ما (تايوان) .

٤ — أحكام التعامل مع غير المسلمين والآداب التى وجه الاسلام إليها فى هذا الخصوص للدكتور عبد الله بن عبد العزيز المصلح (السعودية) .

٥ — تعريف بدولة تايلاند : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ عبد الوهاب (تايلاند) .

٦ — وسائل الاتصال : آثارها وكيفية الاستفادة منها فى مجال العمل الاسلامى للدكتور أمين رئيس (اندونيسيا) .

٧ — تعريف بدولة كمبوديا : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ محمد بن يوسف (كمبوديا) .

٨ — تعريف بدولة المالديف : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ محمد رشيد ابراهيم (المالديف) .

٩ – تعريف بدولة سريلانكا : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ محمد حنيفة محمد (سريلانكا) .

والجلسة الثالثة للمؤتمر بدأت فى الساعة الثانية واستمرت إلى الساعة الخامسة والربع مساء ، وقد ألقيت فيها سبعة بحوث وكلمات عناوينها وأصحابها كما يلى :

١ – الاولويات فى مجال العمل الاسلامى للدكتور دوام راهاجو (اندونيسيا)

٢ – تعريف بدولة كوريا : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ قمر الدين مون (كوريا) .

٣ – الأقليات الاسلامية فى آسيا والباسفيك للشيخ أمين الهادى زين (استراليا) .

٤ – الدعوة الاسلامية فى الهند : متطلبات ومقترحات للدكتور مقتدى حسن محمد ياسين الأزهرى (الهند) .

٥ – تعريف بدولة فيجى : تاريخها والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للشيخ رفيع أحمد محمد عاقل (فيجى) .

٦ – تعريف بدولة الباكستان : تاريخهـا والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للأستاذ سيد مصطفى صادق (باكستان) .

٧ – تعريف بدولة سنغافورة : تاريخهـا والاسلام فيها والتحديات التى تواجه المسلمين للدكتور حسين مطلب (سنغافورة) .

وفى دليل المؤتمر ورد تمهيد عن منزلة الدعوة وأهميتها ننقله هنا :

« إن الدعوة إلى الله هى وظيفة الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلى أممهم ، ودعوة نبينا محمد ﷺ هى خاتمة الدعوات والرسالات السماوية ، وهى الميراث الذى تركه ﷺ لأمته تستمد أسسهـا وأصولها من كتاب الله ، وتستنير بسنة المصطفى ﷺ .

وقد اهتم المسلمون بالدعوة اهتمامهم بالطعام والشراب، و ذلك فى مختلف الأزمنة والعصور مستلهمين بهذا الاهتمام من قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر﴾. ومع تبدل الأحوال وتعاقب الأزمان يبقى الاسلام فيه صلاح الأحوال واستقامتها وفيه حفظ البشرية ونجاتها، وتبقى الدعوة الصحيحة هى الوسيلة لتذكير المسلمين بدينهم وتبليغه إلى الناس كافة، لهذا جاء اهتمام المسلمين بهذه الدعوة وحفظها من كل ما يشوبها أو يؤثر فى أصولها أو يشكك فى عدالة ناقليها عن رسول الله ﷺ من الصحابة الأبرار وسلف هذه الأمة الأخيار، متمثلا فى وسائل متعددة كالتأليف والتدريس وعقد الملتقيات العلمية والمؤتمرات والندوات واللقاءات وغيرها. ومهما تعددت الوسائل التى تعرض بها الدعوة الاسلامية فإن هذا الموضوع يتجدد بتجدد الأحوال، لهذا كان اختيار موضوع (الدعوة الاسلامية فى آسيا والباسفيك — الواقع والمستقبل) ولعل من الأسباب والدوافع وراء ذلك ما يلى:

١ — تعدد المناشط الدعوية فى آسيا ومنطقة الباسفيك نظرا لازدياد الوعى الاسلامى لدى شعوب المنطقة.

٢ — حاجة المنطقة إلى خطة دعوية تقوم على أسس مدروسة و وسائل محددة ومعروفة تناسب الواقع وتنطلق من فقهه و إدراكه.

٣ — نجاح خطة التنمية فى الدول ذات الأكثرية الاسلامية مما يستدعى تقديم وسائل دعوية تناسب ذلك.

٤ — ضرورة التعريف بالدعوة الاسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة.

٥ــ أهمية التعريف بواقع الدعوة الإسلامية فى آسيا والباسفيك وتحديد المشكلات التى تواجهها أملا فى وضع حلول مناسبة لها».

ومن أهداف المؤتمر جاء فى الدليل ما يلى:

«يهدف هذا المؤتمر إلى تحقيق أهداف متميزة من أهمها ما يلى:

١ــ العناية بوسائل نشر الدعوة الاسلامية فى آسيا والباسفيك.

٢ــ تبصير الناس وتوعيتهم بكل ما من شأنه مصلحة الاسلام والمسلمين.

٣ــ التنويه بأهمية تبادل الخبرات بين المهتمين بالدعوة الإسلامية فى المنطقة واخوانهم فى مناطق أخرى من العالم.

٤ــ اثراء ساحة العمل الاسلامى بعدد من البحوث العلمية التى تشخص المشكلات وتقدم الحلول لها.

٥ــ العناية بأولويات العمل الاسلامى وتحديدها وفقا للامكانات المتاحة.

٦ــ بث الشعور لدى المسلمين فى هذه المنطقة بأهمية وحدتهم مع الأمة الاسلامية على أساس من العقيدة الاسلامية الصحيحة».

وتعميما للنفع تنشر مجلة صوت الأمة فى هذا العدد بعض بحوث المؤتمر وقراراته وتوصياته، ونسأل الله عز وجل أن يبصر الأمة بالطرق النافعة للدعوة والارشاد، ويوفقها لتصحيح العقيدة والعمل، إنه ولى التوفيق؟

(بقلم: د. مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهرى)

●✻●

(١) حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

بقلم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فلا ريب أن الاسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ وعلى عظم منزلته عنـــد الله عز وجل ، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة ، وعلى علوه سبحانه وتعالى على جميع خلقه . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾[1]. وتواتر عن رسول الله ﷺ أنه عرج به إلى السماء ، وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة ، فكلمه ربه سبحانه بما أراد ، وفرض عليه الصلوات الخمس ؛ وكان الله سبحـانه فرضها أولا خمسين صلاة ، فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف ، حتى جعلها خمسا فى الفرض ، وخمسين فى الأجر ، لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه .

وهذه الليلة التى حصل فيهـــا الاسراء والمعراج ، لم يأت فى الأحاديث الصحيحة تعيينها لا فى رجب ولا غيره ، وكل ما ورد فى تعيينها فهو غير ثابت

---

(١) سورة الاسراء : ١

نبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث ، وقه الحكمة البالغة فى إنساء الناس لها ،
بت تعيينا ، لم يجز للسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات ، ولم يجز لهم
تفلوا بها ، لأن النبي ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم لم يحتفلوا بها ،
خصوها بشيء ، ولو كان الاحتفال بها أمرا مشروعا لبينه الرسول ﷺ
، إما بالقول وإما بالفعل ، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ،
الصحابة رضى الله عنهم إلينا ، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه
، ولم يفرطوا فى شيء من الدين ، بل هم السابقون إلى كل خير ، فلو كان
فال بهذه الليلة مشروعا لكانوا أسبق الناس إليه ، والنبي ﷺ هو أنصح
، للناس وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ ، وأدى الأمانة ، فلو كان تعظيم
الليلة والاحتفال بها من دين الله لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه ، فلما لم يقع
من ذلك ، علم أن الاحتفال بها ، وتعظيمها ليسا من الاسلام فى شيء ،
كمل الله لهذه الأمة دينها ، وأتم عليها النعمة ، وأنكر على من شرع فى
ما لم يأذن به الله ، قال سبحانه وتعالى فى كتابه المبين من سورة المائدة :
﴿م أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام
﴾[1]، وقال عز وجل فى سورة الشورى : ﴿أم لهم شركاؤا شرعوا لهم
الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم
ب أليم﴾[2]، وثبت عن رسول الله ﷺ فى الأحاديث الصحيحة التحذير
بدع ، والتصريح بأنها ضلالة ، تنبيها للأمة على عظم خطرها ، وتنفيرا لهم
قترافها ، ومن ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها عن النبي

سورة المائدة : ٣

) ،، الشورى : ٢١

ﷺ أنه قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وفى رواية لمسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ، وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول فى خطبته يوم الجمعة : « أما بعد : فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » زاد النسائى بسند جيد ، وكل ضلالة فى النار ، وفى السنن عن العرباض بن سارية رضى الله عنـــه أنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب و ذرفت منها العيون فقلنـا يا رسول الله كأنها موعظـة مودع فـأوصنـا ، فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وأن تأمر عليكم عبـــد فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنـة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » والأحاديث فى هذا المعنى كثـــيرة ، وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع والترهيب منها ، وما ذاك إلا لأنها زيادة فى الدين ، وشرع لم يأذن به الله ، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى فى زيادتهم فى دينهم ، وابتداعهم فيه مالم يأذن به الله ، ولأن لازمها التنقص للدين الاسلامى ، واتهامه بعدم الكمال ، ومعلوم ما فى هذا من الفساد العظيم ، والمنكر الشنيع ، والمصادمة لقول الله عز وجل : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾[١] . والمخالفـــة الصريحة لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام المحذرة من البدع والمنفرة منها .

وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلـة كفاية ، ومقنع لطالب الحق ،

---

(١) سورة المائدة : ٣

فى إنكار هذه البدعة ، أعنى بدعة الاحتفال بليلة الاسراء والمعراج ، والتحذير منها ، وإنهـا ليست من دين الاسلام فى شىء ، ولما أوجب الله من النصح للسلمين ، و بيان ما شرع الله لهم من الدين ، وتحريم كتمان العلم ، رأيت تنبيه إخوانى المسلمين على هذه البدعة التى قد فشت فى كثير من الأمصار ، حتى ظنها بعض الناس من الدين ، والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعا ، ويمنحهم الفقه فى الدين ، ويوفقنا وإياهم للتمسك بالحق والثبات عليه ، وترك ما خالفـه ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم وبارك على عبـده و رسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

---

(٢) حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة والصلاة والسلام على نبيه و رسوله محمد نبى التوبة والرحمة .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا﴾[1] الآية من سورة المائدة . وقال تعالى : ﴿أم لهم شركاؤا شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾[2] الآية من سورة الشورى ، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يقول فى خطبة الجمعة : « أما بعـد : فان خير الحديث

---

(١) سورة المائدة : ٣

(٢) » الشورى : ٢١

كتـاب الله وخير الهدى هدى محمـد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وهي تدل دلالة صريحـة على أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لهذه الأمة دينهـا ، وأتم عليها نعمته ، ولم يتوف نبيه عليه الصلاة والسلام إلا بعد ما بلغ البلاغ المبين ، وبين للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال ، وأوضح ﷺ أن كل ما يحدثه الناس بعده ، وينسبونه إلى دين الاسلام ، من أقوال أو أعمال ، فكله بدعة مردودة على من أحدثه ، ولو حسن قصده ، وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ الأمر ، وهكذا علماء الاسلام بعدهم ، فأنكروا البدع وحذروا منها ، كما ذكر ذلك كل من صنف في تعظيم السنة وإنكار البدعة ، كابن وضاح والطرطوشي ، وأبي شامه وغيرهم ، ومن البدع التي أحدثها بعض الناس بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وتخصيص يومها بالصيام ، وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه ، وقـد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة ، لايجوز الاعتماد عليها ، أما ما ورد في فضل الصلاة فيها ، فكله موضوع كما نبه على ذلك كثير من أهل العلم وسيأتي ذكر بعض كلامهم إن شاء الله . وورد فيها أيضا آثار بعض السلف من أهل الشام وغيرهم ، والذي أجمع عليه جمهور العلماء أن الاحتفال بها بدعة ، وأن الأحاديث الواردة في فضلها كلها ضعيفة ، وبعضها موضوع ، وممن نبه على ذلك الحافظ بن رجب ، في كتابه لطائف المعارف وغيره ، والأحاديث الضعيفة إنما يعمل بها في العبادات التي قـد ثبت أصلها بأدلة صحيحة ، أما الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، فليس له أصل صحيح ، حتى يستأنس له بالأحاديث الضعيفة .

وقد ذكر هذه القاعدة الجليلة الامام أبو العباس شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، وأنا أنقل لك أيها القارئ ما قاله بعض أهل العلم في هذه المسألة ، حتى تكون على بينة في ذلك ، وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن الواجب رد

ما تنازع فيه الناس من المسائل إلى كتاب الله عز وجل ، وإلى سنة رسول الله ﷺ ، فما حكما به أو أحدهما فهو الشرع الواجب الاتباع ، وما خالفهما وجب إطراحه ، وما لم يرد فيهما من العبادات فهو بدعة لا يجوز فعله ، فضلا عن الدعوة إليه وتحبيذه .

كما قال سبحانه في سورة النساء : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[1]. وقال تعالى : ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾[2]. الآية من سورة الشورى . وقال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[3]. الآية من سورة آل عمران . وقال عز وجل : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[4]. والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وهي نص في وجوب رد مسائل الخلاف إلى الكتاب والسنة ، ووجوب الرضى بحكمها ، وأن ذلك هو مقتضى الايمان ، وخير للعباد في العاجل والآجل وأحسن تأويلا أي عاقبة ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه « لطائف المعارف » في هذه المسألة بعد كلام سبق ما نصه :

وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ،

---

(١) سورة النساء : ٥٩
(٢) " الشورى : ١٠
(٣) " آل عمران : ٣١
(٤) " النساء : ٦٥

ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم ، يعظمونها ويجتهدون فيها فى العبادة وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها ، وقــد قيل أنه بلغهم فى ذلك آثار إسرائيليــة ، فلما اشتهر ذلك عنهم فى البلدان ، اختلف النـاس فى ذلك فنهم من قبله منهم ، ووافقهم على تعظيمها ، منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز ، منهم عطاء وابن أبي مليكة ، ونقله عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة واختلف علماء أهل الشام فى صفة إحيائها على قولين :

أحدهما : أنه يستحب إحيــاءها جماعة فى المساجد كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ، ويتبخرون ويتكحلون ، ويقومون فى المسجد ليلتهم تلك ، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك وقال فى قيامها فى المساجد جماعة ليس ذلك ببدعة نقله حرب الكرمانى فى مسائله .

والثانى : أنه يكره الاجتماع فيها فى المساجد للصلاة والقصص والدعاء ، ولا يكره أن يصلى الرجل فيهـــا لخاصة نفسه وهذا قول الأوزاعى امام أهل الشام ، وفقيههم وعالمهم وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى ، إلى أن قـال : ولايعرف للإمام أحمد كلام فى ليلة نصف شعبان ويتخرج فى استحباب قيامها عنه روايتان ، من الروايتين عنه فى قيام ليلتى العيــد فانه فى رواية لم يستحب قيـامها جماعة لأنه لم ينقل عن النبى ﷺ وأصحابه واستحبها فى رواية لفعل عــبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك وهو من التابعين فكذلك قيـام ليلة النصف لم يثبت فيها شىء عن النبى ﷺ ولا عن أصحابه وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام .

انتهى المقصود من كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله وفيه التصريح منه

بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه رضى الله عنهم شيء في ليلة النصف من شعبان ، وأما ما اختاره الأوزاعي رحمه الله من استحباب قيامها للأفراد واختيار الحافظ ابن رجب لهذا القول ، فهو غريب وضعيف لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعا لم يجز للمسلم أن يحدثه في دين الله ، سواء فعله مفردا أو في جماعة وسواء أسره أو أعلنه لعموم قول النبي ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وغيره من الأدلة الدالة على إنكار البدع والتحذير منها .

وقال الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه « الحوادث والبدع » ما نصه :

(و روى ابن وضاح عن زيد بن أسلم ، قال : ما أدركنا أحدا من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان ، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول ولا يرون لها فضلا على ما سواها) . وقيل لابن أبي مليكة : إن زيادا يقول ، إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر . فقال : (لو سمعته وبيدي عصا لضربته) . وكان زياد قاصا ، انتهى المقصود وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في « الفوائد المجموعة » ما نصه :

حديث : « يا علي من صلى مائة ركعة ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، عشر مرات إلا قضى الله له كل حاجة » الخ . هو موضوع وفي ألفاظه المصرحة بما يناله فاعلها من الثواب ما لا يمترى انسان له تمييز في وضعه و رجاله مجهولون ، وقد روى من طريق ثانية وثالثة كلها موضوعة و رواتها مجاهيل ، وقال في المختصر : حديث صلاة نصف شعبان باطل ، ولابن حبان من حديث علي إذا كان ليلة النصف من

شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، ضعيف. وقال اللآلىء: مائة ركعة فى نصف شعبان بالإخلاص عشر مرات مع طول فضله للديلمى وغيره موضوع وجمهور رواته فى الطرق الثلاث مجاهيل ضعفاء قال واثنتا عشر ركعة بالاخلاص ثلاثين مرة موضوع وأربع عشرة ركعة موضوع.

وقد اغتر بهذا الحديث جماعة من الفقهاء كصاحب الأحياء وغيره، وكذا من المفسرين، وقد رويت صلاة هذه الليلة أعنى ليلة النصف من شعبان على أنحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة، ولاينافى هذا رواية الترمذى من حديث عائشة لذهابه ﷺ إلى البقيع ونزول الرب ليلة النصف إلى سماء الدنيا، وأنه يغفر لأكثر من عدة شعر غنم كلب، فان الكلام إنما هو فى هذه الصلاة الموضوعة فى هذه الليلة على أن حديث عائشة هذا فيه ضعف وانقطاع، كما أن حديث على الذى تقدم ذكره فى قيام ليلها لا ينافى كون هذه الصلاة موضوعة، على ما فيه من الضعف حسبما ذكرناه. انتهى المقصود.

وقال الحافظ العراقى: حديث صلاة ليلة النصف موضوع على رسول الله ﷺ وكذب عليه وقال الامام النووى فى كتاب «المجموع»: (الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهى اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء، ليلة أول جمعة من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يغتر بذكرهما فى كتاب «قوت القلوب» وإحياء علوم الدين ولا بالحديث المذكور فيهما، فان كل ذلك باطل ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات فى استحبابهما فانه غالط فى ذلك.

وقد صنف الشيخ الامام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى كتابا نفيسا فى إبطالهما فأحسن فيه وأجاد وكلام أهل العلم فى هذه المسألة كثير

جدا ولو ذهبنا ننقل كل ما اطلعنا عليه من كلام فى هذه المسألة ، لطال بنا الكلام ولعل فيما ذكرنا كفاية ومقنعا لطالب الحق وما تقدم من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم يتضح لطالب الحق أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة أو غيرها وتخصيص يومها بالصيام ، بدعة منكرة عند أكثر أهل العلم وليس له أصل فى الشرع المطهر بل هو مما حدث فى الاسلام بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم ويكفى طالب الحق هذا الباب وغيره قول الله عز وجل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾(١).

وما جاء فى معناها من الآيات وقول النبى ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه رد » وما جاء فى معناه من الأحاديث وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ، ولا تخصوا يومها بالصيام من بين الايام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم » فلو كان تخصيص شىء من الليالى بشىء من العبادة جائزا لكانت ليلة الجمعة أولى من غيرها لان يومها هو خير يوم طلعت عليه الشمس ، بنص الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ فلما حذر النبى ﷺ من تخصيصها بقيام من بين الليالى دل ذلك على أن غيرها من الليالى من باب أولى ، لايجوز تخصيص شىء منها بشىء من العبادة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص ، ولما كانت ليلة القدر وليالى رمضان يشرع قيامها والاجتهاد فيها نبه النبى ﷺ على ذلك وحث الامة على قيامها وفعل ذلك بنفسه كما فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنوبه » فلو كانت

(١) سورة المائدة : ٣

صف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب أو ليلة الاسراء والمعراج
تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادة لأرشد النبي ﷺ الأمة إليه أو
نفسه ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة رضى الله عنهم إلى الأمة ،
تموه عنهم ، وهم خير الناس وأنصح الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة
م ، و رضى الله عن أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم وقد عرفت آنفا
لام العلماء أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضى الله
شيء فى فضل ليلة أول جمعة من رجب ، ولا فى ليلة النصف من شعبان
ن الاحتفال بهما بدعة محدثة فى الاسلام وهكذا تخصيصها بشيء من العبادة
منكرة وهكذا ليلة سبع وعشرين من رجب ، التى يعتقد بعض الناس أنها
سراء والمعراج لايجوز تخصيصها بشيء من العبادة كما لايجوز الاحتفال
دلة السابقة هذا لو علمت ، فكيف والصحيح من أقوال العلماء أنها
ف وقول من قال أنها ليلة سبع وعشرين من رجب . قول باطل لا أساس
الأحاديث الصحيحة ولقد أحسن من قال :

. الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالسنة والثبات عليها ،
ر مما خالفها ، إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده و رسوله نبينا
وعلى آله وصحبه أجمعين .

●✳●

المحجة البيضاء فى حماية السنة الغراء
من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء

(٤)

بقلم : الدكتور ربيع بن هادى عمير المدخلى

مواقف أئمة السنة والحديث والفقه ومناهجهم فى :
نقد وجرح أهل الأهواء والأخطاء

١ – موقف الإمام مسلم

عقد الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه[1] بابا عظيما، ساق فيه أقوال أئمة الاسلام فى جرح الرواة، الذين ساق أسماءهم فى هذه المقدمة.

وترجم النووى لهذا الباب بقوله:

(باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن ثقات، وأن جرح الرواة بما فيهم جائز بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة).

روى مسلم فى هذا الباب بإسناده إلى الامام محمد بن سيرين أنه قال:

---

(١) (١/ ١٤–١٥)

ـلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم) .

ـناده إلى الامام ابن سيرين أنه قال : (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فتنة قال : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، ـهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) .

ـ بإسناده عن عبد الله بن المبارك : (لولا الإسناد لقال من) .

: (بيننا وبين القوم القوائم) يعنى : الإسناد .

ـناده عن على بن شقيق : سمعت عبد الله بن المبارك يقول على ـس : (دعوا حديث عمرو بن ثابت ، فإنه كان يسب السلف)[1].

ـناده عن ابن عون : (إن شهرا نزكوه ، إن شهرا نزكوه) .

ـناده إلى عبد الله بن المبارك : انتهيت إلى شعبة فقال : (هذا عباد حذروه) .

ـناده إلى سفيان الثورى ، أنه سئل عن معلى الرازى ، فقال : [2].

ـناده إلى الشعبي أنه قال : (حدثنى الحارث الأعور الهمدانى ، وكان

ـناده إلى منصور ، والمغيرة ، عن إبراهيم : (أن الحارث اتهم) .

ـناده إلى ابن عون ، قال : قال لنا إبراهيم : (إياكم والمغيرة بن

ـمة صحيح مسلم ١ / ١٥—١٦
" ١ / ١٧

ـيد ، وأبا عبد الرحيم ، فانهما كذابان)[١].

وبإسناده إلى جرير قال : (لقيت جابر بن يزيد الجعفي ، فلم أكتب عنه ، ـان يؤمن بالرجعة) .

وبإسناده إلى سفيان بن عيينة قال : (كان الناس يحملون عن جابر قبل ، يظهر ما أظهر ، فلما أظهر مـا أظهر اتهمه الناس في حديثه ، وتركه بعض ـاس ، فقيل له : وما أظهر ؟ قال : الايمان بالرجعة)[٢].

وبإسناده إلى سفيان (يعني : ابن عيينة) قال : (سمعت جابرا يحدث بنحو ـثين ألف حديث ، ما أستحل أن أذكر منها شيئا ، وأن لى كذا وكذا) .

وعن أبي غسان الرازى قال : (سألت جرير بن عبـد الحميـد ، فقلت : ـارث بن حصيرة لقيتـه ؟ . قال : نعم ، شيخ طويل السكوت ، يصر على أمر ـليم) .

وبإسناده إلى حمـاد بن زيد ، قال : ذكر أيوب رجلا يوما ، فقـال : ـيكن بمستقيم اللسان) .

و ذكر آخر فقال : (هو يزيد فى الرقم) .

وباسناده إلى معمر ، قال : ما رأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبد الكريم يعني : أبا أمية — فانه ذكره ، فقال : (رحمه الله ، كان غير ثقة ، لقد سألني ، حديث لعكرمة ، ثم قال : سمعت عكرمة) .

وبإسناده إلى همام ، قال : قـدم علينا أبو داود الأعمى ، فجعل يقول : ـثنا البراء ، قال : وحدثنا زيد بن أرقم . فذكرنا ذلك لقتادة ، فقال : (كذب ،

---

(١) مقدمة صحيح مسلم ١ / ١٩

(٢) " " ١ / ٢٠

ما سمع منهم ، إنما كان ذلك سائلا يتكفف الناس زمن طاعون الجارف)[١].

وبإسناده إلى أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن يونس بن عبيد ، قال : (كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث).

وبإسنـاده إلى سلام بن أبي مطيع ، يقول : بلغ أيوب أني آتي عمرا ، فأقبل علي يوما ، فقال : (أرأيت رجلا لا تأمنه على دينـه ، كيف تأمنه على الحديث ؟) .

وبإسناده إلى عفان قال : حدثت حماد بن سلمـة ، عن صالح المرى بحديث ، فقال : (كذب) .

وبإسناده إلى أبي داود — يعني : الطيالسي — قال : قال لي شعبة : إئت جرير بن حازم فقل له : (لا يحل لك أن تروي عن الحسن بن عمـارة ، فانه يكذب)[٢].

وبإسناده إلى عبد الرزاق ، يقول : ما رأيت ابن المبارك يفصح بقوله : (كذاب) إلا لعبد القدوس ، فاني سمعته يقول له : (كذاب) .

وبإسناده إلى عفان ، قال : كنا عند إسماعيل بن علية ، فحدث رجل عن رجل ، فقلت : هذا ليس بثبت ، فقال الرجل: اغتبته ، قال إسماعيل : (ما اغتابه ، ولكنه حكم أنه ليس بثبت)[٣].

وبإسناده إلى بشر بن عمر ، قال : سألت مالك بن أنس عن محمـد بن عبد الرحمن ، الذي يروي عن سعيد بن المسيب ؟ . فقال : (ليس بثقة) . وسألته

---

(١) مقدمة صحيح مسلم ١ / ٢١
(٢) " " ١ / ٢٣
(٣) " " ١ / ٢٢-٢٦

عن أبي الحويرث ؟ ، فقال : (ليس بثقة) . وسألته عن شعبة ، الذى روى عنه ابن أبي ذئب ؟ . فقال : (ليس بثقة) . وسألت مالكا عن هؤلاء الخمسة ، فقال : (ليسوا بثقة فى حديثهم) .

وبإسناده إلى عبد الله بن المبارك ، يقول : (لو خُيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرر ، لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة ، فلما رأيته كانت بعرة أحب إلى منه) .

ثم قال الامام مسلم ، بعد نقله هذه الطعون :

(وأشباه ما ذكرناه من كلام أهل العلم فى متهمى رواة الحديث وإخبارهم عن معايبهم كثير ، يطول الكتاب بذكره على استقصائه ، وفيما ذكرناه كفاية لمن تفهم وعقل مذهب القوم فيما قالوا من ذلك وبينوا .

وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث ، وناقلى الأخبار ، وأفتوا بذلك حين سئلوا ، لما فيه من عظيم الخطر ، إذ الأخبار من أمر الدين إنما تأتى بتحليل او تحريم ، أو أمر أو نهى ، أو ترغيب أو ترهيب ، فإذا كان الراوى لها ليس بمعدن للصدق والأمانة ، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ، ولم يبين ما فيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثما فى فعله ذلك ، غاشا لعوام المسلمين إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها أو يستعمل بعضها ولعلها أو أكثرها أكاذيب لا أصل لهـا مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة ولا مقنع)[1].

(١) مقدمة صحيح مسلم ١ /٢٦-٢٨

قلت :

فهــل ترى أثرا للموازنات فى هؤلاء الذين طعن فيهم وجرحهم أئمــة الاسلام سواء كانوا مبتدعين أو غيرهم ؟

ولقد بين الامام مسلم : لماذا ألزموا أنفسهم ذلك ، أنه لحــماية الأسلام والمسلمين من أخطائهم وضلالاتهم .

ولقد رأى الامام مسلم أن من لم يبين أمرهم ويكشف معايبهم فانه من الغشاشين الآثمين .

ثم اعتبر أيها النـاصح لدينــه وللمسلمين إلى ما يرتـكبه المروجون لـكتب البدع والضلال ، والمدافعون عنها وعن أهلهـا ماذا يرتـكبون فى حق الإسلام وفى حق شباب الأمة الـذين لو أفلتوا من قبضة هؤلاء لكانوا على منهاج الله الحق ولرفعوا راية السنة والتوحيد .

فأى جناية جناها على الاسلام هؤلاء الملبسون ؟

وأى جناية جنوها على شباب الأمة من ترويجهم لـكتب البدع وأهلها ، وتنفيرهم من كتب تذود عن السنة وأهلها وتبين للناس زيغ الزائغين وضلال الضالين ، ثم تبين منهج الله القويم ؟

٢ — موقف الإمام الترمذى

قال الامام الترمذى فى كتاب « العلل »(١) :

(وقد عاب بعض من لا يفهم على أهل الحديث الكلام فى الرجال ، وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا فى الرجال منهم : الحسن

(١) الجامع ٥ / ٧٣٨ — ٧٣٩

البصرى ، وطاؤوس ، تكلما فى معبد الجهنى ، وتكلم سعيد بن جبير فى طلق ابن حبيب ، وتكلم إبراهيم النخعى وعامر الشعبى فى الحارث الأعور ، وهكذا روى عن أيوب السختيانى وعبد الله بن عون وسليمان التيمى وشعبة بن الحجاج وسفيان الثورى ومالك بن أنس والأوزاعى وعبد الله بن المبارك ويحيى ابن سعيد القطان و وكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وغيرهم من أهل العلم ، أنهم تكلموا فى الرجال وضعفوا .

وإنما حملهم على ذلك عندنا — والله أعلم — النصيحة .

لا يظن بهؤلاء أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكى يعرفوا ، لأن بعضهم من الذين ضعفوا كان صاحب بدعة ، وبعضهم كان متهما فى الحديث ، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتثبتا ، لأن الشهادة فى الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة فى الحقوق والأموال .

قال : وأخبرنى محمد بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنى أبى ، قال : سألت سفيان الثورى وشعبة ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة ، عن الرجل تكون فيه تهمة أو ضعف : أسكت أو أبين ؟ قالوا : بين) .

٣ — موقف ابن أبى حاتم

تحدث الامام : عبد الرحمن الحنظلى الرازى عن منزلة رسول الله ﷺ وسيرته ومنهاجه وتبليغه وبيانه للقرآن ، ثم قال :

(فإن قيل : كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معانى كتاب الله عز وجل ، ومعالم دينه ؟ .

قيل : بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه النجباء الألباء الذين شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل رضى الله عنهم .

فان قيل : فبماذا تعرف الآثار الصحيحة والسقيمة ؟ .

قيل : بنقد العلماء الجهابذة ، الذين خصهم الله عز وجل بهذه الفضيلة و رزقهم هذه المعرفة فى كل دهر و زمان .

حدثنا أبي ، أخبرنى عبدة بن سليمان المروزى قال : قيل لابن المبارك : هذه الأحاديث المصنوعة ؟ قال : (يعيش لها الجهابذة)[1].

فان قيل : فما الدليل على صحة ذلك ؟ .

قيل له : اتفاق أهل العلم على الشهادة لهم بذلك ولم ينزلهم الله هذه المنزلة إذ أنطق ألسنة أهل العلم لهم بذلك إلا وقد جعلهم أعلاما لدينه ومنارا لاستقامة طريقه وألبسهم لباس أعمالهم) .

ثم ذكر احترام أهل الرأى : أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد لسفيان الثورى ومالك واعترافهم بفضلهما وعلمهما وكذلك أتباعهم من أهل الكوفة .

ثم قال ابن أبي حاتم :

(فلما لم نجد سبيلا إلى معرفة شيء من معانى كتاب الله ولا من سنن رسول الله ﷺ إلا من جهة النقل والرواية وجب أن نميز بين عدول الناقلة والرواة وثقاتهم وأهل الحفظ والثبت والاتقان منهم وبين أهل الغفلة والوهم

---

(١) و يعيش نقاد أهل السنة فى كل زمان ومكان للأفكار المصنوعة، و المناهج الضالة ، والعقائد الباطلة ، ويقفون لهـا بالمرصاد ، حماية لدين الله ، وتأسيا بأسلافهم المجاهدين .

وسوء الحفظ والكذب واختراع الأحاديث الكاذبة[١].

ولما كان الدين هو الذى جاءنا عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ بنقل الرواة حق علينا معرفتهم و وجوب الفحص عن الناقلة، والبحث عن أحوالهم واثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والثبت فى الرواية، مما يقتضيه حكم العدالة فى نقل الحديث و روايته، بأن يكونوا أمناء فى أنفسهم، علماء بدينهم، أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث واتقان به وتثبت فيه وأن يكونوا أهل تميز وتحصيل، لا يشوبهم كثير من الغفلات ولا تغلب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه و وعوه ولا يشبه عليهم بالأغلوطات وأن يعزل عنهم الذين جرحهم أهل العدالة وكشفوا لنا عن عوراتهم[٢] فى كذبهم وما كان يعتريهم من غالب الغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط والسهو والاشتباه، ليعرف به أدلة هذا الدين وأعلامه وأمناء الله فى أرضه على كتابه وسنة رسوله ﷺ وهم هؤلاء أهل العدالة فيتمسك بالذى رووه و يعتمد عليه ويحكم به وتجرى أمور الدين عليه.

---

(١) وكذلك يجب فى هذه الأزمان وفى هذا العصر بالذات، التمييز بين أهل السنة المحضة، الذابين عنها وبين أهل البدع والذين هم أشد خطرا على منهج السلف من المتلبسين والغشاشين، الذين ألبسوا على أهل السنة دينهم وطعنوا فى الناصحين المخلصين، ومدحوا و دافعوا عن أئمة الضلال والزيغ وعن مناهجهم الضالة وأفكارهم المدمرة.

(٢) وأهل البدع أولى بهذا الكشف فان جرمهم أعظم وخطرهم أشد. وقد فعل بهم السلف ذلك فى كتب الجرح وكتب العقائد.

وليعرف أهل الكذب تخرصا وأهل الكذب وهما وأهل الغفلة والنسيان والغلط و رداءة الحفظ فيكشف عن حالهم وينبأ عن الوجوه التى كان مجرى روايتهم عليها ، إن كذب فكذب أو وهم فوهم وإن غلط فغلط . وهؤلاء هم أهل الجرح .

فيسقط حديث من وجب منهم أن يسقط حديثه ولايعبأ به ولايعمل عليه .

ويكتب حديث من وجب كتب حديثه منهم على الاعتبار ومن حديث بعضهم : الآداب الجميلة والمواعظ الحسنة والرقائق والترغيب والترهيب ، هذا أو نحوه)[١].

٤ — موقف أبى إسحاق الجوزجانى

وقال الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى فى مقدمة كتابه : « أحوال الرجال »[٢].

(قال إبراهيم : وقد علمت أنه قد ينقم على كتابى هذا فرق من الناس :

ففرقة تاقت أنفسها إلى مراتب لم يسعوا فى توطيدها عند أخذهم من الحديث ما يسع جيب قميصه فإذا ألقيت عليه بعد ذلك بقى متحيرا ، يستنكف عن التعليم بعد أن سود فى نفسه .

و ذو بدعة أيقن أنى أكشف عن كاوم أشياعه فأبديها ، يعج عجيج الناب[٣]،

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص ٢—٦

(٢) ص ٣٠—٣١

(٣) الناب هنا : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم .
انظر : اللسان ١ / ٧٧٦

لثقل ما حمل عليه ، لا يأوى[1] للإسلام ، وما حل بساحته من أسلافه .

وجاهل لا يحسن ما يأتى وما يذر ولا يفصل من هذا ونحوه فى الفصل بين التمرة والجمرة .

وكنت لا أبالى إذا عزم الله لى على ذلك — بعد ما استخرته — من رضى ذلك وسخط إذ كنت عن دينه أناضل وعن سنة نبيه أحاول وعنها أهل الزيغ أذب وعن الكذابين على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحدين فى دين الله أكشف .

وفريضة الأمر فى هذا والنهى أؤدى ليتعلم الجاهل أو يرعوى مستثبت ، ثقة بالله و ركونا إلى ما أدى عن رسوله .

حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن واقد ، عن ابن أبى مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال :

« من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس ومن أسخط الله برضى الناس وكله الله إلى الناس » .

وفى الأصل : أن طلب محامد الناس والسعى فى مرضاتهم ، غاية لا تدرك .

وسأصفهم على مراتبهم ومذاهبهم :

منهم : زائغ عن الحق ، كذاب فى حديثه .

ومنهم : الكذاب فى حديثه ، لم أسمع عنه ببدعة وكفى بالكذب بدعة .

ومنهم : زائغ عن الحق ، صدوق اللهجة ، قد جرى فى الناس حديثه إذ كان مخذولا فى بدعته ، مأمونا فى روايته .

---

(١) لا يرثى له ولا يرق له ولا يشفق عليه .
انظر : تهذيب اللغة للأزهرى ١٥ / ٦٥١

فهؤلاء عنــدى ليس فيهم حيلة ، إلا أن يؤخذ من حديثهم ما يعرف ، إذا لم يقو به بدعته فيتهم عند ذلك .

ومنهم : الضعيف فى حديثه ، غير سائغ لذى دين أن يحتج بحديثه وحده إلا أن يقويه حديث من هو أقوى منه فحينئذ يعتبر به) .

٥ — موقف الامام ابن حبان

وتحدث أبوحاتم بن حبان عن أئمة النقد والجرح والتعديل فذكر جماعة من الصحابة ، منهم : (عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وابن عبـاس ، و زيد بن أرقم رضى الله عنهم ، وقبلهم رسول الله ﷺ) .

ثم ذكر جماعة من التـابعين : (سعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعلى بن الحسين بن على ، وأبوسلمـة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسليمان بن يسار) .

قـال :

(ثم أخذ العلم عنهم وتتبع الطرق وانتقى الرجال و رحل فى جمع السنن جماعة بعدهم ، منهم : الزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وهشام بن عروة ، وسعد بن إبراهيم ، فى جماعة معهم من أهل المدينة .

إلا أن أكثرهم تيقظـا و أوسعهم حفظا و أدومهم رحلة وأعلاهم همة : الزهرى رحمة الله عليه)[1].

---

(١) كتاب المجروحين ١ / ٣٨–٣٩

ثم قال — رحمه الله —:

(ثم أخذ عن هؤلاء مسالك الحديث وانتقاد الرجال وحفظ السنن والقدح فى الضعفاء، جماعة من أئمة المسلمين والفقهاء فى الدين، منهم: سفيان ابن سعيد الثورى، ومالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى، وحماد بن سلمة، والليث بن سعد، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، فى جماعة معهم.

إلا أن من أشدهم انتقاء للسنن، وأكثرهم مواظبة عليها، حتى جعلوا ذلك صناعة لهم لا يشربونها بشىء آخر، ثلاثة أنفس: مالك، والثورى، وشعبة)[1].

ثم تحدث عن هؤلاء فذكر منزلتهم ومكانتهم من الدين والعلم وتزكية الأئمة لهم ومدحهم لهم، ثم قال:

(ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الحديث والاختبار وانتقاء الرجال والآثار، حتى رحلوا فى جمع السنن إلى الأمصار وفتشوا المدن والأقطار وأطلقوا على المتروكين الجرح وعلى الضعفاء القدح وبينوا كيفية أحوال الثقات والمدلسين والأئمة والمتروكين، حتى صاروا يقتدى بهم فى الآثار وأئمة يسلك مسلكهم فى الأخبار، جماعة منهم: أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين وعلى بن عبد الله المدينى، وأبو بكر بن أبى شيبة، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلى، وعبيد الله بن عمر القواريرى، وزهير بن حرب أبو خيثمة، فى جماعة من أقرانهم.

---

(١) كتاب المجروحين ١/٤٠

إلا أن من أورعهم فى الدين وأكثر تفتيشا على المتروكين وألزمهم لهذه الصناعة على دائم الأوقات ، منهم كان : أحمـــد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى رحمة الله عليهم أجمعين)(١).

ثم ذكر ثناء الأئمة عليهم ومدحهم لهم وإكبارهم لهم ثم قال :

(ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الانتقاد فى الأخبار وانتقاء الرجال فى الآثار جماعة ، منهم : محمد بن يحيى الذهلى النيسابورى ، وعبد الله بن عبـــد الرحمن الدارمى ، وأبو زرعة عبد الكريم بن يزيد الرازى ، ومحمد بن إسماعيل الجعفى البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، فى جماعة من أقرانهم ، أمعنوا فى الحفظ وأكثروا فى الكتـــابة وأفرطوا فى الرحلة و واظبوا على السنة والمذاكرة والتصنيف والمدارسة حتى أخذ عنهم من نشأ بعـــدهم من شيوخنـــا هذا المذهب وسلكوا هذا المسلك ، حتى او أن أحدهم لو سئل عن عدد الأحرف فى السنن لكل سنة منهـــا عدها عدا ولو زيد فيها ألف أو واو لأخرجها طوعا ولأظهرها ديانة .

ولولاهم لدرست الآثار واضمحلت الأخبار وعلا أهل الضلالة و الهوى وارتفع أهل البدع والعماء .

فهم لأهل البدع قامعون بالسنن شأنهم دامغون)(٢).

ثم قال :

(ذكر أنواع جرح الضعفاء) قال :

(فأمـا الجرح فى الضعفـــاء فهو على عشرين نوعا ، يجب على كل منتحل

---

(١) كتاب المجروحين ١ / ٥٤

(٢) " " ١ / ٥٧ — ٥٨

ت ، طالب لها ، باحث عنها ، أن يعرفها ، لئلا يطلق على كل انسان إلا
يه ولا يقول عليه فوق ما يعلم .

فأما النوع الأول من أنواع الجرح فى الضعفاء فهم : الزنادقة ، الذين
ا يعتقدون الزندقة والكفر ، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، كانوا
طون المدن ويتشبهون بأهل العلم ويضعون العلم على العلماء ويروون عنهم ،
قعوا الشك والريب فى قلوبهم ، فهم يضلون ويضلون) . وذكر عددا من
الصنف .

ثم ذكر أنواع أهل الجرح ، يضرب الأمثلة لرواياتهم ، يسمى عددا
أشخاصهم ، إلى أن قال :

(النوع التاسع عشر : ومنه المبتدع ، إذا كان داعية يدعو الناس إلى
عته ، حتى صار إماما يقتدى به فى بدعته ، ويرجع إليه فى ضلالته : كـ غيلان
مرو بن عبيد وجابر الجعفى وذويهم) .

ثم روى بإسناده إلى (ابن سيرين رحمه الله أنه قال : كانوا لا يسألون
الإسناد ، فلما وقعت الفتنة فسألوا عن الرجل فان كان من أهل السنة
ذوا حديثه وإن كان من أهل البدعة فلا يؤخذ حديثه .

أخبرنا مكحول ، حدثنا جعفر بن أبان الحافظ ، قال : قلت لأحمد بن
بل : فنكتب عن المرجىء والقدرى وغيرهما من أهل الأهواء ؟ قال : نعم
ا لم يكن يدعو إليه ويكثر الكلام فيه ، فأما إذا كان داعيا فلا[1].

ثم روى بإسناده إلى (عبد الله بن يزيد المقرى ، عن رجل من أهل

(١) كتاب المجروحين ١ / ٨٢

البدع رجع عن بدعته ، جعل يقول : « انظروا هذا الحديث عن تأخــذون ، فإنا كنا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا ».

سمعت ابن المسيب يقول : سمعت ابن عبــد الحكم يقول : سمعت ابن عيينة يقول : كنا يوما عند جابر الجعفى فى بيت فتكلم بكلام فنظرنا إلى السقف فقلنا : الساعة يسقط علينا) .

ثم ذكر فى هذا النوع : عمرو بن عبيــد ، وخبثه ، وطعنـه فى العلماء : كـ أيوب ، ويونس بن عبيد ، وابن عون ، كما يفعل أهل الأهواء اليوم وفى كل زمان .

وقد تغيرت أساليب أهل الأهواء ، فإنهم اليوم يحرفون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكلام أئمة الاسلام ، كيدا لأهل السنة واستدراجا للشباب الذى لا يعى منهج السلف إلى ضلالاتهم وبدعهم .

ولا يؤمن أن يندس زنادقة فى صفوف أهل الأهواء يكيدون للإسلام .

(للبحث صلة)

تقوية الإيمان

تأليف : الشاه محمد اسماعيل الشهيد الدهلوى

المترجم : الشيخ عبد الوحيد الرحمانى شيخ الجامعة السلفية

كتاب قيم شهير فى الأوساط الهندية ، يرد على أقسام الشرك فى العبادة ، والعــلم ، والتصرف فى ضوء الكتاب والسنة ، ويبين التوحيد الخالص .

ونظرا إلى انتشاره العظيم وافادتــه الكثيرة فى الهنــد قام شيخ الجــامعة السلفيــة بنقلها إلى العربية حتى يعم النفع المتكلمين بالعربية . وقد قدم للترجمة الدكتور مقتدى حسن الأزهرى ◎ ◎

أهمية اللغة العربية فى الدعوة والعمل الإسلامى

إعداد : الدكتور / صالح بن حسين العائد

الحمد لله الذى أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، و الصلاة والسلام على من بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعيا إلى الله باذنه وسراجاً منيراً . أما بعد :

توطئة :

لست أدرى : أمن حسن حظ هذا البحث أن يلقى فى هذا المكان أم لا ؟

لماذا أقول هذا القول ؟

أقوله لأن هنا من سيقول : هذا عربى يتعصب للغته !

وآخر سيقول : الإسلام إذن للعرب فقط ؟

لكنى أبادر هـــذا الجمع المبارك ، فأقول : انى أخشى لوما ولا عتبا ، لاسباب ثلاثة :

أولها : أنى قد أقمت سنين فى اندونيسيا ، وعرفت محبـــة المسلمين فيها للغة العربية .

ثانيها : أن ادارة المؤتمر هى التى اختارت لى هذا الموضوع ، ولا شك فى أن سبب اختيارها هو ادراكها لأهميته .

ثالثها : أن البحث سيوجه إلى دعاة ، والداعية يدرك أنه لا بد أن تتوافر فيه من الصفات ما ليس لدى العامة ، ومنها إجادة اللغة العربية .

تعريف العرب :

مر مصطلح « العربي » بمراحل من حيث المراد به ، فقد كان قبل الإسلام يطلق على من يسكن فى شبه جزيرة العرب ، و بعد الإسلام و انتشاره و فتح بلاد فارس والروم أصبح العربي يراد به المسلم سواء بسواء ، ولذلك روى الحاكم في مستدركه أن رسول الله ﷺ قال : (من أحب العرب فبحبي أحبهم ، و من أبغض العرب فببغضى أبغضهم) ، ثم صار كل من تكلم اللغة العربية عربيا و هكذا أصبحت العربية لغة لا جنسا[1] ، فمن تكلمها فى أى بقعة فى الأرض ومن أى جنس كان ، فهو عربي .

العربية لغة الإسلام :

لقد اختار الله تعالى اللغة العربية لتكون وعاء لكلامه العظيم ، و للمعجزة الخالدة لنبيه الكريم ﷺ ، وأثنى الله تعالى عليها ، فقال : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾[2] ، وقال أيضا : ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ﴾[3] ، و قال أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — : (لتعلم إعراب القرآن أحب إلى من تعلم حروفه)[4] ،

(١) الإسلام والحضارة الغربية للدكتور / محمد محمد حسين رحمه الله : ١٩٧—٢٠٠

(٢) الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥

(٣) الزمر : ٢٧ ، ٢٨

(٤) تنبيه الألباب على فضائل الإعراب لأبي بكر الشنتريني ٧٥—٧٦

وقال عبد الله بن عباس — رضى الله عنه — : (كان كلام آدم — عليه السلام — بالعربية ، فلما أكل الشجرة أنسى العربية ، و تكلم بالسريانية ، فلما تاب الله عليه ردت عليه العربية)[١] ، وقال أبي بن كعب — رضى الله عنه — : (تعلموا العربية كما تتعلمون حفظ القرآن)[٢] ، وقال الحسين بن علي — رضى الله عنه — : (تعلموا العربية ، فإنها لسان الله الذى يخاطب به الناس يوم القيامة)[٣] ، وسئل الحسن البصرى — رحمه الله — : (ما تقوم فى قوم يتعلمون العربية ؟ فقال : أحسنوا ، يتعلمون لغة نبيهم)[٤] ، ولعله من حسن التأسى بالرسول ﷺ — وقد أمر المسلمون بالاقتداء به والتأسى بشمائله — أن يتعلم المسلم لغة نبيه ﷺ .

وقد كان علماء المسلمين يعدون التكلم باللغة العربية شعاراً للإسلام ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — : «إن اللسان العربى شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التى بها يتميزون»[٥] ، ولا يحتقر اللغة العربية أو يعيبها ويغض من شأنها إلا جاهل أو حاقد يكره الإسلام وأهله ، ولو زيا دعواه زى العلم ، أو وشحها بوشاح الموضوعية .

قال الزمخشرى[٦] : «ولعل الذين يغضون من العربية ، ويضعون من مقدارها ، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها . . . . لا يبعدون عن

---

(١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ٣٠/١

(٢) تنبيه الألباب على فضائل الإعراب : ٧٦

(٣) تنبيه الألباب على فضائل الإعراب لأبى بكر الشنترينى : ٧٧

(٤) تفسير القرطبى : ٢٣/١

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم : ٢٠٣

(٦) المفصل فى صنعة الإعراب : ١٨

الشعوبية منابذة الحق الأبلج ، وزيغاً عن سواء المنهج .

و الذى يقضى منـــه العجب حال هؤلاء فى قلة إنصافهم ، وفرط جورهم واعتسافهم ، و ذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلاميـــة فقهها و كلامها وعلمى تفسيرها وأخبـــارها إلا و افتقاره إلى العربيـــة بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع . . .

ثم إنهم يجحـــدون فضلها وتعليمها ، ويدفعون خصائصهـــا ، ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها ، وينهون عن تعلمها و تعليمها ، و يمزقون أديمها ، و يمضغون لحمها . . . » .

أهمية اللغة العربية للداعية :

مع الإيمان بأن الدعوة رسالة عامة يجب على كل مسلم حملها والقيام بها ، سواء أكان عالما أم غير عالم ، لما رواه البخارى — رحمه الله — عن عبد الله ابن عمرو بن العاص — رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال : (بلغوا عنى ولو آيـــة ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[1] ، مع ذلك يجب أن تتوافر فى الداعية شروط كثيرة ليقوم بالدعوة على الوجه الأكمل ، منها :

الفهم الدقيق المبنى على العلم قبل العمل ، و القائم على تدبر معـانى القرآن الكريم وأحكامه ، وفهم السنة النبوية الشريفة[2] .

فالداعية سيكون إماما فى الصلاة مفسرا لكتاب الله تعالى شارحـاً لسنـة المصطفى ﷺ مفتياً ، وربما دعت الحاجة إلى أن يكون مجتهداً ، وقبل ذلك كله

(١) فتح البارى : ٤٩٦/٦

(٢) الحكمة فى الدعوة إلى الله تعالى لسعيد بن على القحطانى : ١٢٠

لا بد أن يكون سليم المعتقد، والإمام لا بد أن يكون مجيداً للغة القرآن الكريم التى سيتلو بها آياته فى الصلوات، قال يحي بن عتيق: «سألت الحسن البصرى، فقلت: يا أبا سعيد: الرجل يتعلم العربية، يلتمس حسن المنطق، ويقيم بها قراءته، فقال: حسن يا بنى، فتعلمها، فإن الرجل قد يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك». والمفسر والمحدث والمفتى والمجتهد يحتاج كل منهم إلى معرفة اللغة العربية، كما أن سلامة المعتقد تنبع من الصواب فى فهم اللغة العربية، لأن الانحراف فى تأويل اللغة يؤدى إلى الزيغ والضلال فى العقيدة، وسيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله.

العقيدة واللغة:

إن المعتقد السليم يقوم على تنزيل الأدلة منزلتها فى اللغة العربية دون تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وما زاغ أكثر الزائغين إلا بسبب جهلهم باللغة العربية، أو بتعمدهم صرف معانيها عن حقائقها، قال ابن جنى: «أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها إنما استهواه واستخف حلمه ضعفه فى هذه اللغة الكريمة الشريفة»[1].

ومن شواهد الزيغ عن الطريق المستقيم بسبب الجهل باللغة العربية أننى كنت أعمل فى معهد العلوم الإسلامية والعربية فى جاكرتا عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م، فعلمت حينذاك أن أحد طلاب المعهد من القاديانيين، فدعوته للمناقشة رغبة فى أن يعود عن الغى والضلال، وكنت إذا ألجمته بالحجة بدت عليه الحيرة والاضطراب، لكنه فى اليوم التالى يعود إلى وقد لقن الجواب، وكان آخر عهدى به أن قلت له: أتؤمن بالقرآن الكريم؟ فقال لى: نعم، فقلت له:

(١) الخصائص: ٢٤٥/٣

إذن كيف تؤمن بنبوة غلام ميرزا أحمد المزعومة، والله سبحانه يقول فى محكم كتابه: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾[١]، فمحمد ﷺ آخر النبيين، فلا نبي بعده، فاضطرب، وتلعثم، ولم يحر جوابا، لكنــه جاءنى فى اليوم التالى قائلا: إن معنى ﴿ خاتم النبيين ﴾ أى هو كالخاتم فى اليد، فقلت: سبحان الله! لو عرفت اللغة العربية لما قبلت هذا التأويل ممن لقنك إياه!

لكن هــذا لا يستغرب من ذى بضاعة مزجاة باللغة العربية، لكن مثل هذا يستنكر من علامة جهبذ، بل من بحر علوم كالزمخشرى[٢] الذى لوى أعناق النصوص استدلالا على مذهبه الاعتزالى، فرأى أن «لن» تفيد التأبيد، للوصول إلى مذهبه فى نفى رؤية المؤمنين ربهم فى الدنيا والآخرة[٣] مستدلا بقوله تعالى: ﴿قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى﴾[٤]، وما ذلك جهل منه فى حقائق اللغة العربية بل هو تعسف وضلال.

والرد على الزمخشرى سهل جداً، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾[٥] فخص النفى باليوم، وهذا معارض للتأبيد. وفى آية البقرة قال: ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ ولو كانت «لن» دالة على التأبيد لما احتاجت إلى التأكيد بقوله: ﴿ أبداً ﴾، ومما يرد على الزمخشرى أيضا قوله تعالى: ﴿لن نبرح عليه

---

(١) الأحزاب: ٣٩
(٢) الكشاف: ٣/٢٢، شرح الأنموذج للأردبيلى: ٢٣٣
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣/٤٥٤
(٤) الأعراف: ١٤٣
(٥) مريم: ٢٦

... كفين حتى يرجع إلينا موسى﴾[1] فقيد النفي برجوع موسى ، وهو ... للتأبيد .

وقبل الزمخشري كان أبو علي الفارسي يعرب ﴿رهبانية﴾ من قوله تعالى : ... جعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها ... م إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾[2] مفعولا به لفعل ... وف يفسره المذكور بعده ، أي من باب الاشتغال ، ويجعل الواو في قوله : ... رهبانية﴾ الاستئناف ، ولا يجعل ﴿رهبانية﴾ معطوفة على ﴿رأفة﴾ ، قال : ... وله : ﴿رهبانية﴾ محمول على فعل ، كأنه قال : وابتدعوا رهبانية ابتدعوها ، ... ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على ﴿جعلنا﴾ مع وصفها بقوله : ... بتدعوها﴾ ، لأن ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم »[3] .

وتبع الزمخشري أبا علي الفارسي في إعرابه ، وهذا الإعراب منهما مرجعه ... هما من المعتزلة ، وهم يقولون : ما كان مخلوقا لله لا يكون مخلوقا للعبد ، ... أفة والرحمة من خلق الله ، والرهبانية من ابتداع الإنسان ، فهي مخلوقة له ، ... يعتقدون أن ما يفعله الإنسان لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه .

وهذا الإعراب منهما باطل ، ولا يستقيم على قواعد اللغة ، لأن جعل ... ه الآية من باب النصب على الاشتغال غير صحيح ، فمن شروط الاسم المشتغل ... أن يكون مختصا ليصح رفعه بالابتداء ، والمبتدأ لا يكون إلا معرفة أو ... رة مختصة ، أما في هذه الآية فـ ﴿رهبانية﴾ نكرة غير مختصة ، فلا يصح

---

(1) طه : ٩١

(2) الحديد : ٢٧

(3) الإيضاح العضدي : ٧٦

لن تكون من باب الاشتغال ، وإنما الإعراب الصحيح لها : أن تكون الواو عاطفة ، و ﴿ رهبانية ﴾ معطوفة على ﴿ رأفة ﴾ ، و وصفت الرهبانية بجملة ﴿ ابتدعوها ﴾ ، لأن الرأفة والرحمة فى القلب لا تكسب للإنسان فيها ، بخلاف الرهبانية ، فإنها أفعال بدن مع شيء فى القلب ، ففيها موضع للتكسب ، والله أعلم .

والداعية من أولى الناس فى تحرى سلامة عقيدته ، لئلا يزيغ أو ينحرف فتهوى معه أمم من أتباعه فى الزيغ والضلال ، ومعرفة اللغة العربية أحد العاصمة بإذن الله من الوقوع فى ذلك .

التفسير واللغة :

إن كتاب الله تعالى هو معجزة رسولنا محمد ﷺ ، وهو أنزل بلسان عربي مبين ، ليقوم الناس بتدبر آياته : ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ ، وكيف يتدبر القرآن من لا يعرف لغته ؟ قد يقول قائل : يفهم معانيه بالترجمة ، ولكننا نبادر القائل بأن الترجمة من أى لغة لا يمكن أن تنقل كامل المعنى ، فكيف إذا كانت اللغة المنقول منها هى اللغة العربية التى عرفت بالعمق والغزارة و تقارب معانى الألفاظ ، وكيف إذا كان المراد ترجمته القرآن المعجز الذى عجزت فصحاء العرب وأساطين البلاغة أن يأتوا بآية واحدة من مثله ، إن الترجمة تظل عاجزة عن نقل معانى الآيات نقلا كاملا ، قال ابن قتيبة — رحمه الله — : « لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية ، لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب . ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه :

﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ﴾ لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهـد ، فخفت منهم خيانة ونقضاً ، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم ، وآذنهم بالحرب : لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على استواء »[1] انتهى كلامه — رحمه الله — .

وأقول : كيف سيترجم مترجم قول الله تعالى : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[2] ، هذه الآية التى لما سمعها أعرابى سجد ، فلما سئل : لم سجدت ؟ قال : سجدت لفصاحة هذا الكلام .

وبم يترجم المترجم ألفاظ العموم التى ترد كثيراً فى القرآن الكريم ، مثل ﴿ ما كتب الله ﴾ فى قول الله تعـالى : ﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله ﴾[3] ، ولذلك لم يجز بعض العلماء ترجمة القرآن الكريم .

وأنى لمترجم أن يفرق فى ترجمته بين ﴿أكمل﴾ و ﴿أتم﴾ فى قول الله تعـالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[4] .

وكيف سيترجم مترجم ﴿لباساً﴾ فى قوله تعالى : ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾؟ أم تراه سيفعل بها كما فعل أحد مترجمى معانى القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية حين ترجمها بـ (Pants) ! .

---

(١) تأويل مشكل القرآن : ٢١ ، وانظر : الصاحبى لابن فارس : ١٧

(٢) الحجر : ٩٤

(٣) البقرة : ١٨٧

(٤) المائدة : ٣

وعوداً على بدء أقول: إن الداعية لا يمكن أن يستغنى عن تدبر كلام الله تعالى وفهمه، ومن ثم تفسيره للعامة، فيحتاج حينئذ إلى عدة المفسر، وقد أجمع العلماء على أن العلم باللغة العربية وأسرارها شرط من الشروط الرئيسة فى المفسر، قال مالك بن أنس — رحمه الله —: «لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا»[1].

والمفسر محتاج إلى الرسوخ فى عدد من علوم اللغة العربية: كعلم دلالة الألفاظ، وعلمى النحو والصرف، وعلم الاشتقاق، وعلوم المعانى والبيان والبديع[2]، وذلك للوصول إلى ما فى القرآن الكريم من بلاغة وبديع، وللترجيح بين الأقوال المختلفة فى تفسير الآية، والاستنباط بعض الأحكام بمقتضى القواعد النحوية والصرفية واللغوية، وللوقوف على المترادفات وعلى الحقيقة والمجاز[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله —: «لا بد فى تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التى خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعانى، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك»[4].

---

(١) البرهان فى علوم للزركشى: ٢/١٦٠

(٢) التحبير فى علم التفسير للسيوطى: ٤٢ ب

(٣) أثر الدلالة النحوية واللغوية فى استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية لعبد القادر السعدى: ٨٧

(٤) الايمان: ١١١

والثمرة العظمى لهذا الفهم هو التدبر الذى ندب المرء إليـه، ليؤدى به ذلك إلى الإيمان بالله منزل هذا الكتاب ، وإلى تعظيم القرآن ومن أوحاه ومن بلغه، وهـذه كلها لا تأتى إلا لمن عرف لغته وأدرك أسرارها ، قال ابن القيم — رحمه الله —: «إنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة ، وعلم العربية ، وعلم البيان . . . فإذا علم ذلك ونظر فى هذا الكتاب العزيز ، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أوتى فيه العجب العجاب ، والقول الفصل اللبـاب ، والبلاغة الناصعة التى تحير الألباب ، وتغلق دونها الأبواب . . . ولذلك يقع فى النفوس عنـد تلاوته و سماعه من الروعـة ما يملأ القلوب هيبة ، والنفوس خشية ، وتستلذه الأسماع ، وتميل إليـه بالحنين الطباع ، سوا ، كانت فاهمـة لمعانيه أو غير فاهمة ، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة ، كافرة بما جاء به أو مؤمنة»[1].

الحـديث و اللغة :

إن السنة النبوية هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، روى الحاكم وغيره عن المقدام بن معديكرب — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : (ألا إنى أوتيت القرآن و مثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيـه من حرام فحرموه ، و إن ما حرم رسول الله كما حرم الله) ، ولقد كان النبى ﷺ من الفصاحة والبلاغة فى منزلة عالية لا تدانى ، روى البخارى — رحمه الله — عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : (بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينمـا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت فى

(١) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن : ٧

يدى)[١] ، ومن واجبات الداعية نشر السنة النبوية بين الناس وتبليغهم أحاديث الرسول ﷺ ، فكيف يبلغ من لا يعرف لغة حديث المصطفى ﷺ ، ولذلك كان العلماء يشنعون على من يدرس الحديث ولا يتعلم العربية ، قال شعبة بن الحجاج — رحمه الله — : (مثل الذى يتعلم الحديث ولم يتعلم العربية كالرأس بلا برنس)[٢]: لأنهم قد يفهم الأحاديث أو يؤولها على غير وجهها المراد بسبب جهله بدلالة ألفاظها ، بل لا بد له أن يعرف أساليبها و عادات العرب فى خطابها وحديثها فى العصور الأولى ، لئلا ينزلق فى فهم خاطىء ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — : «ومن لم يعرف لغة الصحابة التى كانوا يتخاطبون بها ، ويخاطبهم بها النبى ﷺ ، وعاداتهم فى الكلام ، وإلا حرف الكلم عن مواضعه ، فإن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعاداتهم فى الألفاظ ، ثم يجد تلك الألفاظ فى كلام الله أو رسوله أو الصحابة ، فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك»[٣].

ويخشى على من يلحن فى قراءة حديث رسول الله ﷺ أن يكون ممن يكذب عليه ، قال أبو بكر الشنتريني — رحمه الله — : «روى عن النبى أنه قال : (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) ومن لحن فى حديثه ﷺ فقد كذب عليه ، لأنه ﷺ لم يكن يلحن ، فإن قيل : فإن لم يقصد به اللحن فليس بمتعمد ، فالجواب : ان كل من قد علم أنه غير مستقل بالإعراب ، ثم تعرض

(١) فتح البارى : ١٤٩/٦

(٢) الصعقة الغضبية فى الرد على منكرى العربية للطوفى : ٢٨٤

(٣) مجموع الفتاوى : ٢٤٣/١

لقراءة كتاب الله أو حديث رسول الله ﷺ فإنه متى لحن فى أحدهما فقد قصد الكذب ، ويتأكد الأمر عند من يقول بحماية الذرائع »[1] ، ولا شك فى أن هذا التشدد من بعض العلماء إنما هو من باب سد الذرائع والله أعلم وأحكم .

الفتيا واللغة :

إن أحوج ما يحتاجه المدعوون أن يقوم الداعية بتبصيرهم بأحكام دينهم ، وما من داعية فى أى مكان إلا ويستفتيه الناس فيما يعرض لهم من شؤونهم ، فلا بد حينئذ أن يكون الداعية فقيها ، ولا يمكن لأى امرىء أن يكون فقيها ما لم يكن عارفا باللغة العربية ، قال ابن فارس فى باب [القول فى حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية] من كتابه الموسوم بـ (الصاحبى) : « إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ، حتى لا غناء بأحد منهم عنه ، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول الله ﷺ عربى ، فمن أراد معرفة ما فى كتاب الله جل وعز وما فى سنة رسول الله من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدا »[2] .

ولا تكفى من الفقيه معرفة اللغة العربية قراءة وكتابة وتحدثا ، بل يجب أن يتعلم نحوها و تصريفها و دلالة ألفاظها ، ليكون قادرا على معرفة وجوه الاستدلال ، قال الرازى فى [المحصول] : « اعلم أن معرفة اللغة والنحو والصرف فرض كفاية ، لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع ، ومعرفة الأحكام دون معرفة أدلتها مستحيل ، فلا بد من معرفة أدلتها ، والأدلة راجعة إلى الكتاب و السنة ، وهما واردان بلغة العرب و نحوهم و تصريفهم ، فإذن توقف

---

(١) تنبيه الألباب على فضائل الإعراب : ٩٠-٩١

(٢) الصاحبى : ٥٠

العلم بالأحكام على الأدلة ، ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفـــة اللغة والنحو والتصريف ، وما يتوقف على الواجب المطلق ، وهو مقدور للمكلف ، فهو واجب ، فإذن معرفة اللغة والنحو والتصريف واجبة »[١].

وقال الآمدى : « وأما علم العربية فلتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة ، من جهة الحقيقة والمجاز ، والعموم والخصوص ، والإطلاق والتقييد ، والحذف والإضمار ، والمنطق والمفهوم ، والاقتضاء والإشارة ، والتنبيه والإيماء ، وغيره مما لا يعرف فى غير علم العربية »[٢].

ولا يظن ظان أنه يجب على الفقيه أو المفتى أو الداعية الإحاطة باللغة العربيـــة ، لأن العربيـة أوسع من أن يحيط بها عقل بشر ، قال ابن فارس : « ولسنا نقول : إن الذى يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ما قالته العرب ، لأن ذلك غير مقدور عليه ، ولا يكون إلا لنبى ، بل الواجب علم أصول اللغة والسنن التى بأكثرها نزل القرآن وجاءت السنة »[٣].

لكنه إذا أراد أن يدخل فى عداد المجتهدين يجب أن يكون عارفا باللغة العربية مدركا لأسرارها ، فهذا شرط اشترطه العلماء فى المجتهد[٤]، قال الشوكانى — رحمه الله — فى شروط المجتهد :

« أن يكون عالما بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد فى الكتاب

---

(١) المحصول فى علم الأصول .
(٢) الأحكام فى أصول الأحكام : ٩/١
(٣) الصاحبى : ٥٠
(٤) الابهاج فى شرح المنهاج للسبكى : ٢٥٥/٣

والسنة من الغريب ونحوه ، ولا يشترط أن يكون حافظا لها عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يكون متمكنا من استخراجها من مؤلفات الأئمة المشتغلين بذلك »[١].

حكم تعلم اللغة العربية :

إن بعض الشعائر التعبدية يجب أن تكون باللغة العربية كالتشهد وقراءة القرآن ، ولذلك يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم من العربية ما يستطيع به القيام بهذه الشعائر ، قال الإمام الشافعي — رحمه الله —: «على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ، وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له»[٢].

أما لما سوى ذلك فتعلم اللغة العربية من عامة المسلمين مستحب على القول الصحيح ، لأن العربية شعار الإسلام ولغة القرآن ولغة النبي ﷺ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله —: «ينبغى لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها ، لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوباً فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية »[٣]، لكن شيخ الإسلام فى موضع آخر من كتابه [اقتضاء الصراط المستقيم] جعل تعلمها فرضاً واجباً حيث قال : «إن نفس اللغة من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ،

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : ٢٥٢

(٢) الرسالة : ٤١

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم : ٢٠٤

ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب
والصحيح عدم وجوبه إلا للشعائر التعبدية ، لأن فرضيته تعنى إثم من
وفى هـذا مشقة على المسلمين ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، قال الع
« والإجماع منعقد على أن من لم يحصل صناعة الإعراب وعلم العربية
شرعاً ، ولا يتوعد بالعقاب ، لأنا نقول : نحن نعنى بوجوبه الوجوب ا
على من أراد الفتيا والقضاء »[٢] .

وأخيراً نؤكد أن الداعية مطالب بمعرفة اللغة العربية وبتعليمها ، و
الإخلاص وصدق النية فى تعلمهـا وتعليمها أعظم الأجـر والثواب مر
الكريم الوهاب .

والحمـد لله أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمـد وء
وصحبه أجمعين .

◇✳◇

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ٢٠٧
(٢) الصحفة الغضبية ٢٣٧

العسل ومنافعه في ضوء القرآن الكريم وتجارب الأطباء الاخصائيين

(٥)

بقلم : الشيخ لطف الحق الشمسي
المدرس في المدرسة الحميدية دار الحديث ، بيهار ، الهند

الملاحظات الحديثة :

و أود أن أقدم الى القرآء نظريات الأطباء المعاصرين و آراء حكماء العصر الراهن حول مزايا العسل و منافعه العظيمة ليكونوا على بصيرة منها ويطلعوا على خصائصه البديعة ويتجلى لهم صدق اخبار القرآن الكريم عنه .

قد أورد الطبيب خالد الغزنوي بحثا قيما عن أفكار الأطباء المعاصرين حول منافع العسل المتنوعة الكثيرة في كتابه فقال: إن العسل غذآء تام ودواء طريف معول عليه دون شك ، والله سبحانه ركب فيه العناصر المتنوعة والمواد الصالحة بتركيب جيد بحيث لا يضر استعماله في داء من أدواء العالم ، يمنع هؤلاء أصحاب مرض السكر من أكل الحلاوة ومع ذلك لا يضر استعماله اذ ليس فيه شيء من غلوكوس و السكر وإن كان فيه ذلك يشوب به ما يخرج من بطون النحل و أفواهها ، فلا يتسبب ذلك ضيرا وفسادا في الجسم بعد استعماله .

واحب أن أذكر أمامكم قصة رجل سياسى كبير كان قد أصابه مرض السكرى فلحق العسل فلم يضره شيئا كما يحكيها الطبيب خالد الغزنوى قائلا : كان السياسى الباكستانى الكبير قد أصابه مرض السكري.

فذهب لعلاج هذا المرض إلى المستوصف الواقع بنيو يارك فالتحق به فعاينه الأطباء عشرين أياما ثم أعطوه فهرسا كان فيه الأمر بأكل العديد من الأطعمة وترك العديد، وأكدوا له بأنك ان أتيت بما أوصيناك من أكل ما يلائمك وترك ما يضرك لم يزدد مرضك، ولم يكن فى هذا الفهرس شيء من الحلاوة، فسأل المريض الأطباء : فإن خلطت العسل بالشأى واللبن والروبة لقصد التحلية بدل السكرين فكيف يكون هذا؟ فخالف الأطباء هذا العمل مخالفة شديدة، فقال لهم المريض : انى لم أزل أشرب العسل كل يوم ستة ملاعق كبيرة فى هذه المدة الطويلة ومع ذلك لم يزدد مقدار السكر فى بولى ودمى. وقيل للأطباء. ان القرآن الكريم قد أعلن بوضوح أن فى العسل شفاء فلا يمكن أن يحدث منه ضرر ولا فساد.

ويقول الطبيب الشيخ خالد الغزنوى : انى سقيت المئات من المرضى العسل فوجدت أن مقدار السكر كان مختلا فى بعضهم أولا يومين أو ثلاثة أيام، ثم اعتدل. ومن أصول معالجات طبيب الأمة ﷺ أنه كان يحب أن يداوى بأكثر الأدوية على الريق دون اختلاط وامتزاج بأدوية أخرى، وكان ﷺ يشرب العسل بنفسه قرب صلاة الفجر وبعد صلاة العصر، وكان له بذلك اعتماد قوى وثقة محكمة حيث بشر لاعق العسل على الريق بالسلامة والنجاة من كل داء خطر ومرض هائل. وإنى قد جربت هذه الطريقة المصطفوية فى الضعف الجسمانى والاسهال والتهاب الأمعاء وقروح المعدة. وإن أصحاب قروح المعدة

(DUODENAL ULCER) والمصابين بالتهاب المعدة يلاقون وجعا كبيرا ويحسون ألماً شديداً بعد الاستيقاظ من المنام ، فلما سقوا العسل فى ذلك الأوان زالت أكثر الامارات وذهبت أغلب الاوجاع والالام ما بين خمسة عشر يوما الى عشرين يوما .

وإن صبياً — و عمره آنذاك سبعة عشر يوماً — كان يقئ مرارا وتكرارا ، فوصف له أطباء المستشفى عمل الجراحة لانسداد فم المعدة ولكن أشرب هذا الصبي الماء المحرق والعسل خليطا قليلا قليلا خمس أو ست مرات فى اليوم قبل يومين من الجراحة ، فصلحت المعدة وصح البطن و أفاق المريض فى وقت قليل ولم يحتج إلى الجراحة .

وان أهم الأسباب وأعظمها فى تولد الدمامل والأمراض الجلدية هو قلة قوة الدفاع وخفضها فى الجسم وكان الأطباء القدامى يقرون بأن حدوث هذه الامراض من فساد الأكباد .

وقد كشفت المؤسسة الطبية بالسويد حاليا بعد التحريات والتوليدات عن أن الذين تحدث عندهم الدمامل مرة بعد أخرى فان أفعال أكبادهم ليست صالحة صحيحة . وسق العسل الذين كانت الدمامل تحدث فى أبدانهم ، و تناول الشباب الذين تتولد فى وجوههم وخدودهم البثور (ACNE) العسل الخليط بالماء على الريق من بين أربعة ملاعق الى ستة ملاعق كبيرة كل يوم ، وحيث لوحظ ازدياد الضعف والوهن خلط التلبينة بالفطور ، وبهذا الطريق صح أكثر المرضى فى أسبوع .

أمراض البطن :

و مدة العلاج الجديد لقروح المعدة والمعى من بين ستين الى خمسة

أعوام ، وتستعمل فى هذين المرضين الهائلين أدويـــة تؤثر على نظام الأعصاب و الأذهان تأثيرا سيئا مضعفا وهـذا العلاج يجعل المريض غبيا بليدا ضعيفـــا منهوكا ، وتتحول أكثر قروح المعدة (ULCER) الى السرطان شيئا فشيئا حتى يؤدى الى الموت ، مع أن العلاج يعتبر ناجحا .

وسقيت هؤلاء المرضى مشروب العسل ملعقين كبيرين صبـــاحا مبكرا فى ضوء الطب النبوى ﷺ ، وكذلك أعطيت لهم الفطور الخليط بالعسل و التلبينة صباحا مبكرا ، وبعد العصر تناولوا مشروب العسل ، وكفى هذا العلاج أغلب المرضى . و حيث كان الوجع و الضعف كثيرا خاط لعاب السفرجل بالعسل ثم أشربوا جرعة جرعة وما خبت بفضل الله تعالى قط فى العلاج .

ويزيد الطبيب الشيخ خـالد الغزنوى فيقول : لأجل لعق العسل على الريق يصلح امساك البطن القـــديم (CHRONIC CONSTIPATION) ويتوقف مجىء الجشاء الحامض وتخرج الريح المحتبسة فى البطن .

أمراض الكبد واليرقان :

إن فساد الكبد والمرة والالتهاب الحادث من وائرس (VIRUS) بسبب تولد مرض اليرقان ولأجل شرب الخمر يفسد الكبد ، وهذا الفساد يولد مرض الاستسقاء و CIRRHOSIS ، وهـذان المرضان يسببان الموت ، وأكثر النـاس يصابون بمرض اليرقان بعد التلقيح بالآلات القذرة ، فيعطى أمثال هؤلاء المرضى لحيات أيمونيائى والمحلول من غلوكوس فى العلاج الجديد ، وهذا العلاج يستغرق ثلاثة شهور تقريبا فى عودة الصحة إلى المريض وزوال اليرقان .

وجميع هؤلاء المرضى يشربون الماء المحرق والعسل أو ماء المطر والعسل ، ويزاد مقدار العسل حسب شدة المرض .

وكان لاعبا أولمبيا قد فصل عن الفرقة لأجل اليرقان ، فشرب ٣ كيلو جرام عسلا فى أسبوع فصح و شارك فى الألعاب بكل قوة و انتعاش . وقال الأطباء القـدامى : أن العسل الخليط بالماء الحار ينفع فى ازالة سكر الأفيون ، و البنج والذين يشربون العسل لا تغلب عليهم النشوة الا قليـلا بالنسبـة الى الآخرين ، اذ العسل يصلح لفعـال الكبـد وينعشها ويميت السموم التى تدخل فى الأجسام بالجهد الكبير والسعى الحثيث ، ولأجل شرب العسل تزول الآثار السمية المتولدة فى الجسم .

أمراض البول :

لا يحدث الالتهاب فى الكلى رأسا ، بل تصل الجراثيم اليهـا لأجل فساد الخلق المستمر المتواصل أو لالتهاب ناتج فى عضو من الأعضاء فى الغالب .

و فى هــذا الباب أمراض أخر علاوة على التهاب الكلى كأمراض الكلى الأخرى وفساد المعدة و وجود آكسليث فى الغذاء وكثرة مركبات يوريث وقلة الماء وحقن البول وقلة فيتامين (ى) بالاستمرار والأدواء الجنسيـة و الحصوة البولية الحادثة فى عروق البول لسوء السيرة .

و لكل مرض من هــذه الأمراض علاج كامل حتمى عند طبيب الأمة ﷺ ، وأصول العلاج فى أمراض الكلى مروية منقولة عن السيدة عائشة الصديقة رضى الله عنها ، وهى تروى عن طبيب الأمة ﷺ أنه قال : « ان الخاصرة عرق الكلية اذا تحرك آذى صاحبها ، فداووها بالماء المحرق والعسل » .

وحسب توجيه الرسول الأكرم ﷺ هذا وصف الماء المغلى والعسل فى علاج أمراض الكلى و أمراض خــاصرتها . و لأسباب أخــر يحــدث فى الكلى HYDRONEPHROSIS على الأغلب علاوة على التهـاب الكلى ، فتمتد وتنتشر

فيه الخاصرة ، وان هذا الامتداد انما يكون بتوقف خروج البول من الكلى أو بالحصوة البوليـــة أو الالتهاب ، فإن سقى المريض العسل المخلوط بالماء الحار مرارا فى اليوم فى مثل هـــذا المرض ينجى و يستريح من آلام التهاب الكلى . و تخرج ذرة آكسليت أو ذرة يوريت إن وقعت فيهـا ، وظل امتداد الخاصرة ينخفض ويخف . إن العسل و إن كانت فيه القوة لقتل الجراثيم ، و ان استعماله وحده يكفى لمنع الالتهاب ، ولـكن يخلط فيـــه القسط البحرى لمضاعفة تأثيره ، لأن البحوث الحديثة و التحليلات الجديدة قد أثبتت أن فى القسط البحرى مادة للدفع عن العفونة والنتنـــة وقتل الجراثيم فى العصر الحاضر ، وفى كل واحـــد من القسط البحرى و الهنـدبآء و الذريرة و الحبـــة السوداء و الثفاء مادة لقتل الجراثيم ، و يستطيع كل منهـا أن يخرج الحصوة البوليـــة من الكلى ، فاستعمال جميع الأشياء المذكورة مخلوطة بالعسل حسب الأحوال و الأوضاع يسبب النجاة والسلامة من أكثر أمراض الكلى ويز معظم أدوائها .

وقد استعمل طبيب الأمـــة ﷺ الشعير فى صور مختلفة وأحوال شتى ، ولم يزل الأطباء المعاصرون يسقون مرضى الحمى ماء الشعير مدة من الزمن ، و اذا خلطت فى ذلك الماء العسل برزت منافعـــه ولاحت فوائده فى أمراض البول كثيرا جدا ، وليس شيء أفضل و أنفع و أجدى فى ادرار البول وإزالة الماء الكاوى والدفع عن العفونة من العسل وماء الشعير[١] .

والمرضى الذين يشربون الأدوية المدرة للبول باستمرار يدحون هذا الماء كثيرا بعد استعماله عدة أيام . واستعمال العسل بالشعير متتابعا يستطيع أن يخرج الحصوة البولية أيضا علاوة على القضاء على قمع الالتهاب .

(البحث موصول)

● ● ●

(١) انظر : طب نبوى ﷺ وجديد سائنس ، (بالاردية) ص ١٧٩—١٨٤

مؤسسة خيريـة كبرى باسم الملك عبد العزيز

في نطاق المبادرات الخيرة من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وامتدادا لأعماله الخيرية والانسانية المتواصلة وبرا بوالده البار جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وطيب ثراه . فقد عقـــد الملك المفدى الملك فهد بن عبد العزيز عزمه بعون الله على انشاء مؤسسة خيريـة كبرى باسم الملك عبد العزيز آل سعود يكون مقرها الرئيسي في مكة المكرمة وتمتد فروعها الى مدن أخرى .

وسيرأس خادم الحرمين الشريفين بمشيئة الله مجلس ادارة هـذه المؤسسة الخيرية الهامة ويجند لها كل الامكانات المالية والبشرية لتؤدي رسالتها بالمستوى الذي يتناسب مع مسماها والغايات النبيلة التي يهدف إليها الملك المفدى فهد بن عبد العزيز حفظه الله وأدام عليه نعمه وجعل هـــذا العمل الجليل في موازين حسناته وايده بالعون الدائم والتوفيق المطرد .

هذا وقد ثمن هذه الخطوة الاسلامية الرائدة عدد من العلماء والفقهاء والمسئولين و وصفوها بأنها خطوة رائدة تترجم بر خادم الحرمين الشريفين بوالده مؤسس هـــذا الكيان الكبير جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله رحمة واسعة و قالوا في أحاديث صحفية إننا لا نستغرب من خادم الحرمين الشريفين مثل هذه الخطوة .

فقد اشاد وزير الشئون الإسلاميـــة والأوقاف و الدعوة والارشاد الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بعزم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ــ يحفظه الله ــ على انشاء مؤسسة خيرية كبرى باسم الملك عبد العزيز آل سعود يكون مقرها الرئيسي في مكة المكرمة وتمتد فروعها الى مدن أخرى .

وأكد معاليه في تصريح بهذه المناسبة ان انشاء هذه المؤسسة الخيرية الكبرى يأتي في نطاق المبادرات الخيرة من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهـد بن عبـد العزيز آل سعود وامتدادا لأعماله الخيريـة و الانسانية المتواصلة وبرا بوالده الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود ــ يرحمه الله ــ .

◎◇◎

قرارات وتوصيات

مؤتمر الدعوة الإسلامية فى آسيا والباسفيك الواقع والمستقبل
المنعقـــد فى جاكرتا
ما بين ٢٧ — ٢٩ / ٤ / ١٤١٦ﻫ الموافق ٢٢—٢٤ سبتمبر ١٩٩٥م

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للتقين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أما بعد :

فاهتداء بقوله تعـــالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ ، وقوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ وقولـه ﷺ : « من دعا إلى هدى كان لـه من الأجر مثل أجور من تبعـــه ، لاينقص من أجورهم شيئـا » وقيـاما بواجب الدعوة إلى الله لإصلاح الأفراد والجماعات فى عالمنا المعاصر الذى شغلت أفراده واستهوت بعضهم ملذات الحياة ، فغفلوا عن واجبات دينهم لحدثت لهم مشكلات اجتماعيـة تحتـاج إلى تشخيص ومعالجة من قبل العلماء والدعاة والباحثين حماية للمجتمعات الاسلاميـة من كل ما يؤثر فى بنيـانها أو يفرق شملهـــا ، وجمعا لها على منهج أهل السنة والجماعة الذى سار عليـه من قبلهم صحابة رسول الله ﷺ والتـابعون لهم باحسان كما جاء فى كتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة .

وإدراكا من المسؤولين فى وزارة الشؤون الدينية فى جمهورية إندونيسيا ووزارة الشؤون الاسلاميـة والأوقاف والدعوة والارشاد فى المملكة العربيـة

دية ، ضرورة التنسيق والتكامل بين المؤسسات الدعوية وسائر مؤسسات
الإسلامي ، التنسيق والتكامل المتميز فى فهمه لواقع الدعوة الاسلامية
اكم ضرورة التخطيط لمستقبلها ، فقد اجتمعت كلمتهم على عقد مؤتمر دعوى
صفوة من العلماء والدعاة والباحثين .

وقد عُقد هذا المؤتمر بتوفيق من الله تعالى فى المدة من
– ٢٩/٤/١٤١٦هـ الذى يوافقه ٢٢ – ٢٤/٩/١٩٩٥م فى مدينة جاكرتا
رعاية فخامة رئيس جمهورية إندونيسيا الحاج محمد سوهارتو الذى افتتح
ر بكلمة تضمنت ترحيبه بالحاضرين من إندونيسيا وخارجها ، وأن حكومة
نيسيا وشعبها يشرفون بعقد هذا المؤتمر فى إندونيسيا ، وبين أن الدعوة
لامية قادرة على حل مشكلات الانسانية ، وأنها تشجع الانسان على ايجاد
دائم وحل النزاعات بطرق سلبيــة ، ثم ذكر أن الدعوة الأسلامية تقود
انية نحو التطور وفقا لما جاء فى تعاليم الاسلام حيث يأمر بطلب العلم .
عى الله سبحانه وتعالى للمؤتمرين بالتوفيق وأعلن افتتاح المؤتمر .

وألقى معــالى وزير الشؤون الدينيــة فى جمهورية إندونيسى الدكتور
ى طاهر كلمة تضمنت أهمية عقد مثل هذا المؤتمر وفى هذه الظروف التى
ا الأمة الأسلامية ، وضرورة نشر الأسلام بما يتفق وتعاليم القرآن الكريم
ة النبوية الشريفة ، ثم أوضح أهمية التعاون بين حكومة المملكة العربيــة
دية وجمهورية إندونيسيا فى مجال تبليغ الرسالة النبوية الشريفــة ، وأنه
، بالإمكان عقد هذا المؤتمر لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم رعاية فخامة
ى الحاج محمد سوهارتو، ورعاية وعناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد
عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

ثم ألقى معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى وزير الشؤون

سلامية والأوقاف والدعوة والارشاد فى المملكة العربية السعودية كلمة نقل
ا تحيات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك
ملكة العربية السعودية لفخامة الرئيس الحاج محمد سوهارتو ، وإلى الشعب
ندونيسى ، وإلى العلماء المشاركين فى المؤتمر ، وأن المملكة يشرف قادتها
دمة الحرمين الشريفين ، وتقدر العمل الاسلامى البناء الذى تقوم به دول
وب شرق آسيا والمحيط الهادى وشعوبها المسلمة وجمعياتها وهيئاتها الاسلامية ،
نا جميعا نتطلع إلى هذا المؤتمر ونتفائل بأن تكون نتائجه إيجابية ، مؤكدا
ميع حرص خادم الحرمين الشريفين وسمو ولى عهده وسمو النائب الثانى على
م كل عمل اسلامى بناء .

وقد شارك فى هذا المؤتمر عدد من العلماء والباحثين الذين أثرت بحوثهم
ناقشاتهم جلسات المؤتمر ، كما حضره لفيف من الدعاة والمهتمين بشؤون الدعوة
مل الاسلامى فى دول قارة آسيا ومنطقة المحيط الهادى قدموا تعريفات
دهم والمناشط الاسلامية فيها .

وبعد استعراض البحوث ، و ورقات العمل المقدمة من المشاركين ومناقشتها
ذ المؤتمرون القرارات والتوصيات التالية :

- العمل على الإفادة من الوسائل والتقنيات الحديثة فى مجال الدعوة ونشر الاسلام .
- الاهتمام بدعوة غير المسلمين وإنشاء المراكز المتخصصة لذلك .
- العمل على الإفادة من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فى مجالات الدعوة إلى الله .
- تشجيع إنشاء المكتباب و دور النشر الاسلامية لتوسيع انتشار الكتب الاسلامية .

٥ — إقامة الدورات التأهيلية والتدريبية للرفع من كفاية الدعاة والأئمة العلمية واطلاعهم على المستجدات العالمية .

٦ — تزويد الدعاة والأئمة بالكتب والمراجع العلمية المتخصصة التى تعينهم على المراجعة والبحث .

٧ — إنشاء لجان مختصة لدراسة مشكلات الدعاة واحتياجاتهم فى مناطق الأقليات الاسلامية .

٨ — حث الدعاة المؤهلين من ذوى الكفايات العلمية على المشاركة فى الصحف والمجلات العلمية ، وفى وسائل الإعلام الأخرى المرئية والمسموعة .

٩ — إعداد كشاف بأسماء الدعاة العاملين فى المنطقة ، وأماكن أعمالهم ، للإفادة منهم فى المجال الدعوى .

١٠ — نشر القرآن العظيم وتوزيعه ، والعناية بترجمة معانيه إلى ما يتيسر من اللغات الحية . ويغتنم المشاركون فى هذا المؤتمر الفرصة للتعبير عن عظيم شكرهم وامتنانهم لخادم الحرمين الشريفين لإنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ويثنون على جهوده المباركة .

١١ — تكوين لجنة علمية للمنطقة يكون من مهامها ما يلى :

أ — توجيه الدعاة والجمعيات الإسلامية إلى ضرورة الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح فى الدعوة إلى الله .

ب — تأليف كتب الدعوة الاسلامية المناسبة .

ج — ترجمة ونشر الكتب الدعوية الاسلامية المناسبة .

د — إعداد الأشرطة الاسلامية ونشرها .

هـ — إصدار مجلة اسلامية علمية فى لغات متعددة .

و ـ إعداد البرامج الإذاعية والتلفازية ونشرها عبر وسائل الاعلام المتاحة .
ز ـ العناية بالدروس العلمية فى المساجد والمؤسسات الاسلامية و وضع خطة ومنهج لذلك لكى تقوم المساجد والمؤسسات الاسلامية بوظيفتها الدعوية والاجتماعية على أسس سليمة .

١٢ ـ نشر كتب السنة الصحيحة فى مؤلفات يسهل تداولها .

١٣ ـ نشر السيرة النبوية بأسلوب علمى وأدبى رفيع .

١٤ ـ الحث على إقامة المخيمات الشبابية لما لها من تأثير فى تربية الشباب والنهوض بسلوكهم وبعث هممهم على العمل لإعلاء كلمة الله تعالى .

١٥ ـ العناية بتعليم اللغة العربية وعقد دورات متخصصة وتأليف الكتب المبسطة والإفادة من الوسائل الحديثة وتعميمها ونشرها .

١٦ ـ يطالب المؤتمرون بفتح معاهد لتعليم اللغة العربية والعلوم الاسلامية فى دول آسيا والباسفيك ويشيدون بما يقوم به معهد العلوم الاسلامية والعربية فى إندونيسيا التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى المملكة العربية السعودية .

١٧ ـ يناشد المؤتمرون دول آسيا والباسفيك جعل اللغة العربية مادة أساسية فى المدارس العامة .

١٨ ـ حث المسلمين على إحياء سنة الوقف التى كانت سائدة فى العالم الاسلامى وكانت مصدرا ماليا ثابتا لكل أعمال الخير، ومن أهمها الدعوة إلى الله ومساعدة الدعاة والأئمة حتى يتفرغوا لمهمتهم .

١٩ ـ تكوين لجنة مشتركة لمتابعة تنفيذ قرارات وتوصيات هذا المؤتمر وتكليف من تراه بإعداد تقرير عن مناطق المحتاجة إلى الدعوة فى دول جنوب

شرق آسيا والمحيط الهادى بالتنسيق مع الهيئات والمنظمات الاسلامية فى المنطقة وإعداد تقرير دورى يقدم للمشاركين في هذا المؤتمر .

ب- يؤكد المؤتمرون أن الحكومة الشرعية البوسنية والهرسك فى حكومة الرئيس على عزت بيجوفيتش ، وأن الصرب جماعة خارجة على القانون ومن حق الحكومة الشرعية الدفاع عن وحدة أراضيها ويجب على المجتمع الدولى مساعدتها بالمال وجميع الوسائل الممكنة للدفاع عن أراضيها وحماية شعبها ومنشآتها .

٢ — اهتداء بقوله ﷺ : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » ونظرا لما بذله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهود لنشر كتاب الله و دعمه و رعايته المتواصلة للدعوة والدعاة فإن المؤتمرين يقررون بعث برقية شكر وتقدير لخادم الحرمين الشريفين اعترافا بجهوده فى العمل الاسلامى .

٢ — نظرا لجهود فخامة الرئيس الحاج محمد سوهارتو و رعايته هذا المؤتمر يقرر المؤتمرون بعث برقية شكر وتقدير لفخامته على جهوده و رعايته لوفود المؤتمر .

والله نسأل ان يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يجعل اجتماعنا جتماعا مرحوما وتفرقنا تفرقا معصوما . وصلى الله وسلم على نبينا محمد ؟

عدد صفحات الجزء ٦٤ :

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف و الترجمة ، بنارس

الجلد (٢٧)	رجب ١٤١٦ ﻫ
العدد الثانى عشر	دسمبر ١٩٩٥ م

يشرف على المجلة : الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

★ عنوان المراسلة : باسم رئيس تحرير مجلة صوت الأمة

بی ١٨/١ جی ، ريوڑی تالاب ، بنارس ، الهند

The Editor,

B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi – 221010 INDIA.

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑی تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G. REORI TALAB, VARANASI – 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى : فى الهند ٦٠ روبية ، فى الخارج ٣٦ دولارا (بالبريدالجوى) ١٥ دولارا (بالبريد العادى) ثمن النسخة : ٥/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٣٢٠٩٥٨/٣٢٢١١٦ فاكس : ٣٢٣٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة تستهدف

◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيداً عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .

◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادىء الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمى رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

◇ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق و وعى وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .

◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .

◇ التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .

والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

الافتتاحيـة :

اجتماع الأبناء القدامى للجامعة السلفية

انعقد فى يومى السبت والأحد ١٠ ، ١١/ من شهر جمادى الآخرة ١٤١٦هـ اجتماع الأبناء القدامى الذين تخرجوا فى الجامعـــة منذ تأسيسها الى الآن. ولم يتمكن جميع المتخرجين من الحضور فى هذا الاجتماع لان مجموعة منهم تقيم خارج الهند ، وتمارس هناك نشاطها العلمى والدعوى ، ولذلك لا يتيسر لها السفر الى الهنـــد الا فى الاجازة الدراسة السنوية . أما المتخرجون الذين يعملون فى أقطار الهند المختلفة فأغلبهم أيضا لم يستطيعوا المشاركة فى الاجتماع لأسباب مختلفة تخصهم ، و مع ذلك استمر الاجتماع يومين وانتهى فى موعـــده المحدد بنجاح ، فالحمد لله على ذلك .

ان الجامعة السلفية قضت من عمرها أكثر من ثلاثين سنة ، وهذه المدة لمثل هذه المؤسسة ليست كبيرة ، ولكن مع ذلك مرت الجامعة فيها بكثير من الأمور والأحداث التى تركت فى نفوس منسوبيها آثارا ملموسة ، وتبنت كثيرا من المشاريع العلمية والبنائية ، ونجحت بعون الله وتوفيقه فى تنفيذ عديد منها ، ولا يزال القائمون عليها يبذلون جهودهم لانجاز المشاريع الباقيـــة . وقد جاء تأسيس الجامعـــة لتحقيق أهداف معينة وانجاز أعمال نافعة ، ولا يخفى أن ذلك يتم بجهود متكاتفة وتعاون شامل بين الأطراف العديدة من المسئولين والأساتذة والطلاب والمتخرجين ، فكل منهم يقوم بدوره ويؤدى الواجب عليـــه ويساهم بما يستطيع فى سبيل تحقيق أهداف الجامعة . ولا شك أن هذه مسئولية عظيمة ،

نسوبون إلى الجامعة جميعا مطالبون بتحمل هذه المسئولية ، والتذكير بهـــذه
ئولية و للبحث عن الطرق الناجحـة فى أدائهـا انعقـد اجتماع الأبناء
امى ، وتم فيه النظر فى جدول الأعمال المقدم و ابداء الرأى حول النقاط
ددة والمسائل المطروحـة . ومثل هـذه الاجتماعات ليست غريبة فى حياة
سسات التعليمية ، فهى دائما تؤكد على ضرورة الاجتماع للتشاور ، وتهيئ الجو
ل الآراء ومناقشتها ، ولكن الذين يجهلون طبيعة هذه المؤسسات ، ويجهلون
هداف التى تؤسس لأجلها ، ويجهلون أسباب ومقومات نجاحها ، ويتعودون
النظر الى الأحداث من بعيد ، ويعانون من قصور النظر وضيق الأفق ،
يعيبون على هذه الاجتماعات ، ويستغربون ممن يتحمس لعقدها ، و يقللون من
يتها بحجج واهية وملاحظات سقيمة .

ان الانسان يتلقى تربيته الجسمية فى البيت ، وينمو و يترعرع فى رعاية
ين أومن يقوم مقامهما ، وحينما يدخل مرحلة الشباب و تكتمل رجولته
ـه يستغنى حينئذ عن معونات المربين ، و يتأهل لأن يساعـد غيره فى مجال
بية ، ولكنه لا ينسى البيت الذى تربى فيـه ، ولا الأفراد الذين ساعدوا فى
يته . أما التربية العلمية والروحيـة فيتلقاها الانسان فى المدرسة على أيدى
ساتذة المخلصين الذين نذروا نفوسهم لخدمـة الدين و العلم ، وفيها يكتسب
لم ، ويعرف أحكام الشرع ، ويتدرب على طرق تزكية الروح وتهذيب النفس
حسين الخلق . ومن هنا يرى حق المدرسة على نفسه أكبر ، وفوائدها فى حقه
ـ وأثبت ، ويشعر أن صلته بأمه العلمية ليست أضعف من صلته بأمه النسبية ،
ط على وثيق وعلاقة دينية متينة يرتبط بهما الانسان بمدرسته التى تفتحت
عيونه ، ونمت مواهبه ، ونشطت قريحته ، واتسعت مداركه . فلاختلاف

الى مثل هذا المكان العظيم النافع للنظر فى شئونه والاستفسار عن حاجاته والتلمس لمشكلاته والبحث عن أسباب تطورة ورقيه والتطلع الى توسيع مجالات عمله ، لا يحتاج الى مناسبة ولا ينتظر مبررا ، ولذا ينبغى أن لا نتعب نفوسنا فى البحث عن مبرر ومناسبة لعقد اجتماع المتخرجين ولاستضافتهم من قبل المؤسسة التعليمية التى تخرجوا فيها . فالأمور العلميـة شأنها غير شأن الأمور المادية ، ومتطلباتها أسمى من المتطلبات الأخرى على الاطلاق .

◎ فكرة انشاء مؤسسة تعليمية كبيرة مركزية فكرة قديمة سايرت انشاء جمعية أهل الحديث المركزية عام ١٩٠٦ م ، ومنذ ذلك الوقت تردد ذكر مثل هذه المؤسسة على ألسنة علماء جماعة أهل الحديث ، وهم قد أبدوا فى مناسبة أو أخرى تحمسا قويا لانشائها ، ولما كانت مدرسة دار الحديث الرحمانية تمارس نشاطها فى عاصمة الهند دهلى ، كان الشعور بضرورة انشاء المؤسسة التعليمية المركزية أضعف وأخف لأن الرحمانية كانت تخرج العلماء الأكفاء الذين يسعفون بمطالب الحياة الدينية والعلمية ، ويتحملون المسئوليات المتنوعة نحو المجتمع . ولكن قوى هذا الشعور واشتد بعد أن طويت هذه الصفحة الغراء من حياة جماعة أهل الحديث فى الهند عام ١٩٤٧م ، وهنا تكررت المطالبة بانشاء جامعة مركزية لأهل الحديث ، ليس للتدريس فحسب ، بل لتلبية حاجات العصر بصفة عامة ، وليس لخدمة جماعة أو طبقة معينة ، بل للعناية بمنهج السلف الصالح رضى الله عنهم فى فهم الكتاب والسنة ولتقديم ما قدمه الله تعالى ورسوله الكريم من مصادر التشريع الاسلامى ، فالنسبة الى أهل الحديث ليس منشأها التعصب وضيق الأفق ، بل انها تشير الى من يتحمل مسئولية مثل هذه الجامعة ويقوم بأعبائها .

فدافع انشاء الجامعــة المركزية لم يكن دافعا شخصيا محــددا ، بل أهل الحديث كلهم كانوا يحلمون بذلك ، و يتطلعون الى اليوم الذى يتحقق فيه هــذا الحلم . و لما أنشئت الجامعــــة عام ١٩٦٣ م صارت معقد آمال أفراد الجماعة ، واستبشر بها كل من رآها أو سمع عنها . ولاشك أن هـذه الصلة القوية للناس بالجامعة المركزية لم تكن راجعــة الى أنها تقام فى مساحة كبيرة ، و تعمل فى مبان شامخة ، وتجذب الانظار بالأبهة والشوكة ، بل لأنها تتسم بسمات علميــة ، وتمتاز بميزات معنوية ، و تسد الفراغ الذى تجــده فى مجال التدريس والدعوة و التأليف و الترجمة ثم فى مجال التربيــة و السلوك . وذلك لاننا رأينا مؤسسى الجامعة السلفية يصرحون مرة بعد أخرى بأنهم حينما يتكلمون عن انشاء الجامعة المركزية فلا يعنون بذلك مدرسة يتلق فيهــا الطلاب أنواعا من العلوم فقط ، بل كانوا يهدفون الى بعث حركة علميــة قوية تعنى بنشر العلم وتصحيح العقيدة والعمل وترشيد الأجيال البشرية الى ما فيه الخير والسعادة ، وعلى هــذا فان الجامعــة رسالة للعلم والعمل ، ومصنع للرجال و الأفكار ، ومنــارة يهتدى بها الانسان . وهــذه المنزلة تفرض علينا أن ننظر الى الجامعة على مستوى الفرد والجماعــة ، ونضحى فى سبيل رقيها بكل غال ورخيص ، ونجعلها منطلقا لجميع النشاطات والجهود ، ونواجه كل نقــد واعتراض بصدر رحب . وحينما نقول هـذا لا نغمض العيون عن المشكلات التى تواجه المنسوبين الى العمل الاسلامى فى هذا العصر ، والى الفتن والقلاقل التى تتجدد يوما بعد يوم ، والى المعوقات والمثبطات التى تكثر فى مجال العلم الشرعى ولـكننـا نود أن تتكاتف الجهود ، وننطلق مع متخرجى الجامعــة الى الأمام ، ونحاول مواجهة التحديات وحل المشكلات بالتشاور والتعاون ، ونسعى بذلك الى تحقيق الأهــداف التى أنشئت

لأجلها الجامعة . ان ديننا يأمر بالتعاون والتكاتف ، والصرح العلمى الكبير الذى تسلمه الجيل المعاصر من الأجيال السابقة لم يوجد بالجهود الفردية وبدون تفكير وتخطيط ، بل تم ذلك بالعمل المتواصل والتخطيط الدقيق والتعـاون الشامل . فمؤسسة تعليميـة مثل الجامعـة السلفية ليست بدعا حينما تطلب من المتخرجين التعاون لتنشيط الحركة العلميـة ، والتضحية بما يملكون فى سبيل نهضة الجامعة وتطويرها ، انه مطلب نبيل و مقصد جليل أمر به الشرع وجرى عليه العرف .

◎ وجدول الأعمال الذى تم الاتفـاق عليه من قبل أساتذة الجامعـة وطولب من المتخرجين ابداء وجهة نظرهم نحو محتوياته كان متضمنا عشر نقاط تفرعت كل نقطة منهـا الى عدة عناوين فرعية نتناول بعضها هنا بشىء من التفصيل .

كانت النقطة الثانية من جدول الأعمال محتوية على اعداد التراجم المفصلة لأبناء الجامعة الذين تخرجوا الى الآن . و هـذه مهمة جدا ، لأن مضى الوقت يطوى كثيرا من الشخصيات الكبيرة فى مجاهل التاريخ فلا يعرف عنها شىء بعد قليل من الوقت ، ويلاقى المؤرخ صعوبة بالغة فى تدوين التاريخ و تقويم أعمال العلماء وآثارهم .

و تضمنت هـذه النقطة كثيرا من العناوين الفرعية ، مثل المعلومات عن تحصيل العلم ، وعن الشيوخ الذين أثروا فى تكوين الاتجاه العلمى ، وعن التلاميذ الذين أحرزوا نجاحا ملموسا فى مجال العلم والدعوة ، وعن الآثار العلمية التى أنتجها صاحب الترجمة ، وعن الخدمات الاجتماعية والخيرية التى قام بها بعد التخرج ، و عن التدريس و التاليف و الدعوة والارشاد ومنهجه فى أداء هذه الخدمات ، وعن الآثار التي يلمسها صاحب الترجمة لجهوده المتنوعة ، وعن أحوال المناطق

التي زارها وهو يؤدى مسئولياته المتنوعة .

والنقطة الرابعة كانت عن التعاون العلمي مع الجامعة ، وذلك بأن يقدم المتخرجون أعمالهم العلميـــة من التاليف والتحقيق والترجمـــة الى الجامعـــة كي تقوم بنشرها فى صورة مناسبة . وبأن ينشىء الأبناء مقالات وبحوثا علمية للنشر فى المجلتين : صوت الأمة ومحدث اللتين تصدران من الجامعة شهريا . وقد أشير فى هـــذه النقطة الى أهمية الصحافـــة فى العصر الراهن و تأثيرها فى نشر الدعوة وتوجيه الناس الى ما فيه الخير والسعادة .

والنقطة السادسة تناولت العناوين الخاصة بالدعوة والارشاد ، وحيث ان الجامعـة أولته هـذا الموضوع عناية بالغة فانها ألحت على أن تكون مساهمـــة الأبناء فيـــه قوية ، وقد لفتت هـــذه النقطة أنظار المتخرجين الى سعة مجال الدعـــوة وشدة احتياج الناس اليهـــا ، وخاصة اذا نظرنا الى أحوال عامـــة المسلمين فى الهنـــد ، فانهم يجهلون تعاليم الاسلام الأساسية ، ومن جراء ذلك يقعون فى مهاوى الشرك والبدع ، ويسيئون الى الاسلام بأعمالهم وسلوكهم . أما غير المسلمين فلا يعرفون عن الاسلام شيئا ، وجهلهم هذا يعين أعداء الاسلام فى تضليل عامة الناس وتشويه تعاليم الشريعة الاسلامية ، وبذلك يجد المتطرفون والطائفيون سبيلهم للتأليب ضد المسلمين . وهـــذا الوضع يتطلب منـــا التفكير الجدى والخطوة الحـازمة للتعريف بالاسلام ومبادئه السامية ، وذلك لا يتم الا باعداد المؤلفات الاسلامية باللغات المحلية المختلفة . وبتنظيم الندوات والاجتماعات عن الاسلام وشرائعه وباجراء اللقاءات والمقابلات الشخصية مع العامة والمثقفين .

والنقطة الثامنة اختصت بالنظر فى المنهج الدراسى للجامعة ، وهذا الموضوع

(البقية على الصفحة ٥٨)

الحجة البيضاء فى حماية السنة الغراء
من زلات أهل الأخطاء و زيغ أهل الأهواء

(٥)

بقلم : الدكتور ربيع بن هادى عمير المدخلى

٦ — موقف ابن عدى

قال ابن عدى رحمه الله :

(ذكر من استجاز تكذيب من تبين كذبه ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، رجلا رجلا) . ثم قال :

فمن الصحابة : عمر بن الخطاب . . . على بن أبي طالب . . . عبد الله ابن عباس .

ثم روى بإسناده إلى (سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب بنى إسرائيل ليس صاحب الخضر ، فقال : كذب عدو الله . . .) .

وذكر قوله لبشير بن كعب : (كنا نحفظ الحديث ، والحديث يحفظ عن رسول الله ﷺ ، حتى إذا ركبتم الصعب والذلول) .

ثم قال : (عبد الله بن سلام) .

وساق بإسناده إلى أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : (أتيت الطور ،

فوجدت بها كعب الأحبار — فذكره بطوله — فلقيت عبد الله بن سلام، فذكرت له أنى قلت لكعب: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجمعة ساعة لا يصادفها مؤمن وهو فى الصلاة يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه» فقال: ذاك يوما فى كل سنة؟. فقال عبد الله بن سلام: كذب كعب). ثم ذكره إلى آخره[1].

ثم قال: (عبادة بن الصامت).

ثم روى بإسناده (عن ابن محيريز: أن رجلا من بنى كنانة أتى رجلا من الأنصار يقال له أبو محمد، فسأله عن الوتر، فقال: إنه واجب. فقال الكنانى: فلقيت عبادة بن الصامت فذكرت ذلك له، فقال: كذب أبو محمد).

ثم قال: (أنس بن مالك).

ثم روى بإسناده إلى (عاصم، قال: سألت أنس بن مالك عن القنوت قلت: قبل الركوع أو بعده؟ قال: قبله. قال فإن فلانا أخبرنى عنك أنك قلت: بعد الركوع. قال: كذب، إنما قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهرا) فذكره.

ثم قال: (ومن التابعين من تكلم فيهم: سعيد بن المسيب).

ثم روى بإسناده إلى (القاسم، أنه قال لسعيد بن المسيب: أن عطاء ابن أبي رباح حدثني: أن عطاء الخراسانى حدثه فى الرجل الذى أتى رسول الله، وقد افطر فى رمضان: أنه أمره بعتق رقبة. فقال: لا أجدها؟ قال: فأهد جزورا قال: لا أجد. قال: فتصدق بعشرين صاعا من تمر. فقال سعيد:

---

(١) الكامل ١ / ٦١

كذب الخراساني) وذكر قصة أخرى كذب فيها ابن المسيب عكرمة[١].

ثم ذكر: (سعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الرحمن الأعرج، وأبا صالح ذكوان، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأنس بن سيرين، وأبا العالية الرياحي، ومالك بن دينار، وعامر الشعبي، وإبراهيم النخعي، ومسروق بن الأجدع، والربيع بن خثيم، وحماد بن أبي سلمة، ومحمد بن إبراهيم، ومحمد بن مسلم الزهري).

وذكر لهم انتقادات، بعضهم يطلق في نقده الكذب، وبعضهم الجرح، وبعضهم للأفراد، وبعضهم للجماعات[٢] لا رائحة فيها للموازنات.

ثم قال: (أيوب بن أبي تميمة).

ثم ساق إسناده إليه (أنه ذكر ثويرا فقال: لم يكن مستقيم اللسان.

وذكر آخر فقال: كان يزيد في الرقم).

ثم ساق بعض فضائل أيوب.

ثم ذكر الأعمش، وتعديله لبعض الرواة وتجريحه لبعضهم:

فمن جرحه: (أنه ذكر عنده بعض الرواة فقال: طيار.

وذكر عنده آخر فقال: طبل مخرق، ليس له صوت).

ثم ذكر نقده لأهل الكوفة واتهامه إياهم بالكذب، ثم ذكر فضائله.

ثم قال:

(ذكر تابعي التابعين من الأئمة الذين يسمع قولهم في الرجال، إذ هم أهل لذلك).

---

(١) الكامل ١ / ٦٤ — ٦٥

(٢) " ١ / ٦٥ — ٧٠

ثم روى بإسناده إلى (يحيى بن سعيد القطان ، قال : سألت الأوزاعى ، وسفيان ، ومالكا — وأظنه قال : وشعبة — عن الرجل يهم فى الحديث ؟ . فقالوا : بين ، بين) .

ثم روى بإسناده إلى (أبى مسهر : أنه سئل عن رجل يغلط ، ويتهم ، ويصحف ؟ . قال : بين أمره ؟ . قلت له : أترى ذلك من الغيبة[1] ؟ . قال : لا) .

ثم قال : (شعبة بن الحجاج) .

وذكر فضائله ومزاياه ، وذكر من نقده أنه قال : (لو حابيت أحدا حابيت هشام بن حسان كان ختنى ، ولم يكن يحفظ) .

ومنه قوله : (لا تأخذوا عن سفيان الثورى إلا عن رجل تعرفون فإنه لا يبالى عمن حمل الحديث) .

ومنه عن (النضر بن شميل ، سمعت شعبة يقول : تعالوا حتى نغتاب فى الله)[2].

ووصف شعبة بأنه (قبان المحدثين) لاطلاعه على أحوال الرجال قويهم وضعيفهم .

ثم قال : سفيان الثورى .

وذكر فضائله ، وتسليم الأئمة كلامه فى الرجال .

ثم روى بإسناده إلى (سفيان أنه قال : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التأريخ) .

---

(١) من المخطوط ، وفى المطبوع « الفتنة » .

(٢) الكامل ١ / ٨١ — ٨٢ ، ٨٤

و ذكر له نقدا مجملا .

وفى كتاب : « الجرح والتعديل » له ترجمة ذكر فيها مزاياه وذكر من نقده قوله : (عجبا لمن يروى عن الكلبى) .

قال ابن أبى حاتم : فقلت لأبى : إن الثورى يروى عن الكلبى . قال : لا يقصد الرواية عنه ، و يحكى حكاية تعجبا ، فيعلقه من حضره ، و يجعلونه رواية عنه)[١].

ومن نقده قوله : (عبد الوهاب بن مجاهد كذاب)[٢].

وقوله فى (أبان بن أبى عياش : كان نسيا)[٣].

ثم قال : (عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى) .

و ذكر محاسنه ومزاياه وجلالته ، ثم نقل عنه قوله : لا تأخذ العلم إلا من أهله .

ثم قال : (مالك بن أنس) .

و ذكر فضائله ، و ذكر قوله : (لا يؤخذ العلم من أربعة وخذوا عمن سوى ذلك :

لا يؤخذ من سفيه معلن بالسفه وإن كان أروى الناس .

ومن صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه .

ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس ، وإن كانت لا تتهم أن يكذب على رسول الله ﷺ .

---

(١) الجرح والتعديل ١ / ٧٣
(٢) " " ١ / ٧٦
(٣) " " ١ / ٧٧

ولا من شيخ له عبادة وفضل إذا كان لا يعرف ما يحدث) .

وقوله : (أدركت هذا المسجد وفيـه سبعون شيخا من أدرك أصحاب رسول الله ﷺ و روى عن التابعين ، فلم يحمل الحديث إلا من أهله)[١].

و ذكر ابن أبي حاتم في ترجمة الامام مالك : (سمعت أبي يقول : سمعت عبد العزيز الأويسي يقول : لما خرج إسماعيل بن أبي أويس إلى حسين بن عبد الله بن ضميرة وبلغ مالكا ، هجره أربعين يوما لأنه لم يرضاه)[٢].

وبإسناد ابن أبي حاتم إلى عبد الرحمن بن القاسم قال : سألت مالكا عن ابن سمعان ، فقال : كذاب .

وأنكر على شعبة روايته عن عاصم بن عبيد الله .

وقال ابن أبي حاتم : نا صالح ، نا علي ، قال : سمعت يحيى يقول : سألت مالك بن أنس عن جابر البياضي فقال : لم يكن برضا[٣].

وسئل عن خمسة من الرواة ، منهم : حرام بن عثمان ، فقال : ليسوا بثقة[٤].

ثم ذكر ابن عدي عددا كثيرا من أئمة النقد بعد هؤلاء ، منهم : هشيم بن بشير ، وسفيان بن عيينة ، وابن المبارك : ومن أقواله في الجرح ما قاله الطالقاني : سمعت ابن المبارك يقول : (لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبد الله بن محرر لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة ، فلما رأيته

---

(١) الكامل ١ / ١٠٣

(٢) كذا ولعل الصواب : « لأنه لم يكن يرضاه » .

(٣) الجرح والتعديل ١ / ١٩—٢٣

(٤) « « ١ / ٢٤ ، وانظر مقدمة مسلم ٢ / ٢٦

كانت بعرة أحب إلى منه) ، ويحيى بن سعيد القطان ، وجرير بن عبد الحميد ، والفضل بن موسى السيناني ، و وكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدي ، والمظفر بن مدرك ، والامام الشافعي ، وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر ، وسعيد ابن منصور ، والامام أحمد بن حنبل ، وعلى بن المديني ، ويحيى بن معين ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ، وإبراهيم بن محمد بن عروة ، وخلف بن سالم ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وعمرو بن على الفلاس ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، وأبو زرعة الرازى ، وأبو حاتم الرازى ، ومحمد بن مسلم بن وارة الرازى ، ومحمد بن عوف الحمصي .

ثم ذكر آخرين ممن يقبل كلامهم فى الجرح والتعديل ، لا نريد الاطالة بذكرهم(١) ولا بذكر أقوالهم المدونة فى كتب الجرح والتعديل .

ولبعضهم تأليف فى ذلك ، وبعضهم تناقلت الأئمة أقواله فى ذلك .

وأنصح القراء أن يرجعوا إلى « مقدمة صحيح مسلم » إذ فيها علم ونقد قوى بالبدعة وبالكذب وبالوهم والغلط .

٧ — موقف الدارقطنى

قال الامام الحافظ الناقد على بن عمر الدارقطنى :

(وقد أخبر الله نبيه بما يكون بعده فى أمته من الروايات الكاذبة ، والأحاديث الباطلة ، فأمر النبي ﷺ باجتناب رواتها وحذر منهم ونهى عن استماع أحاديثهم وعن قبول أخبارهم فقال ﷺ :

---

(١) راجع الكامل ١ / ١٠٥—١٤٧

« سيكون فى آخر الزمان أناس من أمتى يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم » أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة) .

ثم أخرج الدارقطنى بسنده عن (أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم ») .

وأخرج بسنده عن (جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين يدى الساعة كذابين فاحذروهم ») .

قال الدارقطنى :

(لحذرنا رسول الله من الكذابين ، ونهانا عن قبول رواياتهم ، وأمرنا باتقاء الرواية عنه ﷺ إلا ما علمنا صحته) .

ثم أخرج بسنده (عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم ») .

قال الدارقطنى :

(ومن سنته ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده : الذب عن سنته ، ونفى الأخبار الكاذبة عنها والكشف عن ناقلها وبيان تزوير الكاذبين ليسلم من أن يكون خصمه رسول الله ﷺ ، لأنه من روى عن النبى ﷺ حديثا كاذبا وأقر عليه ، كان النبى ﷺ خصمه يوم القيامة) .

وقال الدارقطنى فى مقدمة كتاب « الضعفاء والمتروكين » :

(فإن ظن ظان أو توهم متوهم أن التكلم فيمن روى حديثا مردودا غيبة له ، يقال له : ليس هذا كما ظننت وذلك أن إجماع أهل العلم على أنه واجب ديانة ونصيحة للدين وللمسلمين .

وقد حدثنا القاضى أحمد بن كامل ، ثنا أبوسعيد الهروى ، ثنا أبو بكر ابن خلاد ، قال : قلت ليحي بن سعيد القطان : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله عز وجل ؟ . قال : لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إلى من أن يكون النبي ﷺ خصمى ، يقول لى : لِم لمْ تذب الكذب عن حديثى ؟) . قال :

(و إذا كان الشاهد بالزور فى حق يسير تافه حقير يجب كشف حاله ، فالكاذب على رسول الله ﷺ أحق و أولى ، لأن الشاهد إذا كذب فى شهادته لم يعد كذبه المشهود عليه ، والكاذب على رسول الله ﷺ يحل الحرام ويحرم الحلال ، ويتبوأ مقعده من النار بكذبه على رسول الله ﷺ ؟) . ثم قال :

(حدثنا محمد بن خلف ، ثنا عمر بن محمد بن الحكم النسائى ، ثنا محمد ابن يحي ، عن محمد بن يوسف قال : كان سفيان الثورى يقول : فلان ضعيف ، وفلان قوى ، وفلان خذوا عنه ، وفلان لا تأخذوا عنه ، وكان لا يرى ذلك غيبة) . قال :

(وحدثنا على بن إبراهيم المستملى ، قال : سمعت أبا الحسين محمد بن إبراهيم بن شعيب الغازى ، يقول : سمعت أبا حفص عمرو بن على يقول : حدثنا عفان قال : كنت عند إسماعيل بن علية ، فحدث رجل بحديث عن رجل ، فقلت : لا تحدث عن هذا فإنه ليس بثبت . فقال الرجل : اغتبته . فقال إسماعيل : ما اغتابه ولكنه حكم إنه ليس بثبت)[١].

---

(١) مقدمة كتاب « الضعفاء والمتروكين » للدارقطنى ، تحقيق : الصباغ : ص ١١ — ١٣

٨ — موقف الحافظ أبي نعيم

وذكر أبو نعيم في مقدمة كتابه: «الضعفاء»[1].

وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ، واستشهد لذلك بالآيات الدالة على طاعة رسول الله ﷺ، والتحذير من مخالفته مثل قول الله تعالى.

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠].

﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣].

ثم قال:

(فلما وجبت طاعته ومتابعته لزم كل عاقل ومخاطب الاجتهاد في التمييز بين صحيح أخباره وسقيم آثاره، وأن يبذل مجهوده في معرفة ذلك واقتباس سنته وشريعته من الطرق المرضية والأئمة المهدية.

وكان الوصول إلى ذلك متعذرا إلا بمعرفة الرواة والفحص عن أحوالهم وأديانهم[2]، والكشف والبحث عن صدقهم، وكذبهم، وإتقانهم، وضبطهم، وخطئهم، ووهائهم، وخلطهم.

وذلك أن الله عز وجل جعل أهل العلم درجات، ورفع بعضهم على بعض، ولم يرفع بعضهم إلا وخص من رفعه من[3] دونه بمنزلة سنية، ومرتبة

---

(١) ص ٤٥

(٢) ومنهم: أهل البدع.

(٣) ولعله: على من دونه.

بهيئـة ، فالمراتب والمنازل منه مواهب ، اختصهم بها دون الآخرين ، فلذلك وجب التمييز بينهم والبحث عن أحوالهم ليعطى كل ذى فضل فضله وينزل كل واحد منهم منزلته التى أنزله بها الممتن عليه ، والمنعم لديه) .

٩ — موقف ابن الجوزى

وقال ابن الجوزى :

(ومن التغفيل قول المتزهد عند سماع القدح فى الكذابين : هذا غيبة .

وإنمـا هو نصيحة للإسلام ، فإن الخبر يحتمل الصدق والكذب ولابد من النظر فى حال الراوى .

قال يحيى بن سعيد : سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وشعبة ، وسفيان بن عيينة عن الرجل يكذب فى الحديث أو يهم ، أبين أمره ؟ . قالوا : نعم . . بين أمره للناس .

وكان شعبة يقول : تعالوا حتى نغتاب فى الله عز وجل .

وسئل أن يكف عن إبان ، فقال : لا يحل الكف عنه لأن الأمر دين .

قال ابن مهدى : مررت مع سفيان الثورى برجل، فقال : كذاب ، والله لو لا أنه لا يحل لى أن أسكت لسكت .

وقال الشافعى : إذا علم رجل من محدث الكذب ما يسعه السكوت عنه ، ولا يكون ذلك غيبة لأن العلماء كالنقاد ، ولا يسع الناقـد فى دينه أن لا يبين الزيوف وغيرها)[١] .

---

(١) الموضوعات ١ / ٥٠

أقول :

هذا هو المحك الصحيح .

فن سلك مسلك هؤلاء فى خدمة السنة والذب عنها وفى التعـــديل لمن حق التعديل والجرح والطعن لمن يستحق ذلك ، وقمع أهل البـدع وفضحهم شف عوارهم و دمغ باطلهم بالحق والبراهين ، فهو منهم .

ومن خالفهم فى هذا المنهج وناصب منهجهم ومن تابعهم الخصومة والعداء لى أهل الزيغ والضلال والبدع والخداع ، يستميت عنهم فى الدفاع ويتلاعب ل أهل الجهالة من الرعاع ، يوهمهم كذبا و زورا وغشا وفجورا ، أنه من السنة والاتباع .

فإن هذا اللون قد فضحه الله وكشف عواره وهتك أستاره:

- بمخالفة هذا المنهج الفذ العظيم ، الذى حمى الله به الدين ونفى به وبأهله تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين .

- وبتولى أهل البـــدع والدفاع عنهم بالزور والباطل ، والدفاع عن بدعهم الكبرى الهادمة للدين والمنابذة لشرع سيد الأنبياء والمرسلين ، وما عليه السلف الصالحون من دين قويم ومنهج سليم مستقيم .

- ومناصبة العداء الوقح الظالم الفاجر لمن تمسك بهذا المنهج السلفى الصحيح الذى عرفت أصالته وأحقيته وآثاره العظيمة فى حماية دين الله الحق .

فلينظر من تجمعت فيه هذه البوائق أين مكانه من الدين ، والنصيحة لله كتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم ؟ .

ومن منطلق الحفـــاظ على الدين ، وعلى سنة خاتم النبيين ﷺ ، وتمييز يحها من سقيمها ، ومعوجها من مستقيمها ، ألف علماء السنة كتبا فى بيان

أحوال الرواة ، من : عدالـــة ، وضبط ، أو جرح من كذب ، أو غلط ، أو بدعة ، أو سوء حفظ .

من تلـكم المؤلفات : المؤلفات الجامعة للثقات وغيرهم ، كـ التأريخ الـكبير : البخارى ، والجرح والتعـــديل : لابن أبي حاتم ، وكتاب الكمال : لعبـــد الغنى المقدسى ، وتهذيبه ، والتذهيب : للذهبي ، وتهذيب التهذيب : لابن حجر .

ومنها ما يختص بالثقات ككتاب : الثقات : للعجلى ، والثقات : لابن حبان ، والثقات : لابن شاهين .

ومنها ما يختص بالضعفاء والمجروحين ، مثل : كتاب الضعفـــاء الـكبير : للإمام البخارى ، والضعفـــاء الصغير : لـــه ، والضعفاء والمتروكين : للنسائى ، وأحوال الرجـــال : للجوزجانى ، والضعفاء والـكذابين والمتروكين : لأبي زرعة الرازى ، وكتاب المجروحين : لابن حبـان ، والضعفاء : للعقيلى ، والضعفاء : للفلاس ، والكامل : لابن عدى ، والضعفاء : للأزدى ، والضعفاء والمتروكين : للدارقطنى ، والضعفاء : للحاكم ، والضعفاء : لأبي نعيم ، والضعفاء : لابن البرقى ، والضعفـــاء : لابن السكن ، والضعفاء : لابن الجوزى ، وميزان الاعتـــدال : الذهبي ، والمغنى : لـه ، والديوان فى الضعفاء : لـــه ، والذيل على الضعفاء : وذيل الميزان : لأبي الفضل العراقى ، ولسان الميزان : لابن حجر العسقلانى .

هذه الـكتب وغيرها خصصت بالمجروحين والمتكلم فيهم ، ولو كان مذهب الموازنات بين الحسنات والسيئات واجبـا أو مشروعا لـكانت هذه الـكتب وما حوته تحتوى على أعظم الظلم وأقبحه .

ولـكن الحقيقة خلاف ذلك .

فهذه الكتب تتربع قمة النصيحة والعدل والانصاف وعلها لون من لوان الجهاد العظيم إذ دافعها الذب عن الاسلام، وعن سنة خير الأنام.

فيها وبالأئمة الذين ألفوها حفظ الله هذا الدين، ولو لا هم لهدم الدين.

فعلى عقول من يدعو إلى منهج الموازنات الفاسد إذ هم يدافعون بهذا لمنهج الفاسد عن: الكذابين، والمجروحين، والمبتدعين الضالين من حيث شعرون أو لا يشعرون.

ويطعنون فى أئمة الاسلام وجنوده العظام الذين ألفوا هذه الكتب فى هذه الأصناف ذيادا و ذبا عن حياض الاسلام.

رحم الله أسلافنا من أئمة الدين وحفاظه، والذابين عنه، والمحافظين عليه.

وهدى الله المسلمين ولا سيا المغررين بأهل البدع، وكشف عنهم الغمة، ـ رزقهم التمسك بالكتاب والسنة، والتأسى بالأئمة، وسادة الامة، إن ربى سميع الدعاء.

(للبحث صلة)

●✻●

مرعاة المفاتيح مع شرح مشكاة المصابيح

للشيخ أبي الحسن عبيد الله الرحمانى المباركفورى رحمه الله

الجزء الاول	٧٥/-	الجزء الثانى	١٠٠/-
الجزء الثالث	١٣٠/-	الجزء الرابع	١٢٥/-
الجزء الخامس	١٣٥/-		

أحكام معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي

إعداد / د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح

مقدمة

إن أعجب ما سمعنا ما صدر عن بعض الصحف الغربية أن هناك من ينادي بحل الأزمات الإقتصادية بازهاق أرواح العجزة والمتقدمين في العمر الذين لا يعملون ، لأنهم عالة على المجتمع ، يستهلكون ولا ينتجون .

وعجبنا كثيرا من هذه المادية التي طغت على الغرب وأصبحت هي المنطلق في كل أمور حياتهم إلى درجة أنهم يقترحون تقنين سفق الدماء لمن لاذنب لهم إلا أنهم عجزة لا يقدرون على العمل .

في حين نجد الشريعة الإسلامية قد كرمت البشرية كلها بقوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[1] ، لقد كرمهم الله بجنسهم لا بأشخاصهم ولا بعناصرهم فالكرامة للجميع على سبيل المساواة المطلقة .

ليس هذا فقط بل وصل الإسلام إلى درجة أنه حدد لنا كيف نتعامل مع الأحياء من حولنا ، فقد دخلت امرأة النار في هرة يقول رسول الله ﷺ

(1) الإسراء : ٧٠

فى الحديث الذى رواه أبو هريرة (دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت)[١] رواه البخارى ومسلم ، دخلت النار فى هرة . . !! ، فى حين يطالب الغرب بقتل كبار السن ﴿فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾[٢].

وكذلك نجد فى المقابل أن رجلا غفر له لأنه سقى كلب ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليــه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هــذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ بى فنزل البئر فلأ خفه ماء ثم أمسك بفيه ، ثم رقى ، فسقى الكلب فشكر الله فغفر له فى كل ذات كبد رطبة أجر)[٣].

بل ذهب الإسلام إلى أكثر من ذلك وحدد كيفية ذبح الحيوان ، حتى لا يعــذب ، فمن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلــة ، و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)[٤].

هــذه هى الشريعة الإسلامية فى معاملة الأحياء من حولنا ، فكيف عامل الإســلام غير المسلمين فى بلاد الإسلام ، هــذا ماسنتطرق إليــه فى بحثنا إن شاء الله .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) الأنعام : ٨١
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه مسلم .

عقـــد الذمـــة :

الذمة : هى العهد والأمان .

وعقد الذمة : هو أن يقر الحاكم أو نائبه بعض أهل الكتاب — أو غيرهم — من الكفار على كفرهم بشرطين :

(١) أن يلتزموا أحكام الإسلام .

(٢) أن يبذلوا الجزية .

وهذا العقد يترتب عليه موجبات :

(الف) بالنسبة لدولة الإسلام :

١ — الحماية من الإعتداء الخارجى .

٢ — الحماية من الظلم الداخلى كحماية الدماء والأبدان وحماية الأموال وحماية الأعراض وحماية التدين وحرية العمل والكسب وتولى وظائف الدولة فى الولايات التنفيذية .

(ب) بالنسبة لأهل الذمة :

١ — عدم إظهار دينهم .

٢ — الالتزام بالأحكام والآداب والأخلاق الإسلامية .

٣ — أن يعطوا الجزية والخراج .

إذا فعلاقة المسلمين بغيرهم علاقة تعارف وتعاون وبر وعدل .

يقول تعالى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1].

ويقول فى الوصاية بالبر والعدل .

---

(١) الحجرات : ١٣

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾[١].

ومن مقتضيات هذه العلاقة تبادل المصالح والمنافع وتقوية الصلات الإنسانية.

وهذه العلاقات و الصلات لا تدخل فى موالاة الكافرين إذ أن النهى عن موالاة الكافرين يقصد به النهى عن محالفتهم ومناصرتهم ضد المسلمين كما يقصد به النهى عن الرضى بماهم فيه من كفر.

أما الموالاة بمعنى المسالمة و المعاشرة الجميلة و المعاملة بالحسنى و تبادل المصالح والتعاون على البر والتقوى، فهذا مما دعا إليه الإسلام.

وقد حدد الإسلام العلاقة بين المسلمين وغيرهم فى بلاد الإسلام (أهل الذمة) أيما تحديد فحدد الإسلام العلاقة فى النكاح والطعام وموقف المسلمين بغيرهم فى الحدود والدية وفى تقليد السلطة وتولى الوظائف وموقفهم من الجزية والخراج ونحو ذلك.

موقف المسلمين بغيرهم فى النكاح :

يحل للمسلم ان يتزوج الحرة العفيفة من نساء أهل الكتاب لقوله تعالى ﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا اتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان﴾[٢].

قال ابن المنذر : ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك.

---

(١) الحجرات : ٨

(٢) المائدة : ٥

وعن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن زواج الرجل ، النصرانية أو اليهودية قال :

وحرم الله المشركات على المؤمنين ، ولا أعرف شيئا من الاشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى .

قال القرطبي : قال النحاس :

(وهذا القول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة لأنه قد قال بتحليل نكاح نساء أهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعة منهم عثمان وطلحة وابن عباس وجابر وحذيفة)[1] .

ومن التابعين : سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وطاؤوس والشعبي والضحاك .

وقد تزوج عثمان رضى الله عنه بنائلة بنت الفرافصة الكلبية النصرانية وأسلمت عنده ، كما تزوج حذيفة يهودية من أهل المدائن وكره بعضهم الزواج منهن لأنه قد لا يأمن أن يميل إليها فتفتنه عن الدين أو يكون ولائه لأهل دينها [2] .

وقد حرم ابن عباس الزواج من الحربية عندما سئل عن ذلك فقال : لا تحل وتلا قول الله عز وجل ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[3] .

---

(١) فقه السنة ص ٢٣٥

(٢) المصدر السابق .

(٣) المائدة : ٢٩

قال القرطبي : وسمع بذلك ابراهيم النخعي فأعجبه .

والحربية وصف زائد عن كونها كتابية وبه كان ذلك التحريم ، فالتحريم لهذا الوصف لا للأصل وهو كونها كتابية .

وقال الإمام الخلال في كتاب (احكام أهل الملل) :

أخبرني عبيد الله بن حنبل قال حدثني أبي أنه قال لأبي عبد الله .

ترى للرجل المسلم أن يتزوج النصرانيـــة أو اليهودية قال : ما أحب أن فعل ذلك ، قلت : فعل ، قال : فقد فعل ذلك بعض أصحاب النبي ﷺ .

قلت : حذيفـــة تزوج مجوسية ، قال : هذا أشنع ، قلت له فترى ذلك ؟ ـل : أما المجوسيـــة فلا يعجبني ، قلت له لما ؟ قال : لأنهم ليس لهم كتـــاب لا طهارة .

وقد جاء عن الإمام أحمـــد بن حنبل انه يجوز الجمع بين امرأتين من ـل الكتاب .

وقد روى عن سعيد بن المسيب أنه قال : لابأس أن يتزوج الرجل أربع ـة من أهل الكتاب .

وإذا طلق المسلم اليهودية أو النصرانية ثلاثا ثم تزوجت بغيره من اليهود النصارى يجوز للمسلم الأول أن يتزوجها لقوله تعـــالى ﴿ حتى تنكح زوجا ـه ﴾ وهذا زوج .

ولما ورد عن الإمام أحمد أنه سئل عن نصرانية كانت تحت مسلم فطلقها ـثا فانقضت عدتها ثم تزوجت نصرانيا ودخل بهـا ثم مات عنهـا أو طلقها ـل لزوجها المسلم بنكاح هذا النصراني ؟

قال : نعم هو زوج ، الذى يحل الذمية للسلم . ذكره الإمام الخلال فى كتاب (أحكام أهل الملل) .

وقد اتفق العلماء بالإجماع على أنه لا يجوز نكاح المسلمة لغير المسلم لأن للرجل حق القوامة على زوجته وما كان لكافر أن يكون له سلطان على مسلم أو مسلمة .

وقد ذكر ابن القيم فى كتابه (أحكام أهل الذمة) أنه لا يجوز مناكحة المجوس مؤكدا قول الإمام أحمد ، يقول ابن القيم (واما تحريم ذبائحهم ومناكحتهم فاتفاق من الصحابة رضى الله عنهم ، وهذا أنكر الإمام أحمد وغيره على أبى ثور طرده القياس وإفتائه بحل ذبائحهم وجواز مناكحتهم ودعا عليه أحمد حيث اقدم على مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ والصحابة كانوا أفقه وأعلم وأسد قياسا ورأيا) .

مما سبق يتبين لنا أن هناك اتفاق بين العلماء بجواز مناكحة أهل الكتاب من اليهود والنصارى للسلم دون المسلمة كما يجوز أكل ذبائحهم .

طعام غير المسلمين :

قال تعالى ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾[1] ، وذكر ابن القيم فى (أحكام أهل الذمة) أن المقصود بالطعام فى الآية الكريمة الذبائح كما جاء عن السلف ، قال البخارى : قال ابن عباس : (طعامهم ذبائحهم) ، وكذلك قال ابن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وغيرهم .

ويجوز للسلم أن يأكل طعام أهل الكتاب لما ورد فى الآية الكريمة ولما جاء عن الإمام أحمد أنه قال (تؤكل ذبيحة اليهودى والنصرانى) .

---

(١) المائدة : ٥

وقد ورد عنه كذلك جواز أكل ذبائح أهل الحرب إن كانوا من أهل الكتاب. وقال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من يحفظ عنه من أهل العلم[(١)].

وقالت جماعـــة من أهل العلم: إذا سمعت الكتابي يسمى غير اسم الله عز وجل فلا تأكل.

وقال بهـــذا من الصحابة: على وعائشة وابن عمر متمسكين بقوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾[(٢)].

وقال مالك: أكره ذلك، ولم يحرمه.

وقد سئل أحمد عن نصرانى ذبح ولم يسم؟ قال لا بأس به.

وقد تفردت الشيعة دون الأمـــة بتحريم ذبائحهم واحتجوا بأن الذكاة الشرعية لم تدركها وبأن التسمية شرط فى الحل ولا نعلم بأنهم يسمون[(٣)].

مما سبق يتبين لنا أن هناك اتفاق حول جواز طعام أهل الكتاب فى حالة التسمية باسم الله أما غير ذلك من ذكر لفظ آخر أو عدم التسمية فهناك تباين فى الآراء كما أسلفنا.

حقوق وواجبات أهل الذمة:

إن دستور العلاقة بين المسلمين وغيرهم قوله تعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من

(١) أحكام أهل الملل.

(٢) الأنعام: ١٢١

(٣) أحكام أهل الذمة ص ١٩٠

دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾(١).

وعقد الذمة ينشيء حقوقا متبادلة لكل الطرفين ، المسلمين ، وأهل الذمة .

وسوف نتحدث الآن عن حقوق و واجبات أهل الذمة كما حددتها الشريعة الإسلامية .

● حقوق أهل الذمة .

(الف) الحماية من الاعتداء الخارجي .

ورد أنه (يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم وفك أسرهم ودفع من قصدهم بأذى إن لم يكونوا بدار حرب بل كانوا بدارنا ولو كانوا منفردين ببلد ، وذلك لأنهم جرت عليهم أحكام الإسلام وتأبد عقدهم فلزمه ذلك كما يلزمه للمسلمين)(٢).

إذا يجب على الإمام لما له من سلطة شرعية أن يوفر لأهل الذمة الحماية الكاملة من الاعتداء الخارجي .

ويؤكد ذلك الإمام الظاهري ابن حزم ما سبق بقوله (إن من كان في الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك ، صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة)(٣).

إذا فعقد الذمة يترتب عليه أن نضحي بالنفس والمال في تحقيق بنوده وصونا لمقتضاه .

ومن المواقف العملية في هذا الجانب ما جاء عن شيخ الإسلام

---

(١) الممتحنة : ٨

(٢) مطالب أولى النهى .

(٣) مراتب الإجماع .

ابن تيميـة حينما استولى التتار على الشام ، وذهب الشيخ ليكلم القائد التترى فى الأسرى فسمح له بإطلاق أسرى المسلمين فقط ، فقال ابن تيمية (لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود و النصـــارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة) ، فلما رأى إصراره أطلقهم جميعا[1] .

(ب) الحماية من الظلم الداخلى :

حماية أهل الذمة من أى ظلم داخل ديار المسلمين هو من مقتضيات عقد الذمـــة ، فقـــد وردت أحاديث كثيرة تحذر من ظلم غير المسلمين فقد روى الطبرانى فى الأوسط قول رسول الله ﷺ ﴿ من آذى ذميا فقـــد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ﴾ وجاء فى السنن الكبرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿من ظلم معاهدا أو انتقصه حقاً أو كلفـه فوق طـاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة ﴾ وكان عمر رضى الله عنه يسأل الوافدين عليـــه من الأقاليم عن حال أهل الذمة ، خشية أن يكون أحـــد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى فيقولون له (ما نعلم إلا وفاء) أى بما جاء فى عقد الذمة[2].

وقد ورد أن ابن عمرو بن العاص ضرب ابن القبطى بالسوط ، وقال له أنا ابن الأكرمين ، وكان عمرو واليـــا على مصر . فما كان من القبطى إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المدينة وشكا إليه ، فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنـــه ، واعطى السوط لابن القبطى وقال لـه : اضرب ابن الأكرمين ، فلما انتهى من ضربـــه التفت إليه عمر وقال له : أدرهـا على صلعـة

(١) القرضاوى (غير المسلمين فى المجمع الإسلامى) ص ١٠

(٢) تاريخ الطبرى ٢١٨/٤

عمرو فإنما ضربك بسلطانه فقال ابن القبطى إنما ضربت من ضربنى ثم التفت عمر إلى عمرو وقال كلمتــه المشهورة (يا عمرو! متى استعبدتم النــاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)[١].

فأى عدالة وأى منهج يرقى إلى هذه العدالة والإنصاف؟، والله لاتتحقق العدالة فى الأرض إلا فى دولة الإسلام التى تتخذ وتستمد من (لا إله إلا الله محمد رسول الله) منهجها وقيمها فى الحياة.

يعلق القرضاوى على ذلك بقوله (ومما يستحق التسجيل فى هــذه القصة: ان الناس قد شعروا بكرامتهم وانسانيتهم فى ظل الإسلام حتى أن لطمة يلطمها أحدهم بغير حق يستنكرها ويستقبحها، وقد كانت تقع آلاف مثل هذه الحادثة وما هو أكبر منها فى عهد الرومان وغيرهم، فلا يحرك بها أحد رأسا).

ومن مقتضيات عقد الذمة حماية أموالهم وأعراضهم وحرياتهم فى معتقداتهم وحرية العمل والكسب.

فقــد ورد أبى يوسف ما جاء فى عهــد النبى ﷺ لأهل نجران قوله ﴿ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد — ﷺ — على أموالهم وأنفسهم وأرضيهم ومساكنهم وغائبهم وشاهدهم وعبادتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير﴾[٢].

وقد ورد عن الإمام على رضى الله عنه قوله (إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا)[٣].

---

(١) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى:

(٢) الخراج ص ١٥٩

(٣) المغنى ٤٤٥/٨

وعلى هــذا جرت معاملة غير المسلمين على مدى العصور فمن سرق مال ذمي قطعت يده ، ومن غصبه عوقب وأعيد المال إلى صاحبــه ، ومن استدان من ذمي فعليــه أن يقضي دينــه . وقــد حمى الإسلام عرض الذمي وكرامته فلا يجوز لأحد أن يسبه أو يعاتبه أو يتهمه بالباطل إلى غير ذلك من الأمور التي تنافي الكرامة .

ومما ذكر في هذا الصدد قول الإمام القرافي (إنّ عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا لأنهم في جوارنا وفي حمايتنا وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ ودين الإسلام ، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله وذمة دين الإسلام)[١].

فأين أحوال المسلمين الذين يشكلون أقليات في بلاد غير المسلمين من هذا .

وقد حمى الإسلام حرية الاعتقاد والتعبد فلكل صاحب دين دينه ومذهبه ومعتقداته وفكره فلا يجوز لأحد من الناس أن يضغط عليه ليتركه ، قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[٢] ، وقوله تعالى ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[٣] .

ولهذا لم يعرف التاريخ شعبا مسلما حاول إجبار أهل الذمة على الإسلام ، فقد صان الإسلام لغير المسلمين معتقداتهم .

فقــد جاء في عهد عمر بن الخطاب إلى أهل القدس ذلك (هذا ما أعطى عبـــد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليـــاء من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم

(١) الفروق للقرافي .

(٢) البقرة : ٢٥٦

(٣) يونس : ٩٩

وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبها ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود)[(١)]، ولكنها الدعوة بالحسنى وقوة الحجة وسلامة السلوك الذى يجعل غير المسلم يأنس لهذا الدين وأهله ثم يدخل فيه.

وقد كفل الإسلام لهم حرية العمل والكسب والتجارة والبيوع كالمسلمين إلا عقد الربا فإنه محرم عليهم كما هو محرم على المسلمين.

وفى كتاب رسول الله ﷺ إلى مجوس هجر: أما أن تذروا الربا أو تأذنوا بحرب من الله ورسوله.

هذه حقوق أهل الذمة كما جاءت فى الشريعة الإسلامية وكما وضحها الصحابة وكما بينها علماء الأمة بصورة عملية.

● واجبات أهل الذمة:

إن عقد الذمة يلزم غير المسلمين بأحكام الإسلام التى تطبق على المسلمين لأنهم بمقتضى هذا العقد أصبحوا يحملون (جنسية الدولة الإسلامية) فعليهم أن يتقيدوا بقوانينها التى لا تمس عقائدهم وحريتهم الدينية.

فيلتزموا بأحكام الشريعة الإسلامية فى الدماء والأموال والأعراض شأنهم فى ذلك شأن المسلمين — فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، غير أن عليهم واجبات أخرى من أداء الجزية والخراج واحترام شعائر المسلمين ومشاعرهم وكما ذكرنا التزام أحكام القانون الإسلامى.

---

(١) تاريخ الطبرى ٦٠٩/٣

الجزيـة :

الجزية هى مبلغ من المال يؤخذ ممن دخل فى ذمـة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب ، أو هى ضريبة سنوية على الرؤوس.

قال تعالى ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[1] .

وقد أجمع العلماء أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس .

فقد أخذ رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هجر ، وهم يعاملون فى هذا الأمر معاملة أهل الكتاب لما ورد عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿سنوا بهم سنة أهل الكتاب﴾[2].

وقال الزهرى : أول ما أخذت الجزية ، من أهل نجران وكانوا نصارى .

وتأخذ الجزية منهم جميعا سواء كانوا كتابيين أو مجوسا أو غيرهم وسواء كانوا عربا أو عجما أما ما ورد عن أبي حنيفـة من أنها : تؤخـذ من أهل الكتاب والمجوس وعبدة الأوثان من العجم فقط ولا تؤخـذ من عبد الأوثان من العرب ، احتجاجا بأن رسول الله ﷺ لم يؤخذها منهم .

يقول ابن القيم (لأن آية الجزية نزلت عام (تبوك) فى السنة التاسعة من الهجرة بعد أن أسلمت جزيرة العرب ، ولم يبق بها أحد من عباد الأوثان فلما نزلت آية الجزية أخذها النبي ﷺ ممن بقى على كفره من النصارى والمجوس)[3].

(١) التوبة : ٢٩

(٢) رواه البخارى .

(٣) أحكام أهل الذمة .

وقـــد ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدد مقدارها فجعل على الموسرين ثمانية وأربعين درهما وعلى المتوسط أربعة وعشرون درهما وعلى الفقير اثنى عشر درهما[١].

وبهذا أخذ أبو حنيفة رضى الله عنه.

والحكمة فى وضع الجزية هى إذلال الكفر، يقول ابن القيم (إن الجزية وضعت صغارا وإذلالا للكفار لا أجرة على سكن الدار).

وقيل انها مساهمة فى نفقات الدفاع عن الدولة الإسلامية ذلك ان دولة الإسلام دولة عقائدية تقوم على مبدأ و فكرة، فلا يدافع عنها إلا من يؤمن بأيدلوجيتها لذلك قصر الإسلام واجب الجهاد على المسلمين فقط.

و تسقط الجزية على من أسلم لحـــديث ابن عبـاس مرفوعا ﴿ليس على مسلم جزية﴾[٢].

ولا يكلف الذى فوق طاقته فى دفع الجزية لما رواه أبو يوسف أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رأى شيخا يهوديا يسأل النـــاس فسألة عن ذلك، فقال: إنما أسأل لأعطى الجزية فعرف أن الشيخوخة والحاجة الجأتاه إلى ذلك فاخـــذه و ذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، وقال فى ذلك (ما أنصفناه إذ أخذنا منه الجزية شابا، ثم نخذله عند الهرم)[٣].

(١) أحكام أهل الذمة.
(٢) رواه أحمـــد وأبى داود، وقد روى عن عمر وعلى ما يقوى هذا المعنى. ذكره الإمام الخلال فى (أحكام أهل الملل).
(٣) الخراج.

الخراج :

أما الخراج فهو ضريبـة مالية تفرض على رقبـة الأرض إذا بقيت فى أيدى ، هم و الخراج هو الفىء المذكور فى الآية ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ .

والفرق بين الجزية والخراج أن الخراج لا يسقط بالإسلام بخلاف الجزية .

وقـد جاء عن أبي يوسف فيما عومل به السواد من أرض العراق يقول (افتتح عمر السواد فأشار عليه المسلمون أن يقسم السواد وما افتتح من المدن ، فقال لهم : فما يكون لمن جاء من المسلمين ؟ فترك الأرض وأهلها وضرب عليهم الجزية أخذ الخراج من الأرض)[١] .

مراعاة شعور المسلمين :

ومن الواجبات على أهل الذمة احترام شعور المسلمين الذين يعيشون بينهم ، فلا يجوز لهم أن يسبوا الإسلام وما يتعلق به ولا يروجون ما ينـافى عقيـدة الدولة ودينها ولا يجوز لهم أن يتظاهروا بشرب الخمر وأكل الخنزير ولا إظهار الأكل والشرب فى رمضان إلى غير ذلك من الأمور التى لا تراعى شعور المسلمين فان فعلوا ذلك فقد أسقطوا حرمتهم ونقضوا عهدهم .

الحدود والدية :

إن على أهل الذمـة أن يلتزموا بأحكام الإسلام كما ذكرنا وأنـه من ارتكب منهم شىء مخالف يطبق فيهم حدود الله كما بينها رسول الله ﷺ .

فمن سرق يقطع ومن قتل يقتل إلى غـير ذلك من أحكام الإسلام التى التزموا بها .

---

(١) الخراج لأبى يوسف .

وإذا نقضوا العهد يعاقبوا على ذلك .

فقد جاء عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل أنه سئل عن من شتم النبي ﷺ قال : يقتل قد نقض العهد .

و ذكر الإمام الخلال أن امرأة كانت تسب النبي ﷺ فقتلها خالد ابن الوليد .

ومن قذف مسلما يقام عليه الحد ، وكذلك او فجر بمسلمة يقتل كما جاء عن الإمام أحمد قوله فيمن فجر بمسلمة (يقتل ما على هذا صولحوا)[1] .

و دية الذمى فيها اختلاف فذهب جماعة أنها نصف دية المسلم إن كان القتل خطأ ومنهم الإمام أحمد بن حنبل وقال إن كان القتل عمدا فهو مثل دية المسلم ، وقال آخرون الديات سواء .

وهكذا من خالف من أهل الذمة أحكام الإسلام طبقا لما جاء فى عقد الذمة وطبقا لما صولحوا عليه أخذ بها .

فى تقليد السلطة وتولى الوظائف :

لا يجوز لأهل الذمة تولى السلطة والوظائف التى تأخذ مرتبة الولاية التفويضية كالإمامة ورئاسة الدولة والقيادة فى الجيش والقضاء بين المسلمين والولاية على الصدقات ونحو ذلك .

فالإمامة و رئاسة الدولة هى خلافة عن النبى ﷺ لا يجوز بأى حال من الأحوال أن يخلف النبى غير مسلم ، لأنه لا يعتقد بأن يرعى شؤون المسلمين وينفذ أحكام الشريعة الإسلامية إلا من يؤمن بها .

(١) أحكام أهل الملل .

وقيادة الجيش للجهاد ليس عملا مدنيا محضا بل هو من العبادة فى الإسلام والجهاد فرض على المسلمين فقط .

و القضاء بين المسلمين هو حكم بشريعة الإسلام فلا يقوم بالحكم بها إلا من يؤمن بأحكامها .

إلا أنه يجوز للذمى أن يتولى بعض وظائف الدولة التنفيـذية بشرط أن يتوفر فيه الأمانة والعلم والصدق والإخلاص للدولة[١] .

أما إذا كان ممن قال فيهم الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾[٢] ، فى هذه الحـالة لا يجوز لمن ذكرت أوصافه فى الآية الكريمة أن يتولى أى وظائف فى الدولة .

وفى الحقيقة أن الإسلام بلغ من التسامح مع أهل الذمة إلى درجـة أن الإمام الماوردى ذكر بأنه يجوز لمن يتوفر فيه الشروط من أهل الذمة أن يتولى وزارة التنفيذ فى قوله (ويجوز أن يكون هـذا الوزير من أهل الذمة ، وإن لم يجز أن يكون وزير التفويض منهم)[٣] .

وقد تولى الوزارة زمن العباسيين بعض النصارى منهم نصر بن هارون وكان لمعاوية بن سفيان كاتب نصرانى اسمه سرحون .

وقد قال المؤرخ الغربى آدم ميتز (من الأمور التى تعجب لها كثرة عدد

(١) القرضاوى (غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى) .
(٢) آل عمران : ١١٨
(٣) الأحكام السلطانية .

العمال و المتصرفين — الولاة و كبار الموظفين — غير المسلمين فى الدولة الإسلامية)[١].

وبهذا يكون وصل الإسلام إلى درجة عظيمة فى التسامح لم يشهد لها التاريخ مثيل.

خاتمة:

مما سبق يتبين أن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعها فالإسلام كامل فى أحكامه وتام فى نعمته ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٢].

فلم يترك الإسلام كبيرة ولا صغيرة إلا و تحدث عنها ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾[٣].

و قد وجدنا أن الإسلام تحدث عن معاملة غير المسلمين بشكل مفصل عرفنا من خلالها أن الإسلام صناعة للحياة تحت ظلال (هدى الله) ولا طريقة للعدالة على وجه الأرض نقضى فيها على الظلم والإستبداد ونحل محلها العدل والإخاء والإنصاف إلا بهذا الدين، فأين منهم الناس اليوم.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ◎◎◎

◇❋◇

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى.

(٢) المائدة: ٣

(٣) الأنعام: ٣٨

الحسد والحاسدون

بقلم : د / محمد بن سعد الشويعر

الحسد أول خصلة ذميمة وجدت على وجه الأرض ، مع بدء خلق الله
دم أبي البشر ، وأول ذنب عصى الله به إذ تكبر ابليس على أمر الله ، وعاند
ا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، وعصى أمر الخالق سبحانه ، وهذا لحكمة
رادها الله جلت قدرته .

وهذه الخصلة المقيتة ، تمثل الغل والكراهيـة لما يمتن الله به على عباده
ن نعم عديدة وتنبيء عن النقمة على الآخرين ومـا أسبغ الله عليهم من نعمة
ي من الله فضل وابتلاء ، وعلى البشر نعم تستوجب الشكر وأداء الحق .

والحاسد عند ما ينقم على المحسود ، فإنمـا هو اعتراض على رب العزة
الجلال ، وما يخص به عباده من فضائل هي من عدله التي لايدرك كنهها إلا الله
لأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب .

وما ذلك إلا أن الحسد نزعة وجدانيـة سيئة ونفثة من نفثات الصدر
كريهة ، ينبيء أثرها عن جيشان الشر ، وغلبة نزعته على هواجس النفس ، كما
حصل من عدو الله إبليس اللعين الذي حسد أبا البشر على نعمـة الكرامة ،
حيث أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم ، فاستجابوا لله طائعين مستسلمين

إلا إبليس أبى واستكبر بعد ما تحرك عامل الشر فى وجدانه، وعبر عن ذلك بالامتناع عن السجود، محتجاً بأنه خير منه لأنه خلق من نار، وآدم مخلوق من طين، فعصى بالحسد خالقه جل وعلا حيث استحق لطرده من رحمة الله واللعنة إلى يوم الدين.

فكان الحسد أول ذنب بذلك عصى الله به على وجه الأرض، وكانت جهود إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن دائبة فى إثارة هذه النزعة وتحريك دواعيها، ولذا فإن رسول الله ﷺ أوضح فى حديث شريف، تضمنت دلالته: أن الشيطان قد أيس أن يعبد فى جزيرة العرب، ولكن يسعى بين الناس بالتحريش والمكيدة، والتحريش لا يحركه إلا باعث من الحسد، الذى هو عنصر شر مكين، والشر لا يستجيب له إلا النفوس الشريرة التى لا ترق لأمر، ولا تلين لداعى الهدى.

والانسان فى هذه الحياة يكتنفه خصلتان تحاول كل منهما أن تسيطر على انفعالاته، وتؤثر فى أعماله هما: الخير والشر، وقد اقتضت حكمة الله أن يكون لهذا الانسان الذى أكرمه خالقه، وفضله على كثير مما خلق سبحانه تفضيلا عقل هو من خصائص الكائن البشرى المكلف، حيث يميز به النافع من الضار، ويقارن به المصالح من المفاسد، وبذا يتراءى أمامه كأن ما حوله من أشياء، وما ينتابه من أمور يوضع فى كفتى ميزان يفاضل به بين نتائج الخير، وما يترتب على الشر من أمور. والثمرة التى توجه هاتين الكفتين هى: العدالة الوجدانية التى يلمس أثرها المدقق فى تعاليم الاسلام، ونظرتها فى توجيه النفس البشرية: دفعا للخير؟ وتحذيرا من الشر؟ وما تحمله تلك التعاليم من توضيح وإبانة، وما فى نتائجه من ترغيب وترهيب.

وإن الرغبة فى الحق والدعوة إليه ، والحب فى النتائج المثمرة ، لهى حصيلة كفة الخير التى توجه إلى الطريق الموصل إلى الله جل وعلا . وهذا الطريق له علامات بارزة ، وعليه أعلام تدل عليـه : ذلك هو هدى الله الذى أرسل به الرسل ، و أنزل به الكتب ، حيث تسكن النفس ، و ترتاح المؤثرات فينقلب الغل إلى رضا ، والبغض إلى محبة ، وتمنى زوال النعمة عن الآخرين إلى القناعة بما قسم الله . لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يدعون إلا إلى الخير ، ولا يوجهون إلا إلى ما فيـه سعادة البشرية فى دنياها وأخراها . وهم أطباء القلوب المريضة يحملون لها العلاج فى مشعل الهداية ، بما فيه من علاج نفسى وتأثير وجدانى .

وأى منهج يخـالف هذا المسلك فهو من مداخل الشر الـذى ينبعث من القلوب المشبعة بالشر حيث تأخذ بأصحابها إلى مسارب تعارض الهـدى الشرعى الذى أراده الله لعباده .

ومن هذا فإن الشر له معابر كثيرة ، وطرقا متعددة ، كما أوضح ذلك رسول الله ﷺ عند ما خط فى الأرض — فى عمل شبيه بالوسيلة الايضاحية — خطا مستقيما ، ثم خط فى جوانبه خطوطا متشعبة عديدة ، ثم قرأ الآية الكريمة : ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلـه ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، فبان من هذا التوضيح أن طريق الخير واحد مستقيم لا اعوجاج فيـه ، وبين لا لبس فى منهجـه ، وهو الذى يوصل إلى بر الأمان ، ومرفأ السلامة . وأن طرق الشر ومشـاعاته عديدة كلهـا تقود إلى المهـالك ، والحسد واحد من تلك المسالك التى تنشر

منها رسول الله ﷺ ضمن توجيهه الكريم الأمة لما ينفعها من الخير وتحذيره لها من الشر.

والمؤمن العارف بتعاليم دينه، الحريص على تطبيق شرع الله، الذى شرع لعباده يجد فى مصدرى الشريعة الاسلامية: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يوجه النفس إلى ما فيه سعادتها ونجاتها، حيث حذر هذان المصدران من الحسد، وأبانا عن آثاره القريبة والبعيدة ووضعا حلولا تتحصن بها النفس من شرور داء الحسد كما يتحصن البدن الوقاية من بعض الأمراض الجسمية، باللقاحات التى أظهر الله للانسان أثرها، كعلم من العلوم التى اكتسبها بالمران والتجربة.

وما ذلك إلا أن الحسد مرض نفسى خطير، وداء اجتماعى له أثره وعواقبه السيئة على الأفراد والجماعات، فتكا واستعداء، أكثر من الأمراض المادية البدنية، التى عرفها الانسان وبسط الله أمامهم بعضا من وسائل علاجها. إذ بالحسد أزهقت أنفس، وأضرمت بيوت، وحصلت المصائب.

ويزداد أثر الحسد فى تفتيت الجماعات والاضرار بالأفراد، عند ما يضعف الوازع الدينى، وعند ما يسلم الحاسد انفعالات نفسه إلى هواه وشيطانه، حيث يتعامى عن شرع الله الذى فيه العلاج، وعن الدافع الدينى الذى يكبح جماح النفوس، ويحجزها عن الاضرار بالناس، قولا أو فعلا. لأن منهج الاسلام: «لا ضرر ولا ضرار» فالحاسد يسوقه الأثر الباطنى قسرا عنه إلى كراهية ما يتمتع به المحسود من صحة وعافية، وما أفاء الله عليه من مال وجاه، وغير هذا من شئون الحياة، فيتمنى فى قرارة نفسه ويعمل بجهده على إزالة هذه النعمة، مهما كانت من صاحبها، ويدفعه حسده إلى العمل والمكيدة، ليقترن الاحيان

بالعمل والسعي بالقول ، ولا تهدأ نفس الحاسد إلا عند ما يرى المحسود قد اتابته كارثة ، أو حلت به مصيبة من المصائب عند ما تتحرك نفثات هذا المرض الكامنة في الوجدان ، بما ينبىء عن السرور والارتياح . ومن المعلوم أنه لا يفرح بضرر المسلمين ولا يسر بما يصيبهم من كوارث ومحن ، سواء كانوا أفرادا أو جماعات إلا أصحاب القلوب المريضة ، والخصال الدنيئة ذات الشر المستطير .

وما عرف الحاسد أن عمله هذا وبال عليه ، وأن آثار حسده ما هي إلا أعمال مرصودة عليه في الدنيا ، ليجد أثرها في الأخرى مهينا ، وقد يعجل الله له بعض العقوبة في الدنيا ، وأقل ذلك : قلق وضجر ، وهم وغم .

فاليهود الذين عصوا أمر الله ، وبدلوا في شرعه واستسلموا للهوى والشيطان هم من أكثر خلق الله اهتماما بالحسد ، فقد دفعهم حسدهم هذا إلى تكذيب رسل الله ، بل إلى قتلهم والسعي في دفع الناس إلى الفساد والإفساد ، وإضلالهم عن هدى الله الذي وجه للبشرية في كل زمان لإنقاذهم من الشر ومداخله ، بمحاولة تغييره وتبديله وتمويه حقيقته على الناس حتى يبتعدوا عنه . كما حصل في الدعوة المحمدية ، إذ عند ما بعث الله محمدا ﷺ بالهداية ، أعمل اليهود جهدهم وبثوا مساعيهم في سلب هذه الرسالة وإطفاء نورها ، مع بث الشبه والأباطيل حولها لتنفير الناس عن الاستجابة لها . بل حاولوا قتل رسول الله ﷺ بطرقهم العديدة ، ولكن الله أنقذه منهم ، كما كانوا أعوانا للمشركين المعاندين بالرأي والفكر والمال ومداخل المكيدة ، ونقضوا العهود مع رسول الله ليكونوا قوة داخلية في المدينة تشد من أزر المشركين ، وتعينهم في محاولة القضاء على محمد ﷺ وأصحابه والصد عن دعوته .

يخبر الله جل وعلا عنهم ، وعمن ينتهج طريقتهم إلى يوم الدين ، بقوله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير﴾ [١٠٩] ، ويقول سبحانه فى سورة النساء حكاية عن أحوال أهل الكتاب وهم فى هذا الموقف اليهود كما حكاه كثير من المفسرين : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما﴾ [٥٤] .

والحسد لا يدفع غائلته ويحد من غلوائه ، إلا قوة الايمان فى القلب ، وحسن الاتباع فى العمل ، و ذكر الله باللسان . فقد روى أن رجلا فى عهد رسول الله ﷺ كان وسيما أبيض البشرة ، متناسق الجسم خلع ثيابه ليستحم فى غدير مرت به رفقته . فقال رجل لما رآه : جلد ولا جلد مخبأة يريد أنه أحسن من جسم المرأة ، فلبط أى أصابته عين الرجل فلما وصلوا المدينة أخبروا رسول الله ﷺ بذلك فتأثر حتى بان الغضب فى وجهه وقال : ما بال أحدهم يقتل صاحبه ، هلا ذكرت الله — وفى رواية هلا بركت — قال بعض الشارحين : أى هلا قلت لا إله إلا الله ، ما شاء الله تبارك الله . لأن هذا مما يريح النفس ويطفىء جزوة الحسد ، كما يطفىء الماء النار ، ثم أمر الرجل أن يغسل أجزاء من جسمه ، و داخل إزاره ويجمع ذلك ليصب على المحسود ، وهو سهل بن حنيف . وفى هذه الواقعة رد على من ينكر وقوع العين ، وأثرها فى المحسود .

ورسول الله ﷺ قد أمره ربه بالصبر على أذى الحاسدين ، والعفو عن إساءتهم ، وترك مساءتهم لله جل وعلا ، لما فى الصبر من أثر كبير على المحسود

بحسن التوكل على الله ، وأنه لا نافع إلا الله ، ولا ضرر إلا فيما قدره الله .

ولما سحر لبيد بن الأعصم اليهودى رسول الله ﷺ كما جاء فى الحديث الذى أورده البيهقى وابن مردويه فى الدلائل عن حبان بن أرقم وجاء فيه : أن رسول الله ﷺ اشتكى لذلك أياما ، قال : فأتاه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا — وزاد الامام أحمد فى بئر — فأرسل رسول الله ﷺ عليا فاستخرجها ، فجاء بها ، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة ، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال ، فما ذكر ذلك لليهود ، ولا رأوه فى وجهه قط ، وهذا من خلقه الكريم ﷺ الذى يجب أن تتأسى به الأمة فى حسن الصبر والتحمل . إذ عمل رسول الله ﷺ فى هذا وغيره من أعمالهم معه ، ومع المسلمين أشد على اليهود من وقع النبل وأنكى فى نفوسهم من أثر الحسد الذى دفعهم للعمل والمكيدة .

وهذا من أدب الاسلام الذى يجب أن تتربى عليه النفوس فى تجاهل أعمال الحاقدين الحاسدين ، وعدم إظهار التأثر من أعمالهم ، أو الاهتمام بهم ، وقد أدرك بعض الشعراء هذا الأثر فعبر عنه بقوله :

اصبر على مضض الحسو ... د فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

إن الحاسد هو من يتعمد الاضرار ، ويسير بأى حاسة من حواسه باتجاه الآخرين ، متمنيا الإساءة إليهم ، وجاهدا فى الاضرار بما وهبهم الله ، ولا يذكر الله فى المواقف التى يرى نفسه متطلعة إلى ذلك ، وهواجسه تواقة إلى تمنى زوال تلك الفضائل ، حتى لو لم يرغب فى حصول تلك المزية التى يتحلى بها

الآخرون ، بأن تعود إليه هو لأن جيشان الحسد يدفعه إلى السعي في زوالها عن أصحابها فقط .

ولهذا حرص العلماء رحمهم الله على التفريق بين الغبطة والحسد ، كما جاء في الحديث : لا حسد إلا في اثنتين : « رجل آتاه الله علما فهو يعلم ويعلم الناس ، و رجل آتاه الله مالا ، فهو ينفق عنه آناء الليل وأطراف النهار فيما يرضى الله » فقالوا : إنه يغبطه على هذا العمل الصالح ، ويتمنى أن يكون له مثله ليعمل مثل عمله دون أن يتمنى زوال ذلك عنه وهذا ما سموه بالحسد النافع .

ونفثات العين التى قيل عنها علميا : إنها تأثير يشبه الأشعة بالليزر ، فتصيب المحسود دون أن يظهر من الحاسد أثر مادى ، واضحة معالمه ، هى دور من أدوار الحسد ، مثلما أن السحر وما يتركه من آثار فى المحسود دور آخر من أدوار الحسد أيضا .

فهذان الدوران ينتج من أثرهما قتل للنفوس ، لأن العين حق ، كما ينتج عن آثار الحسد الأخرى مكائد وأعمال فيها خراب و دمار ، وسفك دماء بريئة ، وغير هذا من أعمال كثيرة تبين آثارها اجتماعيا واقتصاديا .

وعلاج الحاسد من الآثار الظاهرة ، بتربية نفسه خلقيا و دينيا ، وتقوية ايمانه و ربطه بتعاليم دين الاسلام ، التى فيها الحصانة من كل هامة ، والحماية من كل معضلة ، وطمأنة القلب عما يزعجه ، فإن بذكر الله تطمئن القلوب ، ونفس الحاسد التى لم تتشبع بتعاليم دين الاسلام وقلبه الذى لم يقو بالايمان ، فإن لها زواجر وحدود تردعها وفى قوة السلطة التى جعلها الله حماية من تعدى

ض الناس على بعض ، سلطان يحمى المجتمع من شرور هذا الحاسد و ردعه
ن التسلط على الآخرين .

أما آثار الحاسد غير الظاهرة فإن الله أنزل المعوذتين . وأمر رسول الله
بالمحافظة عليهما دبر كل صلاة مع آية الكرسى ، وسورة الصمد ، عدا المغرب
الفجر فتكون ثلاث مرات ليكون فى ذلك حصن حصين يحمى الله به النفس
سلمة الملتزمة من شرور الحاسد ، ويكون فيه بتوفيق الله سلاح يردع عن نفثات
موم العاقــد ، ولذا سميتا بالمعوذتين ، ومن أصيب بشىء من ذلك ، فيحسن
ن يرقى نفسه بهـذه السور الثلاث مع سورة الفاتحة وآية الكرسى ، وبدعاء
جبريل عليه السلام الذى رقى به رسول الله ﷺ : « بسم الله أرقيك ، من كل
شىء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك ، والله
يشفيك » أخرجه مسلم فى كتاب السلام : باب الطب والمرض والرقى .

حركة أهل الحديث

وهذه أيضا حركة من الحركات نشأت فى وقتها وتبنت رسالة ملخصها :

— المحافظة على بساطة العقيـــدة والعمل فى الإسلام واتباع المنهج الوسط
وقت الإفراط والتفريط .

— التوسط والاعتدال فى الحب والبغض ، فإنهما ربما يؤديان الانسان إلى الغلو .

٣ — جمع ونشر تعاليم الكتاب والسنة وعلومهما .

٤ — التمسك بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى نواحى الحياة كلها .

(حركة الانطلاق الفكرى ص ١٧٢)

العسل ومنافعه فى ضوء القرآن الكريم وتجارب الأطباء الاخصائيين

(٦)

بقلم : الشيخ لطف الحق الشمسى
المدرس فى المدرسة الحميدية دار الحديث ، بيهار ، الهند

العسل فى أمراض التنفس (ASTHMA) :

العسل فى المزيج بالماء المحرق فى التهاب الرئات (Pneumonia) والتهاب الحلوق (Throat Diseases) نافع جداً ، وفى ذلك يقول الشيخ ندكارنى : تعرض ثلاثة مسائل هامة عند الهرم ، الضعف الجسمانى ، والبلغم ، والتهاب المفاصل (Arthritis) or (Jointspain) وتزول هذه الأمراض الثلاثة من استعمال العسل بسهولة ويسر .

والغرغرة بالعسل نافع فى التهاب السعال والتهاب الحلق ، وهو أكبر نفعا وأعظم تأثيرا بأن يتناوله حارا وبجرعة بعد جرعة فان ذلك يؤثر فى منتهى العروق الأخيرة .

والنزلة الوافدة (Influenza) من الأمراض المستعصية فى يومنا هذا أيضا ولا يمكن الشفاء منه قبل عشرة أيام فى الغالب ، ويلحق المريض ضعف كبير بحيث لا يستطيع أن يقوم من السديد مع الحصول على الصحة ، فلما أشرب

أمثال هؤلاء المرضى ملعقة أو ملعقتين كبيرتين من العسل ثلاث أو أربع مرات في اليوم أثناء المرض صارت مدة اعتلال الصحة من ثلاثة أيام إلى أربعـــة ، ولم يشاهد فيهم شيء من الضعف والوهن بعد الحصول على الصحة ، وقد اطلعت على هذه التجربة من جريدة "Lancet" الغراء الطبية التي تصدر عن بريطانيـــة ويكتب فيها الطبيب جي ڈبليو توماس (G. W. Tomas) مشاهداته وملاحظاته ، وهو يقول في احدى مقالاته :

لم يكن يؤثر على صاحب التهاب الرئة دواء مضاد للجراثيم ، (Antibiotic Drugs) — ولم ينتفع صاحب هذا المرض من هـذا الدواء ، فسقى هذا المريض كمية كلو غرام واحد من العسل في أسبوع ، فزالت لأجله الحمى بسرعة ولم ينشأ له شيء من التعقيدات والمشاكل بعد ذلك .

وليس دواء أنفع وأصلح تأثيرا في ازالة تعقيدات العروق لأصحاب أمراض التنفس (الربو) وفي اخراج البلغم مـن العسل المزيج بالماء الحار ، ووجه المرضى الى أن يخلطوا العسل قدر ملعقـــة بالمـاء الحار حين وطأة المرض ثم يشربوه مراراً ، فشوهـد أن من شرب ذلك الماء زالت معظم وطآت المرض ، ولم يحتج الى مزيد من العلاج .

وفي علاج الدق لا بد من ازالة ضعف المريض والزيادة في قوة الـدفاع وتحقيقـا لحصول هـذا المقصود يخلط العسل بكمية ملعقتين كبيرتين بالماء الحار ثم يشرب ذلك الماء على الريق وعنـد العصر ، فان ذلك يقويـة ويغذيه وينفع في التهاب عروق تنفسه أيضاً .

الضعف الجسماني و العسل :

وإذا طالعنا حياة الرسول الأكرم ﷺ الطيبة ودرسنا سيرته الزكيـــة

وجدنا أنه كان يشرب قصعة من مشروب العسل كل صباح ، وأحيانا كان يشرب ذلك بعد صلاة العصر ، كما وردت بذلك الاحاديث الكثيرة الصحيحة فى أمهات كتب الحديث .

فصارت نتيجة ذلك أن الرسول الأكرم ﷺ ما أصابه مرض ولا داء ولا وجع ولا ألم طول حياته الكريمة قط ، ولم يلق تعبا وعناءا قط ، وهذه الدروس والعبر تحل معظم قضايانا ومهماتنا ، وان لعق العسل حينما كان البطن خاليا ولم تتأثر قوة الأمعاء المنجذبة بالأشياء الأخرى حل لمعظم مسائل الجسم وشفاء لأغلب أمراض البدن ، وإن هـذا العسل يشرب ويلعق فى أى حال ، وفى أي داء دون تردد وتذبذب . وإن معظم النـاس يتناولون أنواعا من الادوية والأغذية لازاله التعب الجسانى والذهنى ، ولكنه ليس شيء أفضل من العسل فى ازالة التعب وفى الذهاب بالضعف ، ولم يتيسر ما هو أفضل منـه فى هـذا الباب فى وجـه الأرض كلها الى اليوم ، وسقى الطلبة العسل أيام الامتحان فشوهد أنهم تمكنوا من طول الدراسة والمطالعة ، وتحسنت ذاكرتهم .

وأصحاب أمراض القلب لم يصابوا بوطأة المرض عنـد ما سقوا العسل ، وانه نفع نفعا بينا كبيراً فى الذهاب بالنحافـة وفى إزالة العناء والتعب الذى يلحق المريض بعد إعتلال الصحة وبعد الجراحة .

والثابت تاريخيا بل الأمر الواقع الحقيق أن البطل المعروف لدى الجميع المسمى « هركوليس » و « كولاتيم » كانا يشربان العسل كل يوم لاضافة قوتهما ولانماء قدرتهما وكان العسل منبع قوة للصارع الهنـدى الشهير « سيندو رام مورتى » .

وقد صنف الأستاذ محمـد فراز الدفر المصرى كتابا مفيدا حول منافع

العسل وسماه «العسل فيه شفاء للناس» وذكر فيه بعض تجاربه النافعة وخبراته الهامة حول منافع العسل وفوائده، وكذلك أورد فيه من منافعه المدهشة وفوائده البديعة ما يسر الناظرين الكرام ويمتع القراء الميامين.

و من فوائده: ينفع فى أمراض الحصوة البوليـــة العسل المخلوط بدهن الزيتون و ماء الليمون جـــدا، ويسق العسل بالماء الحار و عصير الليمون فى الزكام الشديد.

و وجـــد كاتب الطب النبوى المعروف الشيخ على علاء الدين الكحال رحمه الله العسل فى تسمم الغذاء (Food Poisoning) نافعا جدا، وكذلك أقره الشيخ الطبيب المصرى الدكتور عزة مريدن غـــذاء جيدا ودواء ملينا نافعا ومنشى اللطافـــة و النزاهة فى الطباع فى كتابه «الأدوية»، وكذلك أقره فضيلة الأستاذ محمد فراز الدقر فى مقدمته «الاستشفاء بالعسل فى أمراض جهاز الهضم» نافعا جدا فى أمراض البطن.

العسل اختراع ثورى فى علم الأدوية:

أعد دواء حاليا فى بلاد المانيا يقال له "Propolis Nordisk" وقدمته شركة "Sanhelios" فى برلين بعد التحقيقات والتحريات إلى الأسواق فى صورة قرص و مشروب وضماد، وقد اطلع على آثاره ومزاياه بأن الأستاذ لوند (Lunde) من «ذنمارك» و كذلك كبـار محقق العالم من بلاد مختلفـــة بحثوا فوجدوا فى العسل مادة فتاكة بالجراثيم يقال لها "Propolis" وهى تستطيع أن تقتل جراثيم الأمراض الخطيرة الهائلة المختلفة بسرعة عجيبة.

و هذا أكبر استعدادا وأعظم صلاحيـــة فى قتل الجراثيم التى تولد القيح و الالتهاب من سائر أدوية العالم وفق تجارب المعمل الكيماوى، وعلاوة على

ذلك انه يزيد قوة الدفاع فى الجسم زيادة بالغة، أيضا.

و وجد هذا أنفع وأصلح وأجدى فى أمراض الأنف (Nasal Diseases) وأمراض الأذن (Ear's Diseases) وأمراض الحلق (Throat Diseases) وأمراض جهاز الهضم (Indigestion) وأمراض التنفس (Asthma) وفى جميع أنواع التهاب الأعصاب من أدوية العالم طبق مشاهدات المعامل الكيماوية المختلفة. وهذا هو الدواء الوحيد الذى يستطيع وحده أن يقتل الفيروس (Virus). ولم يحصل مرضى النزلة الوافدة والزكام الشفاء باستعماله فقط، بل انه ازال التهاب الجدر والأغشية، على الفور.

وقد نشرت الجرائد البريطانية من كينت بضواحى لندن أن المئات من أصحاب أمراض الأوصال القدامى (Rheumatism) نالوا الشفاء باستعمال بروبالس (Propolis)[١].

جوهر العسل:

قال سبحانه تعالى عن الجوهر الشافى الموجود فى العسل فى محكم كتابه المبين ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس﴾[٢].

يشير القرآن الكريم الى أنه تخرج رطوبة مختلفة الألوان متنوعة الفوائد من بطون النحل يقال لها فى علم الطب (Enzymes). إن هذا الجوهر المودع فى العسل مفيد نافع لعديد من الأمراض وقد تجلى معنى هذه الآية الكريمة عند ما فصل الكيماويون الألمانيون الجوهر (Royal Jelly) من العسل.

(١) انظر: طب نبوى ﷺ وجديد سائنس، (بالأردية) ص ١٨٤—١٨٩

(٢) سورة النحل: ٦٩

ولقد وضح هذا الاكتشاف صدق القرآن الكريم ومنزلته الرفيعة العالية على التوضيح.

والمراد من هذه الآية الشريفة ليس هو العسل فقط بل أنه الجوهر المنفرد الذى يتولد من بطون النحل لأنه هو أصل منبع الشفاء.

ولقد شاهد فضلاء الأطباء وكبراء الحكماء هذا الجوهر المسمى بـ رائل جيلى (Royal Jelly) فى الضعفاء بعـــد التحقيق الدقيق والاختبار العميق ، وقد أعد هذا الجوهر فى ألمانيا فى صورة قوارير وأقراص وتداوله الناس بالقبول شرقا وغربا ، وأعدت مؤسسة صناعة الأدوية بلاهور بمساعدة الشركة الالمانية مشروبا يحتوى على جوهر العسل ، ولكن الناس فى هذه البلاد لم يتأثروا بهذا وانقطعت السلسلة عن ذلك.

وأكبر المراكز فى اعداد هـذا الجوهر فى العصر الحديث جمهورية الصين الشعبية وقد أعدت مؤسسة صناعة الأدوية فى الصين مشروبا نافعا وحقنا باسم « بيكنك رائل جيلى » (Packing Royal Jelly) وذكر المعدون ثلاثـــة فوائد هامة لذلك.

فأولا انـــه ينفع اذا خف وزن الجسم يوما فيوما ، وقل الجوع وينفع الضعف الذى يلحق المريض بعـــد ذهـــاب المرض أو للوهن الذى يلحق الأم بعد الولادة.

وثانيا انه نافع للضعف الجسمانى العام والتعب الذهنى والضعف الدماغى.

وثالثا انه ينفع فى الأمراض المعقـــدة المعضلة و الأدواء القديمـــة مثل أمراض القلب (Diseases of Liver) وقلة الدم (Anaemia) والالتهاب الوريدى

و انجماد الدم فيه وأمراض الأوصال (Rhematism) و وجع المفاصل وأمراض العضلات (Degenrative Diseases) وفى قروح المعدة (Pepticulcer) .

واستورد العديد من باقع الأدوية من لاهور هذا الدواء الصينى الهام منذ مدة ، و أثنى عليه الجميع ثناءا عطرا ، و يقول المصاب بمرض خلل الأعصاب القديم انى شربت المئات من الفيتامينات (Vitamins) والأدوية المقوية (Tonics) ولكن لما أكلت قرصا (Tablet) من هذا الدواء ذهب الضعف والاضمحلال من البدن وعادت اليه الحيوية الجديدة ونشأت فيه الطاقة العظيمة من جديد .

وكان لمريض قرح (Ulcer) فى معدته منذ عشرة سنوات ، وانه قد بذل لذلك أموالا طائلة وتناول جميع الأدوية الحديثة و القديمة ، ومع ذلك لم يشعر براحة وخفة فى الألم ، فلما أكل أقراصا من (Packing Royal Jelly) مدة أربعة أشهر ذهب عنه الألم ، وزال الوجع ، وأخذ الطعام ينهضم بكل اطمئنان ، وصار يعيش كالمعتاد ، كأنه لم يصبه شيء من الألم ، ولم يمسه شيء من ضر قبل ؟

(البحث موصول)

(بقية صفحة ٨)

يثار فى الهنـد كثيرا ، وخاصة بالنسبة للمدارس والجامعات الأهلية التى تنظم دراسة اللغة العربية والعلوم الشرعيـة ، وتدعى بالمدارس الدينية أو المدارس الاسلامية ، وذلك لأن هذه المدارس تقصر نشاطهـا حول العلوم الشرعية ، ولا تتجاوز إلى العلوم الأخرى من الأدب والسياسة والاقتصاد والحساب والطبيعة والمعارف العامة وغيرها ، حينما تطالب طبقة من المشتغلين بالدراسة والتعليم بأن تضاف مواد العلوم الطبيعية والمعارف العامة والاقتصاد مثلا إلى مناهج المدارس الاسلامية حتى يكون خريجوها ملمين بالمبادىء الأساسية الأولية فى هذه العلوم .

ثم هناك مقترحات عديدة تخص المواد التى تتنـاول علوم الشريعة مثل العقيدة ومصطلح الحديث وتاريخ الدول الاسلامية وجغرافية العالم الاسلامي ومقارنة الأديان وتاريخ الديانات وعلم الاجتماع ، أما بخصوص دراسة اللغـة العربيـة وآدابها فالمقترحات كثيرة ، منها ما يتعلق بالقواعد ، ومنها ما يتعلق بالانشاء والتكلم . ومن المآخذ على طلبـة المدارس الاسلامية أنهم يدرسون اللغة العربية والكتب العربية طوال مدة الدراسة ، أى ثمانى أو عشر سنوات ، ومع ذلك لا يستطيعون التكلم والكتابة باللغة العربية بسهولة .

وفى هذه الخلفيـة عرضت الجامعة على متخرجيها نقطة النظر فى المنهج الدراسى ، وإنها لترجو أن هؤلاء الخريجين درسوا فى الجامعة ، ثم نزلوا إلى ساحة العمل ، فهم برصيدهم النظرى والعملى يستطيعون أن ينظروا إلى المنهج نظرة واقعية ، ويعدلوا فيه تعديلا ملائما إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

وخارج هذه النقطة المعروضة هناك ملاحظة متواضعة لكاتب هذه السطور

حول المنهج الدراسى المتبع فى المدارس الاسلامية ، وهى أن نوعية المنهج تتعلق بأهداف الدراسة ، فإن المنهج يتم وضعه بالنظر إلى الأهداف التى تنشد من الدراسة ، والمدارس الاسلامية تم انشاؤها لهدف معين ، وهو دراسة العلوم الشرعية والحفاظ على اللغة العربية ، فكل ما يساعد فى تحقيق هذا الهدف يستحسن ضمه إلى مناهجها ، أما ما يحتاج إليه الانسان من العلوم الأخرى فإنه يتلقاها خارج المنهج المذكور. وذلك لأن طبيعة الدراسية لا تقبل أن يدلى فيها بدلوين وأن يصاد بحجر واحد عصفوران . وإنى أقول ذلك نظرا إلى قلة العلماء الأكفاء فى المدارس الاسلامية ، وإلى الانحطاط العلمى الذى منيت به ، وإلى قصور العلم والنظر فى المدرسين المعروفين بله المغمورين . فإذا أثقلنا على هذه المدارس بإضافة بعض المواد إلى مناهجها فان ذلك يزيد الانحطاط المذكور دون شك ، ويؤثر على التعليم الاسلامى تأثيرا سيئا .

والنقطة التاسعة كانت عن الناحية المالية ، وانها دون شك مهمة جدا للدارس فى الوقت الراهن ، فان هذه المدارس اتجهت الآن مع ضغط مادى تواجهه فى هذا العصر إلى انشاء المبانى الضخمة التى تشبه القصور والحصون ، ولذلك اشتدت حاجتها إلى المال ، أما الشئون الدراسية والتربوية فان نصيبها قليل جدا فى ميزانيات المدارس المعاصرة . والعناية بالناحية المادية للدارس قد لا تكون محرمة . ولكن الواجب أن لايكون التوسع المادى على حساب الدراسة والتربية والعلم . والمشكلة هنا هى أن الأمور المادية المحسوسة بالحواس الظاهرة تجذب الناس ، فالانسان يتوجه إلى تزيينها فى أول وهلة ، أما الامور المعنوية من العلم والدراسة والتربية فلا تجد من يدركها ويقومها . وقد جاء اهمال الناحية المعنوية والعلمية بسبب اسناد الامور الادارية والتنظيمية إلى الاشخاص الذين لم تتصل

لهم تجربة وعلم فى هذا المجال ، فانهم ولوصحت نياتهم لا يستطيعون أن يخدموا هذه المدارس خدمة سليمة ، وإن لم تصح النية فحدث عن البحر ولا حرج !

والنقطة العاشرة ، وهى الأخيرة ، كانت عن تأليف تاريخ الجماعة العلمى. والجماعة قد أنجزت بعض الاعمال بهذا الصدد ، فقد ألف أحد مدرسيها كتابا عن مدارس أهل الحديث فى الهند ، وهذا الكتاب أحصى معظم الكتاتيب والمدارس والجامعات التى تعمل الآن فى ولايات الهند المختلفة . وهناك عديد من الكتاتيب والمدارس التى لم تضم إلى الكتاب لأن أحوالها لم تصل إلى الجامعة وقت اعداد الكتاب ، أو أنشئت المدرسة بعد نشر الكتاب . وهكذا أعد أحد المدرسين فى الجامعة كتابا ضخما عن مؤلفات علماء أهل الحديث فى الهند . وهناك كتابان يتناول أحدهما جهود أهل الحديث فى خدمة القرآن الكريم ، وجهود علماء الهند فى خدمة السنة المطهرة . وكذلك نشرت الجامعة عديدا من الكتب التى تتناول جزءا من تأريخ المسلمين العلمى فى الهند أو تأريخ جماعة أهل الحديث . ولاشك أن هذه الاعمال مهمة ونافعة ، وهى تعتبر نواة صالحة للمؤرخين اللاحقين ، ولكن الذى بقى اعداده من هذا التأريخ هو كبير جدا ، والحق أن فردا واحدا مهما أوتى من قوة العمل والمثابرة لا يستطيع الانجاز بهذا العمل ، بل لابد من اعداد لجنة علمية مخلصة يتفرغ أعضاؤها لهذا العمل . وكما هو المعروف ان هذا العمل ليست فيه حلاوة المناصب واغراء المادة وجاذبية الشهرة واعجاب الاتباع ، ومن هنا نرى أن العلماء والمسئولين عن المؤسسات التعليمية قلما يتجهون إلى هذه الناحية ، وقلما يخصصون لها مبلغا فى ميزانيتهم التى تبلغ مئات الألوف فى معظم المدارس . فأبناء الجامعة القدامى مطالبون بالنظر الجدى فى هذه الناحية ، وبالعمل الفورى

لمستمر الذى يسد الفراغ القائم فى مجال تأريخ أهل الحديث فى الهند .

ولايخطر هنا على بال أحد أن الكلام عن تأريخ الجماعة ناشىء عن العصبية لمذهبيـة أو اهمال شئون المسلمين العامة ، بل تسير الجامعة على خطة موضوعة 'ستيعاب تأريخ المسلمين العلمى فى الهنـد ، وبمـا أن الموضوع واسع جدا وممتد عبر القرون الطويلة فان البداية ينبغى أن تكون بجزء من هذا التأريخ ، وينبغى ن يكون هذا الجزء خاصا بتأريخ جماعة أهل الحديث ، لان هذا التأريخ لم يلق لى الآن بعناية كافية من العلماء والباحثين مع أنه تأريخ حافل بالاعمال العلمية كبيرة وبمواقف اسلامية رائعـــة ، فان علماء هذه الجماعة باشروا المقاومة لمسلحة ضد الانجليز ، ولعبوا دورا ملموسا كبيرا فى تحرير الهند من الاستعمار لانجليزى ، ومن ناحية أخرى انهم نظموا شئون التعليم الدينى فأنشأوا المدارس ـالكتاتيب فى أنحاء الهند ، وبذلك حافظوا على اللغة العربية والعلوم الشرعية فى سبه القارة الهندية ، وخدموا السنة النبوية المطهرة خدمة رائعة خاصة ، وذلك تقرير مادة السنة الشريفة فى المنهج الدراسى من بعـــد المرحلة الاعدادية إلى ـاية مرحلة التخصص ، وبتأليف الشروح والتعليقات على كتب السنة المعروفة . ـلم تكن خدمتهم للسنة الشريفة بغية التأييد لرأى فقهى معين أو الانحياز لشخصية معينة من الشخصيات العلميـة الكبيرة ، بل تركوا النصوص تدل دلالتها وتبين مغزاها سواء خالف زيدا أو عمرا .

أما جهود علماء الجماعة فى مجال الدعوة والارشاد فإنهـــا مفخرة للسلمين ـميعا ، فإن هؤلاء هم الذين عرفوا المسلمين بالتوحيد الخالص ، وبينوا لهم ـرورة اتباع السنة الشريفـــة والأسوة المحمدية ، وحذروا جميع المسلمين من ـرك والبـدع والخرافات . وبهـــذه الجهود الطيبة نجا كثير من المسلمين من

مهالك الشرك والبدع ، وعادوا إلى التمسك بالسنة الشريفة . ومع ذلك لا تزال
أغلبية المسلمين مصابة بأعمال الشرك والبدع جهلا بالدين والشريعة واغترارا ؛
يزين لها و يموه عليها التجار بالدين الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولوا
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . وهذا الوضع المخزى المؤسف يتطلب
من حاملى العقيدة الصحيحة بذل الجهود المتواصلة والتضحية المستمرة حتى يرج
المسلمون إلى العقيدة الصحيحة ، وتختفى التجارة بالقبور والأموات ، وتتجلى عقيد
التوحيد نقية صافية كما كانت فى القرون المشهود لها بالخير . والمسئولية الكبر
بهذا الصدد تقع على كواهل المتخرجين فى الجامعة لأنهم تلقوا العقيدة الصحي
على أيدى الأساتذة المتخصصين فيها وبدراسة الكتب المعروفة فى الموضو
نسأل الله التوفيق والسداد ، وصلى الله على رسوله الكريم وعلى آله وصح
أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ؟

(بقلم : د . مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهر)

(بقية صفحة ٦٤)

٥ — « منهج ابن كثير فى تفسيره وميزاته » (بالعربيـــة) لطلاب السنة الثا
والرابعة من العالمية .

٦ — « الصحافة العربية فى الجامعة السلفية » (بالعربية) لطلاب السنة الأولى
الفضيلة وتدريب الدعاة .

وقد شارك كثير من طلاب الجامعة فى هذه المسابقة بكلا المجالين ، وبـ
انتهاء المسابقة وظهور النتائج للمتفوقين عقدت جلسة ختامية فى ٢٤/ ٧ / ٤١٦
الموافق ١٨/ ١٢/١٩٩٥م . حضرها المسئولون والأساتذة والطلاب ، و وز
فيهـــا جوائز عينية على الفـــائزين الثلاث الأوائل فى جميع المراحل ، و
المشاركون الآخرون بجوائز تشجيعيـــة أخرى . هذا ونسأل الله تعالى الـ
التوفيق والسداد ، وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم ●●●

لمحة سريعة عن نشاطات ندوة الطلبة بالجامعة

بمناسبة انتهاء العام الدراسي ١٤١٥ – ١٤١٦ﻫ بالجامعة السلفية ببنارس نقوم بنشر تقرير موجز عن النشاطات التي قام بها طلاب الجامعة خلال هذا العام تحت مظلة ندوة الطلبة التي هي جمعية طلابية من وظيفتها المحاولة لتنمية قدرات الطلاب وكفاءاتهم من خلال ممارستهم لعديد من النشاطات العلمية والثقافية، وقد تزامن إنشاؤها مع بدأ الدراسة في الجامعة سنة ١٩٦٦م بموافقة من الجهات المسئولة فيها. وهي يضم الآن ٤ أقسام: (١) قسم الخطابة (٢) قسم الصحافة (٣) قسم المكتبة (٤) قسم الجرائد والمجلات.

يتدرب الطلاب في قسم الخطابة على إلقاء الكلمات التوجيهية والخطب الدينية باللغتين الاردية والعربية باشراف من الأساتذة، وذلك في يوم الخميس من كل أسبوع، وقد تمكن هذا القسم طوال هذه السنة من عقد ١٦ جلسة في اللغتين الاردية والعربية، هذا بالاضافة إلى حفل الافتتاح لبرامج الندوة الذي تم عقده في بداية السنة، واحتفالات أخرى ترحيبية عقدت بمناسبة الزيارات التي قام بها شخصيات بارزة من داخل الهند وخارجها.

وأما قسم الصحافة فتم انشاؤه لإنماء قدراتهم الصحفية وتمرينهم على كتابة البحوث، ولهذا الغرض يقوم القسم بإصدار مجلة حائطية نصف شهرية باسم «المنار» وهي تزين بما تجود به أقلام الطلبة ببحوث ومقالات دينية وأدبية وثقافية في لغات مختلفة، كما يقوم باصدار عدد خاص منها في نهاية السنة، وقد صدرت منها حتى الآن ١٦ عددا، والعدد السابع عشر لهذه السنة في مرحلته الاخيرة من الطباعة. وبعد أيام ستصل إلى أيدي القراء إن شاء الله.

وطبقا لما جرت به العادة فقد أجريت هذه السنة أيضا مسابقة بين ال
فى كلا المجالين — الخطابة والصحافة — تحت عناوين متعددة موزعة على
السنوات والمراحل المختلفة.

أما الخطابة فكانت عناوينها كالتالى :

١ — «تربية الأولاد فى الاسلام» (بأردو) لطلاب السنة الأولى والثانية من العا
٢ — «علاقة السياسة بالدين» (بأردو) لطلاب السنة الثالثة والرابعة من الع
٣ — «الدعوة وأساليبها المؤثرة فى الهند المعاصرة» لطلاب السنة الأولى
الفضيلة وتدريب الدعاة والمعلمين.
٤ — «أهمية التقوى فى الاسلام» (بالعربية) لطلاب السنة الأولى والثانية من الع
٥ — «أسس سلام المجتمع فى القرآن الكريم» (بالعربية) لطلاب السنة ا
والرابعة من العالمية.

وأما الصحافة فكان توزيع عناوينها حسب ما يلى :

١ — التعريف بكتاب «تقوية الايمان» (بأردو) لطلاب السنة الأولى وا
من العالمية.
٢ — «أهمية اللغة العربية وأدبها من الوجهة الاسلامية» (بأردو) لطلاب
الثالثة والرابعة من العالمية.
٣ — «دراسة المنهج الدراسى للمدارس الاسلامية فى الهند بالنظر إلى ا
الدينية» (بأردو) لطلاب السنة الأولى من الفضيلة وتدريب الدعاة
٤ — «الصدق تعريفه وفضيلته وأثره فى الحياة» (بالعربية) لطلاب السنة
والثانية من العالمية.

(البقية على الصفحة

عدد صفحات الجزء ٦٤

DECEMBER 1995 Vol. XXVII — No. XII

R. No. 47816/88

SAUTUL UMMAH

The Islamic Cultural & Literary Monthly Magazine

Dar-ut-Taleef Wat-Tarjama, Varanasi, India

Phone : 91—542—320958 | 322116 Fax : 91—542—323980

من مطبوعات الجامعة السلفية :

تأليف

محمد عزير شمس

الثمن : Rs. 85

المكتبة السلفية ، ريوری تالاب ، وارانسی - ۲۲۱۰۱۰

Pbulished by: Abdul Auwal Ansari, on behalf of Darut-Taleef Wat-Tarjama B. 18/1 G. Reori Talab, Varanasi. Editted by: A. Rahman Salafi. Printed at Salafia Press, Varanasi.